

خائفة، ومعذب  
جمعهما قدر واحد

# المتهوران

رواية



المؤلفة الأكثر مبيعا عالميا

لورين روبرتس

مكتبة جرير  
JARIR BOOKSTORE  
...not just a bookstore...  
استشارات متخصصة

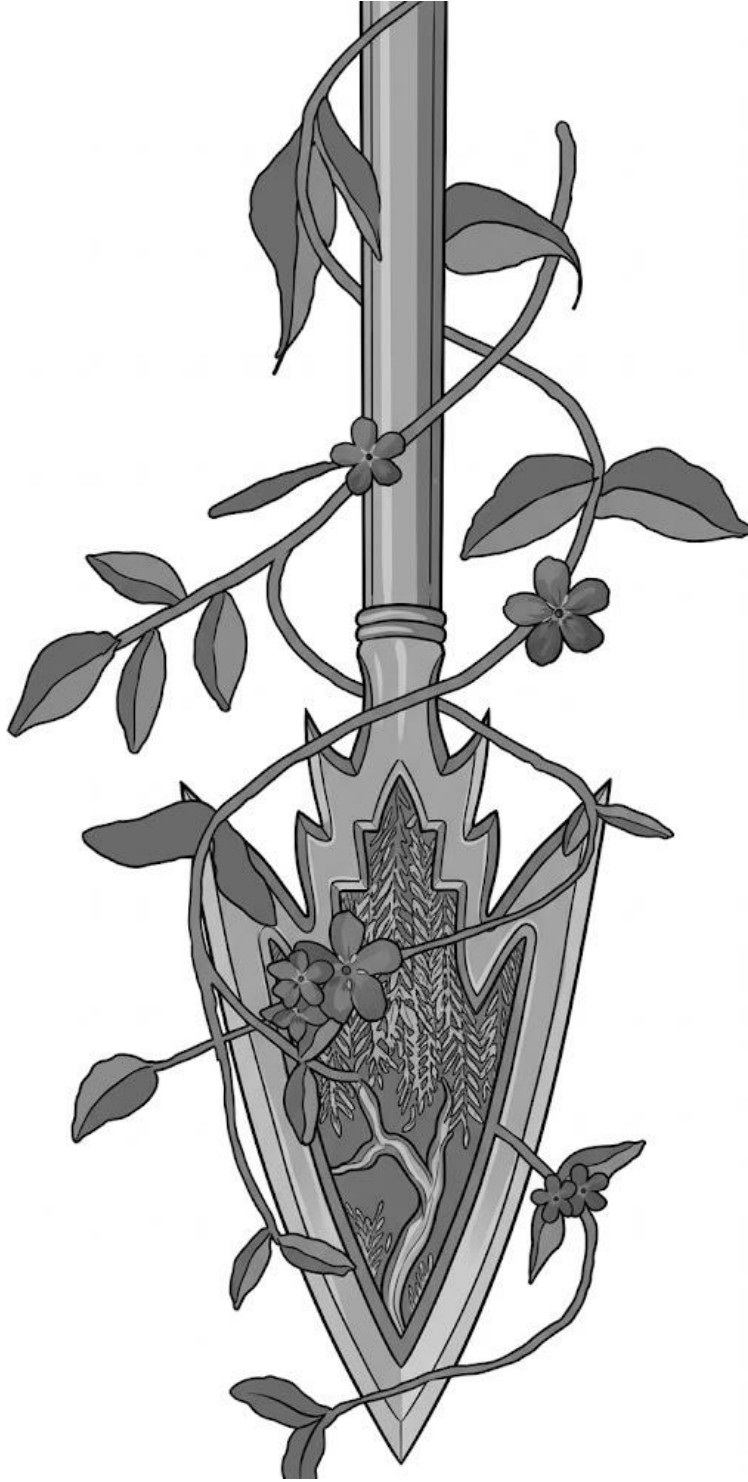


# المتهوران

لورين روبرتس

مكتبة الوادي





Reckless

## المتهوران

# لورينز روبرتسد

رواية

تم إعداد هذه النسخة الإلكترونية بواسطة /

[مكتبة الوادي](http://www.wadistreambooks.com)



تحرير وتدقيق:  
كاميليا

**إهداء إلى تلك الأرواح المتهورة،  
التي تجرؤ على أن تُحبب... وأن تُحب.**





إيليا

وادي تاندو

دور

المحرقة الاراضي

غابة الهمسات

حي النشالين

جبل الانحدار  
ملذة الأرواح

حلبة "الصحن"

العشوائيات

بحر المستنقعات



جزرام



## القدرات < 100

### الهاديون

- مكبر الصوت - عرض وتوجيه الصوت > 100
- كاشف الكلب - اكتشاف الأكاذيب > 200
- مغرط (هاينز) - حواس معززة > 250
- عالم (سكولان) - قدرات فكرية > 100
- بصير (سايت) - تسجيل وعرض الفيديو عن طريق البصر > 100

### الدفاعيون

- واصف (فلاش) - الانتقال الآني لأي مكان في مجال الرؤية > 100
- زاحف (كراولز) - تسلق الجدران > 225
- معالج (هيلز) - الشفاء السريع > 100
- صانع وهم - تكوين الأوهام > 100
- درع (شيلد) - إنشاء حقل طاقة أرجواني > 170
- لامع (شيمر) - التلاعب بالضوء > 125
- ناقل (ترانسفير) - غرس القدرات في الأشياء > 100
- مخفي (فيل) - الاختفاء > 130

### الهجوميون

- مشتعل (بليز) - التلاعب بالنهب > 200
- مزهر (بلوم) - التلاعب بالنباتات > 130
- قوي (براوتي) - قوة بدنية > 250
- ناسخ (كلونز) - إنشاء نسخ > 110
- مزدوج (جوال) - استخدام قدرتين > 100
- عاصف (جاست) - التلاعب بالهواء > 125
- مائي (هايدرو) - التلاعب بالماء > 150
- مشعل (جنايت) - إحداث انفجارات > 100
- القشرة (شيل) - بشرة من حجر > 125
- ناب حركي - تحريك الأشياء عن طريق العقل > 100
- كهربائي - التلاعب بالكهرباء > 100

## أفراد النخبة المسجلين



### العاديون



### الدفاعيون



### الهجوميون

- قاتلين (فاتالز) - 1 من كل نوع في حوزة الملك
- متحكم (كنترولز) - التلاعب بالآخرين - 1
- قارئ أفكار (مايند ريدر) - 1
- خامد (سايلنسر) - إخفاء قدرات الآخرين - 1

### مستحوذ (ويلدر) - الشعور

### بقدرات الآخرين

### واستخدامها ضمن نطاق

### قريب - 1

بيدن

Paedyn



كاي

Kai



## مقدمة

# كلامي

**تبدو** الأروقة موحشة في فراغها في هذه الساعة من الليل.

تمامًا كما هو حالها في كل عام.

أتمهل في خطوي عبرها، مسترقًا لنفسي هذه اللمحة الشحيحة من  
السكينة؛ وإن كان النعيم المسروق لا يعدو كونه فوضى مكبوتة.

أختار تجاهل تلك الفكرة وأنا أنعطف نحو رواق مظلم، بخطوات خافتة  
فوق السجاد الزمردني. ثمة ما يبعث على الطمأنينة في قلعة غارقة في السبات،  
فالعزلة ترفٌ نادرٌ بين أفراد العائلة المالكة.

فرد من العائلة المالكة.

أكاد أسمح لنفسي بالضحك سخرية من هذا اللقب. فكثيرًا ما أنسى ما  
كنتُ عليه قبل أن أصبح ما أنا عليه الآن. كنتُ أميرًا قبل أن أصبح المنفذ. كنتُ  
صبيًا قبل أن أستحيل وحشًا.

لكنني، اليوم، لستُ أحدًا. اليوم، يُسمح لي ببساطة أن أكون بصحبة من  
كان ينبغي أن تكون هنا.



يتسلل ضوء خافت من أسفل أبواب المطبخ. أبتسم ابتسامة خفيفة عند رؤيته.

كل عام. إنها هنا دائماً، في كل عام.

أدفع الأبواب برفق وأخطو متعمقاً في بقعة الضوء التي ترسمها عدة شموع راقصة. تعبق الأجواء برائحة العجين العذبة والقرفة، لتلفني في شرنقة من الدفء والذكريات.

قالت جايل:

– «أنت تستيقظ باكراً أكثر في كل عام.»

أبادلها الابتسامة بأخرى خفيفة. منزرها معفر بالقرفة، ووجهها ملطخ بمسحات من الدقيق. أرفع نفسي لأجلس فوق ذات المنضدة التي اعتدت الجلوس عليها منذ أن كبرت بما يكفي لبلوغها – فاردًا راحتِي خلفي، حيث تلتصق ندوبي بسطحها الخشبي –.

يكنم العزاء في ألفة هذا المشهد وطبيعته.

ابتسمتُ للمرأة التي تولت تربيتي تقريباً، رافعاً كتفًا واحدة في لامبالاة، وقلت:

– «وفي كل عام يقل نومي.»

حينما استقرت يداها على خصرها، أدركتُ أنها تقاوم رغبة عارمة في توبيخي:

– «أنت تثير قلقي يا كاي.»

أجبتها بنبرة خفيفة:

– «ومتى لم أفعل؟»

هزت إصبعها محذرة، وأشارت إلى هيئتي بالكامل:

– «أنا أتحدث بجدية. أنت أصغر من أن تتحمل عبء كل هذا. يبدو وكأن الأمس فقط كان يشهد ركضك في مطبخي، أنت وكيث...»

تلاشى صوتها عند ذكر اسمه، مما اضطرني لإنعاش المحادثة التي بدأت تحتضر:

- «في الواقع، لقد جئت من مكتب أبي...»

توقفت قليلاً لأزفر الهواء من أنفي، ثم استطرقتُ:

- «أقصد مكتب كيت.»

أومأت جايل ببطء:

- «لم يغادره منذ تتويجه، أليس كذلك؟»

مررتُ يدي عبر شعري المبعثر، وأجبت:

- «لا، لم يفعل. ولم أبقَ أنا هناك طويلاً أيضاً. كان يبلغني فقط بتفاصيل مهمتي الأولى.»

صمتت للحظة طويلة قبل أن تسأل:

- «إنها هي، أليس كذلك؟»

أومأت مؤكداً:

- «أجل، هي.»

- «وهل أنت...»

قاطعتها مكماً العبارة:

- «سأتمم المهمة؟ وأنفذ ما أمرت به؟ بالطبع. هذا واجبي.»

ساد صمت طويل آخر، قبل أن تسأل:

- «وهل تذكر ما يوافق هذا اليوم؟»

رفعتُ نظري ببطء، راسماً ابتسامة حزينة وأنا ألقى نظراتها:

- «ليس من واجبه أن يتذكر.»

تنهدت قائلة:

- «معك حق. حسناً، لم أصنع سوى واحدة هذا العام على أية حال.

خمنتُ أنه لن يتمكن من الانضمام إليك.»

تنحت جانباً لتكشف عن لفافة حلوى لزجة ولامعة بجوار الفرن. انزلتُ  
عن المنضدة، مبتسماً وأنا أمشي نحوها. ولم تناولني الطبق إلا بعد أن طبعتُ  
قبلة على وجنتها.

لوحث بيديها كأنها تطردني:

– «هيا، اذهب الآن. واقضِ بعض الوقت معها.»

قلتُ بنبرة خافتة:

– «شكراً لك يا جايل، على كل عام.»

غمزتني بعينها قبل أن تدفعني نحو الباب:

– «وعلى كل الأعوام القادمة.»

ألقيتُ نظرة خلفي على تلك المرأة التي كانت أمّاً لي حين عجزت الملكة  
عن ذلك. لقد كانت تجسيدا للأحضان الدافئة والعاطفة، للتوبيخ المستحق  
والرضا المنشود. أخشى التفكير في مصير الأخوين آزر لولا وجودها.

– «كاي؟»

كنتُ قد تجاوزت الباب نصفه حين توقفت ونظرتُ إليها مجدداً.

قالت بصوت هادئ:

– «جميعنا أحببناها.»

أومأت برأسي:

– «أعلم، وهي أيضاً كانت تعلم.»

ثم حملتني قدمي إلى الرواق المظلل في الخارج.

كانت لفافة الحلوى القابضة في الطبق بين يدي مغرية، تفوح منها رائحة  
القرفة والسكر وذكريات الأزمنة الأبسط. لكنني أجبرتُ نفسي على التركيز على  
سلك الدرب المألوف نحو الحدائق، وهو ذات الدرب الذي أسلكه في مثل هذا  
الوقت من كل عام انطلاقاً من المطابخ.

لم يمضِ وقت طويل حتى كنت أتوجه نحو الأبواب العريضة التي تفصلني عن الحدائق بالخارج. لم ألقِ بالألوان جنود الإمبراطورية الواقفين للحراسة أو أولئك الغارقين في نوم لا طائل منه بجوارهم. والقلّة الذين كانوا مستيقظين تظاهروا بعدم ملاحظة لفافة الحلوى التي أحملها معي إلى عتمة الليل.

اتبعتُ الممر الحجري الممتد بين صفوف الأزهار الملونة التي عجزت عن تمييزها في الظلام. كانت التماثيل المكسوة باللباب تتناثر في الحديقة، وبعضها يفتقر إلى قطع حجرية بعد أن سقطت وتهاوت مرارًا - في حوادث لا علاقة لي بها على الإطلاق، بكل تأكيد - . أما النافورة فكانت مياهها تتموج في المنتصف، لتعيد إلى ذهني ذكريات الأيام الخانقة والحماقات المبررة التي دفعتني أنا وكيت للقفز فيها.

لكنني هنا من أجل ما يقبع خلف الحدائق.

خطوتُ فوق المساحة العشبية الناعمة التي كانت يومًا ما مفروشة بالسجاد الملون لحفل التصفيات الثانية. رافضًا الاسترسال في استحضر ذكريات تلك الليلة، تتبعُ ضوء القمر الذي يمرر أصابعه الشاحبة بحنان فوق ملامحها الخارجية.

بدأت شجرة الصفصاف فاتنة بشكل يثير الشجن، وأوراقها تحف في النسيم العليل. مررتُ بعيني على كل غصن متدلٍ وعلى كل جذر يخترق التربة. كل شبر فيها كان يفيض بالجمال والقوة.

شققْتُ طريقي عبر ستارة الأوراق لأقف تحت الشجرة التي أزورها كلما سمحت لي الحياة بذلك - ولكن دائمًا، في مثل هذا اليوم، وببيدي لفافة الحلوى - . مررتُ أصابعي على اللحاء الخشن للجذع، متتبعًا أخاديه المألوفة.

سرعان ما جلستُ في مقعدي المعتاد تحت الشجرة الشامخة، وسندتُ ذراعي على ركبتي المثنية. وازنتُ الطبق فوق جذر ضخم بشكل استثنائي، ثم أخرجتُ علبة ثقاب صغيرة من جيبِي.

قلتُ وأنا أشعل العود، محدقًا في الشعلة الصغيرة التي ترتعش على

طرفه:

– «لم أتمكن من العثور على شمعة هذا العام، أعتذر. لذا سيفي هذا بالعرض.»

غرسْتُ عود الثقاب في منتصف اللفافة، مبتسماً بمرارة للمشهد المثير للشفقة. استغرقتُ لحظة لمراقبة احتراقه، مراقباً إياه وهو يطلي الشجرة الضخمة بوهج متراقص.

ثم أنزلتُ بصري إلى جواري، ومسحتُ بيدي على العشب الناعم هناك.  
– «عيد ميلاد سعيد يا أدينا.»

نفختُ في الشمعة المرتجلة لأطفئها، تاركاً الظلام يبتلعنا بالكامل.



## الفصل 1

# بيكان

**دهي** لا يكون مفيداً إلا إذا نجح في البقاء داخل جسدي.  
وعقلي لا يكون مفيداً إلا إذا نجح في ألا يضل طريقه.  
وقلبي لا يكون مفيداً إلا إذا نجح في ألا ينكسر.  
حسناً، يبدو أنني أصبحتُ عديمة النفع تماماً إذن.

تجول عيناى فوق ألواح الأرضية الخشبية تحت قدمي، وتتنقل بين أخشابها المتهالكة. مجرد رؤية هذه الأرضية المألوفة تغرقني في طوفان من الذكريات، فأكافح لأطرد تلك الصور العابرة لأقدام صغيرة تقف فوق أحذية كبيرة، تخطو بتناغم مع لحن مألوف. أهز رأسي، محاولةً نفض تلك الذكرى بعيداً، رغم رغبتى اليائسة في اللجوء إلى الماضي، نظراً لأن حاضري ليس الألف في الوقت الراهن.

... ستة عشر، سبعة عشر، ثمانية عشر –

أبتسم، متجاهلةً الألم الذي يلسع بشرتي.  
وجدتك.



خطواتي مترنحة ومتصلبة، وعضلاتي المتألّمة تتنّ مع كل خطوة نحو ذلك اللوح الخشبي الذي يبدو عاديًا. أجتو على ركبتي، عاضّةً على لساني لأكتم ألمي، وأخدش الخشب بأصابع ملطخة باللون القرمزي الذي أصارع لتجاهله.

تبدو الأرضية عنيدة مثلي تمامًا، ترفض أن تتزحزح. كنتُ سأعجب بصلابتها لو لم تكن مجرد قطعة خشب لعين.

ليس لدي وقت لهذا. يجب أن أخرج من هنا.

انتزع صوت محبط من حنجرتي قبل أن أرمش محمّلةً في اللوح الخشبي، ومدفعةً بالقول:

– «كنتُ أقسم أنك أنت المقصورة السرية. ألسّت اللوح التاسع عشر من الباب؟»

رمقتُ الخشب بنظرات حارقة قبل أن تفلت من شفّتي ضحكة هستيرية، وأرجعتُ رأسي إلى الخلف لأهزه موجهةً نظري للسقف، وتمتمت:

– «بحق الطاعون، ها أنا ذا أتحدث إلى الأرضية.»

وهذا دليل قاطع آخر على أنني أفقد صوابي.

رغم أنه، في واقع الأمر، ليس لدي أي شخص آخر لأتحدث إليه.

مرت ثلاثة أيام منذ أن ترنحتُ عائدةً إلى منزل طفولتي، مسكونةً بالأشباح ونصف ميتة. ومع ذلك، لا يزال عقلي وجسدي بعيدين كل البعد عن الشفاء.

ربما أكون قد راوغت الموت مع كل ضربة من سيف الملك، لكنه مع ذلك نجح في قتل جزء مني في ذلك اليوم بعد التصفية النهائية. كانت كلماته تقطع أعمق مما يمكن لنصله أن يفعل يومًا، تمزقني بشظايا من الحقائق بينما كان يتلاعب بي، ويسخر مني، ويخبرني بمقتل والدي وابتسامته تلوح على شفّتيه.

«ألا تريدان معرفة من قتل والدك؟»

تسري قشعريرة في عمودي الفقري بينما يتردد صدى صوت الملك  
البارد في جمجمتي.

– «دعينا نقول فقط إن لقاءك الأول مع أمير لم يكن عندما أنقذت كاي في  
الزقاق.»

لو كانت الخيانة سلاحاً، لكان قد سددها نحوي في ذلك اليوم، غارساً  
نصلها الباهت في قلبي المحطم. أطلقت زفرة مرتجفة، مبعدةً أفكارني عن ذلك  
الفتى ذي العينين الرماديتين الثاقبتين كالسيف الذي رأته يغرسه في صدر  
والدي منذ سنوات طويلة.

ترنحتُ واقفةً على قدمي، ونقلتُ وزني فوق ألواح الأرضية المحيطة،  
مصغيةً لأي صرير دال، بينما كنتُ أدير بخلو ذهن الخاتم الفضي في إبهامي.  
كان جسدي يؤلمني بالكامل، وعظامي تبدو هشّة للغاية. أما الجروح التي  
جنيتهُ من معركتي مع الملك فقد عولجت على عجل، نتيجة ارتجاف الأصابع  
والنحيب الصامت الذي جعل رؤيتي ضبابية وخياطة جروحي سيئة.

بعد أن عرجتُ من حلبة الصحن باتجاه «حي النشالين»، تعثرتُ وصولاً  
إلى الكوخ الأبيض الذي كنتُ أدعوه منزلي وكانت المقاومة تتخذه مقراً لها.  
لكن لم يستقبلني سوى الفراغ. لم تكن هناك أي وجوه مألوفة تملأ الغرفة  
السرية تحت قدمي، ليتركوني بلا شيء سوى ألمي وحيرتي.

كنتُ وحيدة – ولا أزال –، تُركتُ لأرتب الفوضى التي حلت بجسدي،  
وعقلي، وقلبي الدامي.

أصدر الخشب تحتي صريراً. فاتسعت ابتسامتي.

مرة أخرى، وجدتُ نفسي على الأرض، أقتلع لوحاً لأكشف عن مقصورة  
مظلمة تحته. هزرتُ رأسي لائمةً نفسي، وتمتمت:

– «إنه اللوح التاسع عشر من النافذة، وليس من الباب يا بيدن...»

مددتُ يدي في العتمة، لتلتف أصابعي حول مقبض خنجر غير مألوف.  
اعتصر الألم قلبي أكثر من جسدي، متمنيةً لو ألمس المقبض الفولاذي اللولبي  
لـ خنجر والدي براحة يدي.

لكنني اخترتُ إراقة الدماء على حساب العاطفة عندما ألقيتُ بنصلي الأثير في حلق الملك. وندمي الوحيد هو أنه وجدته، متوعداً ألا يعيده إليّ إلا عندما يغرسه في ظهري.

رمشت لي عيون زرقاء خاوية من انعكاس النصل اللامع الذي رفعته نحو الضوء، مما أفزعني بما يكفي لإيقاف أفكار البغيضة. كانت بشرتي ملطخة بالجروح، ومغطاة بالخدوش. ابتلعتُ ريتي عند رؤية الجرح الغائر الممتد على طول جانبي رقبتني، ومررتُ أصابعي بخفة فوق الجلد الممزق. هزرتُ رأسي، ودسستُ الخنجر في حذائي، دافنةً معه انعكاسي المذعور.

لمحتُ قوساً وكنانة سهامه الحادة مخبأة في المقصورة، فعبرت ملامحي ابتسامة حزينة تذكرتُ معها والدي وهو يعلمني الرماية، ولم يكن لي من هدف سوى تلك الشجرة المعقدة خلف منزلنا.

علقتُ القوس والكنانة على ظهري، وعبثتُ ببقية الأسلحة المخبأة تحت الأرضية. وبعد أن ألقيتُ بضعة سكاكين رمي حادة في حقيبتني - لتنضم إلى المؤن العسكرية، والبطانية، وقرب المياه، وبعض الملابس المجددة التي دسستها على عجل -، كافحتُ للنهوض على قدمي.

لم أشعر يوماً بهذا الضعف والانكسار. تلك الفكرة ملأتني بالغضب، وجعلتني أنتزع سكيناً من خصري وأتوق لغرسها في الجدار الخشبي البالي أمامي. لكن ألماً حارقاً سري في ذراعي المرفوعة عندما اشتد الوسم فوق قلبي بفعل الحركة.

تذكير. تجسيد لما أنا عليه. أو بالأحرى، لما لستُ عليه.

عادية .. بلا قوة.

أطلقتُ السكين في الهواء لتتغرّز في الخشب وأنا أصر على أسناني. لسعني صديد الندبة، متباهياً بوجوده الأبدي على جسدي.

«... سأترك بصمتي على قلبك، لئلا تنسي من حطمه.»

مشيتُ بخطى غاضبة نحو النصل، مستعدةً لانتزاعه من الجدار، عندما صدر صرير عن اللوح الخشبي تحت قدمي، ف جذب انتباهي. ورغم علمي بأن

الألواح الخشبية الهشة مألوفة تمامًا في منازل العشوائيات، إلا أن فضولي دفعني للانحناء واستكشاف الأمر.

لو كان كل لوح يصدر صريرًا يخفي مقصورة، لكانت أرضيتنا تعج بها... ارتفع اللوح الخشبي، وارتفع حاجباي معه دهشةً وصدمة. أطلقت ضحكة جافة خالية من المرح وأنا أمد يدي إلى ظلمات مقصورة لم أكن أعلم بوجودها. من الحماسة أن أظن أن المقاومة هي السر الوحيد الذي أخفاه والدي عني. لامست أصابعي جلدًا مهترئًا قبل أن أسحب كتابًا ضخماً، مقدسًا بأوراق تكاد تتناثر منه. تصفحته، لتمييز عيناى الخط الفوضوي المعتاد لدى أطباء البلاط.

مذكرات والدي.

حشرته في حقيبتي، مدركةً أنني لا أملك الوقت ولا الأمان الكافيين لدراسة محتواه الآن. لقد مكثت هنا طويلاً، وقضيت أيامًا كثيرة جريحة وضعيفة ومهمومة بخوف أن يُكتشف أمرى.

المتبصر الذي رأني أقتل الملك لا بد أنه قد عرض تلك الصورة في جميع أنحاء المملكة. عليّ أن أخرج من إيليا، وقد أهدرت بالفعل السبق الذي تفضل بمنحي إياه بكرمه.

شقتُ طريقي نحو الباب، مستعدةً للتسلل منه إلى الشوارع حيث يمكنني التواري في فوضى «حي النشالين». ومن هناك، سأحاول اجتياز الأراضي المحرقة وصولاً إلى مدينة دور، حيث لا وجود لأفراد النخبة، وحيث «العاديون» هم كل ما يعرفونه.

مددتُ يدي إلى الباب وإلى الشارع الهادئ خلفه — توقفتُ ويدي ممدودة.

هدوء.

اقترب منتصف النهار، مما يعني أن «حي النشألين» والشوارع المحيطة به يفترض أن تكون خلية نحل تعج بالباعة الشتامين والأطفال الصاخبين، حيث تضج العشوائيات بالألوان والحركة.

ثمة خطب ما –

اهتز الباب بعنف، شيء ما – أو شخص ما – يصطدم به من الخارج. قفزت إلى الوراء، وعيناى تلتفتان في أرجاء الغرفة. فكرت في الغوص عبر السلم السري إلى الغرفة السفلية التي كانت تستضيف اجتماعات المقاومة، لكن مجرد فكرة أن أحاصر هناك أصابتنى بالغثيان. عندها استقر بصري على المدفأة، فتنهدت بانزعاج متجاهلةً المأزق الذي أنا فيه.

كيف ينتهي بي المطاف دائماً داخل مدخنة؟

تحطم الباب وانفتح بصوت مدوٍ قبل أن أكاد أتسلق نصف الجدار المتسخ بالسخام، وقدماي مغروستان على جانبي، بينما الطوب ينغرز في ظهري. قوي (براوني).

وحده فرد من النخبة يتمتع بقوة خارقة يمكنه تحطيم بابي المحصن والمغلق بمثل هذه السرعة. صوت الأحذية الثقيلة جعلني أدرك أن خمسة من جنود الإمبراطورية قد اقتحموا منزلي للتو.

– «لا تقفوا هكذا بلا حراك. فتشوا المكان وأقنعوني أنكم مفيدون.»

سرت قشعريرة في عمودي الفقري عند سماع ذلك الصوت البارد؛ الصوت الذي عرفته يحمل رقة المداعبة وصرامة الأمر في آن واحد. تجمدت في مكاني، منزلقة قليلاً على الجدار المغطى بالسخام.

إنه هنا.

تبعه صوت خشن يخص أحد الإمبراطوريين:

– «لقد سمعتم المنفذ. تحركوا.»

المنفذ.

عضضتُ على لساني، ولا أدري إن كان ذلك لمنع نفسي من إطلاق ضحكة مريرة أم صرخة مدوية. يغلي دمي عند سماع هذا اللقب الذي يذكرني بكل ما فعله، وبكل شر ارتكبه في ظل الملك. في البداية لأجل والده، والآن لأجل شقيقه - بفضل تخليصي إياه من الأول -.

غير أنه لا يشكرني. بل جاء ليقتلني بدلاً من ذلك.

«ربما عندما أتخلص منك، سأعثر على شجاعتني. لذا سأمنحك خطوة استباقية.»

يا لها من خطوة استباقية عظيمة النفع!

لا يمكنني المخاطرة بأن يُسمع صوت تسلقي للمدخنة، لذا انتظرتُ، مصغيةً لخطوات الأحذية الثقيلة وهي تضرب الأرض بحثاً عني في أرجاء المنزل. بدأت ساقاي ترتجفان، وتجاهدان لإبقائي معلقة، بينما كان كل جرح في جسدي يجعلني أرتعش ألماً.

أمر المنفذ بجفاء، وبصوت يشي بالملل:

- «تحققوا من خزائن الكتب في غرفة المكتب. لا بد أن هناك ممراً سرياً خلف إحداها.»

مرة أخرى، أجد نفسي متييسة. لا بد أن أحد أفراد المقاومة قد اعترف بهذا السر الصغير بعد أن انتزعه منه تحت وطأة التعذيب. تسارعت نبضات قلبي عند تذكر المعركة التي اندلعت بعد التصفية النهائية في «الصحن»، حين اشتبك «العاديون» و«القاتلين (فاتالز)» والإمبراطوريون في معركة دامية.

معركة دامية لا أزال أجهل كيف آلت نتائجها.

ابتعدت خطوات الإمبراطوريين، وتلاشت أصوات بحثهم بينما نزلوا السلالم متجهين نحو الغرفة السفلية.

هدوء.

ومع ذلك، أعلم أنه لا يزال هنا في هذه الغرفة. لا يفصل بيننا سوى بضعة أقدام. أكاد أشعر بوجوده، تماماً كما شعرتُ بحرارة جسده تلامس جسدي، وبحرارة نظراته الرمادية وهي تجوبني.

أصدر لوح خشبي صريراً. إنه قريب. أرتجف غضباً، والرغبة في الانتقام تسري في عروقي تتوق بشدة لإراقة دمه. من حسن الحظ أنني لا أستطيع رؤية وجهه الآن، لأنني لو لمحتُ إحدى غمازتيه الغبيتين في هذه اللحظة، لما استطعتُ منع نفسي من محاولة تمزيق وجهه.

لكنني حافظت على ثبات أنفاسي بدلاً من ذلك، مدركةً أنني إن واجهته الآن، فلن يكون غضبي كافياً لهزيمته. وأنا عازمة على الانتصار عندما أواجه المنفذ أخيراً.

قال بصوت هادئ ومفكر، أقرب بكثير لصوت الفتى الذي عرفته:

– «أتخيل أنك رسمت وجهي في مخيلتك عندما ألقيت بتلك السكين.»  
اقتحمت ذكرياته عقلي، ونجحت في جعل قلبي يتسارع. وتابع قائلاً:  
– «أليس هذا صحيحاً يا بيدن؟»

وها هو ذا، عاد الجفاء إلى صوت المنفذ، ليمحو كاي ويترك القائد العسكري.

يدق قلبي بعنف بين ضلوعي.

لا يمكنه أن يعرف أنني هنا. كيف يعقل أن –

أخبرني صوت انتزاع النصل من الخشب المتشظي أنه سحب سكين من الجدار. سمعتُ صوت النقر المألوف، وأمكنني أن أتخيل بوضوح وهو يقلب السلاح بين يديه بخلو ذهن.

همس بصوت خافت وكأن شفثيه تلامسان أذني:

– «أخبريني يا عزيزتي، هل تفكرين بي كثيراً؟»

ارتجفتُ، وأنا أدرك تماماً كيف يبدو هذا الشعور.

إنذا كان يعلم أنني هنا فلماذا لم –

– «هل أطارد أحلامك، وأجتاح أفكارك، كما تفعلين أنتِ بي؟»

احتبست أنفاسي.

إنن، هو لا يعلم أنني هنا، ليس على وجه اليقين.

اعترافه هذا أكد لي ذلك.

كفتاة «عادية» دُرِبت وصيغت لتكون متبصرة، علمني والدي كيف أقرأ الناس، وأجمع المعلومات والملاحظات في غضون ثوانٍ.

وقد أمضيتُ أكثر من مجرد ثوانٍ بكثيرٍ في قراءة كاي آزر.

لقد اخترقتُ أقنعتَه وواجهاته المتعددة، ولمحتُ الفتى القابع تحتها، وبدأتُ أفهمه وأهتم لأمره. ومع كل خيانة تفصل بيننا الآن، أعلم يقيناً أنه ما كان ليقر بأنه يحلم بي لو كان يعلم أنني أتشرب كل كلمة ينطق بها.

سمعتُ نبرة الدعابة في صوته وهو يتنهد قائلاً:

– «أين أنتِ أيتها المتبصرة الصغيرة؟»

لقبه هذا يثير السخرية، نظرًا لأنه وبقيّة المملكة يعلمون الآن أنني أي شيء عدا ذلك. لستُ من النخبة على الإطلاق.

لست سوى شخص عادي.

لسع السخام أنفي، واضطرتُّ لكتمه بيدي لأمنع عطسة من الإفلات، مما ذكرني بليالي الطويلة التي كنت أسرق فيها من المتاجر المصطفة في «حي النشألين» قبل أن ألوذ بالفرار عبر المداخل الضيقة.

ضيقة. محاصرة. خانقة.

تنقلت عيناى بين قطع الطوب المحيطة بي في العتمة. المكان صغير جداً، ومكتوم للغاية، ويسهل أن يصيبني بالذعر.

اهدئي.

يختار رهاب الأماكن المغلقة أسوأ الأوقات ليطفو إلى السطح ويذكرني

بمدى عجزى.

تَنَفَّسِي.

وفعلت. أخذت نفساً عميقاً. كانت اليد التي لا تزال تكمم أنفي تفوح برائحة معدنية باهتة – حادة، قوية، ولاذعة للأنف –.

رماء.

أبعدتُ يدي المرتجفة عن وجهي، ورغم عدم تمكني من رؤية اللون القرمزي الذي يلطخ أصابعي، إلا أنني كنتُ أشعر به يلتصق بي. لا يزال هناك دم متيبس تحت أظفاري المتشققة، ولا أدري إن كان دمي أم دم الملك، أم... سحبتُ نفساً عميقاً، محاولةً استجماع رباطة جأشي. المنفذ يقف قريباً مني للغاية، يذرع الأرض جيئةً وذهاباً، والخشب يئن تحتته مع كل خطوة. الوقوع في الأسر لأنني بدأت أنتحب سيكون أمراً محرّجاً بقدر الوقوع بسبب عطسة.

وأنا أرفض كليتيهما.

في لحظة ما، عاد الإمبراطوريون يقرعون الأرض بأحذيتهم نحو الغرفة تحتي:

– «لا أثر لها يا صاحب السمو.»

ساد صمت طويل قبل أن يتنهد سموه:

– «تماماً كما ظننت. جميعكم عديمو النفع.»

وجاءت كلماته التالية أكثر حدة من النصل الذي كان يقلّبه في يده بلامبالاة:

– «اخرجوا.»

لم يضيع الإمبراطوريون ثانية واحدة قبل أن يهرعوا نحو الباب بعيداً عنه. ولا ألومهم على ذلك.

لكنه لا يزال هنا، لا يترك سوى الصمت ليتمدد بيننا. كتمت أنفي بيدي مجدداً، ورائحة الدم الممزوجة بضيق المدخنة جعلت رأسي يدور.

تدفقت الذكريات إلى ذهني – جسدي الملطخ بالدماء، صراخي وأنا أحاول فركها، ولم أفلح إلا في صبغ بشرتي بلون أحمر مقزز. رؤية ورائحة كل تلك الدماء أصابتني بالغثيان، وذكرتني بوالدي وهو ينزف حتى الموت بين ذراعي، وبأدينا وهي تلقى المصير ذاته.

أدينا.

وخزت الدموع عيني، مجبرةً إياي على أن أرمش لأبعد صورة جسدها  
الهامد الملقى في رمال الحفرة.

ملأت رائحة الدم المعدنية النتنة أنفي مجدداً، ولم أعد قادرة على احتمال  
رائحتها، ولا رؤيتها، ولا الشعور بها...  
تَنَفَّسِي.

تنهيدة ثقيلة شقت طريقها عبر أفكاري. بدا مرهقاً بقدر ما أشعر.  
قال بصوت خافت لم أظن أنني سأسمعه منه مجدداً:  
- «من حسن الحظ أنك لست هنا. لأنني لم أستعد شجاعتي بعد.»  
وبعدها، انفجر منزلي لتلتهمه النيران.



## الفصل 2

# كاي

**تلاهمس** أسنة اللهب كعبي حذائي بينما أشق طريقي بخطى متمهلة نحو الباب.

ترتطم موجات الحرارة بظهري، وتتشبث خصلات الدخان بثيابي. أخطو إلى الخارج نحو ظهيرة غائمة، زارها تلوثاً تلك السحب الكثيفة من الدخان المتصاعد نحو السماء.

ارتعشت شففتاي وأنا أرى ملامح الصدمة المرتسمة على وجوه جنودي الإمبراطوريين، مقترنة بأفكاكهم المتدلّية التي يجاهدون لإطباقتها بينما تلتهم النيران المنزل من خلفي. تنقلت نظراتهم ببطء نحوي، ولم تجرؤ على الارتفاع لأكثر من مستوى ياقتي قبل أن يبدؤوا بالتململ على أقدامهم بارتباك. تجمدوا في أماكنهم حين تقدمت نحوهم بخطى واثقة. يظنون أنني قد جُننت.

تهشم الزجاج حين انفجرت نافذة خلفي، متناثرة بشظاياها الحادة على طريق الشارع. جفل الإمبراطوريون وغطوا وجوههم. وهذا المشهد أثار ابتسامتي.



ربما هم على حق. ربما جُننت بالفعل.  
جنون القلق، والغضب، والخيانة.

التوتر المستمر الذي يلتف حول جسدي يبدو الثابت الوحيد في حياتي، تاركاً إياي بأكتاف متصلبة وفك مطبق. تنقر أصابعي على الخنجر المعلق في خصري، مغريةً إياي بتفريغ إحباطي في أحد هؤلاء الإمبراطوريين عديمي النفع.

مررتُ أصابعي على الفولاذ اللولبي للمقبض، بنمطه المألوف تحت أناملتي. كيف لي أن أنسى الخنجر الذي وُضع على حنجرتي مرات لا تحصى؟ كيف لي أن أنسى الخنجر الذي سحبتَه من عنق والدي المقطوع؟  
مرت ثلاثة أيام منذ أن رأيت مقبض هذا السلاح بالذات بارزاً من حلق الملك. ثلاثة أيام للحداد، ومع ذلك، لم أذرف دمعة واحدة. ثلاثة أيام للاستعداد، ومع ذلك، لا توجد خطة ستحررني منها حقاً. ثلاثة أيام لنكون ببساطة كيت وكاي – شقيقان – قبل أن نصبح ملكاً ومنفذاً.  
والآن انتهت مدة خطوتها الاستباقية.

ورغم ذلك، يبدو أنها استغللتها بحكمة – واستفادت من ضعفي، وجبني، ومشاعري تجاهها – وهربت. استدرتُ لأواجه ألسنة اللهب، مراقباً الفوضى الملونة بينما كانت النيران تلتهم منزلها بالأحمر، والبرتقالي، والدخان الأسود الكثيف، و...

لون فضي.

رمشتُ، محدقاً بعينين نصف مغلقتين عبر الدخان الخانق نحو السقف المنهار. لكن لم يكن هناك شيء، ولا أثر لذلك اللمعان الذي لمحتَه قبل لحظة. مررتُ يدي عبر شعري قبل أن أضغط بكعب راحتي على عيني المتعبتين.  
أجل، لقد جُننت حقاً.

– «سيدي!»

أنزلت يديّ، وثبتُّ نظري ببطء على الإمبراطوري الذي بلغت به الشجاعة حد الصراخ في وجهي. تنحنح، ويبدو أنه ندم على قراره ذاك، ثم قال:

– «أنا... إحم، أعتقد أنني رأيت شيئاً يا صاحب السمو.»

أشار إلى السقف المشتعل، حيث انقشع الدخان ليظهر طيف شخص يتعثر وسط النيران. طيف بشعر فضي.

إذن، هي هنا.

لا أستطيع أن أقرر ما إذا كنت أشعر بالارتياح أم لا.

أصدرتُ أمري بصوتٍ مدو:

– «أحضروها إليّ.»

لم يتردد الإمبراطوريون لحظة واحدة. ويبدو أنها هي الأخرى لم تتردد. بالكاد لمحتها قبل أن تقفز من حافة السقف المتداعي إلى السقف المجاور، لتنتقل ساقاها بالركض بمجرد أن ثبتت قدميها.

ركض الإمبراطوريون في الشارع بالأسفل، وبدا أصحاب القوة (براوني) وذوو الدروع (شيلدن) في غاية العجز بينما كانت تقفز من سقف إلى آخر. مرتُ يدي في شعري مجدداً قبل أن أمسح بها وجهي، غير متفاجئ من عدم كفاءتهم.

قلّبتُ السكين التي انتزعتها من الجدار بين يدي، قبل أن أنطلق راکضاً في الشارع، لألحق بسرعة بجنودي الإمبراطوريين. كنت أشعر بطاقة قدراتهم تنز تحت جلدي، تتوق لأن تنطلق. لكن قدراتهم لا طائل منها ما لم أتمكن من طرحها أرضاً، مما جعلني أندم على عدم إحضار نائب حركي (تيلي) كان بإمكانه أن يلقيها أمامي في الشارع بمجرد فكرة.

لا يمكنها البقاء على أسطح المنازل إلا إذا كانت قادرة على القفز بينها. ولهذا السبب، وبنفضة من معصمي، أرسلتُ السكين طائراً نحوها.

راقبتُ السكين وهي تصيب هدفها، لتخترق فخذها وهي تقفز. جعلتني صرخة ألمها أجفل، وهو رد فعل يثير إحباطي بقدر ما هو غريب عني.

ارتطمت بالسقف المسطح بقوة، وتدحرجت في محاولة يائسة لتخفيف حدة السقوط. راقبتها وهي تترنح واقفة، والدماء تسيل على ساقها. كانت ملامحها ضبابية من هذه المسافة، وأمكنني أن أتصور أنها مجرد طيف تائه يعرج نحو حافة السقف.

إنها ليست حمقاء. تدرك جيداً أنها لن تستطيع تنفيذ هذه القفزة. نقلت نظري بحدة إلى الإمبراطوريين الذين كانوا يحملون بها في الأعلى، وقلت بنبرة باردة:

– «هل يجب عليّ أن أفعل كل شيء بنفسني؟ اذهبوا وأحضروها.»  
لكن حين عادت عيناى لتتفقد السقف مجدداً. كان فارغاً.  
من الحماسة أن أظن أنها ستجعل الأمر سهلاً.  
صرختُ بهم ضاغطاً على أسناني لأكتم سيلاً من الشتائم:  
– «اعثروا عليها!»

تفرق الإمبراطوريون، يركضون في اتجاهات متعاكسة عبر الشوارع التي حرصتُ على إخلائها تماماً لهذا الغرض بالتحديد. إن قدرة اللص على الاندماج مزعجة للغاية، وتسمح له بالذوبان في الفوضى والضياع وسط الحشود. وكانت ستفعل ذلك تماماً لولا أنني أخليتُ «حي النشالين» طوال اليوم.  
تقدمتُ في الشارع بخطى واسعة، مختلساً النظر إلى الأزقة المتفرعة منه. تردد صدى صيحات مكتومة لترتد عن المنازل والمتاجر المتداعية. واصلتُ بحثي بصمت، حتى تعثرت خطواتي حين لمحتُ جسداً مقدساً في نهاية زقاق مظلم.

جثوتُ بجوار الجندي الإمبراطوري، وتجولت عيناى فوق زيه الذي كان ناصع البياض ذات يوم، فأصبح الآن مشبعاً بالدماء. كان الدم القرمزي ينزف من سكين رمي مغروزة بعمق في صدره، ويسيل فوق طيات زيه المنمقة.  
إنها مخلوقة صغيرة وشرسة.

تحسست بأصابعي رقبتة للبحث عن نبض، رغم يقيني بأنني لن أشعر  
بخفقانه المألوف. تنهدتُ، وأسقطتُ رأسي بين يديّ. كان جسدي كله يثقله  
الإرهاق، وترزح تحته أعباء همومي.

لقد دفنتُ شخصاً حاول قتلها ذات مرة.

ببساطة لأنني كنت أعلم أن هذا ما كانت لتتمناه. حملتُ جسد سيدي  
الهامد عبر غابة الهمسات المظلمة خلال تلك التصفية الأولى؛ لأنني كنت أعلم  
أن بيدن كانت تنهار عندما تركتها تدير ذلك الخاتم في إبهامها. لو كان الأمر  
بيدي، لما دفنتُ جثة شخص حاول قتلها قط. لكنني لم أكن أفكر في نفسي  
عندما فعلت ذلك.

الموت مألوف لي، كصديق وعدو، وهو زائر يتردد كثيراً في حياتي. أما  
بالنسبة لها، فالموت دمار، بغض النظر عن الضحية.

أتخيلها تدير ذلك الخاتم في إبهامها في هذه اللحظة بالذات، وتعض على  
باطن خدها وهي تجبر نفسها على الهرب من الرجل الذي قتله للتو، بدلاً من  
أن تحفر له قبراً كما أعلم أنها تتمنى بشدة أن تفعل.

همستُ للجثة الملقاة بجانبني، مؤكداً لنفسي أنني جُنت بالفعل:

– «كانت ستدفنك لو لم تكن منشغلة بالهرب مني، أتعلم؟»

رفعتُ القناع الأبيض عن وجه الإمبراطوري، مما منحني رؤية أوضح  
لعينييه البنيتين الزجاجيتين قبل أن أطبق جفنيه، وأردفت:

– «لذا، أقل ما يمكنني فعله هو أن أدفنك بالنيابة عنها.»

لم يسبق لي أن فكرتُ مرتين في مصير جثث جنودي. ومع ذلك، ها أنا ذا  
أرفع رجلاً على كتفي من أجل فتاة تمقت توزيع الموت. زفرتُ بقوة تحت وطأة  
وزن الإمبراطوري، متسائلاً: بحق الجحيم، لم أزعج نفسي بهذا؟



### الفصل 3

# بيكان

**يدهشني** عجزه عن سماع دقات قلبي المتسارعة، أو الشعور  
بنظراتي الحارقة وهي تتتبعه.

أتحرك ببطء، فيحتك بطني بسطح السقف الخشن وأنا أسترق النظر من  
الحافة. يلسعني الألم الممتد على طول ساقي، ليجذب انتباهي إلى القطع  
المضمد بعشوائية في فخذي. أعض على لساني، لأكتم صرخة ألم ومعها سيلاً  
من الشتائم الملونة. لقد استحالت حافة قميصي الاحتياطي الممزقة على عجل  
إلى بقعة قرمزية مقرزة فوق الجرح، مما يجبرني على تحويل انتباهي إلى  
الطيف الواقف بالأسفل؛ لعجزي عن احتمال رؤية هذا المشهد.

لكنني - في الوقت ذاته - لا أطيق رؤيته هو الآخر.

أعرف سلفاً ما سيكون عليه تعليقه لو قلتُ له ذلك في وجهه المتلألئ  
بابتسامته الساخرة: أنتِ كاذبة فظيعة يا جراي.

أقلّب عينيّ سخرية من الفكرة قبل أن تتجول نظراتي فوقه، متأملاً  
خصلات شعره الأسود المتموجة والمبعثرة التي تتساقط بحرية على جبينه.  
يجثو بجوار الجندي الإمبراطوري الذي أهديته طعنة في صدره، ويبدو وجهه



الجانبى متجهماً، بينما تمسح عيناه الرماديتان ملامح الرجل. ثم يسقط رأسه بين يديه، لتبدو عليه علامات الإحباط والإرهاق بالقدر ذاته.

رؤية المنفذ تملؤني بالغضب، لكنني أجبر نفسي على التركيز عليه بدلاً من الدماء التي تتفتح كزهرة حمراء على الزي الأبيض للإمبراطوري.

أبتلع ريقى، وأشعر فجأة بالغثيان من مجرد التفكير في الأمر. لسعتني الدموع في عينيّ حين أطلقت تلك السكين لتستقر في صدر الرجل، فشوشت رؤيتي بينما كان جسده ينهار على الأرض.  
أنا آسفة. آسفة جداً.

لا أدري إن كان قد سمع اعتذاري المتوسل، ولا أدري إن كان قد رأى الحزن في عينيّ قبل أن أجرر نفسي إلى سطح أحد المتاجر حين تردد صدى وقع الأقدام بين الجدران.

أرمش لأطرد الذكرى والدموع، وأختار بدلاً من ذلك التركيز على المنفذ الذي لا يبعد عني سوى بضعة أقدام.  
يمكنني قتله. هنا، والآن.

فجأة، وجدتُ سكين رمي أخرى بين أصابعي الملطخة بالدماء، في يدي المرتجفة.

«عديني بأن تبقي على قيد الحياة مدة تكفي لتطعنيني في ظهري؟»

تردد صدى كلماته لي بعد حفل الرقص الأول في ذهني.

يمكنني أن أفي بذلك الوعد.

بوضعيته الحالية، فإن ظهره هو المكان المثالي لغرس هذا النصل. يتصبب العرق من راحة يدي حول مقبض الخنجر، لكنني أشد قبضتي عليه.  
افعلها.

شعرتُ فجأة بغصة في حلقي أحاول يائسة ابتلاعها. الفتى القابع تحتي قتل والدي، وقتل العشرات من العاديين باسم الملك. وأنا هدفه التالي.  
أكره هذا التردد.

افعلها. الآن.

أرفع ذراعي، وأصابعي ترتجف حول السكين. هذه الحركة تجعل وسمي يحترق، ويشدّ معه البشرة والذكري المحفورة عليها.

حرف O يرمز إلى: عادي Ordinary.

يتحرك فجأة، رافعاً قناع الجندي الإمبراطوري، ليغلق عينيه الشاخصتين برقة لا تليق بالمنفذ - رقة تمنيتُ لو لم أشهدها -.

قال:

- «كانت ستدفنك لو لم تكن منشغلة بالهرب مني، أتعلم؟»

احتبست أنفاسي؛ ودق قلبي بعنف.

إنه محق. كنتُ سأجر هذا الرجل إلى أقرب بقعة تراب وأواريه الثرى لو استطعت. وكأن ذلك سيصلح الخطيئة التي ارتكبتها. وكأن ذلك سيكفر عن حقيقة أنني لم أدفن أعز صديقاتي ولا والدي قط.

كان التماثل في موتيهما مقززاً - كلاهما نzf حتى الموت بين ذراعيّ قبل أن ألوذ بالفرار -.

تابع كاي:

- «لذا، أقل ما يمكنني فعله هو أن أدفنك بالنيابة عنها.»

اخترقتني تلك الجملة الرقيقة كسكين، وكادت تجعلني أسقط السكين المقبوضة في يدي. حدقتُ بذهول، بينما كان يرفع الرجل على كتفه ويترنح واقفاً.

كاي.

هذا من أراه أمامي. ليس المنفذ. ليس واحداً من الأقنعة الكثيرة التي يرتديها. بل هو وحسب.

أكره ذلك.

أكره أنني لمحتُ ذلك الفتى مجدداً. لأنه من الأسهل بكثير أن أكرهه حين لا يكون هو من أكرهه على الإطلاق، بل ذلك المنفذ الذي صنّع ليكون إياه.

أراقبه وهو يخرج من الزقاق حاملاً الرجل الذي قتلته على كتفه. كاي لا يفعل شيئاً بلا سبب، مما يتركني في حيرة أمام عطفه.  
 وحين غاب عن أنظاري عند ناصية الزاوية، تساءلتُ فجأة لماذا أظهرتُ له العطف أنا الأخرى.

النجوم كائنات لعوب، تغمز دائماً في العتمة.  
 لكنها تمثل رفقة حسنة، تحيطني بكوكباتها التي لا تحصى. بقيتُ مستلقية على سطح هذا المتجر المتداعي لساعات، أراقب النهار وهو يذوب في الغسق، والغسق وهو يتلاشى في الظلام.

كانت الشمس قد غاصت عميقاً في الأفق قبل أن تتلاشى صيحات الإمبراطوريين المترددة ببطء. وفي النهاية، خمدت أصوات جر أحذيتهم على الحجارة غير المستوية بينما كنت أهدق في السماء، راجيةً إياها أن تظلم.  
 حين نزفت آخر الخطوط البنفسجية من مظلة الغيوم، تاركةً عباءة سوداء تخنق إيليا بالكامل، وقفتُ أخيراً ومططتُ جسدي. عضلاتي تؤلمني - وهو شعور بتُّ ألفه -، لكن الجرح الحديث الذي نلته اليوم يؤلمني بشكل خاص.  
 ومع هذه الحركة المفاجئة، بدأ الدم يتقاطر على فخذي، ليحفر مساراً قرمزيًا على طول ساقي. لا أطيق ملمسه اللزج، فهو يذكرني بالدماء التي لن أتمكن من غسلها عن يديّ أبداً.

كان النزول من السطح عملية بطيئة بشكل محرج، لكن بمجرد أن لامست قدمي الشارع، انزلتُ في الظلال. عرجتُ عبر الأزقة الهادئة، متجنباً المشردين الذين بدأوا يتوقعون عائدين إلى زواياهم المألوفة لقضاء الليل.  
 جنود الإمبراطورية يزحفون في كل مكان. يذرعون الشوارع بصمت، وتدور رؤوسهم، باحثاً عيناها عني في العتمة. هذا يجعل الأمور معقدة ومزعجة للغاية في آن واحد. راوغتهم في الضوء المتلاشي، باذلة قصارى جهدي ألا أترك قطرات من الدم فوق الحصى بينما أتلوى بين الأزقة.  
 انعطفتُ نحو شارع مظلم تغطيه الحجارة غير المستوية -

أطبقت يد خشنة على كتفي، بقبضة أبعد ما تكون عن الرقة. خفضتُ رأسي، لألمح أحذية سوداء مدهونة بطرف عيني بينما صفعتني رائحة النشا. لم أتردد قبل أن أشبك قدمي حول كاحل الرجل وأسحبه، لأطرحه أرضاً في حالة من الدهول. انقضضتُ عليه في غضون ثوانٍ، وسحبتُ الخنجر من حذائي وهويتُ بمقبضه على صدغه، لأُخرس صرخة مفاجأته المخنوقة.

الجندي الإمبراطوري النحيل لم يكن سوى فتى بالكاد، ملقى الآن كومة فاقدة للوعي على الحصى المظلل. كان قلبي ينبض بجنون، مما أجبرني على التقاط أنفاسي قبل أن أكافح لسحبه إلى عمق الزقاق، لأخبئه أكثر في الظلام.

كان الوصول إلى مشارف صحراء الأراضي المُحرقة رحلة بطيئة ومحبطة للغاية. لم أتخيل قط أنني سأشعر بالارتياح لرؤية الامتداد الشاسع للرمال أمامي، لكن بعد ساعات من التسلل في الظلال وتجنب الوقوع في الأسر بأعجوبة، كان المشهد كافياً لرسم ابتسامة على وجهي رغم وخزة الألم التي تسبب بها.

يتمركز عدد قليل جداً من الإمبراطوريين على حدود الأراضي المُحرقة، نظراً لأن مواطني دور وتاندو يدركون جيداً عواقب زيارة إيليا والاشتباه في كونهم من «العاديين». العزلة هي أبرز ما تجيده إيليا، لتضمن استمرار ازدهار مجتمع النخبة دون أن يتدنس بأولئك المجردين من القدرات.

هذه الفكرة تثير غضبي. وحقيقتها تصيبني بالغثيان.

وبغضب يغذي كل خطوة من خطواتي، بدأتُ أضرب بقدمي في الرمال. انزاحت تحتها قبل أن تتسلل إلى حذائي، لتجعل هذه الرحلة غير مريحة على نحو مستحيل.

مرت الساعات بينما كنت أتناقل في مشيتي إلى الأمام. شغلتُ نفسي بعصر عقلي المتعب، محاولة تذكر الخرائط التي كان والدي يفردها أمامي في طفولتي. لستُ متأكدة تماماً من مدى امتداد الصحراء، مما يجعلني أشعر بحماقة مطلقة لظني أنني قادرة على النجاة منها بإصاباتي هذه.

وكأن لدي أي خيارات أخرى.

تنهدتُ، مستسلمةً لحقيقة أن الموت قد حاصرني من كل الجهات،  
ليجبرني على مواجهته وجهاً لوجه. ذاكرتي عن الخرائط مشوشة، لكنني أظن  
أنني إذا واصلتُ بهذه الوتيرة، فسأصل إلى دور في غضون خمسة أيام تقريباً.  
هذا إن تمكنتُ من المشي طوال تلك المدة تقريباً - وهو ما قد ينتهي بانهياري،  
مما يسمح للموت أن يطالب بي أخيراً -.

حسناً، ليس هناك سوى طريقة واحدة لمعرفة ذلك.

ازداد الليل برودة، وانخفضت درجات الحرارة بينما كنت أتعلم في  
الصحراء. سترتي الخضراء المتسخة ذات الجيوب مفيدة للسرقة أكثر بكثير  
مما هي للدفع - وهذا تحديداً هو السبب الذي جعلها تصنعها - . مررتُ  
إبهامي على القماش الزيتوني الخشن، متذكراً اليدين السمراوين الرقيقتين  
اللتين خاطتاه معاً.

«عديني بأن ترتديها من أجلي؟»

ومضت في ذهني صورة أدينا وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة في حجري،  
هامسةً بطلبها الأخير، فلم يزدني ذلك إلا إسراعاً في خطواتي. حتى لو كان  
لدي وقت، أعلم أنني لن أنام كثيراً في هذه الرحلة - أو في أي وقت مضى - .  
لأنني، في اللحظات الهادئة قبل أن يسرقني النوم، أرى أدينا تموت مراراً  
وتكراراً. وكأن إغلاق عيني ليس سوى دعوة لعيش ذلك الرعب من جديد.  
الغصن الغليظ المخترق لصدرها، وأصابعها المقيدة والمكسورة، وجسدها  
الملطخ بالدماء...

يبدأ دمي بالغليان عند التفكير في ابتسامته بلير الساخرة وهي توجه  
الغصن عبر ظهر أدينا بمجرد فكرة من عقلها.  
سأقتلها.

لست متأكدة كيف، أو أين، أو متى، لكن أدينا لم تكن الوحيدة التي ترفض  
قطع الوعود ما لم تكن قادرة على الوفاء بها.

فتشتُ حقيبتني قبل أن أسحب معطف والدي البالي وأرتديه. إنه كبير للغاية، ومع ذلك، لم يناسبني شيء بمثل هذا الكمال قط. دسستُ يدي في الجيوب، وأنا أرتجف قليلاً بينما أواصل شق طريقي عبر الرمال. زحفت الساعات، لتسرق الظلام وتستبدل السماء بخطوط برتقالية ووعده بشمس حارقة. كانت فترات راحتي قصيرة، تكفي فقط لإراحة ساقي المؤلمتين بينما أتناول حصصي من الطعام وأشرب مائي الدافئ. كنت أتفقد جروحي باستمرار، معتنية بشكل خاص بالجرح الحديث الممتد على فخذي. هدية منه.

هذا القطع الدامي هو من صنيعه - أنا متأكدة من ذلك - دقة الرمية وحدها لا يمكن أن تخص سواه، وكذلك الفكرة بشقي لكي يجبرني على النزول من الأسطح. لن أتوقع أقل من ذلك من المنفذ البارد والواثق الذي يتوق بشدة للقبض عليّ.

وهذا سبب أدعى لزيادة سرعتي.

أجبرتُ ساقي المتألمتين على الإسراع بينما كنت أحاول طرده من أفكاري.

إنه قادم من أجلي.

ارتعشت شفتاي عند الفكرة، لتشد معها الندبة الممتدة من فكي. ولن أتردد مجدداً.



## الفصل 4

# كاي

قال كيت:

– «تبدو بحالة مزرية.»

قفزت عينا كيت فوق البقع القرمزية التي تلتخ قميصي، بفضل  
الإمبراطوري الذي لا يحتاج أن يعلم أنني دفنته.  
من أجلها.

عمل يكاد يرقى إلى الخيانة في أحسن الأحوال.  
ومثير للشفقة في أسوأها.

التقت نظرات الملك الفاحصة أخيراً بنظراتي، ممزوجة بشيء من الدعابة.  
تشكلت ابتسامة على شفتي لا إرادياً بدافع الألفة، لمجرد الشعور بأننا  
شقيقان. شقيقان لا تفصل بينهما ألقاب تسبق اسميهما. شقيقان يتجاهلان،  
في هذه اللحظة السعيدة، ولاءاتهما المقيدة برباط الدم.

إنها المرة الأولى التي يسمح لي فيها بالنظر إليه منذ أيام. النظر إليه حقاً.  
لقد استبدل الدموع بالإرهاق، والعيون المبتسمة بأخرى مسكونة  
بالأشباح، ترافقها وجنتان غائرتان قليلاً وفك نبتت عليه لحية خفيفة. تعثرت



نظراتي المتفحصة بالقميص المجعد نفسه الذي رأيته طوال الأيام الثلاثة الماضية - نصف أزراره مفتوحة، وأكمامه ملطخة بالحبر -.

قلتُ، بشيء يشبه ابتسامة لا تزال تفاجئ شفتي:

- «حسناً، وأنت لا تبدو بحالة أفضل بكثير.»

رمش كيت، متأملاً يديه الملطختين والأوراق الملطخة المتناثرة أمامه وكأنه يرى المشهد للمرة الأولى. ثم تنهد، وجمع ببطء الأوراق التي كان مندمجاً معها في كومة فوضوية.

قال:

- «سأكون بخير. مجرد إرهاق بسيط، هذا كل ما في الأمر.»

قلتُ بنبرة بدت خجولة بشكل مزعج، وأنا أحاول الموازنة على خيط رفيع بين تلطيف الأجواء ومحاولة إقناعه بالمنطق:

- «أنت تدرك أن هناك حلاً بسيطاً لذلك - أليس كذلك؟»

كيت مختلف. نحن مختلفان. لم أعد أعرف أين ينتهي أخي ويبدأ ملكي.

وحين لم يجب، أكملتُ بقلق خفي:

- «عليك أن تحاول الراحة. نل قسطاً من النوم.»

وأومأتُ نحو المقعد الجلدي البالي الذي ورثته:

- «لم أرك تغادر هذا الكرسي منذ أيام.»

قال كيت بفضاظة:

- «النوم للموتى.»

ولا يمكن وصف الصوت الذي أتبع به عبارته تلك سوى بأنه سخرية مخنوقة. أتبعها بنصف ضحكة وهو يهز رأسه بما بدا وكأنه متعة:

- «آسف، هل قلتها في وقت مبكر جداً؟»

اصطنعتُ ابتسامة وأنا أواجه من يبدو لي وكأنه غريب. في حياة أخرى، يمكنني سماع الكلمات ذاتها تسقط من فم كيت، لكنها ستكون خالية من تلك

النبرة المريرة، وذلك الصدع الجنوني في ابتسامته. لقد حوله الحزن إلى رجل أتوجس منه.

تنهدتُ قائلاً:

– «حسناً، النوم للموتى. رغم أنه لا يبدو أنك تعيش كثيراً أيضاً.»

بحثت عيناى في عينيه، متوسلةً بطريقة لن أستخدم فيها الكلمات أبداً:

– «لم تغادر غرفة المكتب منذ تتويجك. يمكننا التمشي في الحدائق،

لنذهب ونرى الملكة.»

ابتلعتُ ريقى عند التفكير فيما فعله بها الحزن.

– «يقول الأطباء إن حالتها تتدهور. لم تغادر سريرها، ويخشون...

يخشون ألا يكون هناك الكثير من الوقت المتبقي.»

تجمد في مكانه، وبقي صامتاً لفترة طويلة بعد اقتراحى. لم يكن ينبغي أن

أتفاجأ من تردده. كيت لا يملك أي رابطة مع أمى. لأنها باختصار – أمى أنا.

وليست أمه.

تنحنحتُ، وغيّرتُ الموضوع بسرعة إلى مساعٍ أكثر جاذبية:

– «يمكننا زيارة جايل في المطبخ. لن نتوقف عن طلب رؤيتك حتى تأكل

واحدة من لفائفها اللزجة...»

قاطعنى:

– «أنا سعيد جداً هنا، شكراً لك.»

رمشتُ محملاً فيه. إن كان هذا طرداً ملكياً، فلم أسمع مثله قط.

أومأتُ ببطء، متراجعاً خطوة نحو الباب:

– «حسناً، إن لم يكن هناك شيء آخر...»

يا صاحب الجلالة.

ابتلعتُ الكلمتين قبل أن أبصقهما في نهاية الجملة. امتدت يدي نحو الباب،

مستعداً للهروب –

سألني:

– «هل هذا دمها؟»

تعثرتُ، واستدرتُ لأواجهه.

كانت نظراته الخضراء مثبتة على البقع التي تتشرب قميصي. بقيتُ ساكناً، صامتاً للحظة طويلة، أسمح له ببساطة بتأملي بينما أحاول فك شفرة ما يلوح خلف عينيه.

وحين تحدثتُ أخيراً، كان السؤال الذي أتهرب من إجابته هو ما سقط من

شفتي:

– «هل كنت لتشعر بخيبة أمل أكبر لو كان دمها، أم لو لم يكن؟»

ابتلع ريقه. أخذ نفساً عميقاً. وابتسم بطريقة لا تمت للسعادة بصلة:

– «لا أعرف.»

صمت طويل آخر امتد بيننا.

– «وأنت؟»

أجبتُ:

– «لا أعرف.»

مثير للشفقة.

قال كيت دون أن ينظر إليّ:

– «هل هو كذلك؟ دمها، أعني.»

تنهدتُ، وقد شعرتُ بالتعب فجأة من تذكر مجريات هذا الصباح:

– «لا.»

هل أنا مرتاح؟ أم محبط؟ يبدو أنني فجأة عاجز عن التمييز بين الاثنين وأنا أنطق بتلك الكلمة البسيطة.

تمتم كيت:

– «أفهم. لكنها كانت هناك، على ما أظن؟»

أجبت:

– «أجل كانت هناك. لقد أجبرتها على الخروج من المنزل.»

رفع كيت حاجباً قبل أن أكمل:

– «أحرقته بالكامل وساويته بالأرض.»

– «أفهم.»

راقبنا بعضنا بحذر. هي موضوع من الأفضل تركه دون المساس به، ومع ذلك، لم تكن أبعد من فكرة في رؤوسنا. تعذيب لكلينا.

أوما كيت نحوي بترقب:

– «والدماء؟»

أجبت:

– «تعود للجندي الإمبراطوري الذي طعنته. قتلته بالقرب من <حي

النشالين>.»

انطلقت تلك الضحكة الميتة مجدداً:

– «لديها عادة سيئة في طعن الناس، أليس كذلك؟»

تنحنحتُ، حريصاً على ألا أتجاوز الخط الذي لم أعد أعرف أين أرسمه

عندما يتعلق الأمر بكيت:

– «أجل، حسناً، وأنا كذلك. وهي لم تفلت سالمة – لقد حرصتُ على

ذلك.»

قال كيت بتمهل، بنبرة مألوفة للغاية. رأيت أبي ينعكس في نظراته،

ويتجسد في كلماته:

– «ما الذي تحاول إخباري به أيها المنفذ؟»

تصلبتُ قليلاً:

- «أعتقد أنها متجهة إلى الأراضي المُحرقة، في محاولة للعبور إما إلى دور أو تاندو. رغم أنني لست واثقاً من أنها ستنجح في ذلك. ولكن من ناحية أخرى، لديها أيضاً عادة سيئة في البقاء على قيد الحياة.»
- كانت نبرتي جافة، تجسد المنفذ الذي يريدني أن أكونه.
- «سأجهز بعض الرجال وخيول الصحراء للتوجه إلى الأراضي المُحرقة في إثرها. سنغادر في أقرب وقت ممكن.» توقفت لحظة، ثم أضفت:
- «يا جلالة الملك.»
- سحقاً. لم أستطع منع نفسي، أليس كذلك؟
- درسني كيت بعينيه، ولم يبدُ عليه الانزعاج من اللقب، بل الفضول:
- «وبعد ذلك ستحضرها إلي.»
- أومأت برأسي.
- سألني:
- «هل ستفعل؟»
- حدقتُ فيه، وأنا أتنفس ببطء:
- «هل لديك سبب للاعتقاد بأنني لن أفعل؟»
- رفع كيت كتفه بلامبالاة قبل أن يميل للخلف ويعقد ذراعيه الملطختين بالحبر فوق قميصه المجعد:
- «الأمر مجرد... حسناً، أنا أعرف... تاريخك.»
- تجمدتُ. تبادلنا النظرات، نتواصل بصمت حول الشيء الوحيد الذي لم نكن ننطق به بصوت عالٍ أبداً. كان تعليق كيت مبطناً، لكن انعدام ثقته في تنفيذي لأوامره كان أوضح من أن يُخفى.
- جاء ردي بعيداً وبارداً:
- «ذلك أمر مختلف. وأنت تعلم ذلك.»
- قال كيت بنبرة بريئة بشكل مزعج:

- «هل هو كذلك؟ لم يكن لديك أي ارتباط بهؤلاء الأطفال، ومع ذلك، فقد عفوت عن عقوباتهم رغم جرائمهم.»

بدأت محتجا:

- «كيت -»

لكنه قاطعني بحدة:

- «اسمع، أنا لا أقول إن إنقاذ الأطفال كان تصرفاً خاطئاً.»  
ضحك ضحكة خالية من المرح.

- «لست وحشاً. نفي «العاديين» مع عائلاتهم بدلاً من إعدامهم مباشرة كان عملاً رحيماً، مهما بدا صغيراً. لكن...» أظلمت عيناها. «لقد عصيت أوامر أبي مراراً وتكراراً. مراراً وتكراراً.»

زفرتُ الهواء من أنفي بضيق. بمجرد ذكر أبي، أكون قد خسرتُ النقاش قبل أن يبدأ. في عيني كيت، لا يمكن لأي شيء أقوله أن يبرر تمرداً ضد الملك السابق.

تنهدتُ قائلاً:

- «كنتُ دائماً أطيع الأوامر. وسأفعل دائماً. كان ذلك استثناءً.»

ردد كيت:

- «كان؟»

بدت تعابيره فاحصة ومتشككة بالقدر ذاته.

- «ماذا، ألا تنوي الاستمرار في هذا الاستثناء لأنني أصبحتُ الملك؟  
لأنني أعرف؟»

كان من الصعب ألا أحقق فيه بذهول تام:

- «هل تريدني أن أعدم الأطفال إذن؟»

ارتفع صدري وانخفض، وقلبي يضرب بعنف ضد أضلاعي المتألّمة.

- «بكل سرور، فقط أعطِ الكلمة وسأنفذ الأمر، يا مليكي.»

اللجنة.

عضضتُ لساني بقوة تكفي للتركيز على الألم الفجائي بدلاً من موجة الغضب التي تجتاحني. آخر ما أريده هو أن أنظر إلى كيت على أنه مجرد ملكي، وأن أعامله كما عاملتُ من كان قبله. كيت شخص سهل حبه، حتى يبدأ في التشبه بالأب الذي لم يكن يكنّ لي الكثير من الحب.

لانت نظرة الملك القاسية مع صوته:

- «كاي. أعلم أن هذا ليس أمرًا سهل التنفيذ تمامًا. أظنني فقط... مصاب بالبارانويا. لقد شهدتُك تخالف الأوامر في الماضي.»  
وعندما رمقته بنظرة غاضبة، أضاف مسرعًا:

- «لسبب وجيه. ولهذا السبب أشعر بالقلق عندما أطلب منك إعادتها

إليّ.»

التقت عيناه بعيني، محمليتين بعاطفة عجزت عن تحديدها:

- «وأي 'سبب وجيه' لعصيان الأوامر أفضل من مشاعرك تجاهها.»

حدقنا في بعضنا البعض، بعيون متشابكة وحناجر تغص بالكلمات التي لم تُنطق. أردتُ الاحتجاج، وتوسلتُ إلى فمي أن ينفتح ويطلق سيلاً مقنعاً من الكلمات التي تدحض اتهامه. لكنه محق، وكلانا يعلم ذلك. مشاعري هي ما حررها في المقام الأول.

هزتني الفكرة، ودفعتني للقفز إلى استنتاج أن كيت يعلم ذلك، يعلم أنني تركتها تذهب مرة بالفعل - وأنه يستاء مني بسبب ذلك - . لكن لم يكن هناك شيء في وجهه الهادئ يثبت ذلك، فدفنتُ الفكرة قبل أن تفعل بي الشيء ذاته.

قلتُ بهدوء، أختبر المياه المضطربة لفيضان مشاعر كيت تجاه الفتاة

ذاتها:

- «هذا لا يمكن أن يكون سهلاً عليك أنت أيضاً.»

كاد أن يضحك:

- «أوه، إذن نحن سنتحدث عن هذا الآن؟»

لقد كنا نتجنب الخوض في هذا الموضوع الحساس حتى قبل أن تقرر هي تمزيق أوتار عنق والدنا بالخنجر ذاته المعلق في خصري الآن. لقد كانت مخاطرة، شيئاً تجنبنا التعبير عنه وكأن ذلك سيمنعها من دق إسفين بيننا. كان الوقوع في حبها أمراً قاتلاً.  
قال كيت ببساطة:

– «كل ما شعرت به تجاهها مات في اليوم الذي قتلته فيه.»  
أكازيب.

لقد كنت أقول لنفسي الشيء ذاته تماماً، وأسميه حقيقة بكل قناعة.  
أومأت برأسي قائلاً:  
– «أعرف هذا الشعور.»  
أكازيب.

رمقنا بعضنا بنظرات صامتة، وكلانا راضٍ بالغرق في أوهامنا المشتركة. لكننا لم نقل شيئاً آخر، ولم نكلف أنفسنا عناء مواجهة حقيقة أننا نكذب على أنفسنا وعلى بعضنا البعض.  
قلتُ بصوت هادئ وصادق:

– «سأعيدها إليك يا كيت. قبل أن أكون منفذك، كنتُ شقيقك. ولائي لك أنت ولا أحد سواك.»

صمتُ للحظة طويلة، أسمح لكلماتي بأن تترسخ.  
– «لقد قتلت والدي أنا أيضاً، كما تعلم.»

امتد المزيد من الصمت بيننا.  
قال كيت أخيراً:

– «حياة. أحضرها إليّ حياة.»

لم توحِ نبرته بأن هذا يمثل رحمة على الإطلاق.

سحبتُ الخنجر السميكَ الذي أُعطي لي يوم أصبحتُ منفذ إيليا، ووضعتُه  
على مكتبه.

– «أعده إليّ عندما أسترد ثقتك من جديد.»



## الفصل 5

# بيكان

**يكشط** الرمل باطن فمي، ويطحن فوق لثتي.

أمرر لساني على أسناني الجافة، فأشعر بتلك الطبقة الرملية ذاتها التي صاحبته طوال الأيام الثلاثة الماضية. البصق لم يعد خيارًا متاحًا، نظرًا لأن كل قطرة لعاب باتت ضرورية في صراعي من أجل البقاء.

حلقي يؤلمني. وقدماي. وساقاي. ورأسي. وكل شيء في.

تنزلق الرمال تحت قدمي بينما أواصل جرجرتهما إلى الأمام. وبقطعة احتجاجية من رقبتني المؤلمة، رفعتُ رأسي الذي يدور نحو شمس المغيب في الأعلى. إنها تغوص نحو الأفق، متجرئةً على الاختباء خلف الكثبان الرملية لتنتزع أشعتها من السماء.

تاقت راحة يدي نحو جبتهتي، اللزجة والمحترقة بعد أيام من التخبط في الصحراء. سرت قشعريرة في عمودي الفقري، لتنفض جسدي المتألم. تنهدت، مقنعة نفسي بأن برودة الصحراء المتسارعة هي ما ينخر عظامي، وليس حمى تستقر تحت بشرتي اللزجة.

ظللت أمشي لأيام – ومعظم الليالي التي تلتها.



الصحراء وحش لا يرحم. في كل ليلة أتوسل إلى رمالها، راجيةً إياها أن تمنحني بضع ساعات من الراحة. ورغم يأسِي، لم تتكرم الصحراء عليّ بأكثر من ساعة أو ساعتين من النوم في كل مرة. فسواء كان الرمل في أذني أو العقارب عند قدمي، لا أستطيع أن أظفر بأكثر من غفوة يملؤها الذعر.

قلتُ بشفتين متشققتين، وبصوت لا يعدو كونه نعيقاً:

– «أنا الوحيدة التي تؤنس وحدتك، لذا أقل ما يمكنك فعله هو أن تدعيني أنام ليلة واحدة متصلة.»

مسحتُ الصحراء الشاسعة بعيني، فلم أر سوى الرمال ولم أسمع سوى حفيف الريح. زفرتُ الهواء، وكسرتُ قطعاً من الخبز المتفتت قبل أن ألقى بها في فمي الجاف بالمثل.

– «أنا أفقد صوابي.»

رفعتُ يديّ في الهواء، ثم تركتهما تسقطان لتصفعا جانبيّ. وتذمرتُ بينما كانت قدماي تخطان خطوطاً عميقة في الرمال:

– «أنا أتحدث إلى الرمال منذ ثلاثة أيام. ليس من العدل أن ألقى باللوم في جنوني الكامل عليك، كما أظن. لقد كنتُ أفقد صوابي منذ فترة الآن.»

ضحكتُ، وكاد الأمر يتحول إلى سعال:

– «أعني، مجرد وضع قدمي هنا هو جنون في حد ذاته. أليس كذلك؟»

نظرتُ حولي، رغم علمي بأن الكثبان لن تتنازل وترد عليّ. غير أن ما هو أسوأ من حديثي إلى الرمال هو أن أسمع الرمال ترد عليّ فجأة. حينها سأقلق حقاً.

مخزون المياه لدي يتناقص بشكل خطير، ومجرد إدراكي لهذه الحقيقة يجعل حلقي أكثر جفافاً. ستفرغ القرب التي تفرقع في حقيبتي في غضون يومين على الأكثر. ضبط النفس يفقد الكثير من جاذبيته عندما يتعلق البقاء بعدد محدود من الرشقات.

وجدتُ نفسي أستكشف الأفق للمرة الثانية عشرة خلال هذه الساعة، آملةً أن ألمح مدينة. أن ألمح أي شيء.

لا شيء.

لا معالم لمبانٍ ولا دخان يتصاعد من مدخنة. جاهدتُ لأبتلع ريقِي،  
شاعرةً بمدى ضآلتي وسط هذا الاتساع المحيط بي. شاعرةً وكأنني حبة رمل  
واحدة في بحر من الكثبان المتموجة.  
عديمة الأهمية. ضائعة. وحيدة.

مسحتُ قطرة عرق هددت بلسع عيني اللتين تعميهما بالفعل شمس  
المغيب. اكتست أمواج الرمال بألوان ذهبية، لتعكس تدرجات السماء المتقلبة  
فوقها. إن تأمل جمال التضاريس الغادرة التي أتخبط فيها هو طريقة حلوة  
ومرة في آن معاً لإنهاء لياليّ. الغسق في الصحراء يسلب الأنفاس بجماله  
المدمر، ومع ذلك، فهو آخر مكان أتمنى أن أكون فيه.

تعثرت نظراتي بشيء يتلألأ في المسافة، يبرق بغواية تحت أشعة  
الشمس. رمشتُ في الضوء المسبل للعمى، وعينا ي جافتان. كانت بركة المياه  
تلمع، وتغمز لي بدعوة مغرية. هزرتُ رأسي، ولم يفلح ذلك إلا في زيادة  
الخفقان المؤلم فيه.

سراب.

أشياء لعوب ومغرية. تميل إلى السخرية مني على هيئة مياه نقية وبرك  
أتوق للغوص فيها. تنهدتُ، وانحنيتُ قليلاً لأفرك ساقي المتألمتين. البثور  
تختبئ داخل حذائي المتعرق، وقدماي لزجتان بالرمال.

ما الذي كنتُ لأفعله من أجل بعض الماء...

قضيتُ بقية أمسيتي مدفونة تحت طيات معطف والدي البالي، بينما  
درجات الحرارة المتهاوية تخدر أصابع قدمي. بعد النجاة من لقاء ودي بشكل  
مفاجئ مع أكبر ثعبان رأيته في حياتي، واصلتُ المشي طويلاً في الليل، أحدث  
الرمال وأغذي جنوني.

ارتخت أجفاني، وبدت ثقيلة كبقية جسدي. نجحتُ في إبقاء عينيّ  
مفتوحتين لفترة تكفي للعثور على امتداد رملي منبسط أتعثر نحوه. خلعتُ  
حقيبتني من ظهري، وكافحتُ لتحرير بطانيتي الخشنة من داخلها.

بالكاد بسطتها على الرمال قبل أن يتبعها جسدي بسقوط يفتقر لأي  
رشاقة. انهرت فوق البطانية، ولففتُ معطفي بإحكام حول جسدي المتألم.  
قبضتُ على قطعة من الخبز البائت، وتناولتُ قضمات صغيرة منها على مهل  
قبل أن أمضض فمي الجاف برشقات من الماء الساخن.

همستُ في العتمة:

– «أتعلمين، ليس ذنبكِ بالكامل أنني لا أستطيع النوم ليلاً. الكوابيس لا  
تساعد بكل تأكيد.»

وكأنها لبت النداء بمجرد ذكرها، اجتاحت ومضات من ذكرى أدينا  
أفكاري. ملمس دماؤها وهو ينزف بين أصابعي. دموعي وهي تتناثر على  
وجنتها الناعمة. الغصن الدامي الذي يخترق ظهرها...

تسللت قشعريرة في جسدي. ابتلعتُ ريقِي بصعوبة، شاعرةً بالغثيان،  
لكنني لا أملك ترف تقيؤ المحتوى الضئيل الذي يشغل معدتي.

كان صوتي لا يتعدى كونه همساً مخنوقاً:

– «ربما ألومك على قلة نومي. لكنني لا أظن أنني أريد النوم على الإطلاق  
إن كان ذلك يعني أنني سأراها بتلك الحالة مجدداً. لا أستطيع... ببساطة لا  
أستطيع...»

لم أدرك أنني أبكي حتى تدحرجت دُمعة على أنفي. مسحها بزفرة ضيق  
قبل أن أضم أصابعي حول سترتي الخضراء الغارقة تحت معطفي. تتبعت  
أظافري الغرز المتساوية للجيوب، متحسسةً طيات عملها المتقن والمضني.

إذا كنتُ أريد الوفاء بوعدِي لأدينا، فيجب عليّ أن أنجو. يجب أن أعيش  
لكي أرتدي هذه السترة من أجلها.

وأنا عازمة على فعل ذلك تماماً.

تمتتُ مرة أخرى في الليل، وعيناوي توصلان أبوابهما عن العالم قبل أن  
أنزلق في النوم:

– «وسأنتقم. من أجلها.»



## الفصل 6

# كاي

**وهيخ** فضي يبرق في ضوء الشمس الميت.

أرتوي من ومضة عيون زرقاء، تروي ظمئي.

نمشها يشبه حبات الرمل المحيطة بنا.

خنجر فضي، حاد كلسانها، يتقلب بين أصابعها الرشيقة.

إنها هي. ها هي ذا. تقف هناك وحسب. تراقبني وكأنني لست أكثر من غريب تتفحصه وتزن قدره. وكأنني لا أساوي أكثر من العملات المعدنية التي تستعد لسرقتها من جيبي.

وكانني لست الرجل الذي دمر حياتها. وكأنها ليست مذنبه بفعل الشيء ذاته بي.

تمشي نحوي بخطوات واسعة، والمشهد مألوف لدرجة أنني أجد نفسي أقاوم ابتسامة اعتيادية، فذاكرة العضلات ليست سوى تذكارات آخر منها. شيء ما يؤلمني حين تقف أخيراً أمامي، ويدها معقودتان خلف ظهرها. فركت يدي لا إرادياً فوق قلبي وأنا أتأملها، شاعراً بتدفق مفاجئ للذعر لأسباب أجهلها. أهز رأسي في محاولة يائسة لتصفيته.



كان يفترض أن أفعل شيئاً. ماذا كان يفترض أن أفعل بـ –  
انفرجت شفتها عن ابتسامة، وعيناها تجوبان وجهي.  
وها هو الألم في صدري ينبض، كسكين غير حادة.  
قالت:

– «مرحباً أيها الأمير.»

كان صوتها حريراً، ومهدناً بطريقة ترسل قشعريرة في عمودي الفقري.  
أضافت بنعومة، مبتسمة بعدوبة:

– «لدي هدية لك. شيء تتذكرني به.»

سحبت يديها من خلف ظهرها، لتقدمهما لي. كانت أصابعها مقبوضة  
على باقة متدلّية من الزهور الزرقاء الباهتة.  
أزهار «لا-تسني»<sup>\*</sup>.

بدأتُ أبتسم، لكن العاطفة تعثرت على شفتي. انحدر بصري إلى قبضتها  
اللمسكة بالزهور – وهي الزهور ذاتها التي أُهديت لها في ليلتنا الأخيرة معاً  
تحت المطر –. وفجأة، ترنحتُ إلى الخلف مما رأيته، قابضاً على صدري وعلى  
الألم النابض فيه.

سألتنى ببراءة مبالغ فيها:

– «ما الأمر؟ ما الخطب يا مالاكاي؟»

شهقتُ، محملاً في الدماء اللزجة التي تغمر يديها الآن، وتتقاطر على  
ذراعيها. كل ساق زهرة ملطخة بلون أحمر مقرن، يطمس حيويتها، ويذبلها في  
راحة يدها.

تلعثمتُ، وأنا أهرز رأسي نحوها:

– «أنت... دمه. هذا دمه، أليس كذلك؟»

كانت نظرة وجهها تعكس نظرتي؛ مصدومة ومحفورة بالألم:

\* (زهرة لا تسني - Forget-me-not) نبات حقيقي مزهر صغير، يتميز بأزهاره الزرقاء الصغيرة ذات المركز الأصفر، وينمو في البيئات الرطبة والمعتدلة.

- «لقد فعلتُ ما كان عليّ فعله. أنا أفعل ما يجب عليّ فعله.»
- تصلبت نظرتها، وكذلك عزمها. تقدمت نحوي، لتُسقط ما تبقى من زهور لم تلتصق بيديها الملطختين بالدماء، ومدت يدها نحو وجهي. تراجعتُ بحدة، وكدتُ أتعثر بقدمي في محاولتي للهروب من لمستها.
- تشقق صوتي وأنا أقول:
- «ماذا فعلتِ؟ انظري ماذا فعلتِ. انظري إلى ما تجبريني على فعله.»
- حدثتُ فجأة مصدر الألم المنبعث من صدري.
- إنه قلبي.
- حينها تذكرتُ ما الذي يجب عليّ فعله بها.
- «وماذا فعلتَ أنت أيها المنفذ؟»
- ارتجف صوتها، مريراً ولاذعاً.
- «إذن، يصبح الأمر مقبولاً عندما تقتل أنت؟ همم؟»
- خطت خطوة نحوي، لكنني صمدت في مكاني.
- «يداك ملطختان بالدماء بالقدر ذاته يا كاي. الفرق بيننا هو أنك ترفض رؤية ذلك.»
- هزرتُ رأسي، وبدأتُ في التراجع مرة أخرى.
- «أوه، ألا تصدقني؟»
- كادت تضحك، وكأنها تجد الأمر مسلياً.
- «أنت مغطى به.»
- نظرتُ إلى الأسفل، رافعاً يديّ الحمرأوين من جانبيّ. تسارعت أنفاسي ولهاثي بينما كانت عيناي تمسحان جسدي بالكامل.
- أنا أتقاطر موتاً.
- الدم يلتصق بشعري، ويتجمع في حذائي، ويغلف أسناني. بدأتُ أبصق، وأتلعثم، وأغرق في دوامة بينما أترنح إلى الخلف.

- «لا، لا، لا...»

تحدثني بصوت هادئ:

- «هيا، أرق دمي وارتهه مع البقية.»

صرختُ. وفتحتُ عينيَّ فجأة.

رمشتُ بعمي نحو السماء الحبرية فوقي، والرمال تنزلق تحت ظهري. كان قلبي يقرع بعنف بينما كنت أمسح المخيم المؤقت بعيني اللتين بدأتا تعتادان الظلام. دزينة من الإمبراطوريين الغافين يتناثرون على أرض الصحراء، ملتفين حول نار تحتضر.

حلقي ملتهب.

هل كنت أصرخ؟

إن كنتُ قد أيقظتُ أيًا من رجالي، فهم أذكاء بما يكفي ليتظاهروا بأنني لم أفعل. جلستُ ببطء، وظهري يؤلمني من الليالي التي قضيتها على الرمال غير المستوية والأيام التي قضيتها ممتطياً سروجاً صلبة. دغدغ شعري المتسخ بالتراب جبهتي، فمررتُ أصابعي عبره قبل أن أدفنها بجوار النار.

أنا في هذه الصحراء اللعينة منذ أربعة أيام الآن.

ولا أثر لها في أي مكان.

حسناً، لا أثر مادي لها في أي مكان.

ومع ذلك، أراها في كل مكان. إنها تطاردني. نصف الوقت أتساءل عما إذا كانت قد ماتت بالفعل، عما إذا كانت الصحراء قد التهمت ضحية أخرى، لتبتلعها بالكامل ثم تبصقها كطيف لضمان عذابي.

لا أحد غيري يلمح بريق الشعر الفضي في ضوء الشمس، أو الخطوط العريضة لطيفها فوق الكثبان.

لأن لا أحد غيري يفقد صوابه.

أنا أفقد عقلي، وأشعر بالضيق في هذه الصحراء رغم علمي بأننا سنصل إلى دور قبل شروق شمس الغد. سنستكشف المدينة أولاً، وإن لم نعثر على شيء، فسننتجه نحو تاندو لمواصلة بحثنا.

لا يمكن أن تكون قد وصلت إلى مدينة بعد. أليس كذلك؟

رغم إنكاري، فقد رأيتُ ما هي قادرة عليه. رأيتُ كيف يمكنها النجاة؛ وسمعتُ كيف نجت طوال حياتها. أشك أن حتى الصحراء تملك قوة تكفي لانتزاعها من هذا العالم قبل أن تكون مستعدة للرحيل. ستتعلم الأراضي المحرقة قريباً مدى عنادها.

رفعتُ رأسي من الجمر المتوهج المتبقي من النار، وثبتتُ نظري على السماء المتقلبة في الأعلى. الفجر يرقص على الأفق، ويتسلل فوق الغيوم ليطلها بضوء ذهبي خافت. انتقلت عيناى إلى الرجال الغافين حولي، ولم يكن هناك صوت يملأ هذه الزاوية من الصحراء سوى شخيرهم. تنهدتُ، ووقفتُ على قدمي أمطط أطرافي المتألّمة:

– «استيقظوا. الآن.»

تردد صدى أمري، ليوقظ حتى خيول الصحراء المربوطة على بعد أقدام من مخيمنا المؤقت. استقبلتُ بتذمرات ناعسة بينما بدأت أذرع الدائرة الفوضوية للإمبراطوريين.

– «صباح الخير.» قلتها بخفة، رغم أن مقدمة حذائي التي تنكز أضلاعهم كانت أبعد ما تكون عن ذلك.

عند ذلك، لم يترددوا في إطاعة أوامري. استيقظت المجموعة المبعثرة وبدأت تتخبط في غضون دقائق، بعضهم يعتني بالخيول بينما يجمع الآخرون إمداداتنا المتناثرة. كنا نمضغ لحم أرنب مجففاً قاسياً ونرشف ماءً دافئاً قبل أن نمتطي خيولنا وننطلق بوتيرة ثابتة.

حصص لحم الأرنب جعلتني أمضض فمي بالماء الرملي. لست أحاول محو الطعم فحسب، بل الذكرى التي ترافقه أيضاً. تساءلتُ في شرود عما إذا

كنت قد لويتُ فمي وأنا آكله، تمامًا كما فعلتُ في التصفيات حين راقبتني عن كذب بما يكفي لتلاحظ ذلك.

من الخطر مدى تفكيري بها. ومدى تذكير كل شيء لي بها. ومدى تساؤلي عما إذا كان كل شيء مجرد لعبة بالنسبة لها، حيلة لمساعدة المقاومة. لمساعدة «العاديين» على الإطاحة بالمملكة. لقتل الملك. لقتل والدي.

هل أكثرث حقاً لأنها قتلتها؟

نفضتُ الفكرة عن رأسي، واعتدلتُ في سرجي محرماً كتفي المتوترين. سأكتشف ذلك قريباً بما فيه الكفاية. وسأعثر عليها قريباً بما فيه الكفاية. وحين أفعل، سأحصل على إجاباتي.



## الفصل 7

# بيكان

أن العقرب الذي يهرول بالقرب من حذائي البالي بشكل خطير  
قد رمش استجابةً لسؤالي. **أقسم**

هذا هو الأمر. لقد جُننت حقاً.

مع وضع هذه الفكرة في الاعتبار، تنهدت وكررت سؤالي:

– «قلتُ، لو كان بإمكانك أن تأكل أي شيء – وأعني أي شيء – فماذا

سيكون؟»

القول بأن صوتي كان أجش سيكون تقليلاً من شأن الحقيقة. حلقي يبدو  
خشناً كالرمال التي تطحن تحت قدمي، وجافاً لدرجة أنني بالكاد أستطيع  
التفكير بوضوح. هزرتُ رأسي المتألم نحو المخلوق وأنا ألتف حوله بلامبالاة،  
متعثرةً في خطواتي.

– «حسناً. إن لم تجب أنت، فسأفعل أنا.»

تعثرتُ في الرمال، وتعثرتُ في كلماتي.

– «أنا... يمكنني أن أتناول برتقالة. أجل. برتقالة كبيرة ومليئة بالعصير.

أو... أو بعض حلوى الباتروسكوتش.»



نظرتُ خلفي إلى العقرب، فوجدته يهرع ورائي عن كثب. كان ينبغي أن يكون هذا المشهد مثيرًا للقلق أكثر بكثير، لكنني لا أملك الطاقة لأكثر في هذه اللحظة.

– «أتعلم، والدي كان يحب حلوى الباتروسكوتش.»  
أصدرتُ صوتًا يشبه الضحك بالكاد.

– «أحيانًا أتساءل إن كنت أحب تلك الحلوى حقًا، أتعلم؟ ربما... ربما أقنعت نفسي فقط بأنني أحبها لأنها كانت تعجبه.»  
حدق العقرب نحوي.

أو ربما لم يفعل. لقد واجهتُ بعض الصعوبة في فك رموز الواقع مؤخرًا.  
هل هذا يومي الخامس أم السادس في الصحراء؟  
كدتُ أضحك.

ربما أنا ميتة بالفعل. كيف لي أن أدرك الفرق؟

تعثرتُ، لتتطاير الرمال فجأة في وجهي. غاصت ركبتي في الأرضية الخشنة بينما ألهث، ولا تزال شمس المغيب تحرق بشرتي المتقرحة. وبزفرة مرتجفة، نهضتُ ببطء وأنا أترنح، مجبرةً ساقي المؤلمتين على مواصلة مسيرتهما غير المتزنة.

أنا متعبة. متعبة جدًا.

ارتخت أجفاني، مقلدة الشمس التي بدأت تغوص خلف الكثبان الرملية لتأوي إلى الليل.

ابقِ مستيقظة.

فجأة، شعرتُ وكأنني عدتُ إلى غابة الهمسات، أتعثر في الظلام بينما أحاول ألا أنزف حتى الموت من القطع العميق تحت أضلاعي. حينها وجدني. وأنقذني.

نفضتُ الفكرة عني وتفحصتُ الأفق للمرة المائة، وتتبع عيناى الخطوط العريضة لكل مبنى مظل يتناثر في المدينة هناك.

لقد كدتُ أصل.

أين يقع هذا «الوصول»، ليس لدي أدنى فكرة. لست واثقة في أي مدينة انتهى بي المطاف، سواء كانت دور أو تاندو، لكنني لست في وضع يسمح لي بالانتقاء على أية حال.

أنا فقط بحاجة للوصول إلى هناك.

لعق شفتي المتشققتين لا يفعل شيئاً سوى إضافة المزيد من الرمل إلى فمي. الآن هو الوقت المناسب لابتلاع بعض الماء الرملّي، لولا أنني شربتُ آخر قطرة منه بشراهة هذا الصباح.

أنا أموت من العطش.

ربما أموت وحسب. ربما أنا ميتة بالفعل.

تحولت ضحكتي المبحوحة إثر هذه الفكرة بسرعة إلى نحيب يمزق صدري، وكأنه يزلزل عظامي الهشة.

واصلي المشي. فقط واصلي المشي.

لكنني لا أريد ذلك. ما أريده هو أن أستلقي، وأغلق عيني، وأرتاح.

تباطأت قدماي، وشعرتُ بثقل في جسدي بالكامل.

واصلي. المشي.

أعلم أنني إذا توقفت الآن، فلن أبدأ من جديد أبداً. الجفاف، والإرهاق، والإصابات العديدة التي لا تزال تتناثر على جسدي، قد نالت مني أخيراً. إذا استلقيتُ الآن، فسيكون ذلك على فراش الموت.

هل سيكون ذلك سيباً للغاية؟

أصبح ذلك الصوت الصغير في رأسي - وهو الصوت الوحيد الذي سمعته منذ أيام بخلاف صوتي - مقنعاً للغاية.

ما الذي أعيش من أجله؟ لماذا أخضع نفسي لهذا العذاب؟

كل شبريُّ يؤلمني. كل شبريُّ يتوسل الرحمة التي يوفرها الاستسلام.

تلعثمتُ:

– «لا... لا. لا أستطيع.»

الحديث مع نفسي لم يكن أبداً علامة جيدة، لكنه الشيء الوحيد الذي  
سيمنع جفوني من الانغلاق بوجه العالم، ويمنع جسدي من الانهيار.  
– «لقد...» التقتُ نفساً متقطعاً آخر. «لقد نجوتُ من الكثير لأموت في  
الصحراء.»

ضغطتُ براحة يدي المتصلبة على النبض العنيد لقلبي؛ كدليل على أن  
الأشياء المكسورة لا تزال قادرة على خدمة غرض ما. زحفتُ أصابعي نحو  
الحرف المألوف المحفور هناك، ليسخر مني ويذكرني بمدى هشاشتي.  
حرف O يرمز إلى: عادي Ordinary .

قلت بصوت يشبه بشكل مرعب همس الموتى في محاولة للمزاح:  
– «أو حرف O ليرمز إلى: على شفا الموت (On the brink of death).»  
– «ليست هذه هي الطريقة التي تخيلتُ بها نهايتي. أنا...» جعلتني نوبة  
من السعال الجاف أترنج. «أنا محرجة لأنني لم أمت بطريقة أكثر دراماتيكية.»  
اعتقدتُ حقاً أنه هو من سينال هذا الشرف. هو من سيغرس خنجري  
الأثير في صدري. أو ربما في رقبتني، لمجرد التماثل المقزز.  
سيصاب بخيبة أمل كبيرة حين يعلم أنه حُرْم من انتقامه، وأن الصحراء  
هي المكان الذي أدركني فيه الموت أخيراً.

كانت رؤيتي ضبابية وهي تمسح المدينة القريبة جداً، لتلتقط شيئاً  
يتحرك في المسافة. ضيقتُ عيني، أجاهد لتمييز ما بدا وكأنه طيف شخص.  
رمشتُ. هل يعبتُ عقلي معي؟ هل يسخر مني لمرّة أخيرة؟  
فجأة، غاصت ركبتي في الرمال مرة أخرى، وانزلت راحتي يدي أمامي.  
أظنني لن أعرف أبداً.

لامس صدغي الرمال الدافئة، فهممتُ بارتياح لملمسها.  
لماذا لم تكن الصحراء مريحة هكذا من قبل؟

قبضتُ أصابعي على حافة سترتي المجددة، لأسحب الوعد حولي.

لقد ارتديتها كل يوم يا أدينا. حتى يومي الأخير.  
تمتمتُ:

– «أنا فقط... أنا فقط أغمض... عيني...»

ارتعشت أجفاني ثم أغلقت؛ ليقصى العالم برمشتي الأخيرة. وللمرة الأولى منذ أيام، لا أخشى النوم الذي ينتظرنني.  
نبضة قلب تقرع تحت أذني.

تململتُ بين الذراعين القويتين اللتين تحيطان بي، وحواسي مثقلة.  
ذراعان قويتان. شخص ما يحملني.  
فتحتُ عيني فجأة.

كان الظلام يخنقني، ملتفةً ببطانية من السواد ألقتها السماء فوقنا.  
وبعينين عديمتي النفع تمامًا في هذه اللحظة، ركزتُ على ملمس يد خشنة تحت ركبتي، وتوأمها يطوق كتفي.  
إنه هو. لقد وجدني.

كنت أهتز مع كل خطوة غير مستوية، محاولةً بيأس تهدئة قلبي الذي يقرع كالمطرقة، وإجبار رأسي الضبابي على صياغة خطة. لكنه قريب جداً، وصلب جداً، وكأنه خرج مباشرة من كوابيسي إلى واقع الليل المائل أمامي.  
فجأة، نسيتُ كيف أتنفس.

لقد وجدني. لقد وجدني. لقد وجدني.

صرخ عقلي بالكلمات التي لطالما أربعتني، لتغرق أي أمل في التفكير العقلاني. أنا مشلولة بين ذراعيه، عاجزة في قبضته التي شعرتُ يوماً ما بالأمان فيها. يعلو صدره وينخفض ضدي، وهو شعور كان مألوفاً ذات يوم.  
أما الآن فهو غريب. ومخيف.

كيف وجدني؟

لا زلتُ أحاول فك لغز بقائي على قيد الحياة، رغم أن الموت بشحمه  
ولحمه يحملني إلى حتفي. إنه يمسك بي. سيعيدني إلى إيليا. إلى كيت وإلى  
غضبه الذي أثق أنه بانتظاري...

لقد قتل والدي.

أنقذتني تلك الفكرة الوحيدة من الجنون.

لن أتردد. ليس مجددًا.

أجبرتُ نفسي على التنفس، وركزتُ انتباهي على اليد المطوقة لكتفي،  
مقيّمة بسهولة الزاوية المثلى لكسر عظمة معصمه. ثم ركزتُ على ساقيه؛ على  
الإرهاق في خطواته، والترنح الذي سيساعدني في الإطاحة به. منذ متى وهو  
يحملني؟ أين رجاله؟ مسحتُ السواد المحيط بنا، فلم أر سوى المدينة التي  
نمشي إليها.

استطعتُ تحسس نصل رفيع مربوط بحزامه، فقفز قلبي في صدري. لكن  
المقبض كان عاديًا، وأملس ضد وركي. احتجتُ للحظة لأبتلع خيبة أملي من  
فقدان خنجر والدي قبل أن أجبر نفسي على التركيز.

أطرحيه أرضًا. ثم أنه المهمة التي عجزتِ عن إتمامها.

وبعد ذلك، سأذوب ببساطة في المدينة، متخفيةً في الفوضى التي اعتدتُ  
عليها. لن يعثر عليّ أحد مجددًا أبدًا. إنه الوحيد القادر على ذلك، وبعد الليلة،  
لن يشكل تهديدًا لوجودي بعد الآن.

تخيلتُ كل حركة قبل أن أحاول تنفيذها، ثم سحبتُ نفسي أخيرًا لأستجمع  
ثباتي.

وبعدها تحركت.

انتزعت صرخة من حنجرته عندما طُقَّ معصمه تحت راحة يدي. تعثر،  
وكاد يقذفني من بين ذراعيه. توقعتُ رميته العشوائية تلك فسقطتُ على  
الأرض، لتلتصق الرمال براحتي المتعرقتين بينما أرجحتُ ساقي للوراء  
لأصطاد كاحليه.

تهاوى على الأرض بأنة ألم. وفي غضون اللحظة التالية، كنتُ أعتلي صدره، وركبتي تثبتان ذراعيه، وألقي بوزني فوق عظمتة المكسورة.

شقت كلماتي طريقها وسط صرخته المخنوقة:

- «أعترف أنني محبطة قليلاً.»

سحبتُ الخنجر من خصره، وحررتة من غمده قبل أن أضع طرفه الباهت المستفز على الحنجرة التي بالكاد أستطيع رؤيتها.

- «كنتُ آمل أن تبدي مقاومة أكبر.»

- «م-ماذا؟ اسمعي، لقد رأيتك في الصحراء من موقع حراستي،

وظننتك ميتة، لكن عندما وصلتُ إليك وجدتكِ تتنفسين.»

خرجت كلماته مندفعة بصوت ليس صوته على الإطلاق. رمشتُ بينما بدأت عيناى تعتادان الظلام، لتكشفا عن الوجه المذعور تماماً لحارس شاب.

- «كنتُ أحملكِ إلى المدينة فقط، حسناً؟»

كان يلهث الآن، متوسلاً إليّ أن أفهم.

- «أنا...»

رمشتُ مجدداً، متأملةً شعره البني المبعثر وزيه الأحمر المجعد تحتي.

- «ظننتك شخصاً آخر.»

- «أجل، حسناً، من الواضح أنكِ لا تحتاجين مساعدتي.» انتقلت عيناى

بسرعة إلى يده. «وإذا تكرمتِ بالابتعاد عن معصمي المكسور، فسأتركِ وشأنك بكل سرور.»

- «أوه.» ابتسمتُ بخجل. «أجل، آسفة بشأن ذلك.»

انزلقتُ من فوقه بعد أن أعدت خنجره إلى غمده، وراقبته وهو يقف على قدميه، محتضناً يده. فجأة، بدأتُ أقاوم الرغبة في التمدد مرة أخرى على الرمال بينما بدأ الأدرينالين يتسرب ببطء من جسدي.

- «شكراً لك على مجيئكِ إلى هنا من أجلي. حقاً. أنا آسفة لأن هذه كانت

طريقتي في رد الجميل.»

أصدر صوتاً مبهماً كإجابة، متراجعاً نحو المدينة التي أصبحنا الآن على حدودها:

- «أحتاج إلى العودة إلى موقع حراستي.»

- «صحيح.»

بشعور هائل بالحر، بدأت أمشي بجواره على مسافة آمنة.

- «إمم، عفواً، إلى أي مدينة نمشي الآن؟»

رمقني بنظرة حائرة:

- «دور.»

ثم ألقى نظرة متسائلة أخرى:

- «وما الذي كنتِ تفعلينه في الصحراء على أية حال؟»

ابتلعتُ ريقِي. قد لا يشكل الإمبراطوريون مشكلة في دور، لكن لا يزال هناك حراس سيطرحون أسئلة ملحة عليّ تجنبها. وليس لدي أدنى فكرة عما إذا كانت المدن المحيطة بإيليا تعرف سمعتي. وبمجرد أن فتحتُ فمي لأطلق كذبة مقنعة نسبياً، مسحت نظراته جسدي الممزق بطريقة جعلتني أتحفز. تفحص وجهي، وكأنه يدقق، ويبحث.

قال الحارس:

- «مهلاً، تبدين... مألوفة.»

توقف للحظة، متأملاً ما يراه. أدتُ وجهي، مدركة للشك الذي تثيره هذه الحركة الدقيقة. لكن همس أصابعه وهي تتخلل شعري جعلت نظرتي ترتد إليه.

- «فضي.» قالها بنعومة، وكأنها فكرة انزلقت من فمه. «مثير للاهتمام.»

- «أهو كذلك؟» سألتُ بخفة، محاولةً استنتاج ما يعرفه.

- «حسناً، لون كهذا لن يكون غريباً في إيليا.» تحولت نظرتي المتشككة

إلى شيء أكثر ثقة بكثير. «أما هنا...»

لم تمر يده التي تلامس ببطء مقبض خنجره دون أن ألاحظها.

– «ألا يُعقل أنكِ تلك الفتاة قاتلة الملك، هاه؟ أتعلمين، المنقذة الفضية التي استحالت قاتلة؟»

أصبح الخنجر مقبوضاً في يده الآن، وموجهاً نحوي.

– «أنتِ تساوين ثروة طائلة كما تعلمين. إيليا وضعت مكافأة ضخمة على رأسك.»

تراجعتُ خطوةً إلى الوراء، وعيناوي مسمرتان على النصل الذي يقترب من صدري. كانت جملة التالفة مصحوبة بابتسامة متكلفة:

– «حية أو ميتة.»

التمتع ضوء القمر على الفولاذ الذي هوى به نحو صدري.

تلوّيتُ، منقذةٌ قلبي من النصل، لكن ليس كتفي الذي انسحب فوقه. كتمتُ صرخة عند الألم الحارق، شاعرةً بالدماء الساخنة تبدأ في التدفق من الجرح. لم يضيع الحارس ثانية واحدة قبل أن يوجه سكينه في طعنة صاعدة نحو معدتي. راوغتُ مجدداً، شاعرةً ببطء حركتي وأنا أُجبر على الدفاع. تدفق كل الإرهاق والألم المتراكم عائداً إليّ، ليذكرني بأنني انزلتُ من بين أصابع الموت مرة أخرى. وربما جاء لينهي المهمة أخيراً، ويطلب بانتقامه.

– «اسمعي،» قال لاهتاً وهو يصر على أسنانه. «فقط استسلمي بهدوء، ولن أضطر لإيذائك.»

انحنيتُ أتفادي هجوماً آخر من نصله.

– «كنتُ لأصدقك، لكن يبدو أنك متحمس جداً لرد الجميل لي على كسر معصمك.»

أطلق الحارس ما يشبه الزمجرة نحوي، ملقياً بوزنه خلف طعنة استهدفت تمزيق أضلاعي. النفسان السريعان اللذان يأخذهما دائماً حذراني من ضربته قبل أن أرى الفولاذ اللامع. تلوّيتُ، ومسكتُ بمعصمه قبل أن أخطو خلفه لألوي ذراعه بقسوة ضد لوح كتفه المعاكس.

انزلق الخنجر من بين أصابعه المتعركة، ليطعن الرمال تحتنا. لم يصرخ إلا عندما أمسكتُ بمعصمه المكسور بيدي الحرة وضغطتُ عليه، لتبرز عظمته

المقطوعة في راحة يدي. انهار الحارس على ركبتيه، يرتجف بعنف بينما أنزلت نفسي ببطء خلفه، ويداه لا تزالان محكمتين بين يديّ.

كادت شفطاي تلامس صدفة أذنه حين همستُ:

- «من يعرف عني أيضاً؟»

تلوى محاولاً الإفلات من قبضتي، مما لم يكسبه سوى لوية أخرى لمعصمه المكسور. صرخ ألماً قبل أن يبصق كلماته التالية:

- «أنتِ عاهرة مجنونة، هل تعلمين ذلك؟»

تنهدتُ:

- «أجل، أنا أعلم ذلك، وأنت تعلم ذلك. ما أسأله هو إن كان أي شخص آخر يعلم ذلك.»

أطلق ضحكة متألّمة:

- «الجميع يعلم أنكِ عاهرة مجنونة. لديك سمعة ذائعة الصيت.»

تصلبتُ عند كلماته.

- «وماذا عن تاندو؟ هل وضعت إيليا مكافأة على رأسي في كلتي

المدينتين؟»

تنفس بصعوبة، وابتسامة ساخرة تختبئ في كلماته الخافتة:

- «على حد علمي، حتى إزرام لديها ملصق لوجهك معلق على كل

الأسطح.»

عبستُ محمقة في مؤخرة رأسه. التسلل إلى سفينة متجهة إلى إزرام كان

يبدو خياراً أكثر جاذبية بكثير من الترحال عبر الأراضي المحرقة. وكنت

سأفعل ذلك لولا حقيقة أنه مرت سنوات منذ أن قام أي شخص برحلة عبر

مياه بحر المستنقعات الغادرة. ويرجع ذلك جزئياً إلى عزلة إيليا الهائلة عن

الممالك الأخرى، رغم أن العشرات من حوادث غرق السفن قد أحبطت أي

شخص عن خوض هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر.

لكن لا شيء من هذا يهم الآن، لأنه يبدو أن سمعتي قد سافرت إلى إزرام قبلي.

تنهدتُ:

– «حسناً، فلنسمع إذن. كم أساوي؟»

انسل الجشع في صوته من بين أسنانه المطحونة:

– «عشرون ألف فضية.»

كدتُ أختنق بضحكتي، وكانت كلماتي المهموسة موجهة لنفسي أكثر منها للحارس القابع تحت رحمتي:

– «كيت يريدني بشدة إلى هذا الحد، هاه؟»

قال الحارس بصوت أصبح فجأة بارداً وقاسياً:

– «أجل. حية أو ميتة.»

وبعدها، اصطدمت مؤخرة جمجمته بأنفي.

صرختُ، وشعرتُ بالدماء تبدأ في التدفق فوراً، ليسيل مجراها الثابت إلى فمي. وفجأة، أطبقت يدان خشنتان على حنجرتي.

ألقي بي الحارس على ظهري، وضغط بوزنه عليّ بقوة توازي قوة يديه اللتين تسحقان قصبه هوائي. بدأت بقع سوداء تسبح في مجال رؤيتي، وكنت ممتنة بشكل غريب لأنني بالكاد أستطيع رؤية ما سأفعله تالياً.

انزلق النصل بسهولة إلى قلبه.

رمش فوقي، ونظرة عدم تصديق تلون لوحة وجهه الفارغة، التي استنزف منها اللون تماماً الآن.

تراخت اليدان حول رقبتني وسقطتا، وتبعهما جسده. انهار على الأرض، قابضاً على الجرح القاتل الذي أحدثه سلاحه هو. أنّ الماء، وكانت كلماته الأخيرة بمثابة زمجرة:

– «عاهرة... مجنونة.»

كنت أرتجف.

انزلق الخنجر من يدي رغم أنني كنت أمسكه بين أصابع لرجة.  
أصابع لرجة.

نظرتُ إلى الأسفل، مستوعبةً الدم الذي يغطي يديّ.  
لا، لا، لا...

لملمسه جعلني أتهوع، حتى مع افتقار معدتي للمحتوى. زحفتُ نحو الحارس، أغمغم باعتذاراتي بينما أمسح الدماء من راحتيّ بقميصه الملطخ بالفعل باللون القرمزي. عيون هامدة تنظر إليّ بينما بالكاد أستطيع الرؤية عبر دموعي.

حدقتُ في الشاب وأنا أترنح إلى الخلف، وتغوص كعوب راحتيّ في الرمال.

لقد قتلتته.

لقد قتلتُ مجدداً.

في فترة زمنية قصيرة، تمكنتُ من سلب حياة ثلاثة أشخاص. الفكرة جعلت معدتي تتقلب مرة أخرى، فالتويتُ لأتقيأ في الرمال.

لم أرد يوماً أن أقتل أحداً. لم أرد يوماً...

لكنني فعلت. فعلت. وأفعل.

ما الذي أصبحتُ عليه؟

رائحة الدم اللاذعة تلسع أنفي، قوية لدرجة أنني كنت لأتقيأ مجدداً لو بقي في جسدي شيء ليخرجه. أخذتُ نفساً عميقاً من فمي، ووقفتُ ببطء على ساقين مرتجفتين لأدير ظهري للمشهد.

أحتاج إلى الخروج من هنا.

يتسرب الدم إلى فمي، مما يجبرني على البصق مع كل خطوة أخطوها داخل المدينة. رفعتُ يدي بحذر لأتحسس أنفي، جافلةً من الألم، لكنني شعرتُ بالارتياح حين أدركتُ أنه لم يُكسر.

قدم أمام الأخرى.

تركته هناك.

قدم أمام الأخرى.

سيتعفن في الشمس.

قدم أمام الأخرى.

أنا وحش.

قدم أمام الأخرى.



## الفصل 8

# حكاية

**الطعن** عبر الصدر - حركتها المفضلة -.

جثوتُ بجوار الحارس المنهار، بينما سُحقت الرمال الملطخة بالدماء تحت حذائي. وجه لا يكبرني بكثير ينظر إليّ، وعيناه الداكنتان قد سُلبتا الحياة التي بالكاد تسنى له عيشها. مررتُ يدي عبر شعري المبعثر، وتجولت نظراتي فوق البقع القرمزية التي تلمخ زيه الأحمر. كل بقعة تروي حكاية. بعد أن تريق الدماء طوال حياتك، تبدأ كل بقعة في الحديث، إن أصغيتَ فقط.

أو ربما أنا مجرد مجنون.

الجرح الغائر في قلبه يسرب لونا قرمزيا عبر صدره، لينسكب مشكلاً بركة تحته. الرمال المحيطة به تحمل آثار صراع، وعراكاً تجسده آثار الأقدام المبعثرة.

حسناً، على الأقل كان لديها سبب لقتله.

عادت عيناى لتتبع الرجل القابع تحتي، وتتأملان الدم الممسوح على حافة قميصه، في الجهة المقابلة لجرحه. قربتُ وجهي أكثر، وكدتُ أختنق بالرائحة المعدنية المريعة.



قلتُ دون أن أكلف نفسي عناء النظر إلى الرجال المتحلقين حولي:  
- «هذه صنيعتها. كانت هنا. ولا تزال. لم يمر على موته أكثر من يوم  
واحد على أقصى تقدير.»

رمقتُ الدم على قميصه حيث مسحت يديها على عجل.  
لا بد أنها كانت في حالة يرثى لها لتترك دليلاً كهذا على مرأى من الجميع.  
عند هذه الفكرة، تنهدتُ، ومررتُ يدي المتسختين عبر شعري الذي  
يفوقهما اتساحاً للمرة الثانية عشرة ربما. إذا كانت جريحة، فلن تكون قد  
ابتعدت كثيراً. وإذا كانت جريحة، فلدي أفضلية.  
إذا كانت جريحة، فيجب أن أتقبل ذلك.

هزرتُ رأسي، مشفقاً على الرجل الذي اقترب منها أكثر مما ينبغي:  
- «احملوه. سنسلمه لزملائه الحراس ليتعاملوا معه.»

تبادل بعض جنود الإمبراطورية النظرات، يتساءلون بصمت من منهم  
سيتولى المهمة البائسة في جر الجثة التي بدأت في التحلل. وقفتُ، وحركتُ  
رقبتي المتألّمة لأريحها قبل أن أدير ظهري لهم وأمشي متمهلاً نحو المدينة  
الشاهقة أمامي.

- «إذا كنتم بحاجة إلى بعض التشجيع، يسعدني أن...»

طغت سعلات غير مريحة وأصوات جر الأقدام على كلماتي، ولم يضيع  
الإمبراطوريون وقتاً قبل أن يتبعوني ساحبين الجثة وراءهم. لكن لم نضطر  
للتخبط طويلاً قبل أن تبتلعنا المدينة المكتظة.

أزحتُ جانباً لافتة باهتة بفعل الشمس تتدلى منخفضة بين مبانٍ متداعية،  
لتمنحني رؤية أوضح للمدينة التي تكاد تضاهي قسوة قاطنيها. استقبلتنا  
نظرات متجهمة، عيون تتحدث بشكوك يمتلك أهل دور من الذكاء ما يكفي  
لعدم التعبير عنها علناً لـ أفراد النخبة الذين يتجولون في مدينتهم. يبدو الأمر  
وكأنهم يشمون رائحة القدرات في دماغنا بينما ينظرون إلينا بتعالٍ.

وجهتُ إيماءةً مقتضبة - وتكاد تكون متعجرفة - للبعض، غير متفاجئ على الإطلاق من رد فعلهم تجاهي أنا ورجالي. ليس وكأن دور تخفي كراهيتها لمملكة النخبة، نظرًا لأنهم استقبلوا العدد الأكبر من العاديين على مدى عقود. إيليا لم تحظَ بحلفاء منذ ما قبل الطاعون. منذ ما قبل أن تعزل المملكة نفسها لتكتنز قدراتها النخبوية. منذ ما قبل أن تصبح إيليا فجأة تهديدًا لكل من هو خارج حدودها.

لمحتُ حارسًا يبدو أكثر مللاً من أن يؤدي وظيفته بأي شكل يقارب الصواب، فشقتُ طريقي عبر شارع السوق المزدهم الذي تعثرنا فيه واتجهتُ نحوه. شيئاً فشيئاً، اعتدل الحارس في وقفته مع كل لحظة تجولت فيها عيناه فوقنا.

قلتُ مشيراً إلى الحارس الميت الممدد الآن عند قدمي الحارس المصدوم أمامنا:

- «أعتقد أن هذا يخصك. وجدناه في طريقنا إلى المدينة. مطعوناً في صدره.»

رمش الحارس، وتابعت:

- «وأنا أعرف من المسؤولة عن ذلك. سؤالي هو: هل رأيتها تتخبط في الأرجاء أم لا؟»

تلعثم الحارس:

- «ه-هي؟ امرأة فعلت هذا؟»

اتسعت عيناه قليلاً بالتعرف:

- «أكانت هي؟ المنقذة الفضية؟»

كان من الصعب ألا أرتعد بوضوح عند سماع اللقب:

- «أجل. هي. الفتاة التي ألصقتم صورها في كل أنحاء مدينتكم.»

أشرتُ إلى ملصق ممزق بجوار رأس الحارس، وبالكاد أقيتُ نظرة خاطفة على الوجه الذي حفظته عن ظهر قلب يوماً ما. لا، ما لفت انتباهي كان الخط المكتوب بخربشة في الأسفل:

«عشرون ألف فضية لمن يعتقل بيدن جراي. حية أو ميتة.»  
حية أو ميتة.

والطاعون يشهد أنها لن تستسلم بسهولة. من المستبعد أن تسمح لأي شخص بإعادتها إلى إيليا حية. رغم أن هذا ما يريده كيت، بغض النظر عما يخبر به المدن المجاورة.

أعدتُ انتباهي إلى الحارس المذهول أمامي:

– «لم تجب على سؤالي. هل رأيتها؟»

– «لو رأيتها، لكنت قد سحبتها بالفعل إلى إيليا من أجل تلك الفضيات.»  
ضحك مقهقهاً نصف شخير.

– «إذن، ملككم جعل كل المدن تبحث عنها حقاً، هاه؟»  
أجل، لقد فعل.

تجاهلتُ سؤاله وقلت:

– «إذا رأيتها، أو رأيت أي شيء يثير الشك، فعليك أن تبلغني.»  
أطلق شخيرة أخرى:

– «في المشمش. من أنت لأسمح لك بسرقة العشرين ألف فضية مني؟»  
اقتربتُ منه أكثر، وتأملته طويلاً بما يكفي ليجعل تفاحة آدم في حلقه تقفز:

– «أنا الرجل صاحب العشرين ألف فضية.»

رؤية إدراكه للأمر وهو يسقط فكه كانت مشهداً هزلياً:

– «أنت... أنت...»

استدرتُ على عقبي قبل أن يكمل تلعثمه بلقبي.

المنفذ.

تحوم الكلمة في الهواء، لتلوي الأعناق بينما أمر. هيئتي معروفة جيداً في المدن المجاورة، نظراً لأنهم ينظرون إلى إيليا وعائلتها المالكة وكأنهم قصة خرافية تُروى قبل النوم. نُعبد بتلك الطريقة التي تجمع الناس عبر الكراهية المشتركة، موفرين لهم ثرثرة تافهة كلما ساد الصمت محادثاتهم.

مسحتُ الشارع بعيني بحثاً عن أي شيء صالح للأكل، منقّباً عن عربة تاجر. أنا مستنزف وأبدأ في الشعور بالدوار، وكأن كل الإحباط الذي يملأ جسدي قد استقر أخيراً في رأسي. انطلقتُ نحو تجمع من العربات، ومستعد تماماً لدفع أي شخص يقف بيني وبين جوعي.

لكن الحشد انشق وكأن الطاعون يمشي بينهم.

غمرتني الهمسات، واسمي يسقط من شفاه مسحوبة في عبوس حازم. تجاهلتهم وتجاهلت التدقيق المرافق لهم. إطلاق الأحكام شعور مألوف، بل ومريح تقريباً بفضل القدرة على توقعه.

رغم أنني أندم على افتقاري لرباطة الجأش الذي كشف هويتي بهذه السرعة.

سألتُ التاجر:

– «هل لديك أي لحوم؟»

كان يوليني ظهره عندما وضعتُ بضع عملات على عربته وبدأت في التقاط أرغفة خبز بائنة، كل منها يقارب في قساوته الخشب المقدسة عليه.

التفت التاجر، مجولاً عينيه الداكنتين فوقى وفوق العملات المتناثرة أمامه:

– «فقط لحم خنزير بري.»

كان صوته مطابقاً لما تخيلته، أجشاً مثل مظهره.

أومأتُ مرة واحدة:

– «سأخذ ما يكفي لي ولرجالي.»

قوبل طلبي بصمت طويل:

– «بالنسبة لك...»

ضيق الرجل عينيه نحو العملات.

- «الضعف».

خفضتُ رأسي، وأفلتت من شفتي ضحكة جافة. تململ التاجر، وتوتر جسده حين أرحت راحتي على الخشب الخشن. أومأتُ برأسي نحو العملات:

- «أنا وأنت نعلم أن هذا اللحم لا يساوي نصف ما أعطيتك إياه

بالفعل».

همهم مجددًا بفضاظة:

- «الضعف».

قلتُ بنبرة مميتة:

- «ولماذا هذا تحديدًا؟»

- «لأنني لا أحبك ولا أحب بني جنسك».

كدتُ أضحك عند سماع ذلك.

بني جنسي.

مجرد التفكير في أنني، في أي مكان عدا إيليا، أُعتبر لغزًا. شيئًا غير

طبيعي يجب التخلص منه.

حدقتُ فيه، في هذا الرجل الذي يُعد هو نفسه "عاديًا" في جوهره، رغم

افتقاره لذلك المرض المضعف للنخبة الذي يسري في عروقه. ليس من المستغرب أن تمقتنا المدن المجاورة بسبب نفينا للعاديين الذين يشبهونهم تمامًا.

قلتُ بهدوء:

- «إذن، أنت تعرف ما أنا عليه، ومع ذلك تختار أن تفرض عليّ ضعف

الثلث؟»

- «أنت لا تخيفني. ليس هنا.»

لم يفلح وجهه الملتحي في إخفاء الابتسامة المتكلفة التي تعبت بشفتيه.

– «أعلم أنك معتاد على امتيازات النخبة، لكنك لن تحصل على أي من ذلك هنا. هذا على الأرجح أكبر قدر من الاحترام ستحصل عليه من أي شخص هنا.»

قلتُ، بصلافة لم ترق لي:

– «علم.»

لا أستمتع تحديداً بفكرة إدراك الناس لقدرتهم على إثارة حنقي. وبحركة دائرية خفيفة لرقبتي، زفرتُ الإحباط من رئتي – في حركة مألوفة ومتمرسه –.

– «حسناً، إذا كان هذا هو أكبر قدر من الاحترام سألتقاه في دور، فأظن أنك تمنحني صفة جيدة.»

رمش الرجل، مأخوذاً بعض الشيء بتغير نبرتي السريع. كدتُ أبتسم لذلك، مستمتعاً بردود أفعال أولئك الذين لم يعتادوا بعد على الأقنعة العديدة التي أرتديها وأخلعها متى شئت. كانت ابتسامتي حادة وأنا ألقى المزيد من العملات على الخشب، لتنضم إلى ما وضعتهُ سلفاً.

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يبدأ جنودي في تمرير شرائح مجففة مما قيل لي إنه لحم خنزير بري، رغم أنني بالكاد مقتنع بذلك. أصدرتُ أمري:

– «تفرقوا. سنلتقي هنا عند غروب الشمس.»

تبادل الرجال نظرات مرتبكة، وهو تعبير يبدو أنه لا يفارق تضاريس وجوههم المتسخة. تقدم ماثيو خطوة من تجمع الزي المجعد، وبدأ:

– «لكن يا سيدي –»

إنه أحد الإمبراطوريين القلائل الذين كلفتُ نفسي عناء تذكر أسمائهم – وأحد القلائل الذين لا تلازمي رغبة ملحة في تركهم وراء ظهري في الصحراء – النظرة التي رمقته بها جعلت كلماته تموت في حلقه.

– «إننا ن جذب انتباهاً أكبر مما ينبغي. لن نحصل أبداً على المعلومات التي نحتاجها، ولا على طعام ومأوى إن كان الناس يعرفون من أنا ومن أين نحن.»

أوماً ماثيو برأسه برفقة بقية الرجال، وقد بدأ الإدراك يلوح في عيونهم.  
- «تفرقوا. واعرفوا ما يمكنكم معرفته.»  
وجهتُ إيماءة مقتضبة للمجموعة قبل أن أستدير على عقبي وأندمج في  
الحشد، لأصبح فجأة شخصاً لا أهمية له على الإطلاق.  
عاديًا، إن صح التعبير.



## الفصل 9

# بيكان

– «أوه، هيا. كلانا يعلم أن هذا لا يستحق شلنين، ناهيك عن ثلاثة.»  
ضربتُ رغيف الخبز البائت بعربة التاجر لتأكيد وجهة نظري.  
طخ، طخ، طخ.

أضفتُ، وقد كست لساني نبرة من المرح الجلي:

– «في الواقع، يجب أن تدفع لي لآكل هذا يا فرانسيس.»

أخفى الرجل العجوز تجهمه خلف طيات القماش التي تلف أنفه وفمه.  
الرياح الغربية قاسية اليوم، تهب محملة بذرات الرمال الخشنة والحطام من  
الصحراء لتغطي المدينة وسكانها بالكامل. لم يستغرق الأمر سوى يومين في  
دور لأدرك مدى أهمية الأوشحة لملابسي إذا كان هناك أي أمل في منع طبقة  
الرمال المستمرة من غزو فمي.

همهم للمرة الرابعة، ولهجته الكثيفة مكتومة خلف القماش المتسخ:

– «ثلاثة. نقص في القمح.»

تأوهت. لقد أمضيتُ أيامًا أحاول كسب ود هذا الرجل، لكي لا أضطر إلى  
الاستمرار في سرقة في وضح النهار. تباً لذلك الضمير اللعين الذي لا أزال  
أملكه.



بدأتُ ببطء، وأنا أراقب كيف يضيق عبوسه الذي لا أراه عينيه:  
- «فرانسييس...»

بعد أن رأيت اسمه محفوراً بشكل مائل على الجزء العلوي من العربة الخشبية، بدأتُ أستخدمه في محاولة لبناء نوع من العلاقة مع التاجر. وحتى الآن، فشلتُ فشلاً ذريعاً.

- «لنكن منطقيين. أنت تعلم أنني لا أملك هذا القدر من المال لأبذره على خبز قد يكسر سني.»

لم يكلف نفسه عناء الرد بأكثر من زمجرة خشنة.

أغمضتُ عيني، وأخذتُ نفساً عميقاً تسللت معه الرمال بين شفطي.

لقد بدأتُ أفخر بحقيقة أنني أفهم هؤلاء الناس. أناس مثلي. أناس يكافحون من أجل البقاء، ويعتمدون على الدهاء لإسكات زمجرة بطونهم الجائعة. في حياة أخرى، كان بإمكانني أن أعتبر عشوائيات إيليا موطني، لولا افتقاري للقدرات التي تسري في عروقي.

ربما لهذا السبب أنا يائسة جداً للبدء من جديد هنا. هنا، في دور، حيث أنا «عادية» بمعنى جديد كلياً للكلمة. لا يمكن لأحد أن يُعتبر فاقداً للقوة إذا كان الجميع كذلك. لا، هنا، أعتبر مساوية لهم. ولم يبدُ شيء أروع من هذا قط. تنهدتُ، متظاهرةً بالهزيمة:

- «حسناً. ولكن فقط لأنني أستلطفك يا فرانسييس.»  
فقط لأنني أريدك أن تستلطفني.

بدأت عيناها الذهبيتان وكأنهما تقاومان الرغبة في الدوران نحوي استنكاراً. ابتسمتُ بعذوبة، آملةً أن تعكس نظراتي مدى توقي للرفقة، بينما أكره في الوقت ذاته كيف تفضحني تلك الرغبة بوضوح.

رمىتُ عملة أخرى بخرق فوق عربته، متمنيةً أن تتدحرج لتسقط عن الخشب البالي. التمتع الفضة في شمس المغيب الكسولة قبل أن ترتطم العملة بالأرض برنين مرضي.

– «أوه، أنا آسفة يا فرانسيس! لم أعتد على الحرارة بعد ويديا تتصببان عرقاً بشكل مقزز طوال الوقت.»

رمش، ووجهه الأسمر خالي التعابير أسفل وشاحه، باستثناء ازدرائه الواضح لي. وعندما انحنى ليلتقط الفضية التي أصبحت شريكتي الحالية في الجريمة، خطفتُ رغيفين آخرين من كشكه بيديّ الرشيقتين، واحداً من كل كومة عجيب لكي لا أثير الشكوك.

– «أعني، أنا لستُ غير غارقة في العرق أبداً،» واصلتُ حديثي بعفوية بينما اعتدل فرانسيس، يمسح العملة المتسخة بإبهامه. «بجدية، كيف تحافظ على برودتك تحت كل هذه الطبقات؟ أشعر بالزوجة لدرجة أنني –»  
قاطعني بفضاظة:

– «هذا هو فصل الشتاء لدينا.»

رمشتُ محدقة فيه:

– «أوه. حسناً، هذا... مرعب.»

رغم قرب دور النسبي من إيليا، نشأتُ مع فصول متعاقبة، رغم أن شتاءنا كان معتدلاً لحسن الحظ. لم أدرك مدى الاختلاف الجذري الذي يمكن أن يشهده الطقس وراء امتداد الصحراء. وبينما تهب الرياح الغربية بالهواء البارد من بحر المستنقعات نحو إيليا، تنعم دور بحرارة رمال الأراضي المُحرقة التي تتصاعد باستمرار إلى مدينتها.  
الحرارة ساكن مألوف في هذا الموطن.

حدق بي لفترة طويلة كافحتُ فيها بصمت لأجعل صوتي يعمل، قبل أن يقول:

– «لن تنجي أبداً في موسم المجاعة أيتها الشاحبة.»

ضحكة جافة كسرت الصمت الذي لا يُطاق، وارتفعت عينايتي لتقابلا عينيه. وضع فرانسيس يداً مشبعة بالشمس فوق بطنه، يهتز بضحك خشن. انضممتُ إليه بتردد بضحكة غير مريحة من جهتي. أضاف بين ضحكاته:

– «أنتِ مضحكة أيتها الشاحبة.»

تنهدتُ بارتياح، وارتخى جسدي بأمل أن يكسبني جهلي هذا رضا فرانسيس.

– «سعيدة بسماع أن معاناتي المتعركة تبدو فكاهية بالنسبة لك.» قلتها بخفة، وأنا أتناول الرغبة الذي يمدّه لي. استمر ضحكه وهو يشق رغبةً آخر إلى نصفين بجهد ليس بالقليل.

– «خذي.» لوح به نحوي قبل أن أتناوله بتردد. «أذهبي وابحثي عن بعض الظل لتأكلي هذا تحته.»

شكرته، وابتلعتُ شعوري بالذنب لثقل الرغبة المسروقين في الجيوب الداخلية لسرتي. كان فرانسيس لا يزال يضحك عندما استدرتُ مبتعدة، مما رسم ابتسامة صغيرة على شفتيّ خلف القماش الذي يبتلع معظم وجهي. ربما بدأ يستلطفني، بعد كل شيء.

نظرتُ إلى ذراعيّ، اللتين أصبحتا الآن أكثر سمرة بكثير مما كانتا عليه قبل أسبوع، قبل رحلتي الشاقة عبر الأراضي المحرقة. ورغم ذلك، لا أزال أفتح بشرة من معظم أولئك الذين أمضوا حياتهم في دور. وأنا أمسح الشوارع المزدحمة بعيني، أعجبتُ ببشرتهم الداكنة، الناعمة واللامعة في ضوء الشمس – وكأن الأشعة نفسها أصدقاء قدامى، تداعب بشرتهم بأصابع مألوفة –.

سحبتُ القماش الرقيق ليغطي جبهتي أكثر، وشققتُ طريقي عبر كتلة الأجساد التي تزدحم بها الشوارع. تعثرت عيناى بملصق مجعد، مُعلق بشكل غير محكم على جدار متجر متداعي. عبستُ، منزلقةً عبر الحشد لأقف أمام الوجه الذي يعكس وجهي. حدقتُ في الفتاة التي تعكس ملامحي، وعيناها تفيضان بالرعب والغضب.

ابتلعتُ ريقى، وأنا أرمش لأحبس دموعاً أرفض السماح لها بالسقوط.

لا بد أن هذا نسخة طبق الأصل مما سجله المتبصر بعد أن لمحني بلحظات إثر قتلي للملك – الجريمة التي ارتكبتها مكتوبة بوضوح على وجهي المنهك –. أكاد أشعر بالدماء التي غمرت يديّ، وغطت جسدي المكسور.

تاht يدي نحو الندبة الممتدة أسفل فكي، وتخبطت أصابعي وصولاً إلى الحرف المحفور فوق قلبي.

لا أحتمل النظر إليها لفترة أطول، ولا أحتمل استعادة تلك اللحظة أكثر مما أفعل بالفعل.

لا أحتمل النظر في وجه قاتلة.

بأصابع مرتجفة، انتزعتُ المصق من الجدار، وجعدته في قبضتي قبل أن أحشره في الحقيبة المتدلّية على كتفي. عندما تعثرتُ في المدينة في تلك الليلة الأولى بعد عراكي مع الحارس – الرجل الذي قتلته وتركته ليتعفن.

– كدتُ أصطدم بجدار مغطى بوجهي. التمتع شعري الفضي في ضوء القمر، وحتى وهو مغطى بالرمال، لم يكن هناك مجال للشك في أنني النسخة المثالية من المنقذة الفضية المطلوبة التي تحقّق في وجهي. أي لون شعر غريب هو دليل قاطع على أن دماء الطاعون تسري في عروقتك، سواء كنت عاديًا أم من النخبة.

وبعد أن قضيتُ حياة من التهميش والتخفي على مرأى من الجميع، برزتُ بوضوح يفضح أمري. لم أشعر يومًا بهذا الانكشاف، وهذا الشذوذ عن المألوف.

قضيتُ الليل فوق سطح متجر متداعٍ، أضمد جروحي وأختبئ حتى لَوْن شروق شمس مبكر الشوارع باللون الذهبي. حينها فقط استجمعتُ شجاعتي لسرقة وشاح رث من عربة تاجر لألفه حول وجهي وشعري الفضي الخائن. لحسن حظي، ليس من الغريب على الإطلاق أن تحمي وجهك من كل من الشمس والرمال العاصفة طوال اليوم. وهكذا، عدتُ خفية بسعادة مجددًا.

اصطدم كتف بكتفي، بقوة كافية لتنتشلني من ذهولي. ألقى الفتى الصغير ما أظنه إيحاءة اعتذار قبل أن يعود ليشق طريقه عبر الشارع المزدهم. أخذتُ نفسًا عميقًا، وسحبتُ وشاحي متظاهرة بأنني أنتمي إلى هذا المكان. أهل دور يتسمون بالخشونة أكثر من اللازم – بل وأجرؤ على القول إنهم يشبهون قطع

الخردة المعدنية المسننة التي كان والدي يجعلني أرشق بها الشجرة المتعقدة في باحتنا الخلفية -.

مسحت عيناى الشارع، لتجدا عددًا لا يحصى من الشجارات والصيحات المرافقة لها. من الواضح أن الاشتباكات، سواء الجسدية أو اللفظية، أمر شائع الحدوث. وإذا لم يكن الحراس يتتأبون ملاً أو بالكاد يرمشون، فهم على الأرجح قد انضموا إلى العراك بأنفسهم.

هؤلاء الناس بقسوة الرمال التي زحفوا منها.

لمحتُ مظلة مهترئة تتدلى بشكل خطر من جدار أحد المتاجر، تعد بفيء مغرٍ.

من الأفضل أن آخذ بنصيحة فرانسيس.

بعد أن كدتُ أتعثر بمجموعة من الأطفال الذين يتلون عبر الشوارع، طويتُ نفسي بانعدام رشاقة في شق الظل، وأنا أفرك عضلاتي المتألّمة. "المضغ" هو مصطلح كريم لوصف الجهد الذي يتطلبه ابتلاع الخبز البائت، نظرًا لأنني أستطيع الآن إضافة فكي إلى قائمة الأوجاع والآلام المتزايدة. لكني أمضيتُ ما تبقى من اليوم مختبئة من الشمس الحارقة والملصقات المُدبنة التي ترمقني بشزر.

أنا بحاجة إلى المال.

تلك الفكرة الوحيدة طاردت عقلي، تدق في رأسي مع كل ساعة أقضيها في هذه المدينة الجديدة التي أتوق بشدة لجعلها موطنًا لي. العملات التي تفرقع في حقيبتى تبدو أخف بكثير مما يرضيني، ولسوء حظي، فإن سكان دور أبعد ما يكونون عن الإهمال في الحفاظ على أرزاقهم التي تسكن جيوبهم. محاولاتي للسرقة خارج ما يزين عربات التجار كانت ضئيلة، على أقل تقدير. كدتُ أشعر بالحرَج.

ومع غروب الشمس وتراجع الحرارة معها، أخذتُ أتعرج عبر المدينة بحثًا عن السطح الذي ولعتُ بالنوم فوقه.

أنا بحاجة إلى المال. المال يعني المأوى. يعني الطعام. يعني...

إرادة للحياة.

- «... ثلاثة فضيات بأن 'سليك' سيفوز. هذا الوغد لم يُهزم قط.»

شوشني الصوت الأَجش عن أفكارِ المتصاعدة. اجتمع الملل والفضول ليخلقا مزيجًا خطيرًا من الإثارة دفعني للاستناد إلى جدار الزقاق، عازمةً على استراق السمع.

سخر رجل آخر، ولهجته كثيفة:

- «لم يُهزم، أليس كذلك؟ ربما لأن الرفيق لم يخض سوى ثلاث

مباريات. هو مجرد وغد محظوظ، هذا ما هو عليه.»

تهكم الرجل الأول:

- «إذن، ستراهن على مبتدئ، أليس كذلك؟»

- «سأقرر عندما أراهم.»

ثم ضحك، بصوت خشن أشك أنه يصدره كثيرًا.

- «ربما سأدخل الحلبة. وأريهم كيف تُدار الأمور، إيه؟»

ترددت ضحكات خشنة في الزقاق بينما ابتعدتُ بعفوية عن الجدار لأتمشى على مسافة آمنة خلفهم. كل شبرٍ في يتوق للإثارة، لشيء يشغلني غير أفكارِ المقلقة.

وحيث توجد رهانات، يوجد مال يمكن كسبه.

وحيث يوجد مال يمكن كسبه، يوجد مال يمكن سرقة.

غاص كوع في معدتي، ليسحب الهواء من رئتي.

دفعتُ طريقي عبر الحشد، باذلةً قصارى جهدي ألا أغرق في بحر الأجساد

المتعركة. تموج الصيحات والسخریات عبر القبو، موجهة جميعها نحو العنف

المحبوس المعروض، رغم أنني بالكاد أستطيع رؤيته.

أنا أختنق وسط أجساد لزجة، مجبرةً على اختلاس النظر عبر شقوق

المسافات في جدار الأكتاف. وبانزعاج، أدتُ رأسي بحدة، وكدتُ أصطدم

بالشخص الذي يقف خلفي مباشرة. لقد فقدتُ أثر الرجلين اللذين تتبعتهما إلى

هنا بعد أن قلدتُ تسلسل الدقات التي طرقتُ بها الباب المخفي. طبقتُ النمط على ساقي، لأحفره في ذاكرتي حتى وأنا أحاول التسلل عبر الحشد. أميز صوت ارتطام القبضات باللحم، رغم أنني مهتمة أكثر بجيوب أولئك الذين أُحشر بينهم. حاولتُ تمرير يدي بخفة نحو الجسد بجواري، لكنني دُفعتُ من الخلف بواسطة رجل يزمجر.

زفرتُ الهواء، شاعرةً بالناس يضغطون عليّ.

كيف يُفترض بي أن أسرق إذا كنتُ بالكاد أستطيع تحريك ذراعيّ؟

التفتُ أصابعي لتشكّل قبضة بجانبني بينما قاومتُ الرغبة في توجيهها نحو أحدهم.

رمشتُ، وانطلقت عيناوي نحو القفص والعراك الدامي بداخله.

يمكنني أن أدفع لي مقابل توجيه لكمة إن كانت في الداخل.

بدأتُ خطة جديدة وحمقاء تمامًا تتبلور بينما حاولتُ الدفع عبر الحشد مجددًا. استقبلتُ بالمزيد من الأكواع في معدتي والأكتاف في وجهي، والتي تجاهلتها في بحثي عن يدير حلقة القتال غير القانونية هذه.

انتهى النزال بضربة دموية أخيرة بحلول الوقت الذي تعثرتُ فيه وصولاً إلى المقدمة. تردد صدى الشتائم والتهليلات عبر القبو، وأصبح مزاج الجميع فجأة مرهوناً بمن راهنوا عليه أو ضده.

– «تذاكر الرهان! أنتم تعرفون النظام. أحضروا تذاكر رهانكم وسنفرز

حسبكم!»

تتبعْتُ الطابور العشوائي المتجه نحو طاولة متهالكة بجوار القفص.

هددتُ خصلة من شعري الفضي بالانزلاق من تحت وشاحي، فأسرعتُ بدسها مع البقية وأنا أجهد نفسي لرؤية الرجل الذي يستبدل التذاكر بالعملات.

كان ذيل حصانه الأملس يلمع في الضوء الخافت الذي يقف تحته، وظهره

منحنٍ فوق كومة من التذاكر. لم يضيع وقتاً في إلقاء العدد المناسب من

العملات في كل يد، بالكاد يكلف نفسه عناء النظر إلى الشخص الواقف أمامه.

– «تذكرتك؟»

رمشتُ محمقة في يده الممدودة، مذهولة من سرعة وقوفي أمامه فجأة:

– «لا، عذراً، أردتُ في الواقع التحدث إليك بشأن القتال في الحلبة.»

تنهد دون أن يكلف نفسه عناء النظر إليّ، قائلاً:

– «لا تذكرة، لا حديث.»

هزرتُ رأسي، متقدمةً بخطوة حتى لامس خصري حافة الطاولة.

قلتُ:

– «لكن...»

صاح:

– «التالي!»

دفعته صيحته بامرأة للتقدم والوقوف بجانبني دون تردد. وبعد أن أزيحتُ جانباً حين سلمتُ تذكرتها، ثبتُّ قدمي عند طرف الطاولة.

قلتُ:

– «دعني أقاتل.»

فرك عينيه المتعبتين بيده قبل أن يتفحص التذكرة التالية، وقال:

– «اسمعني يا صغير، أنا لا أسمح لأي كان بالقتال في حلبتي. وفضلاً

عن ذلك...»

رمقني بنظرة خاطفة وتابع قائلاً:

– «سيأكلونك حياً هناك. لذا، اغرب عن وجهي.»

بسطتُ كفي على الطاولة، وانحنيتُ مقتربةً بما يكفي لألمح بريق ساعة

ذهبية تطوق معصمه، وأشم رائحة العطر تفوح من بشرته.

إنه يعيش في بحبوحة تفوق نصف سكان هذه المدينة.

قلتُ بنبرة سلسة:

– «أريد حصة عادلة؛ مثلما يجني بقية مقاتليك. وإن كنت أتوقع أن أجني أكثر منهم في وقت قصير.»

عندئذٍ، رفع رأسه على مضض، وتلاقت نظراتنا بينما رفع يده ليوقف الطابور.

قال:

– «قلتُ اغرب عن وجهي يا صغير. افعل ذلك طالما أنني ما زلتُ أسمح لك.»

أملتُ رأسي ببراءة، وضيقتُ عينيّ قليلاً، قائلة:

– «سيكون من المؤسف حقاً أن يعلم الحراس بأمر قتالات الأقفاس غير القانونية التي تديرها هنا في الأسفل.»

أومأتُ برأسي نحو الساعة اللامعة التي تزيّن معصمه الغليظ، وتابعتُ قائلة:

– «يبدو أنك اعتدتَ كثيراً على الثراء، وأشك أن من السهل عليك التكيف مجدداً مع الفقر الذي زحفتَ منه.»

ورغم أن القتال ليس محظوراً هنا في دور بوضوح – بالنظر إلى كونه أمراً مألوفاً – إلا أن المراهنة على أولئك المقاتلين كانت الخط الأحمر الذي قرروا رسمه؛ مما يفسر وجود هذا القبو المكتظ الذي يتطلب ولوجه طرقةً سريةً معقدة.

بدأت ابتسامة ترتسم على زاوية فمه، وكأنه يمتلك نوعاً من الجاذبية الفاسدة.

قال ضاحكاً بفضاظة لازعة:

– «هل تهددني؟ لا يمكنك تهديدي يا صغير، سأجعل رجالي يمزقونك إرباً، فأنا أمتلك هذه المدينة فعلياً.»

هزرتُ كتفيّ بلامبالاة وقلتُ:

– «أنت لم ترني أقاتل قط. لذا، إن احتجتُ إلى إعادتهم إليك ممزقين إربًا لمجرد إثبات جدارتي، فأظن أنني سأضطر لفعل ذلك بالضبط.»

جعلتني فكرة تمزيق أي شخص إربًا أشعر بالغيثان، لكن النظرة التي ثبتُّها عليه لم توحِ بذلك على الإطلاق. مرت ثوانٍ بطيئة قبل أن تتسع ابتسامته.  
قال:

– «تعجبني روحك يا صغير.»

ابتلعتُ شعوري بالارتياح، وسألتُ:

– «هل هذه موافقة؟»

قال وهو يسحب لفافة ورق مخطوطة بأسماء مقاتلين سابقين وحجم الأرباح التي جنوها له:

– «ستقاتل بعد ساعة، سأمنحك فرصة، فلا تخيب ظني يا صغير. أنت لا تريد معرفة ما يحدث حين يخيب ظني.»

أومأتُ برأسي مخفيةً ابتسامتي، وقلتُ:

– «أشك أنني سأكتشف ذلك يومًا.»

هز رأسه غير مصدق، وبدا وكأنه يندم على قراره بالفعل.

قال:

– «حسنًا، سنرى ذلك. أنا رافائيل.»

ارتفعت عيناه نحو وجهي المستتر وتابع قائلاً:

– «وبمٍ يجدر بنا مناداتك يا صغير؟»

مررتُ بعينيَّ على القفص والأضواء الوامضة فوقه، وشقت ابتسامته صغيرة طريقها إلى شفتي، جاذبةً ندبتي برفق.

قلتُ:

– «الظل (شادو).»



## الفصل 10

# كاي

**حتى** ضوء القمر يبعث على الدفاء هنا.

تتسلل الأشعة الفضية الشاحبة بين شقوق المباني واللافتات، كأصابع واهنة تستमित للتشبث بأي شيء يعترض طريقها. شددتُ المنديل المعقود حول فمي وأنفي؛ ذلك القماش القرمزي بلون الدم، المصمم لدرء الرمال المتطايرة عن فمي، رغم أنني لا أزال أشعر بصريرها بين أسناني.

تخليتُ عن الإمبراطوريين خاصتي لهذه الليلة، تمامًا كما فعلتُ في الليالي الأربع الماضية منذ وصولنا إلى المدينة. قضيتُ جُلَّ يومي وحيداً، أستطلع الشوارع وكل صدع محتمل ربما تكون قد تسلفت إليه. وفي كل مرة أزيح فيها لافتة، أو أدفع باباً متداعياً، أو أسأل إن كان أحدهم قد لمح المنقذة الفضية، كانت تراوغني عند كل منعطف.

إنها طيفٌ في هيئة بشر؛ كمحاولة الإمساك بالريح في قبضة يدك، تعجز عن رؤيتها حتى وأنت تشعر بها تتسرب من بين أصابعك.

وإدراكي لهذه الحقيقة يجعلني أشعر بشيء يقترب، على نحو مثير للشفقة، من الارتياح.



هذه الليلة أكثر دفئاً من غيرها، مما تركني لزجاً بالعرق والرمال. انعطفتُ نحو شارع هادئ، شاعرًا بانزعاج طفيف من الصمت الذي يبتلع هذه المدينة كل مساء. ولو طُلب مني التخمين، لقلتُ إن السبب يكمن في إنهاك الجميع بعد يوم طويل من القتال في الشوارع، ومدافعة أمواج الأجساد البشرية. رمقتُ حارساً ماراً لم تبدُ عليه أي علامة من علامات اليقظة. أخذتُ نفساً عميقاً، كابحاً رغبتني في افتعال شجار معه بدافع الفضول المحض لأرى ما سيفعله ذلك الوغد الكسول. إنهم أسوأ حالاً من معظم الإمبراطوريين في الوطن، وهذا بحد ذاته يعكس الكثير.

يثقل كاهلي افتقاري إلى القوة هنا، كأزيز خافت يسري في دمائي. أشعر بثقل غريب رغم افتقادي لجزء من ذاتي. فعلى عكس بقية أفراد النخبة، تعتمد قدرتي على من حولي، والإمبراطوريون الذين أحضرتهم معي هم المصدر الوحيد للقوة الذي يمكنني الاقتيات عليه. وبعد أن قضيتُ حياتي بأكملها محاطاً بأفراد النخبة، يبدو غيابهم وغياب قواهم المرافقة أمراً غريباً لدرجة مخيفة.

لم أشعر يوماً بهذا القدر من الانكشاف.

ضغطُ مباغت وخفيف عند وركي جعلني أنتفض متوترًا، فتلمستُ خنجري المخفي بحذر... أو بالأحرى، خنجرها المخفي.

كيس العملات المعدنية.

هذا ما يبحثون عنه.

وهذا ما كانت تبحث عنه هي أيضاً، في ذلك اليوم الأول الذي التقيتها فيه.

هل يمكن أن تكون هي؟ هل تعيد التاريخ دون أن تدرك حتى؟

يستحيل بحق الجحيم أن تبلغ بها الجرأة حد السرقة مني وهي تعلم

هويتي.

تسارعت خفقات قلبي، وتسابقت أفكارني مع نبضي.

استدر.

ابتلعتُ ريقِي، متذوقاً تلك الثواني التي لا أزال أقف فيها في كنف  
المجهول.

استدر وانظر إليها. انظر إلى الوجه الذي سلب حياة والدك. الوجه الذي  
لم يسرق أموالك فحسب، بل سرق أيضاً قـ... .

طوقتُ قدمًا خلفي، معرقلًا كاحل اللص الذي يسرق فضياتي بصمت.  
وبسحبة واحدة، أرسلته متهاوياً إلى الأرض.

أسلوب أخرق. ليس من طبعها.

وبالفعل، لم يكن الجسد الممدد أمامي لامرأة، بل لطفلة. اتسعت عينا  
دهشةً، ومحاولةً لاختراق الظلام الدامس. وفي غضون لحظات، كانت كفاً  
الطفلة تدفعانها إلى الخلف في محاولة لخلق مسافة بيننا، وحذاؤها البالي يثير  
الغبار وهو يحتك بالأرض.

خطوتُ نحوها بخفة، وانحنيتُ قليلاً لأتمكن من رؤية...

طرف نصل مُصوّب فجأة نحو وجهي.

رمشتُ. كان ذلك... غير متوقع، على أقل تقدير.

رفعتُ يديّ قليلاً مستسلماً، وبدأتُ أتراجع خطوة إلى الوراء، وعينا  
مسمرتان على السلاح المقبوض عليه بيد رقيقة. ضاقت نظراتي متفحصةً  
النقوش التي تطل من بين الأصابع الصغيرة الملتفة حول المقبض.

أنا أعرف هذا السكين.

ارتفعت عينا نحو الشعر الأشعث المتناثر حول وجه شاحب.  
أحمر.

تنفستُ الصعداء هامساً:

– «أبيجيل.»

إنها حية.

إنها لمعجزة أن تنجو بعبور الأراضي المحرقة بعد أن نفيتها هي والعائلة  
التي أوتها.

كان السكين يرتجف في يدها الآن، لكن صوتها حمل نعومةً ثابتة.  
سألت:

- «كيف... كيف تعرف اسمي؟»

نزعتُ المنديل عن وجهي قبل أن أتقدم نحوها ببطء شديد، مبقياً يدي في مرمى بصرها.

وكإجابة على سؤالها، قلتُ:

- «يبدو أنك كنتِ تحسنين استخدام سكيني.»

اتسعت عينها بشيء أشبه بدهشة طفولية، رغم أن زهولها لم يكن ساراً على الإطلاق.

قالت بنبرة تقارب الاتهام:

- «أنت! ماذا تفعل هنا؟»

فتحتُ فمي لأجيب، لكن صوتها الصغير ملاً الصمت قبل أن تتاح لي الفرصة.

تابعتُ قائلة:

- «هل أنت هنا لقتلي؟ بجدية هذه المرة؟»

أرسلت وخزة الألم التي شعرتُ بها إزاء كلماتها صدمةً في أوصالي. لا ينبغي لي أن أتفاجأ بافتراضها هذا؛ فسمعتي لا تترك مجالاً للشك. أنا أجسدُ تماماً ما خلقتُ لأكونه... قاتل.

قلتُ بهدوء:

- «لا، لم آت من أجلك.»

تأملتني للحظة، ولم تخفض سلاحها إلا قليلاً.  
فتاة زكية.

قالت بحزم:

- «لقد تذكرت اسمي.»

قلتُ:

– «بالطبع فعلت.»

لقد حاولتُ النسيان، صدقيني.

تنحنحتُ، وجثوتُ على ركبتي لأنظري في عينيها متجاهلاً النصل الذي لا يزال مصوباً نحوي.

قلتُ:

– «ربما يمكنكِ مساعدتي في العثور على من أبحث عنها؟»

رمقتني بنظرة مرتابة.

تابعتُ قائلاً:

– «ال... المنقذة الفضية. المرأة الموجودة على الملصقات المنتشرة في

أنحاء المدينة. هل رأيتها؟ هل سمعتِ عنها أي شيء؟»

خفضت أبيضيل السكين ببطء، بعد أن قررتُ أنه من الأفضل ألا تستخدم

سلاحي ضدي.

هزت كتفها وقالت:

– «لا أدري، لم أسمع عنها حرفاً.»

أطلقتُ تنهيدة عميقة.

حسناً، لم يكن ذلك مجدياً على الإطلاق.

تموج شعر الفتاة الأحمر الناري حين أدارت رأسها نحو اليمين، ناظرةً

بترقب إلى امتداد شارع شديد الظلمة.

قلتُ مشيراً إلى رقعة الظلام التي تبدو عازمة على الركض نحوها:

– «إن كنتُ أعطلكِ عن أمر ما، فتفضلي بالذهاب...»

قالت والكلمات تتسابق من فمها بينما أكافح لمجاراتها:

– «يجب أن أصل إلى هناك قبل انتهاء النزال. لم أجنِ الكثير اليوم،

والرهانات يفترض أن تكون عالية الليلة.»

تابعتُ قائلة:

– «هناك مقاتل مفضل جديد، وهذا يعني حشودًا غفيرة.»  
بدأت بالابتعاد، ولم يوقفها سؤالي سوى للحظة عابرة.  
قلتُ:

– «مقاتل مفضل جديد؟ ما هذا المفضل الجديد؟»  
أضأت وجهها ابتسامة طفولية وهي تقول:  
– «ليس ما، بل مَنْ.»

قلتُ بصوتٍ هادئٍ مضلل:  
– «أبيجيل، سأحتاج إلى معلومات أكثر من ذلك بقليل.»  
تأففتُ قائلة:  
– «أوف.»

كِدْتُ أشعر بعينيها تتقلبان في الظلام.  
تابعتُ قائلة:

– «هيا بنا، سأريك إياه وحسب.»

استدارت لتصوّب إصبعها الصغير نحوي باتهام وتابعت:  
– «لكن أبقِ يدك بعيداً عني. هذه العملات لي. أحتاج إلى بعض الشلنات  
لأعود بها إلى أمي.»  
كبحتُ ابتسامتي بصعوبة.  
قلتُ:

– «آه، نعم. لقد أصبحت لصةً بارعة الآن. وإن كنت لا تزالين بحاجة إلى  
بعض التدريب؛ فيداك ثقيلتان جداً.»

ارتسم العبوس على شفثيها ونحن نمشي، فاكتفيتُ بإضافة:

– «أفضل اللصوص يعرفون كيف يشتتون انتباه من يسرقونهم. أبعدني  
تفكيرهم عن المال الذي في جيوبهم، وسيصبح ملكاً لك.»

رفعتُ بصرها إليّ برأس مائل وسألت:

– «كيف تعرف كل هذا عن السرقة؟»

صمتُ لفترة كافية لأدع أفكارني تشرد عائدةً إلى ذلك الشخص الذي شئت انتباهي أكثر من أي شخص آخر.  
تنهدتُ وقلتُ:

– «لأنني... حتى أنا، وقعتُ ضحيةً للصِّةِ عظيمة.»

توقفتُ أمام مبنى متداعٍ وباب قبو يُفتح أسفله. وبقبضتها الصغيرة، طرقتُ بسلسلة من الدقات المتتابة. نظرتُ حولي، ولم أرَ أحدًا في الزقاق المظلم، متسائلًا في نفسي بحق الجحيم إلى ماذا تقودني هذه الطفلة.  
قالت أبيجيل بثقة:

– «إذن، بمجرد أن أتمكن من السرقة منك دون أن تلاحظ، سأصبح من بين الأفضل؟»

ارتفعت زاوية فمي وأنا أقول:

– «هذه أضغاث أحلام يا طفلة.»

عبستُ قائلة:

– «مهلاً، ما زلتُ أملك سكينًا، هل تتذكر؟»

انفتحت أبواب القبو فجأة بقعقة مدوية. ربطتُ المنديل مجددًا حول أنفي وفمي، وراقبتُ أبيجيل تدور على عقبها قبل أن تهبط الدرج المؤدي إلى الأسفل.

هزرتُ رأسي وأنا أتأمل طيفها المبتعد.

النار المتقدة في عينيها. غرائز اللصوصية. النصل ذو المقبض المنقوش بالدوامات.

ما الذي صنعه يداي؟

أوجه الشبه بينهما مذهلة.

هل كانت هكذا منذ سنوات طويلة؟ تعلم نفسها كيف تنجو على حساب العملات المعدنية في جيوب الآخرين؟ ترفض الالتفات إلى الخوف الذي كان يعتريها؟

يبدو أنني عاجز عن الهروب من التفكير فيها، أو من رؤية ملامحها فيمن حولي.

أمرٌ يثير الحنق.

وما هو أسوأ من ذلك، أنني ربما أسهمتُ للتو في تشكيل من ستصبح قريباً نسخةً أخرى من تلك اللصة التي تفوقت عليّ.



## الفصل 11

# بيكان

**أدرك** الآن سر تسميته بـ «سليك» (الزلق).

تتقاطر من مفاصل يدي حبات العرق التي كانت تغطي فكه قبل أن أمسح وجهه بقبضتي بقوة. تلتخ دماء سليك يديّ، لتلسع مفاصلي المجروحة التي أنفضها بينما ندور حول بعضها في حلقة مفرغة.

يطلق الحشد صيحات السخرية، ليتردد صداها في القبو الضيق تحت الأرض. تضغط الوجوه – التي لا أملك ترف التركيز عليها – ضد الشبك المعدني الذي يفصلنا عن الجمهور الصاخب خارجه. الرهانات الليلة مرتفعة بشكل خاص، مما يزيد من جرأة المتفرجين لدرجة هز القفص أو الدوس بأقدامهم بتناغم مع قرقرة الرعد في الخارج. وبالنظر إلى الترقب الذي أحاط بنزالي ضد سليك بعد أن قضيتُ الليالي القليلة الماضية أهزم خصومه واحداً تلو الآخر، لم أكن لأتوقع أقل من ذلك.

يندفع نحوي فجأة، وأتخبط محاولةً العثور على صفة مناسبة لوصف ضخامته الهائلة. قد يكون سليك أضخم وأكثر الرجال زلقاً على الإطلاق – لكنه الأبطأ أيضاً –. أغوص متفادياً قبضته العملاقة التي يهوي بها نحو



رأسي، وأنجو بصعوبة من الثانية المصوبة نحو معدتي. ترتطم قدمي بجانبه العاري، وجسده صلب لدرجة أنني ربما ألحقتُ بنفسي ضرراً أكبر.

تطبق يد متعرفة على كاحلي قبل أن يجذبني بقوة مع أنه خشن. أفعال سليك متوقعة بقدر ضخامته تماماً. وبالساق التي لا تزال ثابتة على الأرض، أرفع ركبتي وأوجه ضربة إلى فخذه. عندها، لا يكفي بالأنين فحسب، بل يشاركه الحشد المحيط تأوهاً متزامناً تعاطفاً معه.

أدى هذا العراك إلى انزياح وشاحي الملفوف بإحكام فوق رأسي، مهدداً بكشف خصلة من شعري الفضي الفاضح. أراجع، وأنا ألهث بينما أضبط القماش حول وجهي. بعد ثلاث ليالٍ، يعد بقائي مجهولة الهوية معجزة بحد ذاتها.

ربما هي الإثارة التي تدفعني للعودة لطلب المزيد. هي، والمال.

تصطدم قبضة بأضلاعي، لتنتزع الهواء من رئتي. أترنح من شدة الارتطام، وأسعل مكتومة خلف القماش الملفوف حول وجهي محاولةً التقاط أنفاسي. يتقدم سليك نحوي ببطء، بابتسامة عريضة استجابةً لصيحات الحشد.

أعبس عند سماع الصوت. فهو المفضل لديهم في النهاية، ولا داعي لأخذ الأمر على محمل شخصي. من المؤسف أن الحشد لا يمكنه رؤية فتاة لم تبلغ الثامنة عشرة بعد وهي تبرح ضرباً رجلاً يكبرونها سنّاً وحجماً بالضعف. لكن من ناحية أخرى، لفت الانتباه هو آخر ما أحتاحه، مما يجعل هذه النزالات أكثر خطورة. يجب أن أبقى تلك المبتدئة المجهولة، مجرد لغز عابر يغذي النميمة المتهامسة في الشوارع.

لكنني لا أنوي الرحيل. أو الخسارة.

لقد جنيتُ من الفوز في هذه النزالات أكثر مما جنيته في شهر كامل من السرقة في إيليا. حتى مع بيع أدينا لملابسها، لم نتمكن يوماً من جمع ما يكفي لتحمل تكاليف غرفة حقيقية ومأكل. وخزة ألم تخترقني عند هذه الفكرة، رغم

أنها لا تمت بصلة للإصابات التي نلتها. إنها تطعنني في الصميم الذي يئن لفراقها - ذلك القلب الذي انكسر يوم رحلت - .  
من أجلك يا أدينا. كله من أجلك.

سليك مصرّ على القتال، ويمطرنني بضربات أكاد لا أراوغها. تصيب قبضته جانب رأسي، فتنفجر النجوم في مجال رؤيتي. أشعر بالبطء. والإرهاق...

والجوع الشديد. ما الذي كنت لأفعله الآن من أجل برتقالة واحدة. أهز رأسي، محاولة تصفية عقلي المشوش. ركزي الآن. الطعام لاحقاً.

لقد استنزفني سليك تمامًا. أحاول قراءته، محاولة استغلال قدرتي كمتبصرة للعثور على أفضل طريقة للإطاحة به بسرعة. كان والدي ليصاب بخيبة أمل من الوقت الطويل الذي أستغرقه في قراءته. يصد ضربتي الخاطفة قبل أن يندفع نحوي بقوة، ويدفعني بعنف ضد القفص. يهتز الشبك المعدني المرتخي، وبالكاد أستوعب هتافات الحشد في الخارج.

- «اقضِ عليه! اقضِ عليه! اقضِ عليه!»  
صحيح. كدت أنسى أنني «هو».

ملايسي الفضفاضة ووجهي المغطى ساعداً في حصر هويتي ضمن فئة الذكور. كنتُ سأشعر ببعض الإهانة لولا أن هذا هو تحديداً ما أردته.  
ركزي.

يضغطني ضد القفص الصديء، متأهباً بذراع عملاقة لضربي. عندما تنطلق قبضته نحو وجهي، ألتف إلى الجانب، لأراقبها وهي تسدد ضربة مدوية للمعدن حيث كان رأسي للتو.

إنه يقاتل بالجزء العلوي من جسده فقط.

وبالفعل، يجهز ذراعه مجدداً، مصمماً على إصابة هدفه بقبضته فحسب. مسلحةً بهذه المعرفة، تجد قدمي طريقها إلى باطن ركبته، موجهاً ركلة قوية لدرجة أنها أرسلت صدمة كهربائية في ساقي. يكتم سليك صرخة وهو يجثو على ركبة واحدة أمامي، قابضاً على ما يبدو أنه صابونة ركبة مخلوطة. يتردد صدى شهقة جماعية في الحشد عند رؤية بطلهم في هذا الموقف الضعيف. وتتحول تلك الشهقات إلى صخب أعلى بكثير عندما أوجه ركبتي إلى بطنه.

مرة. اثنتان...

وفجأة ألقى على الأرض.

لقد أمسك بساقي وأطاح بي أرضاً بقوة افتقرت لأي رشاقة قبل أن يرجح جسدي على أرضية الحلبة المبطنة بالكاد. أترنح واقفة، وعظامي تنن أماً بينما أندفع نحو الرجل الذي لا يزال جاثياً. ثم أستغل ساقه السليمة كدرجة سلم قبل أن يتاح له وقت لرد الفعل. أتأرجح بساقي فوق كتفيه، وأقفل ركبتي حول رقبته، وأستغل قوة اندفاعي لأهوي بنا معاً إلى الأرض.

ليست أجمل إطاحة نفذتها على الإطلاق.

أستعد للصدمة، مبقيةً ساقي مقللة حول رقبته، عاصرةً حنجرته. يتخبط بيديه خلفه بعمى، آملاً أن تضرب بشيء ذي أهمية. أستغل الفرصة لألتقط أحد معصميه، وأسحبه بقوة خلف رأسه وأثبتته على صدري.

هذه المرة يصرخ بالفعل. رغم أنها صرخة مخنوقة، بفضل ساقي التي لا تزال تخنق الصوت في حنجرته.

ينشد مرفقه وأنا أسحب ذراعه للأسفل بشكل غير طبيعي، ممددةً المفصل إلى أقصى حد. عرقه الغزير يضعني في موقف ضعيف بينما أكافح لمنع قبضتي من الانزلاق. أثبتته هناك، ألهث بينما يلتوي هو، وظهري يتصبب عرقاً ضد الحصيرة الخشنة تحتنا. يطبق الحشد على القفص، مهزهاً المعدن وصارخاً بكلمات لا أملك الطاقة لاستيعابها الآن.

استغرق الأمر تسع ثوانٍ حتى يضرب سليك الحصيرة بيده الحرة بقوة،  
مستسلماً لهزيمته.  
لقد فزت.

أفك تشابك أطرافي من جسد سليك، وأتدحرج مبتعدة عن بركة العرق  
التي ترسم حدود جسده اللاهث. تعبت أصابعي المؤلمة بالقماش المحكم حول  
وجهي قبل أن أقف ببطء، شاعرةً بعدم الاتزان. أمسح بعيني الحشد المهلل،  
شاعرةً برضا يفوق الوصف عن هذا المزيج من الهتافات المتفاجئة والوجوه  
العابسة لأولئك الذين راهنوا على خسارتي. أرفع يداً منتصرة في الهواء،  
مبتسمة بشفتين متشققتين لا يمكنهم رؤيتهما.

– «وها هو ذا. «شادو» (الظل) يفوز!»

أحول انتباهي إلى الرجل الذي يرفض الاعتراف بمدى إعجابه بي. يرفع  
رافائيل يداً، صارخاً بتنويعاً من جملة المعتادة فوق الحشد الصاخب.

– «إذا راهنتم على المبتدئ، فهذا يوم حظكم. أحضروا تذاكركم و...»

لا أكلف نفسي عناء الاستماع إلى بقية خطابه المكرر. بمجرد أن أستلم  
حصتي، سأمضي في طريقي وأنام بنوم عميق كما يفعل المرء على سطح  
منزل.

بضع ليالٍ أخرى فقط، وسأملك ما يكفي لسرير حقيقي.

الأمل في ذلك هو ما يجعلني أتشبث بآخر خيوط صوابي. أفرك مفاصلي  
المؤلمة، وأشق طريقي خارج الحلبة إلى كتلة الأجساد المحتشدة. تربت أياد  
على ظهري، وتتوالى التهاني على شكل مهمات مبهمة. هذه هي ذروة اللياقة  
بين هذا الحشد.

– «آه، شادو.» يومئ رافائيل مهنئاً، ويراقبني أشق طريقي نحو طاولته  
المتهاكة المغطاة بالتذاكر والعملات.

– «كيف أبلينا الليلة يا رافائيل؟»

وب «أبلينا» أقصدني أنا. أبقى صوتي خافتاً، وساعدني حلقي الجاف في  
جعله أكثر خشونة مما قصدت.

هز رأسه نحو الطاولة الفوضوية، وأطلق صفيراً منخفضاً:

- «بشكل جيد جداً يا فتى.»

ابتسمتُ رغم الشق الغاضب في شفتي، متجاهلةً الدم الذي بدأ يتجمع في فمي:

- «عن كم نتحدث؟ عشرين؟ ثلاثين؟»

- «على الأقل.»

نظر إليّ رافائيل بابتسامة ماكرة بينما التمع الشيب في شعره المدهون تحت الضوء المتردد.

- «ما رأيك في إثبات جدارتي إذن، همم؟»

قلتها بخبث، تماماً كما أفعل بعد كل انتصار.

- «أجل، أجل. اسمع، لديك مستقبل هنا يا فتى. الناس سيرغبون في رؤية المزيد منك بعد عرض الليلة.»

اعتدل في وقفته، وبدأ في عدّ العملات قبل أن يضعها في يديّ الجشعتين.

- «يمكنني أن أرتب لك نزالات بانتظام.» تابع بينما كنت أدس الفضيات في جيبتي. «لنفترض، نزالاً كل ليلة؟»

كانت ابتسامتي متعجرفة بما يكفي ليراهها في عينيّ:

- «ربما سأفكر في الأمر بعد سماع اعتذار عن تشكيكك بي.»

- «أنت شوكة في حلقي، هل تعلم ذلك؟»

كانت كلماته قاسية، لكن نبرته أبعد ما تكون عن ذلك.

- «حسناً. أنا آسف. هاه، هل أنت سعيد الآن؟»

فتحتُ فمي لأرد، لأخبره أنني أقبل اعتذاره المثير للشفقة وأتوقع حصة أكبر من الأرباح.

لكن ليس صوتي هو ما تردد في القبو.

لا، بل صوت يرسل قشعريرة حتى النخاع، رغم أنه كان يشعل دمي ذات يوم. كان يجعلني أتعلق بكل كلمة ويتوق قلبي للمرة القادمة التي أسمع فيها. أما الآن؟ الآن كنتُ آمل ألا أسمع ذلك الصوت البارد مجددًا. ألا أسمع صرامة الأمر التي تغلف كل كلمة، وتلك الحسابات الباردة التي تصاحب كل جملة ينطق بها.

ومع ذلك، ها هو ذا، قوي وواثق ومتعجرف اللعنة وهو يتسلل إلى أسفل عمودي الفقري.

– «إذن، هل «شادو» مستعد لجولة أخرى؟»  
لقد وجدني.



## الفصل 12

# كبريت

**هر** ما يقارب الأسبوعين.

لا، بالتأكيد أطول من ذلك. ربما.

أمسح بيدي على وجهي، الذي أصبح خشناً الآن ببقايا النسيان. لا أستطيع أن أتذكر متى حلقتُ ذقني آخر مرة، ناهيك عن آخر مرة خطوتُ فيها خارج هذا المكتب. حسناً، أسبوعان تبدو تخميناً آمناً. لأن هذا، على الأرجح، هو كل الوقت الذي يفصلني عما كان يوماً ما حياتي الطبيعية عن واقعي الحالي، رغم أنني لا أستطيع أن أتذكر تماماً ما حدث بين هذه الحياة وتلك التي عشتها من قبل.

يتناثر الورق على المكتب الذي اتخذته وسادة الليلة الماضية، ليغطي الخشب الداكن بحواف جارحة تنتظر من يلمسها. الأجفان المتدلّية تنتج خطأً فوضوياً، وأنا أرمق الحروف المائلة التي تحقق بي بغضب.

يا لها من كلمات غاضبة. يا لها من مرارة معصورة بين سطور الورق المجعد. من كان ليظن أنني قادر على مثل هذه القسوة، ومثل هذا الحزن المدمر؟

ربما كان أبي ليعجبه هذا الإصدار مني.



هذه الفكرة هي نوع مرير من الخيانة، همسة من الحقيقة تدغدغ أذني. لأن هذا - هذا الكيان المفرغ من الإنسانية وظل الوحش - هو تحديداً ما أراه. وليس تلك الدعة التي سخر منها، وليس لطف قلبي الذي اعتبره نقطة ضعفي الكبرى.

أمرر يداً ملطخة بالحبر على وجهي، أرسم خربشات بين خطوط بشرتي العميقة. تقع عيناى على خط متشابك لا يخص يدي، مدون على الورق القابع تحت مرفقيّ. يمكن تلمس قسوة كاي حتى في ميل حروفه، وفي ثقل الحبر. أنا لا أحسده. ليس حقاً. وليس عن قصد.

كان كاي هو الملك الذي أراه أبي. كان ذلك جلياً كنفورهما المشترك لبعضهما البعض. كاي يجسد كل ما هو وحشي، وجريء، ونذير شؤم - يجسد تماماً ابن الملك - . وأعتقد أن هذه كانت تحديداً المشكلة بينهما. كان أبي يكره أنه ليس الوريث. كان يكره أن الملك الذي يريده قد أحبط بوجود الابن الذي رزق به أولاً. لم أكن كاي، وهذا كان يقتله.

وأعلم أن جزءاً منه كان يمقت أخي لأنه كان كل ما لستُ أنا عليه.

أقف، شاعراً بالترنح تقريباً كالزفرة التي أطلقتها. كان المشي ذهاباً وإياباً نحو النافذة هو رحلتي الروتينية المثيرة طوال الأسبوعين الماضيين. لكن اليوم، اليوم أشعر بجرأة غير معتادة. اليوم أفتح الستائر قبل أن أندم فوراً على هذا القرار المتسرع.

يصيبني الضوء الباهت المتسلل عبر النافذة الغائمة بالعمى. وبين رمشة وأخرى، أمسح الساحات بالخارج، المنزل الذي شعرتُ فيه كرهينة في الآونة الأخيرة. تتجول عيناى نحو المكان الذي أعلم أن الأراضي المحرقة تمتد فيه بعيداً، إلى حيث أرسلتُ كاي ليعثر عليها.

هي.

أفكر فيها أكثر مما ينبغي. أكتب عنها عندما يعجز عقلي عن استيعابها. أتأمل كل تفصيلة في وجودنا المشترك القصير. كل كلمة مخادعة عن عمد.

إصرارها على التلاعب بي. أبي وتشجيعه المبطن لي لقضاء الوقت معها.  
المشاعر التي يصارعها كاي بينما يطاردها.

فيضان الأفكار يدفعني لسحب ورقة نظيفة نسبيًا من تحت أشقائها  
وشقيقاتها المشوهين.

وهكذا، تتسرب هي إلى الصفحة من جديد. تنويعه من الكلمات التي  
صغتها معًا من قبل. ملحمة من الخيانة، وسونيتة من الحزن.

لقد سئمتُ الكتابة من منظور الشرير.



## الفصل 13

# كاي

**لقد** وجدتها.

في خضم نزال لعين، من بين كل الأشياء. لم يكن عليّ أن أتفاجأ.  
- «اقضِ عليه! اقضِ عليه! اقضِ عليه!»

القبو رطب، ويتردد فيه صدى هتافات حشد متكدر. بعد أن شققتُ  
طريقي بين الأجساد المتعركة، تركتُ عينيّ تتجول فوق رؤوس بألوان باهتة  
متنوعة، ولا أزال غير معتاد على غياب الشعر الحيوي بينهم. حينها، وجهتُ  
انتباهي إلى الرجل الذي يدور في القفص، والذي يبدو ضخماً بشكل صادم  
مقارنةً بخصمه.

خصمه.

الذي يتحرك كالراقص، ليس دائماً بانسيابية، بل بحسابات دقيقة. وكأنه  
يتوقع كل خطوة، ويرسم كل حركة.

الذي يقاتل بنار مألوفة، وبشراسة تم إنكاؤها وصقلها لسنوات.

صاحب الوجه المغطى، والشعر المخفي، والهوية المستترة.

أعرف الوجه القابع خلف ذلك القماش. أعرف النمش الذي يزين ذلك  
الأنف، والشعر الفضي الذي يبرق في الشمس. أعرف الجسد النحيل المخفي



تحت طبقات من الملابس، يخفي الخصر الذي يتسع تمامًا ليدي، والأضلاع المندبة برمح في غابة الهمسات.

إنها هي.

– «وها هو ذا. «شادو» يفوز!»

شادو (الظل). ياله من اسم مناسب.

رغم أنني لا أستطيع رؤية وجهها، أكاد أشعر بالفخر يشع منها وهي تقف في الحلبة، رافعة قبضتها انتصارًا. بالكاد ركزتُ على النزال، كنتُ مستغرقًا تمامًا في إدراك أنها هي. لكنني ألمح الدم يتسرب عبر الوشاح الذي تلفه بإحكام حول رأسها ووجهها، لتخفي المجرمة القابضة تحته.

انتهى النزال بسرعة غير متوقعة. الحشد يصفق. «شادو» ترحل.

لا. أحتاجها.

الفكرة تكاد تجعلني أضحك بمرارة. قبل أسبوعين، كانت هذه الكلمات ستحمل معنى مختلفًا تمامًا، معنى لا أسمح لنفسني بالخوض فيه أكثر.

إنها تقف الآن بجوار المذيع، تجمع أجرها وما يبدو أنه مديحه.

فكر.

يجب أن أتبعها. يجب أن أتبعها وأباغتها. يجب أن أكون ذكيًا في هذا. كل ذرة من تدريبي تصرخ في وجهي للتعامل مع هذا الأمر بدقة وروية.

لكن أين المتعة في ذلك؟

سأتعامل معها بالدقة ذاتها التي تعاملت بها مع والدي.

أريد أن أراها تتلوى، وتتخبط للحفاظ على قناعها. ومع وجود جمهور تحت تصرفي، هويتها على المحك، مما يجبرها على التركيز عليّ وعلى الدور الذي تلعبه في آن واحد.

وعندها، فتحتُ فمي.

– «إذن، هل «شادو» مستعد لجولة أخرى؟»

كان الأمر وكأنني صرخت.

التفت رأسها باتجاهي بحماس شديد لدرجة أنني كافحتُ لتجاهل ذكرى  
كيف كانت تسترخي عند سماع صوتي. تجولت عيناها من وجه إلى آخر.  
تبحث. مذعورة. خائفة.

ثم ارتطمت تلك العيون المحيطية بعيني.

كانت هذه النظرة مشحونة بالكهرباء، رغم أنها لم تكن كما كانت. الرباط  
غير المرئي بيننا مشحون الآن بماضينا، وحاضرنا، ومستقبلنا - بكل ما كنا  
عليه ذات يوم وبكل ما نحن عليه الآن - إنه تناغم عدائي، فكلانا يدرك تمامًا  
ما نمثله لبعضنا البعض - لا شيء. مجرد قشرة لما كان؛ لما كان يمكن أن  
يكون.

كنتُ أرحب بفكرة الغرق في عينيها الزرقاوين. لكن الآن، عند رؤية  
الازدراء الذي تحديق بي به، أدرك أن الغرق وحيداً لم يكن ما أتوق إليه، بل أن  
نغرق معاً.

قال المذيع بصوت لم ينجح في فصل نظرتي عن نظرتها:

- «ومن قد تكون أنت؟»

ضاقت نظرتها فوق طيات القماش التي تخفي الوجه الذي أعرفه جيداً.  
تحدي أكاد أسمع صوتها الساخر يتردد في جمجمتي.

هيا. أخبرهم من أنت أيها الأمير.

أجبت، وعيناها لم تفارقا عينيها قط:

- «فليم (الذهب).»

فارقت عيناها عيني لوقت يكفي لتُدِيرهما. كانت ابتسامتي حادة، رغم  
أنها لا تستطيع رؤيتها خلف المنديل الذي يخفي الجزء السفلي من وجهي.

إذا كانت هي الظل، فأنا الذهب.

هذه الفتاة هي الشيء الوحيد الذي لا أستطيع الهروب منه - لا أستطيع  
الذهاب إلى أي مكان دون أن تتبعني بقاياها - . حيثما أكون، تكون هي. سواء  
بالجسد أو في شظايا عقلي.

وحيثما يوجد اللهب، يوجد الظل دائماً.  
إنها قدرتي المحتوم.

فرك المذيع مؤخرة عنقه، مفكراً:

- «حسناً يا فليم، لم نكن نخطط لنزال آخر الليلة...»

- «آه، بالطبع.» رفعتُ يديّ قليلاً، متظاهراً بالاعتذار. «أنا أفهم. لا يمكن لـ «شادو» التعامل مع نزال آخر الليلة. لن نرغب في أن يخسر سلسلة انتصاراته، أليس كذلك؟»

عندما انزلت عينا عائدتين إلى نظرتها الحارقة، ضاقت عينا قليلاً.  
تحذ من جانبي.

دورك يا «شادو».

أخيراً، كسر الحشد المسترق للسمع صمته بهمسات متناثرة. ألقى المذيع نظرة جانبية إليها، متحدثاً بمجلدات بهذه الحركة البسيطة. لقد حاصرتها في زاوية، مهدداً الصورة التي بنتها. سمعتها الآن على المحك إذا رفضت تحديي الواضح.

ثقت عيناها عيني، مهددةً بإشعال الناري. ثم أومأت برأسها، ببطء وثقة، وبحركة واحدة جعلت الغرفة تضج بالترقب.

- «يبدو أن لدينا نزلاً آخر أيها السادة!»

بالكاد سمعتُ صوت المذيع المجلجل وسط دقات الدم في أذني. بدأت قدماي تحملاني نحو الحلبة وكل لحظة تليها. كل لحظة تلي لمسي لها مجدداً.

- «دعونا نمح «شادو» استراحة قصيرة، أليس كذلك؟ هذا هو العدل.»

التفتُ برأسي باتجاه المذيع، وتوقفت قدماي. انتقلت نظرتي إلى الطيف الذي بجواره، الارتياح يمسح جبينها المجعد، وعيناها تمسحان الحشد. لأنها ستختفي.

ولا يمكنني السماح بحدوث ذلك.

ابتسم الرجل، مفكراً على الأرجح في كل عملة سيجنيها من وراءنا.

– «سنبداً قريباً.»

استأنف الحشد ثرثرته الجانبية، وبدؤوا بالفعل في المراهنة على بطلهم. لكن عينيّ لم تفارقا وجهها المغطى قط، رغم أنني حفظتُ كل شبر مما يكمن خلف طيات وشاحها. لو كنتُ أعرفها بشكل أقل، لربما لم ألاحظ العلامات. لربما فاتني الطريقة التي خطت بها خطوة عرضية حول الطاولة، مباشرة في مسار بعض المتفرجين المتجادلين. وكأنها مصنوعة من الظل حقاً.

خطوتُ خطوة نحوها، دافعاً الناس جانباً قبل أن تذوب في الفوضى. ولمحتُ تموج وشاحها، فانزلقتُ بين الأجساد، محاولاً اللحاق بها. استدارت الرؤوس بينما كنتُ ألعن بصوت خافت. ابتلعها الحشد بالكامل، لكنني شققت طريقي بقوة نحو باب القبو الذي أعلم أنها تتسلل نحوه.

أصدر الفولاذ صريراً، معلناً أنها على وشك الانزلاق في الليل. تبعثني الهمهمات وأنا أواصل شق طريقي نحو الباب، الذي لم يكن مفتوحاً إلا بما يكفي لمرور جسدها المألوف. دفعته وفتحته، ثم قفزت صاعداً الدرج إلى الظلام في الخارج.

طننتُ أذناي في الصمت المفاجئ بينما حاولت عيناي التكيف. صدى الخطوات الثقيلة المكتوم جعل رأسي يلتفت إلى اليمين قبل أن تبدأ قدماي بالركض.

بالكاد أستطيع تمييز الخطوط العريضة لطيفها قبل أن تنعطف إلى زقاق آخر. أنا أركض بأقصى سرعتي – الساقان تضخان، والقلب يقرع –.

لكنها لا تستطيع الهرب مني. وما يقلقني أكثر هو أنها تعلم ذلك.

أنا أقترّب منها، أتتبع كل انعطافاتها التي تهدف إلى تضليلي. ثوان معدودة تفصلنا عن المصير الذي وجدنا أنفسنا فيه. ثوانٍ معدودة قبل أن تطاردني خارج كوابيسي.

تنعطف حول زاوية أخرى، وأنا أتبعها.

... ظلام.

توقفتُ منزلقًا، ورأسي يدور باحثًا عن طيفها المظلل.  
لا شيء.

تمتمتُ تحت أنفاسي:

– «بحق الجحيم...»

وخطوت خطوات بطيئة عبر الحجارة. مسحتُ الجدران حولي قبل أن  
يتسلق بصري إلى السقف المسطح في الأعلى. تقبع نافذة في منتصف الطوب،  
لتكون بمثابة درجة سلم مثالية.  
وجدتكِ.

حشرتُ قدمي فوق حافة النافذة، وسحبتُ بقية أطرافي للأعلى حتى  
توازنتُ على الحافة. وقفتُ هناك للحظة، راحتاي متعرجتان وحلقي جاف.  
تباطأت الثواني. حتى الوقت بدا وكأنه يحبس أنفاسه تحسبًا للقائنا.  
ثم زفر. واستأنف الوقت سريانه. وقبضتُ أصابعي على حافة السقف  
لأرفع نفسي للأعلى.

أرجحتُ ساقي بحركة واحدة سريعة، ووقفتُ في اللحظة التالية.  
أولًا، لا يوجد شيء.

ثانيًا، هناك كل شيء.  
هناك هي.

– «تحرك، وسأغرس هذا الخنجر في قلبك.»

لا. هناك كراهية.

التمع ضوء القمر على النصل المستقر بين أصابعها. تقف متأهبة  
للانقراض، وذراعها مشدودة، وصوتها ثابت لا يرتجف.  
ذلك الصوت.

إنه كما كان تمامًا. لم يتغير أيّ منا، ومع ذلك، نقف هنا الآن كغريبين لا  
يعرف أحدهنا الآخر.

ابتلعت رريقي، وفتحت فمي لأتحدث...  
قالت بلهجة حادة:

- «وهذا يشمل شفتيك أيضاً.»

رمشت، مجاهداً لكبح سخرية لازعة كادت تفلت مني، بينما تابعت هي الحديث متجاهلة إياي:

- «السبب الوحيد الذي منعي من رمي هذا السكين حتى الآن، هو أن لدي عرضاً أقدمه لك.»

سايرتها يوماً برأسى إيماءة خفيفة، بينما اختلجت شفتاي بابتسامة خفية تحت المنديل.

خطت نحوي خطوة واحدة، دون أن تخفض سلاحها قيد أنملة، وقالت:  
- «نعود إلى القبو. نتقاتل. وأفوز أنا.»

وقبل أن أكمل سخرיתי حتى، طوت المسافة الفاصلة بيننا بلمح البصر. وكأنها تذكرني بتهديدها، شعرت ببرودة طرف النصل يُضغظ بقسوة على حنجرتي.

تابعت بهدوء مخادع:

- «أفوز أنا، وتدعني وشأني.»

أشحت ببصري نحوها، محققاً في وجهها الذي ابتلعتة الظلال. أردفت وهي تبتلع ريقها وتعديل قبضتها على الخنجر الذي لا يزال ينغرز في لحمي:

- «وإذا فزت أنت... سأعود معك بهدوء إلى إيليا.»

أزيز الصمت يملأ المكان. كأن القمر ينحني من عليائه متلصصاً لسماع إجابتي. تنحنحت،

وقلت:

- «هل يُسمح لي بالكلام الآن، أم أنك ستطعنيني؟»

حنيت رأسي مقترباً منها، متجاهلاً لسعة النصل على حنجرتي، وتابعت:  
- «أعلم مدى براعتك في ذلك.»

أطلقت زفرة حارة من أنفها، وقالت:

- «لك أن تتحدث، شريطة أن يكون حديثك قبولاً لعرضي.»  
قلت ببرود:

- «لم أدرك أنك في موقف يسمح لك بالتفاوض.»  
قالت:

- «يجب أن تكون ممتناً لأنني أكلف نفسي عناء ذلك من الأساس.»  
غمغمت وأنا أنتزع المنديل عن وجهي بشدة:

- «ولماذا أفعل؟ لم لا تنحرين عنقي وحسب؟»

بالكاد تمكنت من تمييز ملامحها، لكن الغضب المكتوم كان يغلي في  
نبرتها وهي تقول:

- «احذر مما تتمنى.»

اقتربت منها بدرجة تنذر بالخطر، وقلت:

- «لا يمكنك فعلها، أليس كذلك؟»

همست:

- «أنت من بين كل الناس يجب أن تعرف جيداً ألا تستخف بي.»

قلت:

- «إذن افعلها يا جراي.»

وميض فولاذي خاطف اتجه نحو معدتي، تاركاً عنقي مكشوفاً إلا من خط  
دم رفيع بدأ يتبرعم هناك. وجهت النصل في مسار مقوس نحو الأعلى، عازمة  
على تمريره بين ضلوعي لاختراق القلب الذي كان ينبض لها يوماً.

لكنها فعلت ذلك مسبقاً. لقد شوهدت بالفعل كل جزء مني لم يكن قد

استحال إلى وحش بعد.

وها أنا ذا أقف أمامها الآن، مجرد فسيفساء لرجل؛ حواف حادة وقطع مهشمة.

أمسكت بمعصمها، متوقعاً هذه الحركة بعينها. شهقت حين لويت ذراعها إلى الخارج، مما أتاح لي مساحة للاقتراب وملاصقة جسدها. همست في أذنها:

– «يا إلهي، هيا بحقك، لم تكوني جادة في تلك الضربة.»

غنى الفولاذ وهو يغادر غمده، مصدرًا فحيحًا مزق صمت المكان. ومرة أخرى، وجدت نفسي أحرق في طول نصل، استقر طرفه المدبب أسفل فكي مباشرة.

لم تحمل هذا الخنجر منذ أن غمدته في عنق الملك. كان يجدر بي أن أدرك أنها ستسله من الغمد المعلق على جانبي، ليعود مقبضه المألوف المزخرف بالدوامات إلى راحة يدها. لم يتطلب الأمر سوى لحظة إلهاء، وخفة أصابع لصة محترفة.

علا صدرها وهبط متلامسًا مع صدري مع كل نفس ثقيل.

همست:

– «لا تظن للحظة واحدة، أنني لن أكون سبب هلاكك.»

إنها خطيرة للغاية وهذا الخنجر بين يديها. لقد رأيت ما يمكنها فعله به، وسبق أن ضُغط على حنجرتي مرات كافية لأحفظ عن ظهر قلب مدى سماكة النصل وهو يخترق لحمي. السلاح عينه الذي نحر عنق والدي يقبع الآن على عنقي، تحمله قاتلته. تحمله هي.

ابتسمت بخفة وقلت:

– «أشك أن هناك دمارًا آخر بوسعك إلحاقه بي.»

شعرت بحرارة نظراتها تثقب عيني، رغم أنني لم أتمكن من تمييز سوى ملامح ظليلة في ضوء القمر. وكنت ممتنًا لذلك. ممتنًا لنعمة عجزني عن رؤيتها بوضوح.

لأن الظلام حين يحجب تينك العينين الزرقاوين المشتعلتين، يسعني  
التظاهر بأنها لا تعني لي شيئاً. مجرد طيف يعبق بعطرها، ويتحدث بصوتها،  
ويمنحني ذات الشعور بها. مجرد شخص غريب في هذا المكان الغريب، لن  
أراه مجدداً أبداً.

ولكن، ما إن تشرق الشمس، مسلطةً نورها على واقعي المظلم، فلن  
أتمكن من التظاهر بعد الآن. لن أتمكن من اختلاس ما أريد بينما يقيدني  
الواجب بطوق غليظ، يجرني جرّاً نحو مصيري.

أما هنا، فهي لا أحد.

وهنا، أنا لا شيء.

وهنا، نحن منسيان.

ارتجف الخنجر في يدها، ناكزاً بشرتي مع كل رعشة.

همست:

– «أنا أكرهك.»

هذا التذكير بافتقارها إلى المشاعر لم يزدني إلا حماقة مفاجئة؛ رغبة  
مباغثة في إنهاء ما بدأناه، بغض النظر عن كونه محتوماً بالفشل منذ البداية.  
لأن هنا، لا شيء يهم بيننا.

وبينما لا يزال أحد معصميه مقبوضاً في كفي، لضمان ألا يمزق السكين  
الآخر لحمي أيضاً، رفعت يدي الحرة نحو وجهها. بحركة بطيئة، بل وناعمة،  
كي لا أفزعها. حبست أنفاسي، ونبضات قلبي تفرع كطبول في أذني.

بدت وكأنها تسكن، وتذوب تحت ملمس أصابعي التي تسحب الوشاح من  
حول وجهها. احتبست أنفاسها، وتصلب جسدها ضد جسدي. مسحت بعيني  
وجهها المكشوف الآن، ولم أر شيئاً من الفتاة التي اهتمت لأمرها. الفتاة التي  
قتلت والدي. الفتاة التي أمرت بإعادتها إلى الوطن.

لم أر أياً من ذلك، لأنني لم أر شيئاً على الإطلاق.

إنها لا أحد.

أنا لا شيء.

نحن منسيان.

وهذا كله بلا معنى.

دستت خصلة من شعرها برفق خلف أذنها. خصلة اكتست بالظلام، لا بالفضة. خصلة تخص هذه الغريبة التي لن أراها ثانية.

غمغمت، خافضاً رأسي مقترباً لدرجة مكنتني من سماع شهقتها الحادة:  
- «لقد وعدت بأن تكوني هلاكي. لذا، أثبتني ذلك.»

مال وجهها صعوداً نحو وجهي، حتى تلامست أنفانا. لم تخفض خنجرها أبداً، ولا يزال طرف نصلها يسيل الدم من عنقي.  
كررت بصوت هادئ:

- «أثبتني ذلك. اكرهيني بما يكفي ليجعني أرغب بك.»

طوقت فكها براحتي، شاعرًا بنيران عينيها تحرق عيني، وأردفت:

- «دمريني.»

واصطدم فمانا.

تذوقت طعم الكراهية على شفتيها، والغضب المستعري في كل حركة. كانت ترسم وعداً، وتتركه عالقاً على شفتي. عهداً بهلاكياً. وقد بدأت به بالفعل.

قبلتني بقسوة، وعضت شفتي لتسيل الدماء منها، تماماً كالخنجر الذي لا تزال تضغط به عليّ. أحكمت قبضتي على معصمها الآخر الذي ما زال يقبض على السكين الصغير، بقوة كافية لجعل كفها تنفتح ويندلق النصل مصدرًا حشرجة على سطح المبنى المتعرج. ومع تحرر يدها الآن، رفعتها فوق كتفي، ووجهتها لتطوق عنقي.

تغلغلت أصابعها في خصلات شعري، بينما انغرزت أصابعي في خصرها. تجاهلت مدى أفتي لملمسها، وتجاهلت كل حاسة تصرخ في داخلي. لأن هذه غريبة. نحن لا نعني شيئاً لبعضنا البعض. وهذا يعني أن كل شيء مسموح.

كانت قبلة عميقة وأبعد ما تكون عن الرقة. كانت خيانة. كانت مرارة. وما من شيء تذوقته يوماً بهذه الحلاوة.  
إنها الدمار.

ابتعدت فجأة بنتره قوية، مُسقطه الخنجر الذي كان مضغوطاً على عنقي. دفعت صدري بقوة، وترنحت إلى الخلف، وأنفاسها تلهث. رمشت في الظلام، محاولاً تجاهل الثقل الكاسر للواقع الذي أطبق علينا.

قالت وهي تلهث:

– «إياك... ألا يتكرر هذا أبداً.»

لعلت شفتي، متذوقاً قطرة دم خلفتها عضتها. تمايلت على ساقين مرتعشتين، وراقبتها وهي تركز بصرها على السطح الفاصل بيننا. كانت الأنصال قابعة في طي النسيان عند أقدامنا، تغمز لنا في ضوء القمر الشاحب. تصلب جسدها عند رؤية ذلك. ثم انقضت.

تمكنت من التقاط خنجرها ذي الدوامات قبل أن تنتزعه، مجبراً إياها على الاكتفاء بالسكين الذي استقبلتني به. علا كتفاها وهبطا بقوة وهي تبتعد عني خطوة أخرى، وتدس النصل في حذائها الطويل.

لا تزال شفتي تنبضان بمذاقها؛ ويدي ترتجفان من أثر ملمسها. أخذت نفساً، مصدوماً من أفعالي. مصدوماً لأنني وجدت طريقة لتبريرها. مصدوماً لأنها رغبت في ذلك بقدر رغبتني أنا. كانت كراهية، ولكن الأمر حدث.

رفعت نظري لأجدها قد استعادت رباطة جأشها على ما يبدو، وتعيد إخفاء شعرها ووجهها في شرنقة القماش.

قالت بنبرة مستوية:

– «هل اتفقنا؟»

كما لو أن شيئاً لم يتغير بيننا. وبالفعل، لم يتغير شيء. لا تزال هي مهمتي، ولا أزال أنا وحشها. وما حدث بيننا، ماضياً وحاضراً، لم يكن سوى خطأ. زلة تقدير. شرارة بين غريبين في جوف الليل.

ولكن، عندما أدارت وجهها نحو أشعة القمر المنسكبة من سماء مرصعة بالنجوم، رأيت الفتاة التي دمرتني. تقاسيم الوجه الذي احتويته بين يدي، النمش الذي أحصيته عشرات المرات. اليدان اللتان غرسنا سيفاً في صدر الملك، وخنجرًا في عنقه.

والآن، لم يعد بوسعي التظاهر أبدأ.

سحبت المنديل لأغطي به وجهي وسرت نحو حافة السطح، قائلاً:

– «اتفقنا.»

انشق الحشد ليفسح طريقاً نحو القفص.

سبقتني في العودة إلى القبو بعد أن قفزت فعلياً من السطح هرباً مني. أخذت وقتي متسكعاً في طريقي إلى الداخل، محدقاً فيها عبر القفص السلكي، رغم أنها كانت تشيح بنظرها في أي اتجاه آخر عداي.

وما إن أغلق الباب خلفي حتى تعالت الصيحات المدوية. كان الحشد قد بدأ بالفعل في المراهنة على نتيجة النزال، صائحين بكلمات لا بد أنهم ظنوها تشجيعاً لمقاتلهم المختار.

لم تضيع وقتاً، وبدأت في الدوران حولي. هذه ليست الفتاة ذاتها التي قبلتها على السطح، وبدا الأمر وكأننا نلتقي مجدداً للمرة الأولى. رغم أن لم الشمل العلني الذي نخفي فيه كلانا هويته، ليس بالمشهد المثالي تماماً.

راقبتها ونحن ندور ببطء حول بعضنا البعض، كل منا يحاول استباق حركة الآخر. جفت الكلمات في حلقي، وعجزت عن النطق بشيء يعوض أسابيع الصمت التي طالت بيننا. لأن ما حدث على السطح بالكاد يُعتبر لقاءً. بالكاد يُعتبر أي شيء على الإطلاق.

قالت:

– «لقد استغرقت وقتاً طويلاً أيها اللهب.»

كانت كلماتها مشوبة بتسلية مريرة، خالية من أي مشاعر تركناها وراءنا على السطح.

جيد. نحن نتصرف كالمعتاد. كأعداء.

سألته:

- «في ماذا؟ العثور عليكِ أم في استعادة رشدي؟»

أجابت:

- «حسناً، من الواضح أنك لم تستعد رشدك تماماً، بالنظر إلى أنك

وطئت بقدمك هذه الحلبة. وأنا بداخلها.»

اختلجت يداها بجانبها، تتوقان للاشتباك مع وجهي.

كدت أضحك وأنا أقول:

- «يمكنني قول الشيء ذاته لك، أيها الظل.»

انخفض صوتي إلى همس لم أكن متأكداً حتى من قدرتها على سماعه

وسط صخب الحشود، رغم يقيني بأن عيني كانتا تصرخان باللقب في وجهها:

- «أم يجب أن أقول، المنقذة الفضية؟»

قالت، وتمكنت من لمح ابتسامة حادة تلمع في عينيها:

- «عليك أن تنتبه للسانك أيها الأمير. إلا إذا كنت ترغب في ابتلاعه.»

قلت بنبرة متمهلة:

- «هل كنت تتدربين على هذه الجملة الصغيرة؟ كما تعلمين، من أجل

اللحظة الحتمية التي أعثر فيها عليكِ؟ أم أنك...»

وجدت قبضتها طريقها إلى فكي. بقوة.

لم يتح لي حتى وقت لردة فعل، أو للمراوغة، أو لفعل أي شيء سوى تلقي

الضربة التي أطاحت برأسي إلى الجانب.

أجابت بنعومة:

- «لا، لكنني كنت أتدرب على هذا.»

بصقت الدم على البساط، مما استثار زئيراً من الحشود، وقلت:  
- «يبدو أنني لن أحتاج إلى تذكيرٍ بكيفية توجيه الكلمات بشكل  
صحيح. مرة أخرى.»

هذه المرة، انبطحت قبل أن تتمكن من كسر أنفي. تأرجحت ذراعها فوق  
رأسي، فاغتنمتُ فرصة انكشاف بطنها لأسدد لكمة خاطفة أسفل ضلوعها.  
ترنحتُ قليلاً قبل أن تطوي المسافة الفاصلة بيننا بقدمٍ منطلقة نحو صدغي.  
استدرتُ بجسدي، وصديتُ ركلتها دافعاً ساقها بعيداً عني.  
قالت لاهتةً، وهي تمطرني بوابل من الكلمات المتتالية التي بالكاد تمكنتُ  
من صدها:

- «هل أنت مستعد لتركي أرحل حين أفوز بهذا النزال؟»

إنها عنيدة كعادتها، وأقل إرهاقاً بكثير مما توقعت. يخامرني شك بأن  
وقتنا الذي قضيناه على السطح قد أجج تعطشها للدماء.

وبعد تبادلٍ للضربات - التي صدتُ في مجملها - هبطتُ بوضعية  
القرفصاء لتأرجح ساقها في هجمة كاسحة. قفزتُ، متفادياً بصعوبة محاولتها  
للإطاحة بي وطرحي أرضاً على الحصيرة. لكنها نهضت في لمح البصر،  
مستديرةً بركلة خلفية أرسلت كعبها منطلقاً صوب جمجمتي.

هذه المرة، تلقيتُ الضربة وصديتها قبل أن أقبض على ساقها.  
وباستغلال قوة اندفاع ركلتها، جعلتها تتقلب على الحصيرة قبل أن يتسنى لها  
أن ترمش. تدحرجت حتى اصطدم ظهرها بجدار القفص، فاهتز بقوة بينما  
تعالت هتافات الحشود الهادرة على الجانب الآخر.

مسحتُ بيدي الملطخة أصلاً بالدماء ذلك الخط القرمزي النازف من  
شفتي المشقوقة.

قلتُ لاهتاً وأنا أتقدم لأقف فوقها:

- «اسمعيني، هذا ما سيحدث تالياً. سوف ت...»

انطلقت كلتا قدميها بحذائيهما لتصطدما بمعدتي، وتسلبا الهواء من رئتي  
بالكامل. ترنحتُ من وطأة القوة المباغته للضربة، وارتطم ظهري بقوة بجدار

القفص. وفي غضون لحظة كانت قد انقضت عليّ، ويدها تستقران على كتفيّ  
و...

نحن نرقص في الهمسات.

يتسرب ضوء القمر الشاحب عبر الأشجار، منيراً تينك العينين اللتين  
تحديقان في عينيّ، تتلألآن كبركة بلون النيل أمتلك كل الاستعداد للغوص فيها  
برأسي أولاً.

ترسيني يداها، وتربطنا معاً بلمسة مترددة. ناعمة لكنها واثقة. ثابتة لكنها  
تبدو خجولة. لست واثقاً مما يعنيه ذلك، لكنني واثق من أنها راغبة فيه.

يداها تستقران على كتفيّ و...

وركبتها تُغرس بقسوة في معدتي.

مرة. مرتان. ثلاث مرات، قبل أن أسترد وعيي وأصد الضربة بذراع،  
وأُرجح الأخرى نحو فكها. ارتد رأسها إلى الجانب، فاغتنمتُ ثانية الصدمة  
التي منحنتني إياها. وفي النبضة التالية، كنتُ أحكم قبضتي على ياقة قميصها  
وأدفعها بقوة لتلتصق بسياج القفص.

حينها، سدّدت ركبتيها ضربة مباغته أسفل الحزام.

أطلق الحشد تأوهاً جماعياً متزامناً مع تأوهي.

قلتُ بصوتٍ مخنوق وأنا ما زلتُ أحكم قبضتي عليها:

– «أنيقة في أساليبك كالمعتاد.»

فاحتُ عبر أسنانها المطبقة بغیظ:

– «أوه، هذا لا شيء يا أمير. والآن، اخرج بحق الجحيم من حلبتي.»

ضحكتُ بفتور، ووجهي قريبٌ من وجهها، وقلت:

– «أوه، سأخرج بحق الجحيم من هذه المدينة الملعونة بحق الطاعون

طالما أنك سترافقيني. سأسحبك عودةً إلى إيليا إن لزم الأمر.»

قالت:

– «على جثتي يا أمير.»

أجبتها:

– «ذلك سيجعل الأمور أسهل بكثير بحق الجحيم، لذا صدقيني حين أقول إنني أفكر في الأمر ملياً.»

تصلب جسدها، وشعرتُ باللكمة التي أوشكت على تسديدها قبل حتى أن تتحرك. ثبتتُ يداي معصميهما على القفص، ضاغطاً إياها بقوة ضد الشباك المعدنية.

همستُ بالقرب من أذنها، وعيناها تراقبان الحشد الذي يستمتع بهذا المشهد لأبعد حد، قائلاً:

– «إليك ما سيحدث تالياً؛ سنُنهي هذا العرض الصغير، وستأتين معي بهدوء.»

اشتعلت عيناها بنظرة نارية، وقالت:

– «أنت لم تفز بعد.»

قلتُ وأنا أمرر يدي صعوداً نحو وجهها لأجذب القماش الذي يغطيه:

– «أوه، حقاً؟ كل ما عليّ فعله هو إفلات خصلة فضية واحدة من شعرك، وسيحاول كل من في هذه الغرفة قتلك طمعاً في الجائزة الضخمة الموضوعة على رأسك. وتغريني فكرة تركهم يفعلون ذلك بالضبط؛ فذلك سيجعل مهمتي أسهل بكثير.»

أكاذيب.

لدي أوامر صارمة بإعادتها إلى إيليا حية، رغم ما تدعيه الملصقات. لكنها بالتأكيد لا تحتاج بحق الجحيم إلى معرفة ذلك.

ابتسمتُ بوضوحٍ يكفي لترى الابتسامة في عيني، وقلت:

– «لذا، نعم، لقد فزتُ منذ الثانية التي خطوتُ فيها داخل هذه الحلبة.»

ابتلعتُ ريقها، وكانت تلك هي العلامة الوحيدة على القلق التي سمحت لي برؤيتها، وقالت:

– «أنت واثقٌ من نفسك بشدة بالنسبة لشخصٍ يخفي هويته هو الآخر.»

أجبت:

– «نعم، حسناً، ليست هناك جائزة موضوعة على رأسي.»

ردت:

– «أنت أمير إيليا. ستكون هناك دائماً جائزة موضوعة على رأسك.»

وبمجرد أن قالت ذلك، انتزعت المنديل عن وجهي.



## الفصل 14

# بيكان

**رؤية** وجهه تثير في نفسي شعوراً مربكاً يشبه وهم سبْقِ الرؤية (ديجا فو)، وكأنني أرى طيفاً من خيالي يتجسد أمامي.

بالكاد تمكنت من تمييز ملامحه فوق السطح، متدثراً بعباءة العتمة. وكان ذلك خطيراً.

خطيراً أن ادّعي أنه أي شيء آخر سوى الرجل الذي قتل والدي. كان ذلك مثيراً للشفقة. ومجرد إلهاء. ولن أسمح لنفسي بأن أكون بهذا الضعف مجدداً أبداً.

لكنني الآن أراه على حقيقته بالنسبة لي - ميتاً.

تلقي لحية خفيفة بظلالها على فكه الحاد، ويرافقها الدم المتسرب من شفته، ليذكرني بالكيفية التي عضضته بها. أنفض الفكرة عن ذهني، مقسمةً ألا أفكر فيها مجدداً.

ارتفع حاجباه الداكنان دهشةً، وعيناه الرماديتان تخرقان عيني. يبدو عليه مظهر خشن نوعاً ما، يشبه الوجه الذي ولعتُ به في الغابة بشكل مزعج. إنه - ويا للرعب - كما أذكره تماماً.



كل رمش داكن يحدد هاتين العينين الفضييتين. كل ارتعاشة في شفثيه المألوفتين للغاية. كل خصلة من شعره الفاحم تتساقط في أمواج فوق جبينه الأسمر. كل تفصيل فيه يستقر في مكانه المثالي، تمامًا كما تركته. رؤيته بهذا الحفظ المثالي، وكأنه الفتى الذي كنتُ أهتم لأمره، تبدو وكأنها سخرية لاذعة. وكأنها استهزاء بكل لحظة قضيناها معًا وانتهت إلى لا شيء.

بالكاد أستطيع تمييز الأصوات المكتومة في الحشد، وبالكاد أركز على الأصابع العديدة التي تشير إلى الأمير. لقد سمعتُ الشائعات في الشوارع. سمعتُ همسات عن المنفذ وهو يتسلل عبر المدينة بحثًا عن المنقذة الفضية، رغم أنني لم أكن متأكدة من صحتها حتى وقعت عيناى عليه.

الوامض (فلاش).

أطلق ذلك الوغد المغرور على نفسه اسم الوامض. النار التي تقابل ظلي. يا له من ابن عاهرة لا يُطاق...

فاجأتني لكمته التي استقرت في وجنتي. ارتد رأسي إلى الجانب بينما سرى الألم في وجهي ونزل إلى رقبتى.

من الواضح أنه لم يعد يتساهل معي.

وقبل أن أتمكن من رد الجميل، قبضت يده على ذقني، وأدار وجهي بقسوة نحوه مجددًا.

– «كان هذا خطأ يا عزيزتي.»

عزيزتي.

أصبح اللقب الآن مجردًا من أي مودة، وخاليًا من أي تعاطف.

وحين جذبت يده القماش الذي يغطي أنفي وفمي إلى الأسفل، فعلتُ أرقى شيء يمكنني التفكير فيه.

عضضته.

هسيس كاي عبر أسنانه وهو ينزع يده بعيدًا عن ابتسامتي الشريرة:

– «سحقًا! بحق الجحيم، ماذا كان هذا؟»

دفعته بقوة نحو منتصف الحلبة.

– «ماذا؟ أليس راقياً بما يكفي لك؟»

وجهتُ له لكمة أعلم مسبقاً أنه سينحني ليتفادها. وحين سدد ضربة نحو معدتي، أمسكتُ بمعصمه بينما التفتُّ خلفه لألوي ذراعه بقسوة ضد لوح كتفه. سحب نفساً عميقاً، وعض على لسانه ليكتم الألم الذي أعلم أنه يمزق ذراعه. قال من بين أسنانه المطحونة:

– «من المذهل أن تصرفاتك لا تزال تفاجئني.»

قبل أن يشبك قدمه خلف قدمي ويسحبها، لي طرحني ذلك الوغد أرضاً على الحصيرة. كان يعتليني قبل أن أتمكن من التقاط أنفاسي، ويثبت ذراعيّ تحت ركبتيه. تلويتُ تحته بينما كان يقبض على الوشاح الذي لا يزال يغطي شعري الخائن.

– «تحركي مجدداً – عضي مجدداً – وسيرى الجميع لون شعرك

الفاتن.»

كنتُ ألهث، وأغلي غضباً، وأبحث بجنون عن مخرج من هذا المأزق.

– «حسناً. سأتي بهدوء. لكن علينا إنهاء هذا النزال.»

أرخيتُ جسدي، متصنعةً الاستسلام.

– «دعني أستسلم.»

حركتُ يدي المحتجزة تحت ركبته. رمقني بنظرة متشككة قبل أن يرفع الضغط ببطء عن ذراعي. ثم حركتُ يدي إلى الجانب، مانحةً الحشد رؤية واضحة لراحة يدي التي أوشكتُ أن أصفع بها الحصيرة.

لكن بدلاً من أن أضرب الحصيرة، استقرت يدي على وجهه.

أطلق سلسلة من الشتائم بصوت عالٍ، ولم يضيّع ثانية واحدة قبل أن يثبت معصمي فوق رأسي. ابتسمت. لقد أرخت ساقاه قبضتهما بما يكفي لأدفع ركبتي إلى أعلى وأصيب فحذه مرة أخرى. أن متألماً، لكنني كنتُ بالفعل أستغل تشتت انتباهه وساقبي الحرة لأقلبنا معاً.

ألقيتُ بوزني بالكامل فوق صدره بينما سحبتُ النصل القصير الحاد من حذائي. السلاح ذاته الذي كان يجب أن أغرسه في صدره في اللحظة التي تسلق فيها السطح. انحنيتُ بالقرب من وجهه لأخفي السلاح غير القانوني، وضغطتُ بالسكين على وجنته. الصدمة التي انزلت عبر قناعه البارد اللامبالي، واستقرت في عينيه المتسعيتين، جعلتني أبتسم وأنا أنظر إليه.

– «هل ستقطعيني إربًا؟ هنا، في غرفة مليئة بالشهود؟»

كان صوته ثابتًا، لكنني كنتُ أشعر بنبضات قلبه الخائنة تضرب بقوة ضد أضلاعه حيث تضغط ساقي.

– «كان يجب أن تقتليني على السطح.»

جرحتُ بشرته بمجرد ذكره لما كان يجب ألا يحدث بيننا أبدًا.

– «كان ذلك ليوفر عليّ بالتأكيد عناء القيام بذلك لاحقًا.»

رفع رأسه قليلًا عن الأرض، ضاغطًا بالنصل بقوة أكبر على بشرته؛ يتحداني، ويختبرني:

– «هيا إذن. افعليها. لن تكون هذه المرة الأولى التي تريقين فيها دمًا ملكية.»

تنقلت عيناه بين عينيّ، وبدا وكأنه مسكون بمجرد رؤيتي. برؤية قاتلة والده التي توشك أن تصبح قاتلته هو الآخر. تساءلتُ في شُرود عما إذا كان يطيق حتى لمسي، أو أن تلامس يداه المغطاتان بدماء والده يديّ. تساءلتُ عما إذا كان بالكاد يستطيع النظر إليّ في الضوء دون أن يرى الطريقة الوحشية التي مات بها والده.

لأنه هذا تمامًا ما يمثله هو بالنسبة لي. تذكيرًا دائمًا بمصير والدي. تأمل بمرارة:

– «هيا، أيتها المنقذة الفضية، كوني سبب هلاكي.»

وهذه المرة، سأفعل. سأفعل ما كان يجب عليّ فعله على ذلك السطح. أصبح المقبض زلقًا في راحة يدي المتعركة.

افعلها. تبا للعواقب، وللحشد، وافعلها.

أخبرت نفسي أنني لن أتردد مجدداً. ومع ذلك، ها أنا ذا. حياته ملقاة بين يديّ الملطختين بالدماء بينما يتصارع عقلي وقلبي على السيطرة.

افعلها. الآن.

جف حلقي. ودق الدم في أذنيّ، ليغرق أصوات الحشد الهادر وأي فكرة عقلانية متبقية. شددت قبضتي على المقبض، وسحبت يدي قليلاً للخلف استعداداً لغرس النصل...

فجأة، أمسكت يد خشنة بمعصمي؛ اليد التي كنت منشغلة جداً عن ملاحظة انزلاقها من تحت ساقي. دفع ذراعي بعيداً عن حنجرتي التي تنزف بالفعل بينما ارتفعت يده الأخرى لأعلى، ولأعلى، ولأعلى...

لا، لا، لا...

كنت عاجزة عن منعه من تمزيق الوشاح عن رأسي.



## الفصل 15

# بيكان

**تأثر** الشعر الفضي من القماش، باهتاً في الضوء الخافت ولكنه كافٍ لتحديد هويتي بلا شك.

همس:

– «احذري يا جراي. بدأتُ أظن أنك تهتمين لأمرى.»

سرت شهقات الصدمة بين الحشود، وتحولت الهمسات إلى أصابع تشير واتهامات تُصرخ.

لا، لا، لا.

حتى لو تمكنتُ من الهروب من المنفذ، فلا يمكنني الركض بعيداً عن كل شخص في دور. والآن بعد أن رأوا شعري، وعرفوا أنني هنا، لم يعد بإمكانني القتال في الحلبة. ولم يعد بإمكانني كسب ما يكفي من المال للبدء من جديد.

ومض شيء يشبه التسلية في عينيه، مما جعلني أندم على عدم شق حنجرته حين سنحت لي الفرصة. وقد سنحت لي هذه الفرصة بالتأكيد، أكثر من مرة.



كان صوتي بالكاد يعلو عن الهمس، حتى وأنا أكافح لأدفع نفسي خارج قبضته:

- «أيها الوغد.»

فجأة، قبض بيديّ الخشتين على معصميّ، وسحبني أقرب إليه بينما انزلق الخنجر من راحة يدي المتعركة. كدتُ أتهاوى فوق صدره قبل أن يقترب فمه من أذني ويهمس:

- «ماذا ستفعلين الآن، هم؟ لن تخطي خطوة واحدة خارج هذا القفص قبل أن تُمزقي إربًا...»

وقبل أن تكتمل كلماته، تردد صدى صيحات ساخرة بين الحشود:

- «أوه، اخرجي أيتها المنقذة الفضية الصغيرة!»

- «هذه هي التي تساوي كل هذا المبلغ؟»

- «مخلوقة صغيرة وجميلة تساوي ثروة طائلة، هاه؟»

بدأ الناس يهزون القفص الآن، يصرخون في وجه المنقذة الفضية المذهولة. فقلتُ وأنا أكاد أكشر عن أنيابي في وجهه:

- «ملاحظة رائعة أيها الأمير. يمكنك أن تمرر نفسك كمتبصر. لقد كان بيننا اتفاق.»

رد ببرود:

- «وقد فزتُ أنا.»

سخرتُ منه قائلة:

- «أوه، أهذا ما تسميه الآن؟ وكيف تخطط بالضبط لإخراجي من هنا إذن؟ بحق الجحيم، لماذا فعلت ذلك؟»

ابتسم. كانت رفعة بسيطة ورقيقة لشفتيه، لكنها بدت كلكمة في المعدة. كأن قطعة من الماضي تتسلل إلى حاضري. كأنها قطعة منه لم أظن أنني سأشدها مجددًا.

أجابني بهدوء:

- «لأنني كنتُ بحاجة لأن تحتاجي إليّ.»

اختنقتُ بضحكة جافة لا مرح فيها:

- «وتظن أن اليوم هو اليوم الذي سأقرر فيه فجأة أنني أحتاج إليك؟»

- «أظن أن اليوم هو اليوم الذي لا تملكين فيه أي خيار آخر.»

بدأ يعتدل في جلسته، ويدي لا تزالان محكمتين بين أصابعه رغم محاولاتي الدؤوبة للإفلات.

- «الطريقة الوحيدة لتخرجي من هنا قطعة واحدة هي بوجود المنفذ إلى جانبك. إلا إذا كنتِ تظنين أن المنقذة الفضية قادرة على الإطاحة بكل شخص في هذا القبو؟ حينها، تفضلي افعلي ما بدا لك.»

رمقته بنظرة غاضبة - ملاذي الأخير حين أرفض قول ما يريد سماعه - لأنه لا يُطاق، ولا يُحتمل، ومحق بشكل مزعج. المنفذ هو طريقي الوحيد للخروج من هنا. ولكن مراوغة شخص واحد أسهل بكثير من مراوغة هذه الغرفة المكتظة بأكملها.

سأستخدمه لأخرج، ثم سأتولى أمره بمفردي.

ابتلعتُ ريقِي، وحلقي جاف وأنا أحاول ابتلاع كبريائي المتضخم:

- «حسنًا، أخرجني من هنا.»

قال بسخرية مبطنة:

- «ها هي ذا أخلاقك الحميدة تطل برأسها. لكن ربما تحتاجين إلى

النزول عن حجري أولاً، إن كنا نخطط للمغادرة في أي وقت قريب.»

جفلتُ، واحترقت وجنتاي حين أدركتُ فجأة أنني جاثمة فوق حجره،

ويدي مثبتتان للأسفل. إنه قريب جداً، وملمسه مألوف جداً. لا أطيق هذا، لا أطيقه هو. ولهذا السبب انزلتُ عن حجره بخفة مفتعلة لأقف بجانبه.

أفلتَ إحدى يديّ، لكنه عوّض عن ذلك بإحكام قبضته على الأخرى بقوة

أكبر. استدار ليواجه الحشد، وقال بصوت حازم:

- «سأخذ المنقذة الفضية معي، ولن يسبب لنا أحد هنا أي مشاكل.»

انفجر الحشد غضباً، وهو ما رفض المنفذ حتى الاعتراف به، وتابع بنبرة تقطر سلطنة:

– «بصفتي منفذ إيليا والرجل الثاني للملك، فهي ملكي. ملكي أنا. مما يعني أن أي شخص يجرؤ على وضع يده عليها، سيتعلم بنفسه مدى وحشية النخبة.»

ساد صمت مطبق.

كان القبو يغرق في الصمت، مما لفت انتباهي إلى الرنين في أذني. تمللتُ بانزعاج، أدير الخاتم في إبهامي بينما تتسرب كلماته إلى عقلي.

«إنها ملكي.»

كتمتُ سخرיתי، ومسحتُ الغرفة بنظري بدلاً من ذلك. كان الخوف يختبئ بين الحشود في هيئة عيون زائغة وحواجب مقطبة. مهما كانت مشاعرهم تجاه إيليا، فإن رعبهم أعمق من كراهيتهم. مجرد احتمال هطول غضب أحد النخبة عليهم جعل خيالاتهم تشطح. أشك أن معظمهم قد التقى بشخص من إيليا أصلاً، ناهيك عن سماع أي شيء سوى الفظائع عن أولئك السكان الأقوياء المعزولين خلف الصحراء.

إنهم حتى لا يعرفون ممّ يخافون، وما الذي يستطيع النخبة فعله. وما الذي يستطيع هو فعله.

لا يمتلك المنفذ قدراته إلا حين يكون هناك آخرون ليستمدّها منهم، رغم كونه سلاحاً في حد ذاته. ومع ذلك، فهم ينكمشون رعباً من إمكانية استخدام قوته، ومن التهديد الذي يمثله أحد النخبة سيئ السمعة.

ربما يكمن نصف الرعب في المجهول.

لقد استخدم جهلهم ضدهم.

همس وهو يمد يده إلى باب القبو:

– «ابقِ قريبة، أو لا تفعلي. حياتك هي التي على المحك.»

قاومتُ الرغبة في قلب عينيّ بينما أحاول في الوقت ذاته تجاهل حقيقة أنني أبدو وأشعر كطفلة صغيرة. لقد جعلني ألتصق به، ليس بدافع الحماية، بل بدافع شيء أكثر افتراساً. إنها الهيمنة التي تشع منه والتي جعلت الناس يتفرقون لفتح طريق له، يحدقون به وهو يقود الفتاة التي تساوي ثروتهم خارج الغرفة.

تتبعتنا العيون صعوداً على الدرج وإلى العالم فوق القبو. كانت الشوارع مظلمة في جوف الليل، ونسيم دافئ يداعب شعري المسدل. قاومتُ تنهيدة كادت تفلت من شفتيّ عند شعور الريح وهي تقبل فروة رأسي. هذا أقصى شعور بالحرية اختبرته منذ أيام. أعادتني سحبة قوية من ذراعي إلى واقعي البائس. لستُ حرة على الإطلاق.

قال:

– «من هنا أيتها المتبصرة الصغيرة. لا وقت للنزهات تحت ضوء القمر الليلة.»

تحفرتُ من اللقب الساخر:

– «إذن، ما هي الخطة؟»

ألقي نظرة حائرة من فوق كتفه وهو يسحبني إلى شارع ضيق:

– «أتعلمين، أنا أحاول ألا أجعل من إطلاع المجرمين على خططي عادة.»

سخرتُ قائلة:

– «أنت تعلم جيداً أنني كنت مجرمة قبل فترة طويلة من تلك التصفية النهائية. ومع ذلك...» – ابتسمتُ بمكر وأنا أرى كتفيه يتصلبان – «أذكر أنك أطلعتني على ما هو أكثر بكثير من مجرد خطتك.»

لقد عرفتك. عرفتُ ماضيك، وحاضرِك – ومستقبلِك الذي كنا من الحماسة بحيث ظننا أنني سأكون جزءاً منه.

استدار، مجبراً إياي على الانزلاق للتوقف قبل أن يصطدم وجهي بصدرة:

– «أعلم.»

كان صوته هادئاً، وحزيناً بطريقة جعلتني أتململ.

– «وأنا أحاول ألا أجعل من تكرار نفس الأخطاء عادة.»  
الأخطاء.

كانت الكلمة البسيطة كصفحة على الوجه، مهما كانت مناسبة. لأن هذا بالضبط ما كان عليه الأمر – خطأ –. كل جزء من أنفسنا تشاركناه في نظرات صامته وقصص مهموسة تحت أشجار الصفصاف لم يساهم سوى في موتنا البطيء. والآن يمكننا إضافة السطح إلى تلك القائمة المتزايدة من الأخطاء.

كنا غير مثاليين لبعضنا البعض بشكل لا مفر منه.

حثني وهو يكاد يجرنني في الشارع:

– «هيا، يمكنك الإسراع، حتى مع حركة قدميك المتعثرة تلك.»

رددتُ عليه بينما أتعثر حين يسحبني حول زاوية متداعية:

– «ربما لم تكن لتكون متعثرة هكذا لو تركتني أثبت قدمي على الأرض.»

– «هل تفضلين أن أحملكِ على كتفي؟ ليس وكأنني لم أفعل ذلك من

قبل.»

– «لا، لا أفضل...»

انزلتُ للتوقف في منتصف جملي، وفي منتصف تخطيبي، قبل أن أثبت قدمي بأفضل ما أستطيع ضد سحبه المستمر.

ربما أفضل حقاً أن يحملني على كتفه.

قلتُ ببساطة:

– «لن أتزعج من مكاني حتى تخبرني بما يجري.»

استدار ببطء، وتسلية خفية تختلط بالانزعاج الذي يشد زاويتي فمه:

– «أحقاً؟»

سحبتُ يدي التي لا تزال أسيرة في قبضته التي لا تلين:

– «أجل. لذا أقترح أن توفر علينا بعض الوقت وتطلعني على مصيري.»  
ضحك بمرارة:

– «ألسـت مجرمة تتصرف وكأن لها حقوقاً؟»

– «وألسـت أنت تدعي الفضيلة بينما لست أفضل حالاً؟»

حدقنا في بعضنا البعض، ولا زلنا متصلين بيده الخشنة التي تطوق يدي. بدت خطايانا غير المنطوقة تتمدد بيننا، لتبتلع الكلمات التافهة التي تحترق في حلقي. نحن متشابهان، هذا المنفذ وأنا. كلانا متبلد الإحساس، كلانا مثقل بالهموم، وكلانا ملطخ بدماء والد الآخر.

لم يبدُ نخبة وعادي متماثلين إلى هذا الحد من قبل.

كانت كلماته التالية خطيرة برقة وبطريقته المدمرة تلك:

– «كل ما فعلته كان من أجل الملك، وأنت من قتله، لستُ أنا.»

اقتربتُ منه قائلة:

– «أنا قتلتُ أباً. وكذلك أنت.»

تقطبت حواجه، ورسمت الحيرة خطوطها بينها:

– «ما الذي —»

تراخت قبضته، وسقط دفاعه، ولم أفكر مرتين قبل الاستفادة من تشنته. في حركة واحدة رشيقة، استدرتُ ليصبح ظهري ملاصقاً لصدره، وشبكتُ ذراعي الحرة تحت كتفه. وبمزيج من الاندفاع وصدمة البالغة، جعلته ينقلب فجأة من فوق كتفي.

لم تكن إسقاطه سلسلة تماماً، والطاعون يعلم أن والدي كان سيرفع

حاجبيه بتلك الطريقة التي اعتادها دائماً أثناء التدريب. ففي النهاية، هو من

علمني كيف أسقط رجلاً يبلغ ثلاثة أضعاف حجمي، لذا فإن العشوائية التي

تدحرج بها المنفذ فوق كتفي للتو كانت ستجعله يهز رأسه بتلك الابتسامة

المحبطة.

ارتطم الأمير بالأرض مطلقاً سيلاً من الشتائم. انقضضتُ عليه قبل أن  
تدق نبضة قلبي التالية، وسحبتُ آخر نصل رفيع من حذائي:  
- «هل ظننت حقاً أنني لن أحتفظ بسكين أخرى معي؟»  
قلتها لاهثة، وأنا أضغطها على أضلاعه.

غاص شيء حاد في ظهري، فارتجفتُ من الشعور المألوف لنصل يوخز  
عمودي الفقري. أنا أصبح مهملة. ليس لدي أدنى فكرة من أين أتى السلاح، أو  
متى سحبه، وافتقاري للتركيز أمر مرعب.  
أسفة يا أبي.

حدقت عيناه في عيني، تحترقان كالكلمات غير المنطوقة التي تحاول شق  
طريقها من حنجرته:

- «هل ظننت حقاً أنني سأستخف بك بعد كل ما فعلته؟»  
صرختُ، وفاجأني صوتي الذي خرج أقسى بكثير مما أردت:  
- «هيا! قلها. قل ما الذي فعلته.»

ارتفع صدره وانخفض تحتي:

- «لقد قتلت الملك.»

هزرتُ رأسي رافضةً، وعيناي لم تفارقا الخيانة في نظرتة:

- «أجل. قتلتُ الملك. لكن الأهم من ذلك، أنني قتلتُ طاغية شريراً. قتلتُ  
رجلاً قتل أعداداً لا تحصى. قتلتُ رجلاً حاول قتلي لمجرد أن القوة لا تسري في  
عروقي.»

أخذتُ نفساً عميقاً، وكشرتُ عن أسناني فوقه.

- «لكنني أنسى شيئاً آخر. ما الذي قتلته أيضاً أيها الأمير؟»

ارتجفتُ تفاحة آدم في حلقه:

- «لقد قتلت... والدي.»

همستُ، ومررتُ السكين فوق معدته، مما جعله يقطب حاجبيه:

- «وهذا شيء آخر يجمع بيننا. هل يجب أن أغرس هذا النصل في صدرك كما فعلت أنت بوالدي؟ يبدو هذا مناسبًا تمامًا، ألا تظن؟»

هز رأسه رافضًا، وعدم التصديق يغمر ملامحه:

- «والدك...؟ أنا لم...»

اتسعت عيناه قليلاً بشيء يشبه الإدراك.

- «كم سنة؟ منذ كم سنة قُتل؟»

رفضتُ أن أصدق أنه لم يكن يعلم من سلب حياته في تلك الليلة. رفضتُ أن أصدق أنه لم يكن يخدعني طوال هذه الأشهر، ويوقعني في فخ الثقة به بعد كل ما سلبه مني. رفضتُ أن أصدق أنه لم يكن يعلم أنه حطم قلبي في الليلة التي غرس فيها سيفه في قلب والدي.

خرج صوتي كالنعيق، وكلماتي لا تكاد تتجاوز الهمس:

- «خمس سنوات. في منزلي. لقد رأيتك تقتله.»

هز رأسه نحوي، والرعب يتسرب من شقوق قناعه، ومن صدوع جدران المنهارة:

- «بيدن، أنا-»

كانت هذه هي المرة الأولى التي ينطق فيها اسمي، وجزء مثير للشفقة مني كان يود سماعه يقوله مجددًا. لكنني لم أحصل حتى على فرصة لسماع أي شيء يقوله بعد ذلك.

- «إنه هنا!»

تردد صدى صرخة لا يمكن أن تعود سوى لجندي إمبراطوري بين الجدران، تلاها دوي أقدام دزينة من الأحذية. ارتفعت عيناوي نحو الصوت، لأجد ظلالاً تقترب. ثم نظرتُ إليه مجددًا. فتح فمه ليقول شيئًا، لكنه لم يطلق سوى أنة مخنوقة بدلًا من ذلك.

منحني القطع النظيف في كتفه بضع ثوانٍ، ولم أجرؤ على تضييع ثانية واحدة منها.

بدأتُ أركض مجددًا، كما أجد نفسي أفعل دائمًا.  
ولم ألتفت خلفي.



## الفصل 16

# كلامي

**كلمة** "مصيبة" لا تقترب حتى في وصف هذه الفتاة.

لقد جعلتني أركض في شوارع غير مألوفة، وأتعثر فوق أحجار غير مستوية في ظلام خانق. يدي ملطخة بالدماء، ومضغوظة على الجرح السطحي المثير للدهشة الذي قدمته لي كهدية وداع.

لقد سنحت لها الفرصة لقتلي. أكثر من مرة.

ومع ذلك، ورغم كل حديثها عن شق حلقي، فقد فشلت في فعل ذلك مرات عدة الآن. من ناحية أخرى، فشلت أنا في الوفاء بوعدتي بغرس خنجرها الخاص في ظهرها، رغم أنني ألقى باللوم في ذلك على الأوامر الصارمة التي تلقيتها بإبقائها على قيد الحياة.

كنت ألهث في هذه الحرارة الملعونة التي تخنق المدينة باستمرار. انعطفتُ نحو شارع فارغ، وكدتُ أصطدم بأحد رجالي قبل أن أشير له بالانعطاف يساراً بينما أتجه أنا يميناً. حتى مع انقسامنا نحن الثلاثة عشر، نجحت في مراوغة كل فرد من رجالي لنحو نصف ساعة.

كلمة "مصيبة" لا تفيها حقها.



يمد القمر أصابعه الشاحبة عبر المدينة، ليغمر كل شيء بتوهج باهت لم يساعدي قط في العثور عليها. إذا كانت الظلال صديقتها، فإن القمر قد يكون شريكها في الجريمة؛ بأشعته الفضية التي تنساب عبر دمائها لتصبغ الشعر الذي يخفيها في ضوء القمر.

انعطفتُ في زاوية أخرى، جافلاً من الجرح في ذراعي. كانت قدمي تقرران الطريق غير المستوي تماماً كالأفكار التي تتسابق في عقلي. تتردد كلماتها في رأسي، لتسرق تركيزي من الشوارع التي يفترض أن أبحث فيها.

«لقد رأيتك تقتله.»

خمس سنوات.

قبل خمس سنوات، قتلتُ للمرة الأولى. قبل خمس سنوات، غرستُ سيفاً في صدر رجل للمرة الأولى. قبل خمس سنوات، راقبتُ رجلاً ينهار على الأرض قبل أن أهرب من أولى جرائمي العديدة.

قبل خمس سنوات، كان والدها هو ضحيتي الأولى.

كيف علمت هي بهذا، بينما لم أكن أعلم؟ ولماذا أرسلتُ لقتله في المقام الأول؟ ربما هي مخطئة. ربما تبحث عن سبب آخر لتمقتني. أستعيد تلك الليلة المروعة، الليلة التي فرضت عليّ مصيري. أكاد أرى الغرفة، والدماء، وارتجاف يدي...

الغرفة.

كدتُ أتعثّر حين صدمني الإدراك.

منزلها. المنزل الذي أحرقتة وسويته بالأرض. تلك الغرفة التي كنتُ أقف فيها...

لم تكن تلك المرة الأولى التي أتواجد فيها هناك. بدأت القطع تتجمع في مكانها، لترتبط بين ذلك المنزل المظلم حيث خضتُ مهمتي الأولى، والمنزل الذي أضاءته أسنة اللهب.

لقد كنتُ أنا. أنا من قتل والدها—

لفتت حركة مفاجئة رأسي نحو الظلال المتحركة.

عرفتُ أنها هي حتى قبل أن ألمح طيفها يندفع عبر زقاق. كان سكين الرمي في يدي، وموجهًا نحوها قبل أن تتمكن من الذوبان مجددًا في الظلام. كانت صرختها مكتومة، وكأنها بالكاد تملك الطاقة للتعبير عن ألمها. أخذتُ وقتي في المشي نحوها، أراقبها وهي تنهار ضد جدار متسخ قبل أن تنزلق إلى الأرض تحته. كانت تلهث ألمًا ويدها الملطخة بالدماء تضغط على الجرح الذي كان يلتئم وأعدتُ فتحه للتو في فخذها.

تذمرتُ لاهثة:

- «ماذا؟ شق ساقى مرة واحدة لم يكن كافيًا بالنسبة لك؟»  
تنهدتُ مجيبًا:

- «حسنًا، من الواضح أنه لم يكن كافيًا بالنسبة لك، بالنظر إلى أنك لا تزالين تحاولين الهرب مني.»  
- «اعتد على ذلك.»  
- «أوه، لقد بدأتُ أعتاد.»

كان رأسها مسنودًا إلى الجدار، وأجفانها ترفرف من التعب. بدت مرهقة. مرهقة للغاية. وكأنها تتأرجح على حافة شيء أشد دمارًا من الحرمان من النوم. أملتُ رأسي، أتأملها في الظلام المستور:

- «هل تشعرين أنكِ بخير أيتها المتبصرة الصغيرة؟»  
خرجت ضحكتها لاهثة:

- «لقد قطعني للتو بسكين. ما رأيك؟»  
- «أوه، هيا، بالكاد خدشتك.»

صوبت تلك العيون الزرقاء الحارقة نحوي:

- «أجل، لقد خدشت جرحًا لا يزال يلتئم. جرحًا تسببت لي به في المقام الأول، إن جاز لي التذكير.»  
كدتُ أبتسم:

– «لقد عرفتِ أنه أنا، هاه؟»  
تذمرتُ:

– «بالطبع كان أنت. أنت الوحيد الذي يملك دقة تصويب تكاد تضاهي  
دقتي.»  
قلتُ بجفاف:

– «تكاد؟ أحقاً؟»

– «لقد سمعتني أيها الأمير.»

رأيتُ أصابعها ترتجف نحو السكين في حذائها قبل أن أطبق على  
معصمها بيدي.  
تنهدتُ:

– «يكفي هذا. أنا متعب. وأنتِ متعبة. دعينا ننهي هذا الليلة. ناهيك عن  
أنك ستنزفين حتى الموت إن لم تضمدي هذا الجرح.»  
– «إذا كنت تظن أنني سأستسلم دون قتال –»  
قاطعتها وأنا أسحب الخنجر من حذائها:

– «أظن أنه لن يتبقى لديكِ أي قدرة على القتال إن لم تحصلي على بعض  
الراحة والضمادات.»

تصدع صوتها بثقل الاتهام فيه:

– «أليس هذا ما تريده؟ أن أتوقف عن قتالك؟ أن أستسلم بهدوء  
لمصيري المحتوم؟»

تأملتها للحظة، أتأمل العناد المحفور في العبوس الذي ترتديه. الحقيقة  
جعلت صدري يضيق، وقلبي يتنهد حين عجزت رئتاي عن ذلك. لأنني لم أعد  
أستطيع أن أقرر أيهما أكثر رعباً – أن أراها تتوقف عن القتال أم أن أراها  
تموت.

ماذا ستكون بدون نيرانها التي تغذيها؟ مجرد قشرة فارغة للمنقذة  
الفضية التي كانت عليها يوماً؟ شبح فتاة كنت مستعداً لتدمير نفسي من

أجلها؟ إذا توقفت عن القتال من أجل شيء، فإنها ستعيش من أجل الموت.  
لكن إذا احترقت من أجل شيء، فإنها ستعيش من أجل الأمل.  
أريدها أن تقاتلني.

أريدها أن تحترق من أجلي، حتى لو كان ذلك حقداً.  
زفرتُ الهواء، مخرجاً المشاعر التي ترافق كل فكرة مربكة، وقلتُ بدلاً من ذلك:

– «وأين المتعة في ذلك؟»

– «هذا سخيف.»

كانت غمغمتها مكتومة، وحين سحبتُ القماش الذي يغطي وجهها، كان تدميرها الخشن مكتوماً بالقدر ذاته.

– «لا، هذا ضروري. تبدين رائعة.»

حاولتُ جاهداً ألا أضحك، لكن الضحك تسلل إلى كل كلمة قلتها. كنتُ أشعر بنظراتها الغاضبة تخترق الوشاح الذي رميته فوق رأسها بالكامل، جزئياً لإخفاء شعرها ووجهها اللذين يسهل التعرف عليهما، ولكن في الغالب لأنني كنتُ أكسل من أن ألف القماش حولها.

هست من بين أسنانها:

– «أنا أمقتك.»

– «أجل، أنتِ وكل شخص آخر في هذه المملكة يا عزيزتي.»

لوح صاحب النزل بيده، داعياً إياي إلى المنضدة. دفعتها بلطف إلى الأمام، مما أدى إلى سيرها بعرجة مترددة.

قلتُ بابتسامة متكلفة أخفيتها خلف المنديل الذي يغطي النصف السفلي من وجهي:

– «غرفة واحدة فقط. سنأخذ أي شيء متاح لديك.»

تذمر الرجل:

– «أنت محظوظ. لقد شغرت غرفة للتو في الطابق الثالث. غرفة صغيرة.»

وكرد على ذلك، دحرجتُ بضع عملات معدنية على المنضدة المتكسرة، وراقبته وهو يعدها قبل أن يومئ لي برأسه بفضاظة. ثم وقعت عيناه على الفتاة التي يبتلعها الوشاح:

– «ما خطبها؟»

شعرتُ بها تتلمل استعداداً لإطلاق تعليق ساخر من فمها الذي لا أستطيع رؤيته حالياً.

قاطعته وأنا أهز رأسي بحزن:

– «حادث مروع. لا تريد أن ترى ما تحت ذلك الوشاح.»

انحنيتُ نحوه، ورمقته بنظرة ذات مغزى.

– «إنها تشعر ببعض الحرج من مظهرها. ولها الحق في ذلك.»

أوماً صاحب النزل برأسه، وبدا وكأننا تبادلنا للتو نكتة مضحكة:

– «إذن، بكل تأكيد، أبقها مغطاة!»

ضحك. وضحكتُ. ثم عضضتُ على لساني حين التقى كعب حذاءها بأصابع قدمي داخل حذائي.

تعلمتُ ألا أضحك مجدداً وهي تتعثر ببطء وصعوبة صعوداً على الدرج الخشبي الذي يصدر صريراً، والدم يقطر من ساقها مهدداً بتلويث الخشب تحتها. أن باب الطابق الثالث عندما دفعته لأفتحه، كاشفاً عن غرفة بحجم خزانتي في القصر. كان السرير يشغل الغرفة بأكملها تقريباً، وبدا أن حوض الغسيل في الزاوية هو قطعة الأثاث الوحيدة الأخرى في هذا المكان الذي بالكاد يُسمى غرفة. ونافذة تفوح منها رائحة العفن تلقي ضوءاً باهتاً يكفي فقط لإظهار الأوساخ التي تزين المكان.

سحبت الوشاح عن وجهها، وتذمرت من الشعر الذي تساقط حولها في فوضى:

– «سأقتلك.»

سألتها متأملاً:

- «أحقاً؟ لقد كنتِ تواجهين صعوبة في ذلك حتى قبل أن تصابي.»  
 أشاحت بوجهها عني، وهزت رأسها. كان صوتها بعيداً، وكأن الكلمات كانت مخصصة لتبقى مجرد فكرة:
- «أنا دائماً مصابة. دائماً مكسورة قليلاً.»  
 راقبتها وهي تتأمل الغرفة، ربما لأن كل رد خطر ببالي بدا وكأنه عالق في حلقي.
- سألتنني وهي تشير بيديها حول المكان:
- «هل هذا كل شيء؟ ماذا، هل سيتكدر كل رجالك في السرير معك؟»  
 أجبتُ دون أدنى أثر للمرح:
- «مضحك. لا، سيبقى رجالي في المدينة الليلة. فمجموعة كبيرة كهذه تجذب انتباهاً غير مرغوب فيه. لكن لا تقلقي – سيلتقون بنا في الصباح عندما نغادر.»
- رمقتني بنظرة تشبه إلى حد ما تلك الابتسامات الماكرة التي كانت ترمقني بها:
- «هل تعتقد حقاً أنك قادر على التعامل معي بمفردك؟»  
 هزرت كتفي:
- «أعتقد أنني الوحيد القادر على التعامل معك بمفرده.»  
 – «لا زلت نرجسياً لعيناً، كما أرى.»  
 – «لدي سمعة يجب أن أحافظ عليها.»
- سخرت مني، وكافحت وهي تعرج متجاوزة إياي لتسقط على حافة السرير. تأملتُ جرحها النازف واللحاف المطوي تحته.
- «تفضلني بكل سرور، ولطخي السرير الذي سأنام فيه بدمائك.»  
 بالكاد نظرت إليّ:
- «وما الذي يجعلك متأكداً إلى هذا الحد أنك ستنام في هذا السرير؟»

– «وما الذي يجعلكِ تظنين أنني لن أفعل؟»

تجاهلتنني، وبدأت تتفحص جرحها على فخذها بحذر، راضية تمامًا بتجاهل وجودي. بدا مشهدها وهي تطوي ساق بنطالها الفضفاض للأعلى، كاشفة عن مساحة شاسعة من البشرة المسمرة، أكثر تأثيرًا فجأة في الغرفة المظلمة.

هست من بين أسنانها عندما شد القماش الجرح اللزج، وراقبتها وهي تكافح لإخفاء الألم من ملامحها. مررتُ يدي في شعري، وتنهدتُ قائلاً بهدوء:

– «تعالى إلى هنا.»

قالت ببرود:

– «أنا بخير، شكرًا.»

– «أنتِ مصدر إزعاج لا يطاق، هل تعلمين ذلك؟»

قالت بنعومة:

– «إذا كان الأمر كذلك، فيمكنك ببساطة أن تدعني أذهب. وستحل

المشكلة.»

– «أنا وأنتِ نعلم جيداً أن هذا ليس خياراً مطروحاً.»

قالت بصوت قاسٍ:

– «صحيح. لأن ملكك الجديد أمرك بتعقبي.»

مرت بضع نبضات قلب قبل أن أقول:

– «حسنًا، لقد قتلت والده، الملك. ولعبت دورًا رئيسيًا في انتفاضة

المقاومة. ناهيك عن أنكِ استخدمتِ كيت لمساعدتكِ في ذلك.»

نظرت في عيني مباشرة وهي تقولها، دون أن يظهر أي أثر للندم في

نظرتها:

– «وأنا لا أندم على شيء. كل ما فعلته، وكل ما قاتلت من أجله، كان من

أجل إيليا.»

انقبض فكي:

– «وهذا يشمل قتل ملك إيليا؟»

هزت رأسها، وأشاحت بنظرها عني:

– «لم أدخل تلك التصفية وأنا أخطط لقتله حين أخرج منها. هو من

لاحقني.»

كان هناك شيء يشبه التوسل المرعب في عينيها، ليس لأنها تطلب المغفرة عما فعلته، بل لأنها تريدني أن أفهم لماذا فعلته.

– «لكن هذا لا يعني أنني لم أفكر في غرس نصل في قلبه الأسود عشرات

المرات من قبل.»

حتى مع الكراهية التي تغلف كل كلمة، كانت هذه هي أكثر لحظة صدق أراها منها. أمكنني سماع ذلك في بحة صوتها، ورؤيته في يديها اللتين ترتجفان الآن. ربما كان كل ما سبق هذه اللحظة زائفاً، واجهة، قصة خيالية نُسجت للإيقاع بي. لكن بدءاً من الآن، لم أر شيئاً أكثر حقيقية من هذا قط.

تنهدتُ، راضياً بترك الصمت يمتد بيننا قبل أن ألتقط حوض الغسيل الصغير من الأرض. لم أكن قلقاً من تركها بمفردها بينما أنزل لملء الحوض بالماء المثلج، ليس مع الإصابات التي تجعلها تبذل قصارى جهدها لعدم الارتجاف أمامي.

تناثر الماء من الحافة مع كل خطوة عائدة إلى أعلى الدرج المنحدر، وبعد أن دفعت الباب بحذائي المبلل، بدت الفتاة المنهارة على السرير أمامي مختلفة عن تلك التي تركتها هناك. بدا شعرها وكأنه ينزف في جسدها الذي استنزف منه كل لون، باستثناء اللون القرمزي الذي يلطخ يديها المرتجفتين. كانت تحرق بذهول في الدم الذي يغطي أصابعها، وتبتلع ريقها بصعوبة عند رؤيته، وترتجف مع كل نفس ضحل.

هناك خطب ما بالمنقذة الفضية.

ويُفترض ألا أكثرث لذلك.

لقد رأيت الصدمة تتخذ أشكالاً أسوأ. رأيتها تشل الشجاعة، وتلتهم الأحلام، وتبصق قشرة إنسان. أنا والصدمة على معرفة جيدة ببعضنا البعض.

– «تعالى إلى هنا.»

كان الأمر أرق هذه المرة، وبدا أن التعاطف قد طغى على القسوة في صوتي. ارتفعت عيناها لتلتقي بعيني، مشتتة ومليئة بالذعر. رمشت، وتصعد صوتها وهي تبدأ:

– «أنا... لا أستطيع...»

قاطعتها بهدوء:

– «لست بحاجة لأن أعرف.»

لأنني لست بحاجة لذلك بالفعل. لست بحاجة لمعرفة ما يبقيها مستيقظة في الليل، وما يطارد أحلامها، وما يجعلها ترتجف هكذا. لأن معرفة ذلك تعني معرفتها هي. وهذا شيء أقسمت ألا أفعله مجدداً.

إنها التاريخ الذي أحاول يائساً ألا أكرره.

وقد فشلت بما يكفي في ذلك الليلة واحدة.

راقبتها تبتلع ريقها، وراقبتها تنزلق من السرير لتجلس بجانبى على ألواح الأرضية البالية. لم تضيق لحظة قبل أن تغطس أصابعها الملطخة بالدماء في الماء المثلج، وتفركها بقوة بيديها المخدرتين.

مسحتها بعيني، مستغلاً انشغالها كفرصة لأترك نظري يطول على الندبة المتعرجة أسفل رقبتها. لم أزعج نفسي بالسؤال لأنني أعلم مسبقاً أنها من صنع والدي. أكاد أشعر بمقدار الضغط الدقيق الذي استخدمه لينحتها في جلدنا.

لكنني لم أقل شيئاً عن ذلك، مدركاً أن الجرح يمتد أعمق بكثير من شكله المادي. ذكرتني الفكرة بمدى حذري من مشاعرها حتى الآن. إنه أمر يثير الجنون.

كانت منسجمة جداً في مهمة تخليص نفسها من دمائها لدرجة أنني اضطررت للإمساك بمعصمها لإعادتها إلى الواقع:

- «إلا إذا كنتِ تأملين في فرك جلدك بالكامل، فأعتقد أن هذا يكفي.»

بإيماءة بطيئة، سحبت يديها المقطرتين من يديّ لتمسحهما بقميص مجعد سحبت من حقيبة أحد جنودي الإمبراطوريين. تناثرت لفائف من الضمادات المتسخة على الأرض حين نفضتها من الحقيبة، فقطبتُ حاجبيّ بينما كنت أعبث لفك إحداها.

سألتنى بصوت أجش:

- «لماذا تفعل هذا؟»

لم أنظر إليها:

- «حسناً، لا يمكنني تركك تنزفين حتى الموت بين يديّ، أليس كذلك؟

إنه تصرف أناني في الحقيقة. لا أريد أن أضطر لحملك طوال الطريق إلى الوطن.»

أطلقت تنهيدة فاترة:

- «إذن، لديه خطط كبيرة لي؟ خطط أحتاج أن أكون حية من أجلها؟»

بقيت صامتاً لفترة طويلة، وأخذت وقتي في تنظيف الجرح بضمادة مبللة. الأصوات الوحيدة التي شاركناها كانت هسهسات الألم المكتومة وقطرات الماء المتساقطة.

حين تفضلتُ بالرد أخيراً، كان ذلك إجابة على سؤال لم تطرحه:

- «لم أكن أعلم.»

كافحت نظرتها لتلتقي بنظرتي:

- «لم تكن تعلم ماذا؟»

- «والدك. لم أكن أعلم. ليس حينها، وبالتأكيد ليس حتى الآن.»

سكنت تحت لمستتي. أخذت وقتي في تجهيز فخذها للضمادة، وابتلعت ريقِي وأنا أدفع ساق البنطال الرقيق لأعلى برفق. شكرتُ الطاعون بصمت حين تحدثت أخيراً، لتمنحني شيئاً أركز عليه غير مهمتي الحالية.

كان صوتها هادئاً بشكل مفاجئ، ولم أدرِ هل أقلق أم أشعر بالارتياح:

- «لم تكن تعلم من قتلت في تلك الليلة؟»

كتمتُ ضحكتي المريرة:

- «لم أكن أعلم حتى أنني سأقتل أي شخص في تلك الليلة. لم أكن أعلم

أن مصيري سيبدأ في وقت مبكر جداً.»

تمتمتُ:

- «لا تتحدث بالغاز. ليس عندما يتعلق الأمر بهذا.»

تنهدتُ، وبدأتُ أَلْف الضمادة ببطء حول فخذها:

- «كنت في الرابعة عشرة من عمري. في خضم... تدريبي مع الملك.

نشأتُ وأنا أعرف تماماً كيف سيكون مستقبلي، لكن هذا لم يعنِ أنه سيأتي

وقت أكون فيه مستعداً لمواجهته.»

جفلتُ حين شددتُ الضمادة.

- «حين استيقظتُ في ذلك اليوم، لم أكن أعلم أنني سأقتل رجلاً أعزل

بدم بارد. لم أكن أعلم أن والدي سيهدد بفعل الشيء نفسه بي إن لم أنفذ

الأمر.»

- «ألم...»

ابتلعت ريقها، وأخذت نفساً عميقاً. أشك أن الألم الذي يعتصر وجهها له

علاقة بالجرح الذي انتهت للتو من ضمه.

- «ألم يخبرك لماذا كنت تقتله؟»

هزرت رأسي قليلاً:

– «طوال السنوات الثلاث الأولى من مهماتي، لم أعطَ أي معلومات عن كنت أقتله. كان يسمي ذلك بالطاعة العمياء. أخبرني أن المنفذ لا يحتاج لمعرفة أي شيء آخر. وأن أوامر الملك لا يجب أن تُناقش أبداً.»

تنقلت عيناها بين عيني، تحترقان كلهب أزرق:

– «كان يمكن أن تقتل أناساً أبرياء. بل إنك قتلت أناساً أبرياء.»

وبصدر يرتفع وينخفض، أشاحت بوجهها عني، وسخرت وهي تحديق في الجدار.

– «ولأجل ماذا؟ ليختبر ولاءك، واستعدادك لاتباع الأوامر طاعة عمياء؟»

لم تفارق عيناها وجهها:

– «أظن أنك تعلمين أن هذا هو السبب بالضبط.»

هزت رأسها كما توقعتُ تماماً:

– «من الصادم ألا يشكرني أحد على ما فعلته.»

حدقتُ فيها، وشعرت بشيء ينقبض في صدري، ربما كان قلبي. قد تكون فكرة شكرها على غرس سيف في صدر والدي هي أقسى شيء فكرت فيه يوماً. ومع ذلك، فإن كل ندبة تتناثر على جسدي تغني بذكرى يديه الباردتين وغضبه الحارق. كل قناع من أقنعتي الكثيرة هو تذكير بالرجل الذي صنعها.

ربما يجب أن أشكرها.

لا أذكر أنني أحببته عندما كان حياً. لكن الآن؟ هل يكشف الموت عن إخلاص عميق الجذور؟ يبدو أنني غير قادر على التمييز بين الحزن النابع من الحب، والذنب النابع من غيابه.

عضت باطن خدها لتكتم جفلة ألم وهي تشرع في لف ساق بنطالها

للأسفل:

– «أفترض أنه يجب عليّ أن أشكر.»

تأملتها، والصمت يمتد بيننا. وحين لم تقل شيئاً آخر، رفعت حاجبي نحوها:

– «أنا أنتظر.»

– «لا تتحمس كثيراً. قلتُ أفترض أنه يجب عليّ أن أشكر.»

أصدرتُ هممة تشير إلى أنني ربما وجدتُ ذلك مضحكاً، بينما رفعتُ شفتيها بطريقة تشير إلى أنها ربما تبتسم. وحين كافحت للوقوف على قدميها، تابعتها، مثبتاً نظري عليها وهي تقف أمامي. أمرتُ:

– «استدر.»

– «عفواً؟»

– «استدر. أريد أن أبدل ملابسني.»

لوححت بيديها نحوي، مشيرة لي بالطاعة.

تنهدتُ، وعقدتُ ذراعيّ بينما أسند ظهري إلى الحائط:

– «لا أعلم، كيف أضمن أنك لن تقفزني من النافذة حين أدير ظهري؟»

أمسكت القميص المستعار المبلل بعبوس:

– «الشيء الوحيد الذي أفكر في فعله حين تدير ظهرك، هو غرس خنجر

فيه.»

– «أنت لا تخدمين قضيتك أبداً—»

ارتطمت الحقيبة مباشرة بمعدتي قبل أن أمسك بها. تدمرت وعيناها

تلمعان بتحدٍ:

– «فقط استدر.»

أخذتُ وقتي في الاستدارة لأحدق ببرودي في الجدار أمامي. لم تكلف نفسها

عناء فتح حديث، تاركة إياي أستمتع إلى حفيف الملابس قبل أن تسقط على

الأرض. والآن بعد أن تذوقتُ شفتيها، من الصعب ألا أتوق إليهما، خاصة حين

أعلم أنه لا يجب عليّ ذلك. لذا فإن هذا الموقف لا يساعد بالتأكيد.

سألتُ بتنهيذة حين أصدر السرير صريراً خلفي:

– «هل يمكنني الاستدارة الآن؟»

– «صه، أنا أحاول النوم.»

استدرتُ لأراها متمددة فوق اللحاف، والقميص الرمادي المسروق يبتلعها بالكامل. وبذراعين وساقين ممدودتين على اتساعهما، حاولت أن تشغل أكبر مساحة ممكنة من السرير. كان المشهد غير متوقع لدرجة أنني كدت أختنق بضحكة.

– «ما هذا—»

قالت وعيناها مغلقتان وشففتيها مائلتان:

– «آسفة، لم يعد هناك متسع في السرير.»

أجبتها ببرود:

– «أرى ذلك.»

فتحت عينيها فجأة حين سحبتُ اللحاف الذي تمددت فوقه:

– «ما الذي تفعله—»

قاطعتها:

– «أنا أساوم. إذا حصلتِ أنتِ على السرير، فأنا على الأقل سأحصل

على بطانية.»

أومأت باقتضاب من فوق الوسادة المسطحة التي انتشر شعرها فوقها

بفوضوية:

– «حسناً.»

خطفتُ الوسادة الأخرى من بجوار رأسها، محاولاً عبثاً نفس ذلك الشيء

البائس الذي يُفترض أن يكون وسادة.

– «وأنا سأحصل على هذه أيضاً.»

رمقتني بنظرة قبل أن تتكور على جانبها وتدفن نفسها في الملاءات:

– «اتفقنا.»

وبذلك، نُفِيتُ إلى الأرضية الصلبة بجوار سريرها. كان اللحاف خشناً، والأرضية قاسية، والوسادة عديمة الفائدة تقريباً – لكنني نمتُ في ظروف أسوأ.

ومع ذلك، لم يسعني إلا أن أفكر أنه في حياة أخرى، في وقت آخر، وفي فرصة أخرى لاختيار بعضنا البعض – كنتُ لأكون في ذلك السرير بجوارها.



## الفصل 17

# بيكان

– «سأخنقك» بوسادة خلال خمس ثوانٍ تقريبًا.»

تأوهتُ، متجاهلة تمامًا تهديد الأمير ودافنة نفسي أعمق في الملاءات الخشنة. كان هذا هو التحذير الثالث والذي يفترض أن يكون الأخير الذي كان على استعداد لتوجيهه لي. ومع وضع ذلك في الاعتبار، تجاهلت المنفذ المتطلب بجوار السرير بسعادة.

عندما ضربت وسادة متكثلة وجهي، لتكتم سيل الشتائم المتدفقة من فمي، رفعتُ يدي لألوح له بإصبعي الأوسط. فرد على كلماتي غير المنطوقة بكلمتين من عنده:

– «انهضي. الآن.»

تذمرتُ من تحت القطن المجعد:

– «إذا كنت ترافقني إلى هلاكي، فأقل ما يمكنك فعله هو أن تدعني أستمتع بآخر مرة لي في سرير.»

– «لقد حظيتِ بساعات كافية للاستمتاع، لا تقلقي.»



أزحتُ الوسادة عن وجهي، محدقة في الغرفة المظلمة. كشفت النافذة الغائمة عن سماء ملبدة بالغيوم في الخارج، ولا تزال ملطخة بالظلام.

– «الشمس لم تشرق بعد، لذا لا أرى سبباً يدفعني للنهوض أيضاً.»

قال بجفاف:

– «حجة مقنعة حقاً. انهضي. الآن. لا يمكننا قضاء وقت طويل في مكان واحد. أنا مصدوم من أننا لم نعرف بعد.»

زفرتُ الهواء من أنفي، محمقة ببرود في السقف. كنتُ قد خططت لقضاء الليل في تدبير هروبي من المنفذ، لكن لم يكن هناك أي فرصة لمقاومة موجة النعاس التي اجتاحتني في اللحظة التي لامس فيها رأسي الوسادة. النوم بعمق شديد أمر مخيف حين يكون بجوار شخص مستعد تماماً لطعنك في ظهرك. سلختُ نفسي من الملاءات البالية، وانزلتُ عن السرير بغير رشاقة قبل أن أجفل بسبب الجرح المنسي في فخذي. تتبعت عينا كاي حركتي، ورصدت التجعد بين حاجبي، والتقاطي لأنفاسي بصعوبة.

– «كيف تشعرين؟»

سخرتُ منه، مبعدة خصلات الشعر الفضي الشاردة عن وجهي:

– «لا تتظاهر بالاهتمام بسلامتي أيها الأمير. أنا لستُ سوى مهمة أخرى عليك إنجازها.»

بدا وكأنه تصلب قليلاً عند سماع ذلك، لكن كلماته لم تعكس الحذر الذي كان يبدو عليه:

– «أجل، ومهمتي تحتاج أن تكون بصحة جيدة بما يكفي لتحمل الرحلة إلى الوطن.»

الوطن.

لسعت الكلمة عيني، وأحرقت حلقي، تماماً كما فعل الدخان حين هربت من شظايا طفولتي المشتعلة. كل واحد من أوطاني قد ذهب – والدي، وأدينا، ومنزلي في زاوية شارع التاجر وشارع إلم.

أنا بلا مأوى. بلا أمل. فارغة.

- «ذلك ليس وطني.» لم أقصد أن أقول الكلمات همساً، لكنه نظر إليّ  
وكأنني صرختُ بها.

سأل ببطء:

- «إيليا؟ إيليا ليست وطنك؟»

- «لا يوجد مكان هو وطني. ولا يوجد شخص هو وطني. ليس بعد  
الآن.»

حافظت على تواصل عينيّ معه، ورفعت رأسيّ عاليًا وأنا أضيف:

- «أنت وملكك حرصتما على ذلك.»

حدقنا في بعضنا البعض، ونظراته الفاحصة تنزلق على وجهي:

- «أنت لستِ الوحيدة التي تعرف مرارة الفقد.»

- «ولديّ أنت لأشكرك على ذلك.»

رد بحدة:

- «وأنا كذلك. هل نسيتِ أنني أصبحتُ أنا الآخر يتيماً الأب الآن؟ أم أنكِ

لم تفكري في ذلك حين غرستِ سيفاً في صدر الملك؟»

كدتُ أزمجر وأنا أخطو خطوة أقرب منه، قريبة بما يكفي لأرى العاصفة

تتشكل في عينيهِ الرماديتين:

- «أنت قتلتِ أباً. وأنا قتلتُ وحشاً.»

تنقلت عيناها بين عينيّ، تغليان بشيء لم أستطع تحديده.

همستُ، متوسلةً إليه أن يتذكر جرائم طفولته:

- «هل نسيت كل ما فعله بك؟ كل ما أجبرك على فعله؟ ناهيك عما فعله

بهذه المملكة—»

قاطعني صوته الهادئ والحازم:

- «يكفي. هذا يكفي.»

– «ماذا؟ ألا تستطيع تحمل سماع الحقيقة؟»

أمسك بذراعي، وكانت قبضته قاسية ككلماته التالية:

– «قلتُ يكفي. نحن نغادر.»

وبذلك، كنت أتعثر باحثة عن حقيبتني قبل أن أسحب خلفه أسفل الدرج الضيق. وبمجرد وصولنا إلى الأسفل، لُفْتُ بقسوة في وشاحي، وكنت أبعد يدي الأمير السريعتين وهو يلف القماش حول وجهي وشعري. وبمجرد أن لامست قدماه الأرضية التي تصدر صريرًا، ألقى بعملة معدنية للرجل المتذمر خلف المنضدة، دون أن يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة أخرى عليه قبل أن يسحبني إلى خارج النزل المتداعي.

رمشتُ في الضوء المسبل للعمى لشمس الصباح، أتعثر قليلاً بينما يوجهني عبر بحر من الناس. كانت الشوارع تفيض بالتجار، وتغرق في الفوضى. قادنا المنفذ عبر الحشد، وعيناه تنتقلان من وجه إلى وجه فوق المنديل الذي يغطي النصف السفلي من وجهه. حسدته على قدرته على التنكر بهذه السهولة، لافتقاره إلى أي شعر يسهل التعرف عليه.

هزرتُ معصمي في قبضته، أختبر خياراتي العديدة لكسر إمساكه بي.

همس دون أن يبطن خطواته:

– «لا تفكري في الأمر حتى.»

قلبتُ عينيّ محمقة في ظهره. إنه يصبح أكثر قسوة ولا يطاق.

انعطف بنا في زقاق ضيق، وتوقف لفترة كافية ليرمقني بنظرة من فوق

كتفه:

– «هل أنت صامدة هناك؟»

– «أنت تسأل وكأنك ستتوقف إن لم أكن كذلك.»

تغنى بصوته وهو يسحبني إلى شارع آخر يعج بالحركة:

– «أنتِ حقاً تعرفيني جيداً.»

وبعد عدة منعطفات حادة، بدأت أبطئ خلفه، مكافحة لمواكبة خطواته الواسعة. كانت ساقي تحترق، وتحول الألم الباهت إلى شيء يتطلب المزيد من الانتباه.

لا بد أنه سمع لهاثي، وشعر بقدمي اللتين أجرجرهما، لأنه تسلل إلى شارع جانبي مظلل وأبطأ حتى توقف:

- «هل فقدت لياقتك يا جراي؟»

رمقته بنظرة غاضبة قبل أن أوجه نظري إلى الجرح العميق في ساقي:

- «أجل، سرعتي لا علاقة لها بحقيقة أنني أنزف حتى الموت فعلياً.»

قال بكلمات خفيفة، لكن نظرته كانت أبعد ما تكون عن ذلك وهي تنزلق على جسدي، لتستقر أخيراً على فخذي:

- «أوه، لا تبالغي.»

ثم فجأة وجدته يجثو أمامي، ويدها مسندتان على ساقي. لم أستطع فعل شيء سوى الرمش أمام الرأس المنحني المليء بالشعر الأسود المبعثر تحتي.

عبث بالضمادة التي تطل من خلال البنطال الممزق فوقها، وأصابه تلامس بشرتي.

- «هل تنزفين حتى الموت بين يدي حقاً، أم أنك أعند من أن تعترفي أنك بحاجة إلى استراحة؟»

قلتُ من خلال ابتسامة زائفة:

- «ربما، أحتاج إلى استراحة لأنني أنزف حتى الموت. وهو بسببك.»

كان مشتتاً بجرحي المكشوف الآن، فقدم لي هممة مستمتعة. جفلتُ

عندما ربت على الدم الساخن الذي يسيل على ساقي في جداول حمراء صغيرة. كانت لمستته رقيقة جداً، ومموهة بشيء يشبه الاهتمام. ابتلعتُ ريقي حين تجولت يدها على جانبي فخذي، أنكر نفسي بصمت بالسبب الذي جعلني أصاب في المقام الأول. لماذا أهرب في المقام الأول. لماذا أنا محطمة إلى هذا الحد في المقام الأول.

ثم انزلت يداه من بشرتي لتشدا الجزء السفلي من قميصه، تاركاً إياي أشعر ببرد محبط في الظل. مزق قطعة من القماش بسهولة قبل أن يسحب ساقي نحوه لتستقر فوق ساقه من حيث يركع. وجدت نفسي أحفر المشهد في ذاكرتي بابتسامة متكلفة.

لم أشعر بأنني «عادية» على الإطلاق والأمير جاثٍ على ركبتيه أمامي.  
همس:

– «اثبتي. أنتِ تترنحين كشخص سكران.»  
عبستُ من الشعر الأسود الذي يتساقط على جبينه:

– «لقد سرقت إحدى ساقي.»

– «أجل، ساق واحدة. وليس توازنك.»

هزرتُ رأسي نحو الجدار الذي أسندتُ يدي عليه:

– «أنت لا تطاق.»

لمحتُ زاوية ابتسامته الساخرة وهو يعقد الضمادة المؤقتة الجديدة ويرفع ساقي برفق إلى الأرض. نهض، ليقف شامخاً فوقني فجأة لدرجة أنني وجدتُ نفسي آخذ خطوة غير واثقة إلى الوراء ضد الجدار المتسخ.

سأل، ملاحظاً توتري مع تليين نظرتة:

– «أفضل؟»

تمكنتُ من القول:

– «بخير. سأكمل الرحلة إلى حتفي، لا تقلق.»

تنقلت عيناه فوقني، تتفحصني بشعور من عدم اليقين:

– «إن من الأفضل أن نواصل طريقنا.»

قبل أن تغادر الكلمات فمه، تموجت صيحات ساخرة عبر الحشد:

– «أهذه هي من تساوي كل هذا المبلغ؟»

– «شيء صغير وجميل يساوي ثروة طائلة، أليس كذلك؟»

بدأ الناس يهزون القفص الآن، ويصرخون في وجه المنقذة الفضية المذهولة. قلت وأنا أكاد أكثر عن أنيابي في وجهه:

- «ملاحظة ثابتة أيها الأمير. يمكنك أن تمرر نفسك كمتبصر. لقد كان بيننا اتفاق.»

- «وقد فزت أنا.»

سخرت قائلة:

- «أوه، أهذا ما تسميه إذن؟ وكيف تخطط بالضبط لإخراجي من هنا؟ بحق الجحيم، لماذا فعلت ذلك؟»

ابتسم. كانت رفعة بسيطة ورقيقة لشفتيه، لكنها وقعت كلكمة في المعدة. كأن قطعة من الماضي تشق طريقها متسللة إلى حاضري. قطعة منه لم أظن أنني سأشدها مجددًا.

أجاب بهدوء:

- «لأنني كنت بحاجة لأن تحتاجي إليّ.»

اختنقت بضحكة جافة خالية من المرح، وقلت:

- «وتظن أن اليوم هو اليوم الذي سأقرر فيه فجأة أنني أحتاج إليك؟»

- «أظن أن اليوم هو اليوم الذي لا تملكين فيه أي خيار آخر.»

بدأ يعتدل في جلسته، ومعصماي لا يزالان أسيرين بين أصابعه رغم محاولاتي الدؤوبة للإفلات، وتابع:

- «الطريقة الوحيدة لتخرجي من هنا قطعة واحدة هي بوجود المنفذ إلى جانبك. إلا إذا كنتِ تظنين أن المنقذة الفضية قادرة على الإطاحة بكل شخص في هذا القبو؟ حينها، تفضلي افعلي ما بدا لك.»

رمقته بنظرة حارقة - وهو ملاذي الأخير حين أرفض قول ما يريد سماعه - لأنه لا يُطاق، ولا يُحتمل، ومحق بشكل مزعج. المنفذ هو طريقي الوحيد للخروج من هنا. ولكن مراوغة شخص واحد أسهل بكثير من مراوغة هذه الغرفة المكتظة بأكملها.

سأستخدمه لأخرج، ثم سأتولى أمره بمفردي.

ابتلعت ريقِي، وحلقتي جاف وأنا أحاول ابتلاع كبريائي المتضخم:  
- «حسناً، أخرجني من هنا.»

قال بجفاف:

- «ها هي ذي أخلاقك الحميدة تطل برأسها. لكن ربما تحتاجين إلى

النزول عن حجري، إن كنا نخطط للمغادرة في أي وقت قريب.»

جفلت، واحترقت وجنتاي حين أدركت فجأة أنني جاثمة فوق حجره،  
ومعصماي مثبتان للأسفل. إنه قريب جداً، ولمسه مألوف جداً. لا أطيق هذا،  
لا أطيقه هو. ولهذا السبب انزلت عن حجره بغير رشاقة لأقف بجانبه.

أقلت أحد معصميّ، لكنه عوّض عن ذلك بإحكام قبضته على الآخر بقوة  
أكبر. استدار ليواجه الحشد، وقال بصوت حازم:

- «سأخذ المنقذة الفضية معي، ولن يسبب لنا أحد هنا أي مشاكل.»

انفجر الحشد غضباً، وهو ما رفض المنفذ حتى الاعتراف به، وتابع بنبرة  
تقطر سلطنة:

- «بصفتي منفذ إيليا والرجل الثاني للملك، فهي ملكي. ملكي أنا. مما

يعني أن أي شخص يجرؤ على وضع يده عليها، سيتعلم بنفسه مدى وحشية  
أفراد النخبة.»

ساد صمت مطبق.

كان القبو يغرق في الصمت، مما لفت انتباهي إلى الرنين في أذنيّ. تمللت  
بانزعاج، أدير الخاتم في إبهامي بينما تتسرب كلماته إلى عقلي.

«إنها ملكي.»

كتمت سخريتي، ومسحت الغرفة بنظري بدلاً من ذلك. كان الخوف

يختبئ بين الحشود في هيئة عيون زائغة وحواجب مقطبة. مهما كانت  
مشاعرهم تجاه إيليا، فإن رعبهم أعمق من كراهيتهم. مجرد احتمال هطول  
غضب أحد النخبة عليهم جعل خيالاتهم تشطح. أشك أن معظمهم قد التقى

بشخص من إيليا أصلاً، ناهيك عن سماع أي شيء سوى الفظائع عن أولئك السكان الأقوياء المعزولين خلف الصحراء.

إنهم حتى لا يعرفون ممّ يخافون، وما الذي يستطيع أفراد النخبة فعله. وما الذي يستطيع هو فعله.

لا يمتلك المنفذ قدرات إلا حين يكون هناك آخرون ليستمدها منهم، رغم كونه سلاحاً في حد ذاته. ومع ذلك، فهم ينكمشون رعباً من إمكانية استخدام قوته، ومن التهديد الذي يمثله أحد النخبة سيئ السمعة.

ربما يكمن نصف الرعب في المجهول.

لقد استخدم جهلهم ضدهم.

همس وهو يمد يده إلى باب القبو:

– «ابقِ قريبة، أو لا تفعلي. حياتك هي التي على المحك.»

قاومت الرغبة في قلب عينيّ بينما أحاول في الوقت ذاته تجاهل حقيقة أنني أبدو وأشعر كطفلة صغيرة. لقد جعلني ألتصق به، ليس بدافع الحماية، بل بدافع شيء أكثر افتراساً. إنها الهيمنة التي تشع منه والتي جعلت الناس يتفرقون لفتح طريق له، يحدقون به وهو يقود الفتاة التي تساوي ثروتهم خارج الغرفة.

تتبعتنا العيون صعوداً على الدرج وإلى العالم فوق القبو. كانت الشوارع مظلمة في جوف الليل، ونسيم دافئ يداعب شعري المسدل. قاومت تنهيدة كادت تفلت من شفتيّ عند شعور الريح وهي تقبل فروة رأسي.

هذا أقصى شعور بالحرية اختبرته منذ أيام.

أعادتني سحبة قوية من ذراعي إلى واقعي البائس.

لست حرة على الإطلاق.

– «من هنا أيتها المتبصرة الصغيرة. لا وقت للنزهات تحت ضوء القمر

الليلة.»

تحفرت من اللقب الساخر:

- «إذن، ما هي الخطة؟»
- ألقى نظرة حائرة من فوق كتفه وهو يسحبني إلى شارع ضيق:
- «أتعلمين، أنا أحاول ألا أجعل من إطلاع المجرمين على خططي عادة.»
- سخرت قائلة:
- «أنت تعلم جيداً أنني كنت مجرمة قبل فترة طويلة من تلك التصفية النهائية. ومع ذلك...»
- ابتسمت بمكر وأنا أرى كتفيه يتصلبان.
- «أذكر أنك أطلعتني على ما هو أكثر بكثير من مجرد خطتك.»
- لقد عرفتُك. عرفت ماضيك، وحاضرک - ومستقبلک الذي كنا من حماقة بحيث ظننا أنني سأكون جزءاً منه.
- استدار، مجبراً إياي على الانزلاق للتوقف قبل أن يصطدم وجهي ب صدره:
- «أعلم.»
- كان صوته هادئاً، وحزيناً بطريقة جعلتني أتململ.
- «وأنا أحاول ألا أجعل من تكرار الأخطاء ذاتها عادة.»
- الأخطاء.
- كانت الكلمة البسيطة كصفعة على الوجه، مهما كانت مناسبة. لأن هذا بالضبط ما كان عليه الأمر - خطأ - كل جزء من أنفسنا تشاركناه في نظرات صامتة وقصص مهموسة تحت أشجار الصفصاف لم يساهم سوى في موتنا البطيء. والآن يمكننا إضافة السطح إلى تلك القائمة المتزايدة من الأخطاء.
- كنا غير مثاليين لبعضنا البعض بشكل لا مفر منه.
- حثني وهو يكاد يجرنني في الشارع:
- «هيا، يمكنك الإسراع، حتى مع حركة قدميك المتعثرة تلك.»
- رددت عليه بينما أتعثر حين يسحبني حول زاوية متداعية:
- «ربما لم تكن لتكون متعثرة هكذا لو تركتني أثبت قدمي على الأرض.»

– «هل تفضلين أن أحملكِ على كتفي؟ ليس وكأنني لم أفعل ذلك من قبل.»

– «لا، لا أفضل...»

انزلت للتوقف في منتصف جملي، وفي منتصف تخطيبي، قبل أن أثبت قدمي بأفضل ما أستطيع ضد سحبه المستمر.  
ربما أفضل حقاً أن يحملني على كتفه.

قلت ببساطة:

– «لن أتزحزح من مكاني حتى تخبرني بما يجري.»

استدار ببطء، وتسلية خفية تختلط بالانزعاج الذي يشد زاويتي فمه:  
– «أحقاً؟»

سحبت يدي التي لا تزال أسيرة في قبضته التي لا تلين:

– «أجل. لذا أقترح أن توفر علينا بعض الوقت وتطلعني على مصيري.»  
ضحك بمرارة:

– «ألسِتِ مجرمة تتصرف وكأن لها حقوقاً؟»

– «وألسِتَ أنتِ تدعي الفضيلة بينما لست أفضل حالاً؟»

حدقنا في بعضنا البعض، ولا زلنا متصلين بيده الخشنة التي تطوق يدي. بدت خطايانا غير المنطوقة تتمدد بيننا، لتبتلع الكلمات التافهة التي تحترق في حلقي. نحن متشابهان، هذا المنفذ وأنا. كلانا متبلد الإحساس، كلانا مثقل بالهموم، وكلانا ملطخ بدماء والد الآخر.

لم يبدُ نخبة وعادي متماثلين إلى هذا الحد من قبل.

كانت كلماته التالية خطيرة برقة وبطريقته المدمرة تلك:

– «كل ما فعلته كان من أجل الملك، وأنتِ من قتله، لستُ أنا.»

اقتربت منه قائلة:

– «أنا قتلت أبا. وكذلك أنت.»

تقطبت حواجه، ورسمت الحيرة خطوطها بينها:

– «ما الذي –»

تراخت قبضته، وسقط دفاعه، ولم أفكر مرتين قبل الاستفادة من تشتته. في حركة واحدة رشيقة، استدرت ليصبح ظهري ملاصقاً لصدره، وشبكت ذراعي الحرة تحت كتفه. وبمزيج من الاندفاع وصدمة البالغة، جعلته ينقلب فجأة من فوق كتفي.

لم تكن إسقاطة سلسلة تمامًا، والطاعون يعلم أن والدي كان سيرفع حاجبيه بتلك الطريقة التي اعتادها دائماً أثناء التدريب. ففي النهاية، هو من علمني كيف أسقط رجلاً يبلغ ثلاثة أضعاف حجمي، لذا فإن العشوائية التي تدرج بها المنفذ فوق كتفي للتو كانت ستجعله يهز رأسه بتلك الابتسامة المحبطة.

ارتطم الأمير بالأرض مطلقاً سيلاً من الشتائم. انقضت عليه قبل أن تدق نبضة قلبي التالية، وسحبت آخر نصل رفيع من حذائي.

– «هل ظننت حقاً أنني لن أحتفظ بسكين أخرى معي؟»

قلت لاهثة، وأنا أضغطها على أضلاعه.

غاص شيء حاد في ظهري، فارتجفت من الشعور المألوف لنصل يوخز عمودي الفقري. أنا أصبح مهملة. ليس لدي أدنى فكرة من أين أتى السلاح، أو متى سحبه، وافتقاري للتركيز أمر مرعب.

آسفة يا أبي.

حدقت عيناه في عيني، تحترقان كالكلمات غير المنطوقة التي تحاول شق طريقها من حنجرته:

– «هل ظننت حقاً أنني سأستخف بك بعد كل ما فعلته؟»

صرخت، وفاجأني صوتي الذي خرج أقسى بكثير مما أردت:

– «هيا! قلها. قل ما الذي فعلته.»

ارتفع صدره وانخفض تحتي:

– «لقد قتلتِ الملك.»

هزرت رأسي رافضةً، وعيناي لم تفارقا الخيانة في نظرته:

– «أجل. قتلت الملك. لكن الأهم من ذلك، أنني قتلت طاغية شريرًا. قتلت رجالًا قتل أعدادًا لا تحصى. قتلت رجالًا حاول قتلي لمجرد أن القوة لا تسري في عروقي.»

أخذت نفسًا عميقًا، وكشرت عن أسناني فوقه.

– «لكنني أنسى شيئًا آخر. ما الذي قتلته أيضًا أيها الأمير؟»

ارتجفت تفاحة آدم في حلقه:

– «لقد قتلت... والدي.»

همست، ومررت السكين فوق معدته، مما جعله يقطب حاجبيه:

– «وهذا شيء آخر يجمع بيننا. هل يجب أن أغرس هذا النصل في

صدرك كما فعلت أنت بوالدي؟ يبدو هذا مناسبًا تمامًا، ألا تظن؟»

هز رأسه رافضًا، وعدم التصديق يغمر ملامحه:

– «والدك...؟ أنا لم...»

اتسعت عيناه قليلًا بشيء يشبه الإدراك.

– «كم سنة؟ منذ كم سنة قُتل؟»

رفضت أن أصدق أنه لم يكن يعلم من سلب حياته في تلك الليلة. رفضت

أن أصدق أنه لم يكن يخدعني طوال هذه الأشهر، ويوقعني في فخ الثقة به بعد

كل ما سلبه مني. رفضت أن أصدق أنه لم يكن يعلم أنه حطم قلبي في الليلة

التي غرس فيها سيفه في قلب والدي.

خرج صوتي كالنعيق، وكلماتي لا تكاد تتجاوز الهمس:

– «خمس سنوات. في منزلي. لقد رأيتك تقتله.»

هز رأسه نحوي، والرعب يتسرب من شقوق قناعه، ومن صدوع جدران

المنهارة:

- «بيدن، أنا-»

كانت هذه هي المرة الأولى التي ينطق فيها اسمي، وجزء مثير للشفقة مني كان يود سماعه يقوله مجددًا. لكنني لم أحصل حتى على فرصة لسماع أي شيء يقوله بعد ذلك.

- «إنه هنا!»

تردد صدى صرخة لا يمكن أن تعود سوى لـ إمبراطوري بين الجدران، تلاها دوي أقدام دزينة من الأحذية. ارتفعت عيناوي نحو الصوت، لأجد ظلالاً تقترب. ثم نظرت إليه مجددًا. فتح فمه ليقول شيئاً، لكنه لم يطلق سوى أنه مخنوقة بدلاً من ذلك.

منحني القطع النظيف في كتفه بضع ثوانٍ، ولم أجرؤ على تضييع ثانية واحدة منها.

بدأت أركض مجددًا، كما أجد نفسي أفعل دائماً.  
ولم ألتفت خلفي.



## الفصل 18

# كحيت

### الهواء النقي يبدو غريباً عليّ.

أقف بجوار النافذة المواربة، أستنشق تلك الغرابة الباردة التي بدأت تتسلل إلى غرفة المكتب الخانقة. الأراضي الممتدة تحتي تفترشها طبقة نابضة بالحياة من العشب، تتوهج تحت أشعة الشمس المنهمرة.

لا أقف هنا كثيرًا. لا أترك الستائر مفتوحة لوقت يكفي لتلتقطني أعين الخدم الثرثارين. لكن وقوفي هنا مبرر بعد تناول وجباتي.

أفرغ محتويات طبقي الذي أكلت نصفه من النافذة، وأراقب الطعام يتناثر على العشب في الأسفل. كل حبة خضار ترتطم بالأرض بصوت مكتوم؛ بطاطس، جزر، ونوع خيطي من الفاصوليا أصبحت أمقته، كلها تزيد من كومة الفضلات المتنامية التي تخلصت منها.

هذا هو الجزء الذي يحتاج إلى صقل في روتيني. في البداية، كان الأمر مجرد وسيلة لإفراغ طبقي واسترضاء الخدم. بل، استرضاء جايل وتقديم دليل على أنني هضمت طعامها. لكن في الآونة الأخيرة، تزايدت الهمسات خلف باب غرفتي قبل كل وجبة تُقدم لي. لعلهم عثروا أخيرًا على كومة طعامي المتروك، ومسألة وقت فقط قبل أن تقتحم جايل المكان لتطعمني بملعقتها بنفسها.



طريقة على الباب تجعلني أفترض أن ذلك اليوم قد حل.  
قلت:

– « ادخل. »

مررت أصابعي المحمومة عبر شعري الأشعث محاولاً تسوية الخصلات المتمردة. كان قميصي المجعد هو همّي التالي، لكنني بالكاد مررت يدي على القماش قبل أن يُفتح الباب.

رفعت بصري، فلم تكن جايل هي من قابلت عيني.  
قالت:

– « ها هو ابن عمي المنعزل. »

الابتسامة التي استجمعتها فاجأتني أنا شخصياً، فقلت:

– « أهلاً يا آندي. »

تقدمت أكثر داخل المكتب، وعيناها العسليتان تمسحان كل شبر فيه. تنحنحت قبل أن أجلس بتصلب في مقعدي، وسألت:

– « هل هناك سبب لـ... زيارتك؟ »

انتزعت نظراتها من النافذة المفتوحة لتستقر عليّ، وقالت:

– « صحيح. حسناً، أنا هنا بوضوح لكي أصلح... مم... »

صمتت وهي تحاول بوضوح اختلاق عذر ما، ثم هزت رأسها محاولة إقناع كلينا:

– « نافذتك؟ نعم، نافذتك. »

رددت ببطء:

– « أنتِ هنا لإصلاح نافذتي؟ »

قالت وهي تشير إلى حزام الأدوات الملتف حول خصرها، بينما تومض حلقة أنفها تحت الضوء:

- «هذا هو عملي! أعلم أنه من السهل نسيان أنني ما زلت حرفية (هاندي) في القلعة، وسط كل مواهبي الأخرى الكثيرة.»

مرت عيناى على الجلد البالى المحيط بخصرها، والذي شغل كل شبر فيه بكومة من الأدوات الملقاة بعشوائية داخله. أتذكر الأيام التي كانت فيها قمة رأس آندي ذات الشعر الأحمر الخمري بالكاد تصل إلى خصر والدها، ومع ذلك كانت تلتصق به وتتبعه في كل مكان.

ولذا، كان من الطبيعي أن يعلمها كل ما تعرفه. فن الإصلاح، الترميم، الابتكار - - كلها جزء من دور الحرفية (هاندي). ورغم قدرة التحول الفريدة التي تجري في عروقها، اختارت متابعة ما يعتقد معظم الناس شغفاً وضيعاً. وضعت يديها على وركيها وتنهدت قائلة:

- «لكن شخصاً ما يجب أن ينظف الفوضى التي تفتعلها أنت وكاي، ولدي خبرة طويلة في ذلك.»

أومأت برأسي مع كل كلمة، مسترجعاً الأشياء الكثيرة التي حطمناها خلال شجاراتنا العفوية. في الأيام التي كنا فيها مجرد أخوين، غير مثقلين بهذه الألقاب اللامعة الجديدة التي نحملها الآن.

لم أحتمل ثقل نظراتها الفاحصة، فشغلت نفسي بادعاء الانشغال. قلبت الأوراق بين يدي، محاولاً ترتيب الفوضى المتناثرة على مكتبي المزدهم، وقلت:

- «لا يوجد أي خطأ في نافذتي يا آندي. لو أردت رؤيتي، كان يكفيك أن تطلبي ذلك.»

ظل حزين كسا ملامحها، فقالت:

- «وهل كنت ستسمح لي؟ برؤيتك، أقصد.»

ها نحن ذا.

كان من حماقة أن أظن قدرتي على تجنب هذا الحوار لوقت أطول. تنهدت وقلت:

- «لقد كنت منشغلاً.»

أومات ورؤيتها شاردة:

- «صحيح. أنت الآن الملك. أنت مليكي الآن. لا أستطيع أن أتخيل مدى صعوبة التأقلم مع هذا.»

توقفت للحظة قبل أن تضيف:

- «خاصة بعد الطريقة التي حدث بها الأمر.»

تقصدين كيف قُتل والدي بوحشية؟ كيف ركعت بجوار جسده المدمى، أراقب خنجرها وهو يمزق عنقه؟ هل هذا ما قصدت قوله يا ابنة عمي؟

عضضت لساني لأكبج سيل الأفكار اللاذعة، وقلت:

- «نعم، لقد كان الأمر... صعباً.»

قالت بابتسامتها المشرقة، رغم الحزن الذي يغيم على عينيها:

- «جاكس يفتقدك. وهو يدفعني للجنون، لذا لا تتردد في أخذه عن

كاهلي... حسناً، لا بأس. كلانا يفتقدك. وأنا أعلم أنك تتعامل مع الكثير

مؤخراً، لكن قد يكون من الجيد حقاً لك أن تخرج من غرفة المكتب هذه...»

قاطعتها رافعاً يدي الملطخة بالحبر، مسكتاً إياها بحركة واحدة:

- «آندي، أنا بخير هنا. حقاً.»

كانت كلماتي ثابتة لدرجة أنني كدت أصدقها بنفسي.

تجمدت آندي. ابتسمت. ثم توجهت بخطوات سريعة نحو النافذة وقالت

بتلك النبرة الحادة المألوفة:

- «تعلم... أعتقد حقاً أن نافذتك مكسورة.»

لم أرفع نظري عن كومة الأوراق المكدسة أمامي، وسألت:

- «ولماذا تعتقدين ذلك؟»

استطعت سماع نبرة التحدي في صوتها وهي تقول:

- «حسناً، يبدو أن الطعام يتساقط منها دائماً.»

خيم الصمت، ولم يقطعه سوى نقر أصابعي على المكتب.  
كانت تعقد ذراعيها فوق حزام أدواتها حين استدرت لأواجهها. رفعت  
حاجباً فاحصاً وقالت:

- «هل ترغب في أن تشرح لي هذا؟»

فكرت في الأمر للحظة، ثم قلت:

- «لا.»

سخرت قائلة:

- «هيا بحقك.»

قلت:

- «أنتِ محقة. لا بد أن النافذة مكسورة.»

- «يا كيت.»

- «أيها الملك.»

رمشت متفاجئة من تصحيحي لها، واعتدلت في وقفها أمام ملامحي التي  
تحجرت فجأة. هزرت رأسي وهمست:

- «لقد أصبحتُ الملك الآن. الأمور اختلفت -- وأنا اختلفت. لقد رحل،

ولم أعد أعرف حتى كيف أتنفس إن لم يأمرني هو بذلك. كيف أتنفس، كيف  
أكل... كيف أعيش.»

كانت يداي ترتجفان. انزلت الأوراق من أكوامها الفوضوية، بينما حرقت  
دموع لم تذرف عيني المتعبتين.

انهارت تعابير وجه أندي، وعقدت حاجبيها الخمرين في شفقة، وقالت:

- «آه يا كيت...»

نهضت بتصلب قبل أن تتاح لها الفرصة للركوع بجواري. تنحنحت لأحرر  
حنجرتي المختنقة وغمغمت:

- «هذا كل شيء يا أندي.»

- « كيت، انتظر...»

- « هذا كل شيء..»

وقفت وهي تسحب نفساً عميقاً، وقالت:

- « دعني أساعدك في إصلاح النافذة. أرجوك. ليس من الضروري أن

تظل مكسورة.»

نظرت إليها حينها. وسمحت لها بأن تنظر إليّ.

و فقط بعدما تفحصت كل صدع في قناعي الهادئ، قلت:

- « أخشى أنها تحطمت بما لا يقبل الإصلاح.»



## الفصل 19

# بيكان

### سألت:

– «هل هذا ضروري حقاً؟»

رفعت حاجباً وأنا أنظر إلى الحبال الخشنة التي تقيد معصمي حالياً وتسلخهما. كرد على سؤالي، ابتسم المنفذ قليلاً في الظلام قبل أن يشد العقد بقسوة مستحيلة. سخرت، وأشرت بيدي المقيّدتين إلى الخلاء المحيط بنا، وقلت:

– «الآن فقط قررت تقييدي؟ هنا في الصحراء حيث يتنفس كل هؤلاء

الإمبراطوريين في عنقي؟»

لكن الأمير كان قد فقد اهتمامه بي بالفعل، واستدار ليمسك بزمام أحد الخيول العديدة المضطربة. رفعت صوتي لنألا يكتمه بساط الرمال، وسألته:

– «كل هذا من أجل إحدى أفراد العاديين؟ من كان يظن أنني سأثير فيك

كل هذا الرعب؟»

فتحت فمي مرة أخرى، مستعدة لبصق شيء آخر سيجذب انتباهه بكل تأكيد، لكن دفعة مباغطة في ظهري جعلتني أتعثر وأعض على لساني الذي كان يوقعني في ورطة.



فحيح بجوار أذني، وقشعريرة سرت في عمودي الفقري.  
- «عاهرة.»

كان الإمبراطوري يلف شعري حول قبضته قبل حتى أن أستعيد توازني،  
وجذبني نحو صدره بزمجرة. شهقت من الألم، وتقلصت ملامحي حين شعرت  
بشفتيه تلامسان أذني وهو يهمس:

- «أيتها العادية القذرة. يجب أن أشق حنجرتك هنا والآن...»

جاء صوت المنفذ الممدود ليجعل الإمبراطوري يتصلب خلفي:

- «تعلم، لم أكلف نفسي حتى عناء معرفة اسمك أيها الجندي. إلى هذا  
الحد لا أرى لحياتك أي قيمة.»

اعتدل الجندي قليلاً حين تباطأ الأمير في مشيته نحونا. حدقت في الصدر  
العريض الذي يلوح أمامي، أراقبه يرتفع ويهبط بسرعة رغم الكلمات الهادئة  
المخادعة التي تتساقط من شفثيه.  
أردف ببساطة:

- «تخيل إذن ما سأكون أكثر من سعيد بفعله بك، إن تجرأت ولمستها  
مرة أخرى.»

عانيت كي لا أتعثر وأسقط في حزن المنفذ من شدة القوة التي دفعني  
بها الإمبراطوري بعيداً عنه. ثم بدأ يتمتم باعتذار واهٍ، ويومئ برأسه لأوامر  
مبطنة بالتهديد. وبمجرد أن استعدت توازني، تراجعت خطوات مبتعدة عن  
الأمير وعن النظرة القاسية التي تكسو وجهه.

لم يكن ذلك اهتماماً أو قلقاً أو أي شيء يمت للطف بصلة. لا، لقد كان  
تملكاً. كان التهديد نابغاً من غريزة فرض السيطرة على منطقة نفوذ. أنا  
فريسته، غنيمته، وسجينته. ملكه هو، وهو وحده.

أكره ذلك. أكره كوني ملكاً له.

أمرني بفضاظة:

- «تعالى إلى هنا.»

رمشت أمام أمره المباشر، وأمام تجاهله الفج لحقيقة أنني لم أكن يوماً سوى أسيرته التي يسعى للسيطرة عليها. كان لأمره تأثير عكسي، إذ دفع قدماي للتراجع أكثر. استجاب بإمالة رأسه، وعيناه تجولان على بقايا الاشمئزاز المرتسم بوضوح على وجهي.

قال ببطء، متقدماً خطوة بطيئة مماثلة نحوي:

– «نحن راحلون. إن كنت تفضلين السير عبر الصحراء، فلك ما تريدين. عدا ذلك، سأحتاجك لامتطاء لعين.»

تجولت عيناى نحو تلك المخلوقات التي تنخر وتنتثر الرمال حولها. ابتلعت ريقى وقلت:

– «أنا بخير هكذا، شكراً.»

تقدم خطوة أخرى وسأل:

– «هل هذا صحيح؟»

كنت أراوح بين قدمي الآن وأنا أجيب:

– «أفضل السير.»

ابتسم وقال:

– «المنقذة الفضية؟ خائفة من الخيول؟»

تناهت إلى مسامعي ضحكات خفيفة تسخر مني. تجاهلت الضحكات المكتومة المحيطة بي وركزت نظري على ذلك الوغد الذي يستمتع بصمت أمامي.

قلت:

– «حسناً، لم أ حظ قط بامتياز ركوب أحدها أثناء طفولتي، أليس كذلك؟ لذا أعتقد أنه يحق لي أن أجدها... مزعجة.»

اقترب ليهمس بحيث لا يسمعه أحد سواي:

– «جميعنا لدينا مخاوفنا يا جراي. رغم أنني بدأت أعتقد أنك لا تملكين أيًا منها. وأقلها الخيول.»

كززت على أسناني التي كشرت عنها وأنا أقول:

– «أنا لست خائفة. كل ما في الأمر أنني بحاجة إلى بعض التمارين الرياضية.»

بالكاد لمحت ارتعاشة شفثيه في الظلام قبل أن يربط معصمي المقيد بحصانه بحبل قيادة طويل.

– «حاولي مواكبة السرعة يا جراي. لا أريد أن أضطر لسحبك عبر الصحراء.»

قلبت عيني نحو ظهره، لكنني أشحت بنظري سريعاً عن العضلات التي تبرز عبر قميصه وهو يسحب نفسه ليجلس على السرج. عند رؤية ذلك المشهد، شرد ذهني نحو السطح، قبل أن أهز رأسي وأقمع تلك الفكرة في أعماقي.

لم يمضِ وقت طويل حتى كنت أتعثر بجواره، محاولة وضع أكبر مسافة ممكنة بيني وبين ذلك الوحش الذي يلوح بجانبني. كان الإمبراطوريون المتناثرون حولنا يذوبون في الظلال، متشحين بالظلام الذي انتظرنا هبوطه قبل أن تطأ أقدامنا رمال الصحراء. قضاء فترة ما بعد الظهر مع الأمير وحاشيته كان أمرًا بائسًا يوازي وطأة الحرارة التي كانت تخنقنا. استمر ذلك حتى سئمت الشمس أخيرًا من تعذيبنا وغاصت في فراش الغيوم، فاسحة المجال للقمر ليرشدنا في رحلتنا عبر الصحراء.

مر الوقت، ولم يدل عليه سوى ذلك الألم المتزايد الذي ينبض من جرحي. كل خطوة كانت تحرقني، كأنها الشمس التي نجحنا في التهرب منها لساعات. ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأ العرج يتسلل إلى خطواتي، رغم كل محاولاتي لقمعه.

لكن عندما تنحنح بجانبني، أجبرت نفسي على الاعتدال، وعضضت لساني لأتجاهل الألم.

– «سرعتك تتراجع يا جراي.»

كان صوته خافتاً، وأجشاً من عدم التحدث لساعات.

تمكنت من الرد وعيناى مثبتتان على الرمال المتحركة تحت قدمي:

– «هل ترغب في أن أركض يا صاحب السمو؟»

– «أود رؤيتك تحاولين. سيكون الأمر مسلياً، على أقل تقدير.»

رميته بنظرة وقلت:

– «أنا أعيش لأمتعك يا صاحب السمو.»

علقت سعدة في حلقه، وهي أقرب ما سيسمح لنفسه به كضحكة. أمرني

وهو يسحب حصانه ليتوقف:

– «توقفي.»

ترنحت بجواره، وكدت أستسلم لرغبتني في الاستناد على الوحش. شد

موكب الإمبراطورين أعنتهم، وتوقفوا ليطوقونا.

راقبت الأمير وهو يترجل برشاقة من سرجه قبل أن يقطع المسافة بيننا.

ابتلعت ريقني وأنا أتتبع العضلة التي تنبض في فكه، ومسار نظراته التي

انحدرت على جسدي. ثم انحنى أمامي مرة أخرى، ورفع نظره إليّ بينما أسند

يديه على جانبي فخذي المصاب.

تجاهلت وخز عشرات العيون المتلصصة التي تجوب المشهد الذي

صنعناه، ولم أجد سبباً واحداً للاهتمام. كانت عيناى مثبتتين على عينيّ،

ولثانية واحدة حلوة ومريرة معاً، كان كاي هو من أنظر إليه – – وليس الوحش

الذي أرسل لاصطيادي.

ثم قطب حاجبيه، واستولى على تركيزه المهمة التي بين يديه. وبأصابع

سريعة، أخذ يتتبع الجرح المشرشر، ويلحم الجلد والأنسجة معاً. تنهدت،

وغمرتني الراحة مع كل تمريرة من أطراف أصابعه. رفع عينيّ نحوى مجدداً،

وراحت نظراته تجول على وجهي بطريقة جعلتني أشعر وكأنني مجردة أمامه.

سأل بصوت لم يكذ يتجاوز الهمس:

– «أفضل؟»

زفرت قائلة:

- «أفضل.»

انتزعت عيني من عينيه، ونظرت حولي لأتفحص الإمبراطوريين، أتساءل في صمت أيهم هو المعالج (هيلر) الذي يسحب طاقته منه، وسألته:

- «ألم يكن بإمكانك فعل ذلك قبل اثنتي عشرة ساعة؟»

ارتعشت زاوية شفتيه وهو يرد:

- «قبل اثنتي عشرة ساعة كنا في مدينة صاحبة أعرف أنك ستتمكنين من الاختفاء فيها بسهولة. هذا بالطبع إن تمكنت من الهروب مني.» هز كتفيه تقريباً وأردف: - «اعتبريه إجراءً احترازيًا.»

قلدت هزة كتفيه بهزة مماثلة وقلت:

- «يبدو أنك تتخذ الكثير من الإجراءات الاحترازية من أجل مجرد فتاة من العاديين.»

- «أعتقد أن كلانا يعرف أن لا شيء فيك "مجرد فتاة".»

تبادلنا النظرات للحظة طويلة، بحذر هو بالضبط ما يُفترض بنا أن نكون عليه. كل شيء فيه حاد، بارد، ويخترقني بتلك النظرة الزجاجية. حتى وهو جاثٍ تحتي، كان يبدو في كل ذرة منه أميرًا وصنيعة للملك. دمىة للتاج متخفية بلقب فخم.

أتساءل كم مرة يركع المنفذ أمام أي شيء. أو أي شخص.

قلت:

- «أنت خائف مني.»

واجه عبارتي بنظرة ثابتة لكنها ممتدة كتنهيدة:

- «سأكون أحمقاً إن لم أحش شيئاً بمثل هذه الشراسة.»

ابتلعت ريقى وسألته:

- «وهل أنت لست كذلك؟ أحمقاً، أقصد؟»

نهض حينها، محافظاً على التواصل البصري حتى أصبح هو من ينظر إليّ من أعلى، وقال:

– «ليس بعد الآن.»

فتحت فمي، متعثرة في كلمات لم يبالِ بسماعها. وبإلتفاتة وإيماءة لرجاله، دبت الحياة في الموكب من جديد، ليسحبني معه. راقبته وهو يمتطي حصانه، ولمحت بريق الأمل المتدلي على خصره.

تخطى قلبي خفقة، وتعثر في دقاته عند رؤية خنجر يزين جانبه، رغم أن غياب الفولاذ اللولبي عن مقبضه يخبرني أنه ليس خنجري. أجبرت أفكارى على العقلانية، وأجبرت نفسي على التفكير كاللصاة التي اضطرت أن أصبحها. بعدما شوهدتُ أي فرصة للحصول على ذرة ثقة، باتت كل حركة أقوم بها مثاراً للشك بشكل مزعج. كان من الصعب ألا أحزن على الأيام التي كان التقرب منه فيها سهلاً، وعلى مدى توقي لشيء غير معقد تماماً. اندفعت للأمام بجوار الحصان المزمجر، وعقلي يدور بينما تتعثر قدمي. بحق الطاعون، أحتاج إلى خطة.

واصل الموكب مسيرته الكئيبة تحت ضوء القمر الشاحب – – مجرد ظلال فضية ترسم لوحتها على الرمال. كلمة "خطة" تبدو فضفاضة جداً على الفكرة التي تشكلت في رأسي، لكن اليأس دفعني لإلقاء الحذر عرض الحائط. أخذت نفساً عميقاً، وابتلعت كبريائي قبل أن أجبر قدمي على التباطؤ بشكل درامي.

اشتد الحبل الذي يربطني بالوحش، وانغرز كعباي في الرمال. في البداية، لم يتنازل المنفذ لملاحظة مقاومتي الواضحة، وبالتأكيد لم يبالِ الحصان الذي يعتليه أيضاً. لكن بعد عدة تنهيدات مطولة وخطوات عنيدة...

سأل بنبرة خالية من أي انبهار بمسرحيتي:

– «ماذا الآن يا جراي؟»

– «أنا متعبة.»

– «هل هذا صحيح؟»

عبست وأنا أنظر إلى كتفيه المظللين، وقلت:

- «أجل.»

- «همم.»

لهائث وأنا أقول:

- «همم؟ هذا كل ما لديك لتقوله؟ همم؟»

- «حسناً.» كنت أكاد أشعر بابتسامته من فوق حصانه العالي: - «همم، من المؤسف أنك خائفة من الخيول.»  
قلت:

- «أنا لست...» تنهدت، وأخذت نفساً عميقاً لأخفي ابتسامتي. هذا بالضبط ما أردته. - «سأتجاوز الأمر. أنا متعبة جداً لدرجة تمنعني من الاهتمام الآن.»

ألقي نظرة من فوق كتفه وقال:

- «لنرى ذلك إذن. اصعدي.»

ابتلعت ريقِي، وهو رد فعل تمنيت لو كان درامياً. مد يده ليساعدني في الصعود، بينما ارتفعت زاوية شفثيه.

- «مستحيل.» حاولت التراجع خطوة، مجاذبة الحبل المشتد. - «سأحتاج إلى... مساعدة.»

هذه المرة ابتسم حقاً وسأل:

- «تقصدين أنك بحاجة للمساعدة؟»

- «أنا لا أطلب شيئاً كهذا.»

هز رأسه نحوي وقال:

- «لا تزالين عنيدة جداً لتعترفي بأنك تطلبين المساعدة، ناهيك عن حاجتك إليها.»

قلبت عيني، ونظرت في كل مكان عدا عيني.

- «هيا يا جراي. أريد أن أسمعك تقولينها.»

هزرت رأسي وأملته نحو النجوم التي تحرق بنا من أعلى، وقلت:  
- «أنت لا تطاق.»

- «هذا ليس ما أنتظر سماعه تمامًا.»

تسرب صوت اشمئزاز من بين شفتي، وأنين مشبع بالندم، قبل أن أقول:  
- «حسنًا. أنا بحاجة إلى... مساعدتك.»

بصقت الكلمات، وابتلعت المرارة التي خلفتها في حلقي.

ابتسم لي حينها، بصورة مذهلة لم يكن يُفترض أن تكون كذلك -- ليس بعد الآن. وردًا على اعترافي، انزلق بسهولة من سرجه ليقف أمامي. تسارعت نبضات قلبي في صدري، واتجهت عيناى نحو السلاح المعلق في جانبه. مددت يدي المقيّدتين متوقعة، وابتسمت له بعذوبة.

راقبني، وعيناه الثاقبتان تنزلقان على وجهي. همس قائلاً:

- «حركة واحدة خاطئة يا جراي، وسأربطك في ظهر هذا الحصان.

مفهوم؟»

- «مفهوم أيها الأمير.»

قابل سخرיתי بملامح تكاد تلامس الابتسامة. ثم راح يقطع حبالى مستخدمًا السكين الذي أتوق بشدة لأن يكون في كفي. لم أجرؤ على تتبع حركاته وهو يعيد الخنجر الصغير إلى خصره، بل أبقيت عيني متصلتين بعينيه. كان معصماى أحمرين ومسلوخين، يؤلمانني من ساعات الشد. أخذت وقتي في تدليكهما، ممررة أصابعي على الكدمات المتورمة هناك حتى تأكدت أن أفكاره ابتعدت تمامًا عن السكين في جانبه.

حان وقت الإلهاء.

رفعت عيني إليه، وسحبت نفسًا عميقًا أخيرًا استعدادًا لتلك الفوضى التي ارتجلتها بدلًا من الخطة. تنهدت قائلة:

- «حسنًا. ارفعني إلى هناك.»

كانت ابتسامته مستفزة أكثر مما يروق لي حين قال:

– «حسناً إذن.»

خطى خلفي. استقرت يداه القاسيتان على وركي قبل أن أتمكن من سحب نفس آخر، كانتا ثابتتين، قويتين، ومألوفتين بشكل مقزز. ثم راح يرفعني، لأعلى، لأعلى، لأعلى...

صرخت:

– «بحق الطاعون!»

ورحت أتخبط في قبضته كما خطت تماماً. كانت أطرافي تلوح بعشوائية، في محاولة يائسة للفرار من قبضته بدافع ما أرجو أن يبدو كالخوف. كان ظهري ملتصقاً بصدرة بينما قدماي ترفسان في الهواء أمامي، ويديا تمتدان خلفي للتمسك بأي شيء – وجهه، ذراعيه، خصره، بينما أسل الخنجر من غمده.

– «ما خطبك بحق الجحيم؟»

أنزلني مجدداً على الأرض الصلبة، متفادياً كوعاً وجهته نحو الخلف. وبمجرد أن لامس حذائي الرمال، استدرت وتعثرت ضده، ممررة اليد التي تقبض على سكينه خلف ظهري. لم أستطع المخاطرة بدس السلاح في حزام بنطالي حيث يرجح أن يشعر به، فقلبت النصل ليصبح المقبض متجهاً للأسفل وتلوت صلاة صامتة لمن يعلم الأوبئة من يكون. عندها فقط، أسقطت السكين نحو فتحة حذائي.

عضضت لساني لأكتم لسعة الألم، شاعرة بالدم يبدأ بوخز جلدي حيث جرح النصل كاحلي. لكن بعد ذلك، عضضت لساني لأكتم ابتساماً.

لقد فعلتها. لقد نجح الأمر. ربما ينبغي عليّ الصلاة أكثر.

لهائت متراجعة خطوة للوراء قبل أن أسوي قميصي المجدد:

– «أنا... لم أكن مستعدة!»

سخر بنفاد صبر:

– «آه، أنا آسف. افترضت فقط أن قولك "ارفعني إلى هناك" يعني ضمناً أنك مستعدة للصعود إلى هناك.»

اختلست نظرة إلى الرجال حولنا، المندمجين في الظلال. كان غطاء الظلام هو السبب الوحيد الذي جعلني أفلت بهذه الحيلة الرعناء التي قمت بها للتو دون أن يلاحظني أحد.

– «أنا فقط... متوترة، حسناً؟ أمهلي ثانية.»

كز على أسناني قائلاً دون أن يعني كلمة واحدة مما يقول:

– «خذي وقتك.»

أشحت بنظري عن الانزعاج المرتسم بوضوح على وجهه. أخذت نفساً عميقاً، وتقمصت دور الأسيرة القلقة، بأصابع متوترة وأقدام لا تستقر.

قلت أخيراً:

– «حسناً.»

سأل ببطء:

– «حسناً، ماذا؟ أريد أن أسمعك تقولينها كي لا أتعرض لكمين مرة

أخرى.»

رمقته بنظرة باهتة وقلت:

– «حسناً، أنا مستعدة.»

– «هل أنت متأكدة من ذلك؟ أم يجب أن أتوقع لكمة في عيني أو...»

– «فقط ارفعني على هذا الحصان اللعين يا آزر.»

أخذ خطوة بطيئة خلفي حينها، محافظاً على تواصلنا البصري بينما انزلت كفاه الخشنتان على وركي. ابتلعت ريقى أمام الحميمية المطلقة في لحظة لم يكن يُقصد بها أن تكون كذلك على الإطلاق. إنه يرفعني على ظهر الحصان الذي يحملني إلى حتفي، بحق الطاعون.

ومع ذلك، توهجت وجنتاي في قلب صحراء خالية من الشمس. وأنا أكره

هذا – أكرهه هو. أليس كذلك؟

جذبني بالقرب منه، واحتجزني كأنفاس، مدركاً أنها مسألة وقت فقط قبل أن يضطر لإفلاتي.

ثم راح يرفعني، ويوجه قدمي نحو الركاب. أرجحت ساقي الأخرى فوق الوحش، ببطء وارتجاف. تشبثت بالسرج، وكل عضلة في جسدي مشدودة ومستعدة لإلقاء نفسي إن لزم الأمر. ولكن، في اللحظة التي كنت أفكر فيها بفعل ذلك، أصبح فجأة خلفي، صلباً وملتصقاً بعمودي الفقري.

قلت بهدوء:

– «أعتقد... أنني سأكون أكثر راحة في الخلف.»

همس بالقرب من أذني لدرجة جعلتني أقمع قشعريرة:

– «آه، أنا متأكد من ذلك. لكنني أريدك في مكان يمكنني رؤيتك فيه.»

طوقني بذراعيه حينها، وساعدها يحيطان بخصري وهو يمسك باللجام. قلبت عيني نحو المكان الذي استقرت فيه يداه على فخذي وسألت:

– «هل هذا ضروري حقاً؟»

– «ماذا، هل تعرفين كيف توجهين حصاناً؟»

أسندت ظهري قليلاً على صدره وقلت:

– «أنا سريعة التعلم.»

زفر فطار خصلات من شعري وقال:

– «نعم، متعلمة سريعة ستتوجه مباشرة للعودة إلى دور.»

– «أنت تقلل من شأني كثيراً يا صاحب السمو.»

انطلقت ضحكة قبل أن يرد:

– «لا، أنا أفكر فيك كثيراً. ولهذا السبب أعرف بالضبط ما ستفعلينه.»

ابتلعت ريقتي، وتراخيت في جلستي تاركة الصمت يخيم علينا. مرت

الدقائق، تغريني بالتحدث، ولو من باب الملل فقط.

سألت:

– «ماذا سيفعل بي؟»

كان ملتصقاً بظهري لدرجة أنني شعرت بجسده يتوتر حين انزلت التساؤلات من فمي. فجأة، راح الأمير يتململ بعدم راحة، وتنهد في مؤخرة عنقي. حاولت ألا أفكر في كيت، ولا في كيف ربما ساهمتُ في تشكيكه ليصبح نسخة مطابقة للملك الذي غرست السيف في صدره.

بدأ كاي محنياً رأسه:

– «أنا... لست متأكداً.»

سألت برقة:

– «كيف يبدو الآن؟ مليكي؟»

كان صوته باهتاً:

– «إنه كما تركته. قشرة رجل، يخطو ليماً حذاء ملك.»

تنهدت ونظرت إلى النجوم في الأعلى، وقلت:

– «إن أنا في حكم الموتى.»



## الفصل 20

# كلاي

**تنفسها** ذو إيقاع شجي.

منوّم بطريقة أكره الاعتراف بها.

إنها ملتصقة بي بشدة، متهاوية على صدري لدرجة أنني أستطيع الشعور  
بقفصها الصدري يتمدد مع كل نفس.

أشك أنها نامت بهذا العمق منذ أيام.

نفس عميق آخر. وخزة أخرى من أضلاعها في معدتي.

... أو أكلت كثيرًا، في واقع الأمر.

من مظهرها وملمسها، يبدو أنها نجت على الخبز الجاف طوال فترة بقائها  
في دور، بينما كانت تقا تل يومياً في الحلبة.

يجب حقاً أن أجعلها تأكل أكثر.

هزرت رأسي طارداً تلك الفكرة، رافضاً هذا الانعكاس التلقائي الذي يمثل  
اهتمامي بها. لأنها ليست مسؤوليتي. هي سجينتي. مهمتي. قاتلة والدي.

تسلل صوت ناعم ناعس من بين شفثيها، فتجمدت عند سماعه. كانت

محتجزة بين يديّ، صلبة ضد صدري، ورأسها يستند على القلب النابض

لأسرها. لم أر قط مثل هذا السلام يُحتضن بمثل هذه الرقة بين ذراعي الموت.



اختلست نظرة إلى السماء، بساط من السواد تغطيه التشكيلات النجمية. الرجال الذين يركبون بجواري لم يكونوا سوى ظلال متحركة، تخطو بصمت عبر الرمال. كانت الرؤوس تتمايل حولي، تقاوم النوم الذي أثقل جفونها. ناديت بصوت أجش:

– «توقفوا. سنخيم هنا لبقية الليل.»

قوبلت بهمهمات من الامتنان، تلاها تحسس مرتبك ونزول أخرق عن الجياد. سحبت حصاني ليتوقف، متردداً قبل أن أريح يديّ الثقيلتين فوق فخذيهما. سمحت لنفسني بلحظة واحدة. لحظة أنانية واحدة من وجودي البائس أكرسها لها. لفتاة بين ذراعي فتى. لواجهة زائفة. ثم انتهت اللحظة، وتكسرت حين هزرتها لأوقظها. أو حاولت فعل ذلك بالأحرى.

همهمت بانزعاج من محاولتي لإيقاظها. حاولت مرة أخرى، ممسكاً بخصرها هذه المرة لأهزها بعنف. احتجت، كعادتها، وسددت كوعها إلى معدتي بقوة مفاجئة لشخص لا يزال نصف نائم. فحنت متألماً من بين أسناني قبل أن أثبت ذراعيها على جانبيها.

– «على رسلك»، همست، «هل تفضلين أن أجعلك تقضين بقية الليل على هذا الحصان؟»

تنهدت، وصوتها ناعم بفعل النوم:

– «إن كان ذلك يعني أنني أستطيع امتطائه بعيداً عنك، فنعم، سأحب ذلك جداً.»

قلت بجفاف وأنا أترجل بسهولة عن الحصان:

– «أنتِ تجرحين مشاعري.»

كانت ترمقني بنظرة متوقعة، تنظر إليّ من أعلى حيث أقف في الأسفل. فابتسمت بودي في المقابل وسألت:

– «هل تحتاجين لشيء ما؟»

تجدد أنفها، في تمثيل مرئي للإحباط الذي شق طريقه إلى وجهها.  
- «لا. أنا بخير تمامًا.»

وبعدها، تشبثت بمقبض السرج وحاولت أرجحة ساقتها لتنزل.  
كنت أبتسم الآن وأنا أقول:

- «هل هذا صحيح؟ لا يوجد ما تودين سؤالي إياه؟»  
زفرت وهي تترنح على السرج:

- «أنا لا أطلب مساعدتك. والأفضل من ذلك، ما الذي يمنعني من إدارة  
هذا الحصان والهرب؟»  
قلت بنبرة جافة:

- «القدرة. المعرفة. الخوف. هل ترغبين في أن أستمر؟»  
- «أرغب في تحطيم أسنانك.»

- «آه، لكن حينها لن أتمكن من الابتسام بتلك الطريقة التي أعرف أنها  
تروق لك.»

قالت بعبوس:

- «ابتسم قدر ما تشاء. أنا لا أعجبني أي شيء فيك.»  
كان ردي هادئًا، مهترئًا، كأنه مُزق من أعماق عقلي:

- «أذكر أنك كنت تحبين تلك الابتسامة التي خُصصت لك وحدك.»

تصلبت عند سماع كلماتي لكنها لم تعتبرها تستحق الرد. تجاهلتنني،  
وأعدت تركيزها إلى المهمة التي بين يديها. بالنسبة لشخص يتمتع بتناسق  
حركي معتاد، كانت مشاهدتها وهي تحاول النزول عن حصان أمرًا هزليًا. لقد  
ألقت بنفسها فعليًا عن ظهر الحيوان، توفقًا لأن تظاً قدمها الأرض الصلبة أخيرًا.

سألت وعيناها تتفحصان أسرة النوم المتناثرة الآن على الرمال:

- «أين سأنام؟»

- «بجوارِي.»

التقت عيناها بعيني وقالت:

– «مستحيل.»

سألت ببراءة:

– «ولماذا؟ إنه ليس شيئاً لم نفعله من قبل.»

تحدثني قائلة:

– «وهو ليس شيئاً أخطط للقيام به مجدداً.»

تنهدت وسألت:

– «ولماذا يا جراي؟ هل تخشين أن يعجبك الأمر أكثر من اللازم؟»

أطلقت صوتاً مزيجاً بين السخرية والاشمئزاز وقالت:

– «أنت من يجب أن يقلق. فقد أخنقك أثناء نومك.»

ومع ذلك، ألقت بنفسها على أقرب سرير نوم، تراقب أحد الإمبراطورين يستخدم قدرته كصانع نار (بليزر) لإشعال نار.

تركت عيني تجولان عليها، على بشرتها السمراء، وأصابعها التي تعبت بالخاتم في إبهامها، وشعرها الفضي الذي يعكس ضوء القمر في الأعلى. كل شيء فيها يبدو مألوفاً جداً، ومخادعاً جداً. لا توجد طاقة تجري في العروق تحت تلك البشرة السمراء. لا توجد قدرات توجهها تلك الأصابع العابثة. لا يوجد تشابه مع النخبة في الخصلات الفضية لشعرها.

ومع ذلك، فهي تبدو أي شيء عدا أن تكون من العاديين. لقد تعلمت طوال حياتي أن أمثالها سيكونون دماراً للنخبة، لكنني لم أشعر قط بشيء أقوى من هذا.

تحركت لأجلس بجوارها، ممرراً يدي في شعري الرملي.

سخرت قائلة:

– «احذر، لو اقتربت أكثر سأبدأ في إضعاف قدراتك.»

رمىها بنظرة وقلت:

– «الأمر لا يسير هكذا، وأنتِ تعرفين ذلك.»

ضحكت ضحكة قاسية وممتلئة بالكره، وقالت:

– «أرجوك، نورني إذن. أود أن أسمع كيف تعتقد أن العاديين سيكونون هلاك النخبة بأكملها.»

تنهدت وقلت:

– «لو استمررتِ في العيش في إيليا، لكنتِ كذلك. ولأكثر من سبب.»

التفت لأتأملها، وعيناها تمسحان عدم التصديق الواضح في الغضون بين حاجبيها.

– «ألا تعرفين تاريخنا؟ من أين أتينا ولماذا من المهم جداً أن نبقي

نخبة؟»

لمحت تقلبية عينيها السريعة في ضوء النار المتراقص وهي تقول:

– «بالطبع أعرف تاريخ إيليا. ربما لم أذهب إلى المدرسة، لكن والدي

حرص على ألا أكون جاهلة تمامًا.»

قلت ببساطة:

– «حسناً إذن. أخبريني.»

أطلقت سخرية فاترة:

– «ماذا، هل تريدني أن أعلمك تاريخ إيليا؟»

– «أريد فقط التأكد من أنكِ تعرفين عما تتحدثين. لذا،» أشرت لها

لتكلم، «تفضلي.»

زفرت وهي تعبت بالغطاء تحتها:

– «هذا سخف.»

– «بدأ الأمر يبدو وكأنك لا تعرفين...»

قاطعتني بضيق من مجاراتي:

- « كانت إيليا مملكة ضعيفة. لقد كنا دائماً كذلك، حتى قبل أن يجتاحنا الطاعون. الغزو كان خوفاً دائماً يطارد الملوك السابقين، وحين حصد الطاعون أرواح نصف السكان تقريباً، تم وضع المملكة تحت الحجر الصحي، وعُزلت، وباتت أضعف من أي وقت مضى.»
- سردت المعلومات وعيناها مثبتتان على السماء.
- «لذا، حين وُلدت النخبة من رحم الطاعون، ابتهجت المملكة بالقوة التي امتلكوها فجأة فوق الجميع.» التفتت إليّ مجدداً: – «هل أنت راضٍ؟»
- ابتسمت وقلت:
- «بالكاد. أكملني.»
- أطلقت زفرة، ثم تنهيدة ثقيلة وقالت:
- «بقيت إيليا معزولة منذ ذلك الحين، لضمان أننا المملكة الوحيدة التي تمتلك النخبة. ثم، بعد سبعين عاماً، قرر والدك نفي جميع العاديين ليحظى بمجتمعه الخاص بالنخبة.»
- قاطعتها:
- «أنتِ تفوتين بعض النقاط الأساسية للغاية يا جراي.»
- تنهدت قائلة:
- «صحيح. المرض الذي اكتشف المعالجون (هيلرن) أننا نحن العاديين نحمله. ذلك المرض الذي سيُضعف في النهاية قدرات النخبة.»
- حشنتها:
- «وماذا أيضاً؟»
- «وحقيقة أن تزاوج العاديين والنخبة سيتسبب في النهاية في انقراض جنس النخبة. هذا،» أضافت بنظرة ذات مغزى، «أنا أصدقه.» ثم تابعت بحسرة: – «النخبة فقط هم من يمكنهم إنجاب نخبة. ورغم ذلك، فإن قدرات المرء لا تعتمد على والديه. يعتقد البعض أن مستوى القوة يرتبط بقوة الشخص نفسه.»

– «إذن أنتِ تفهمين لماذا يجب أن تبقى إيليا كما هي.»  
قالت بنعومة:

– «نعم. الجشع.»

تأملتها للحظة طويلة، تاركاً كلماتها تتغلغل في داخلي. سماع منظورها عن إيليا كان صادماً ومثيراً للاهتمام في آن واحد. لكونها نشأت كعادية في الأحياء الفقيرة، فهي ترى المملكة بشكل مختلف تمامًا عن أي فرد من النخبة في الطبقة العليا. وللأسف، كنت مهتمًا.

سألتنى وهي تتكئ على مرفقيها للخلف:

– «هل انتهيت من اختباري، أم يمكنني الذهاب للنوم الآن؟»  
تجاهلت سؤالها لأغامر بطرح سؤال آخر من جانبي:

– «وماذا تقترحين إذن؟»

– «أقترح لأي شيء؟»

قلت ببساطة:

– «لإيليا. ما الخيار الآخر المتاح سوى الاستمرار كما كنا نفعل طوال الثلاثين عامًا الماضية؟»

اعتدلت قليلًا في جلستها، وبدت متفاجئة من سؤالتي:

– «أقترح أن نعود لما كنا نفعله طوال سبعين عامًا قبل عمليات التصفية. في الأيام التي كان يعيش فيها العاديون والنخبة جنبًا إلى جنب...»

– «وماذا عن إضعاف قدراتنا؟ والمرض؟»

تنهدت وقالت:

– «ألم يخطر ببالك يومًا أن النخبة ربما لم يكن مقدراً لهم الوجود؟ وأن ما منحه الطاعون لإيليا هو أمر غير طبيعي؟»

تصلبتُ عند سماع كلماتها، لكنها واصلت:

– « ليس من المفترض أن يلعب البشر دور الآلهة. والنخبة لعبوا هذا الدور لفترة كافية. إذا كان ضعف قدراتهم يعني إنهاء العزلة والتوقف عن قتل العاديين، فليكن.»

أشحت بنظري وهزرت رأسي نحو النجوم قائلاً:

– «ستصبح إيليا ضعيفة بلا نخبها. يمكن غزوها بسهولة و...»  
قاطعتني ضحكتها:

– «أعتقد أننا لسنا ضعفاء الآن؟ نحن معزولون لدرجة أنه لا يوجد طعام يكفي لإطعام من يعيشون منا في الأحياء الفقيرة، ناهيك عن استيعاب الجميع حين لا يتبقى المزيد من الأراضي للتوسع.»

كانت نبرتها حازمة، لكن عينيها كانتا تتوسلان:

– «بدون حليف واحد أو مملكة لا تكرهنا، ألسنا أضعف من أي وقت مضى؟ وسنستمر في الانهيار ما لم يتغير شيء، أو يتغير شخص ما.»  
شخص ما.

إنها تفكر في كيت. لعلها كانت تنظر إلى كيت دائماً على أنه ذلك الشخص القادر على تغيير إيليا من أجلها. شخص لديه القابلية للاقتناع برؤية الأمور بشكل مختلف.

كدت أضحك من هذه الفكرة.

كيت الذي تركته خلفي خالٍ من أي إمكانيات لم تكن جزءاً من خطة أبي. لن يفعل شيئاً سوى ما أراه الملك وتمناه. حتى وهو ميت، لا يزال يتحكم في كيت، ويحكم إيليا من قبره.

قلت بسخرية:

– «من الجيد أخيراً سماع ما تشعرين به حقاً.»

– «حسناً، لا جدوى من إخفائه الآن. الخيانة العظمى هي أقل مخاوفني في الوقت الحالي.»

تمططت، وتفحصت النجوم قبل أن تلتف على جانبها وسألت:

- «هل تعتقد أنني مصابة بمرض؟»

تفاجأت من مدى جديتها وهي تطرح السؤال.

- «أنا أصدق المعالجين (هيلرز). وقبل ثلاثين عامًا، وجدوا شيئاً لا

يمكن اكتشافه. شيئاً سيؤدي إلى تدهور قدرات النخبة بمرور الوقت.»

سكتت، فاستغللت الفرصة لأسألها:

- «هل تعتقدين أنتِ أنكِ مصابة بمرض؟»

قالت بنعومة:

- «أنا متحيزة، لكن لا، لا أعتقد ذلك. كان والدي معالجاً (هيلر)، ولم

يكن يعتقد ذلك أيضاً. ربما لا توجد طريقة للمعرفة بشكل قاطع. لكنني أعلم

أنني أستحق العيش في كلتا الحالتين.»

صمتت، مفضلة النوم على إكمال هذا الحديث. بعد لحظة طويلة، شعرت

بها ترتجف قبل أن أسمع تدمرها يتسلل من شفيتها:

- «أرجوك أخبرني أنني لم أختطف فقط لأتجمد في الصحراء؟»

- «أنتِ مصدر إزعاج لا يُطاق.» لوحت بيدي لأحد الإمبراطورين وأنا

أستلقي بجوارها. - «أحضر لي بطانية إضافية.»

لم تكلف نفسها عناء الالتفات لتسخر في وجهي حين قالت:

- «وأنا التي ظننت أن الشهامة قد ماتت.»

عندما رمى لي الإمبراطوري البطانية، لم أتردد في إلقائها فوق رأسها

وقلت:

- «أوه، إنها كذلك يا عزيزتي.»

بزفرة غاضبة، أطل رأسها من فوق طيات القماش، لتسدل خصلات

شعرها الفضي عبر وجهها. النظرة التي رمتهني بها تعدني بموت أعلم أنها

قادرة على تنفيذه. ثم أدارت ظهرها لي مجدداً، مكتفية بتجاهل وجودي حتى

يдахمها النوم.

لا، إنها على الأرجح تدبر لشيء ما. أشك أنها تتوقف عن ذلك إلا نادرًا. إنها أسيرة صعبة المراس، تحتاج إلى مراقبة حتى في الأماكن التي لا مفر منها. لأنه إن كان هناك شخص قادر على إيجاد طريقة للـ...

– «تبا يا جراي!»

قفزت مبتعداً عنها، وأطلقت وابلًا من الشتائم الملونة.

– «ما خطبك بحق الجحيم؟»

قلت بنفاد صبر:

– «ما خطبي أنا؟ قدماك متجمدتان.»

اختلست نظرة من فوق كتفها، وفشلت بوضوح في إخفاء ابتسامتها

الماكرة:

– «حسنًا، لا أستطيع النوم وحذائي في قدمي. لم أتمكن من ذلك قط.»

كززت على أسناني قائلاً:

– «يبدو أنك لا تستطيعين النوم بجواربك أيضًا.»

هزت كتفها وقالت:

– «إنها لعنة، حقًا.»

– «حسنًا، أبقى لعنتك في جانبك.»

تلاشت ابتسامتها وقالت:

– «لكنك دافئ.»

وقبل أن أتمكن من الرد، أومأت برأسها عبر النار وأضافت:

– «أنا وقدماي الباردتان يمكننا دائمًا النوم هناك. بمفردي.»

تمت:

– «سيكون الجحيم أقرب من أن أتركك تنامين بمفردك.»

ثم هزرت رأسي، ولففت ذراعي حول ساقيها، وسحبتهما نحوي.

نظرت إليّ مصدومة. ثم ابتسمت، ابتسامة مشرقة وواسعة كالسمااء  
الليلية المعلقة فوقنا.

أخشى أنها قادرة على منافسة النجوم.

غاص سهم في الرمال بجوار رأسي.

سمعت صوت استقراره قبل حتى أن أفتح عينيّ.

تدحرجت، مبقياً جسدي منخفضاً على الأرض بينما تفحصت الظلام بحثاً  
عن مصدر هذا الكمين.

كانت السهام تمطر مخيمنا، وتغرز نفسها في لحم رجالي المترنحين من  
النوم. ملأت صرخاتهم أذني بينما شعرت بقدراتهم تنطفئ من تحت جلدي.

رمشت لأطرد النوم والسواد الذي يحجب رؤيتي، وبالكاد استطعت تمييز  
الأشكال التي تتسلل نحونا في الرمال. انقلبت على جانبي، أستعد للنهوض  
واستخدام إحدى القدرات القليلة المتبقية تحت تصرفي لـ...

لامس شيء بارد وحاد بشرة عنقي.

كان الشعور مألوفاً جداً.

وكذلك كان صوتها.

– «حركة واحدة أخرى، ولن أتردد هذه المرة.»



## الفصل 21

# بيكان

**التمه** النصل تحت ضوء القمر، مخفياً الخط الشاحب من الدم الذي

رسمه تحته.

تنفس كاي ببطء، والعضلة في فكه تنبض بالإحباط وهو يقول:

– «لا أريد حتى أن أعرف كيف تمكنت من الحصول على هذا.»

أبقيت السكين ثابتاً على عنقه بينما سمعت آخر الإمبراطوريين يسقط على الرمال بصوت مكتوم.

تمتم وعيناه تبحثان في وجهي بينما كنت أتفحص الرمال والأشكال التي

تقترب:

– «نحن نتعرض لكمين يا جراي. ما الذي تظنين أنكِ تفعلينه؟»

نظرت إليه من أسفل من حيث كنت أجلس باسترخاء وقلت:

– «أعتقد أنني أنقذ.»

جعدت الحيرة وجهه بينما اتسعت الابتسامة على وجهي. سأل وعدم

التصديق يكسو ملامحه:

– «كيف...؟ كيف يعقل أن تكوني...»



– «أهلاً بالأميرة!»

قفز قلبي عند سماع صوته. لم أكن يوماً بهذه السعادة لسماع ذلك اللقب السخيف.

امتزج لون شعره بحلقة ضوء النار التي خطا داخلها للتو. كانت خصلاته فوضى مجعدة تتساقط على جبهته، بينما تناثرت الأوساخ والنمش بالتساوي على وجهه. الابتسامة التي وجهها لي جعلت الدموع تفر في عيني. لم أكن أظن أنني سأرى صديقاً آخر حياً وبخير.

سأل ليني رافعاً حاجبيه بتشكك:

– «ماذا، هل ستجلسين هناك طوال اليوم أم ستأتين إلى هنا

لتعانقيني؟»

اختلفت نظرة إلى المنفذ الذي يرمقني بغضب من الأسفل، حين أجاب صوت حاد على السؤال الذي لم أنطق به:

– «أنا أسيطر عليه يا بيدن، لا تقلقي.»

ابتسمت ورفعت نظري لأجد لينا تفعل المثل. كانت تصوب قوساً نشاباً نحو الأمير بينما تعبت ابتسامة ماكرة بشفتيها. كان شعرها الأسود الطويل مربوطاً عند مؤخرة عنقها وملقى فوق كتفها. إنها ضئيلة الحجم ومرعبة، ومجرد النظر إليها جعلني أوشك على البكاء.

لم أتردد لحظة قبل أن أهب واقفة. وعينا مسمرتان على ليني، تعثرت في خطواتي نحوه، وقد غاصت قدمي العاريتان في الرمال. ثم توقفت مترنحة، أطلع ذلك الوجه الذي ظننت أنني لن أراه مجدداً.

قال وهو يفتح ذراعيه مع هزة خفيفة في كتفيه:

– «حسناً، تعالي إلى هنا.»

أومأت برأسي، تاركة السكين ينزلق من يدي قبل أن أرتمي في أحضانه. ارتطم جبيني ب صدره بصوت مكتوم أثار الضحك، وشعرت بضحكته تسري في جسدي حين لف ذراعيه حول ظهري ليربت عليّ بتلك الطريقة الخرقاء.

همس في شعري قبل أن يبتعد قليلاً لينظر إليّ قائلاً:  
 - «وأنا اشتقت إليك أيضاً أيتها الأميرة. لم أكن واثقاً إن كنت سأراك  
 مجدداً. على الأقل - -»

أشاح بنظره وقد اكتسى وجهه فجأة بالجدية، وتابع قائلاً:  
 - «على الأقل ليس قبل أن يراك بقية سكان إيليا.»  
 همست وأنا أرمش محاولةً حبس دموع عنيدة:  
 - «أجل، وأنا كذلك.»

ثم عانقت لينا بينما كانت لا تزال تمسك بقوس نشاب مذخر في يدها،  
 وهو مشهد بدا مألوفاً وملائماً لها بطريقة ما.  
 تنهدت قائلة:

- «رؤيتك تسر القلب.»  
 أومأت مبتسمة، بينما برز طيف آخر من بين الظلال.  
 قال متهكماً:

- «ألا توجد أي تحيات حارة لي؟ سأبذل قصارى جهدي كي لا أشعر  
 بالإهانة.»

ضحكت وأنا أطوقه بذراعيّ متجاوزة القوس المستقر على ظهره، وقلت:  
 - «مرحباً يا فين. لقد عرفت أنك هنا قبل أن تقع عيناك عليّ حتى.»  
 استدرت لأنظر إليهم جميعاً، وأضفت:  
 - «لقد أيقنت أنني في مأمن.»

رفع حاجبيه، وقد انعكس ضوء النار الخافت على شعره البني ليمنحه  
 لمعة كستنائية، وتساءل قائلاً:  
 - «حقاً؟»

أشرت إلى العشرات منها المتناثرة في أرجاء المخيم وعلى أجساد قاطنيه  
 السابقين، وقلت:

- «السهام. إنها سهام المقاومة. تلك التي تصنعها بنصال حمراء.»  
 ابتسم فين بخبث لإدراكي بصمته في الصنع، فتابعت قائلة:  
 – «وعرفت أنك من كان يطلقها؛ لأنك دائماً ما تحفر حرف الفاء أسفل  
 عمود السهم.»  
 هز كتفيه قائلاً:  
 – «ربما أصنع أفضل السهام لنفسي. وربما أردت فقط التأكد من ألا  
 يسرقها أحد غيري.»  
 زفرت ليना بحنق من موقعها حيث كانت لا تزال تصوب سلاحها نحو  
 المنفذ، وقالت:  
 – «هذا متوقع منك.»  
 التفتُ نحو ليني وسألته:  
 – «ما الذي تفعلونه هنا؟»  
 مر يده على مؤخرة عنقه وقال:  
 – «ما رأيك أن نؤجل هذا الحديث إلى أن نصبح على الطريق؟ لقد  
 أمضينا وقتاً أطول من اللازم في هذه الصحراء.»  
 رمق الأمير الذي كان يبدو في غاية الاستياء بنظرة سريعة، وسأل:  
 – «فين، هل يوجد حبل في حقيبتك؟»  
 بعد أن سحب الحبل وأخرجه، ألقى فين بابتسامة متعجرفة من فوق كتفه  
 باتجاه ليना التي كانت منزعجة بالفعل، وقال:  
 – «أرأيتِ؟ أخبرتكِ أننا سنحتاج إلى تقييد أحدهم في هذه الرحلة.»  
 تمتت قائلة:  
 – «أجل، ولكنني تمنيت أن تكون أنت من يُقيد.»

رغم أن كاي لم يبد أي مقاومة، تردد ليني قليلاً قبل أن يوثق يديه خلف ظهره. كان من الواضح أنه لم يتخيل يوماً أن يأسر أميره، لا سيما وأنه قد أقسم على حمايته. تنهد ليني وقال:

– «لا أصدق أنني أقول لك هذا حقاً، ولكن إن حاولت الهرب، فسنتلق النار.»

التزم كاي الصمت وهو يقف متفحصاً الجثث المتناثرة. أمحى كل تعبير من وجهه فجأة، وبدا خالياً من أي مشاعر وهو ينظر إلى رجاله. لقد رأته مسبقاً وهو يرتدي العشرات من أقنعتة الباردة، لذا أدركت تماماً تلك اللحظة التي ثبت فيها قناعاً جديداً على وجهه.

انتعلت حذائي مجدداً قبل أن أساعدهم في حشر بعض فرش النوم في حقائبهم، بينما أسرع الثلاثة لفك وثاق خيولهم. سألني ليني بعد أن لاحظ تمللي ووقفتي المرتبكة:

– «ما الخطب أيتها الأميرة؟ أليست هذه الخيول بمستوى يليق بمقامك؟»

تمتت قائلة:

– «لا يوجد حسان يرقى لمستواي.»

ثم أضفت بصوت أعلى بكثير:

– «هل يمكنني الركوب معك فحسب؟»

استطعت رؤية تلك اللحظة الدقيقة التي أدرك فيها أن المنقذة الفضية تخشى الخيول، ولم أكن لأنوي السماح له بالتفوه بكلمة واحدة حول هذا الأمر. فبادرته قائلة:

– «سأبرحك ضرباً يا ليني، وأنت تعلم ذلك.»

رفع يديه مستسلماً، وهز كتفيه وهو يقول:

– «لم أكن لأنطق بحرف.»

تمتت وأنا أراقبه يطلق سراح بقية الخيول التي لا يسعنا أخذها معنا:

- «في أحلامك فقط.»

وبعد أن عثرت على سكيبي مدفوناً في الرمال وأعدته إلى حذائي، راح ليبي يجاهد لكتم ضحكاته وهو بالكاد يقدم لي يد المساعدة لامتطاء ذلك الوحش.

سار الأمير أمامنا بينما تركنا ساحة المذبحة خلفنا لنبدأ طريق العودة نحو دور. سألت موجّهة كلامي لظهر ليبي وأنا أطوقه بذراعيّ بإحكام:

- «ما الذي يحدث في إيليا؟ وماذا جرى في الصحن بعد المحاكمة الأخيرة؟ أوه، وبقية أفراد المقاومة - -»

قاطعني ليبي قائلاً:

- «على رسلك أيتها الأميرة. لدينا مساحات شاسعة من الصحراء قبل أن نصل إلى دور للإجابة عن كل تساؤلاتك.»

انتقلت نظراته بين ليبي وبين اللذين يركبان على يميننا، وسأل:

- «هل يود أي منكما إخبارها؟»

أجاب فين بنبرة هادئة:

- «ليس حقاً، لا.»

مد ليبي يده ليربت على ظهره بابتسامة عذبة مصطنعة، وقال:

- «جميعنا نعلم أنك الأبرع في سرد القصص. انطلق يا رجل.»

ابتسم فين قبل أن يهز رأسه ويقول:

- «أنا كذلك، أليس كذلك؟ ولهذا السبب بالتحديد أنت من يحتاج إلى

الممارسة - -»

هتفت متذمرة وأنا أرمش ناظرة إليهما:

- «هل يمكن لأحدكم بحق الطاعون أن يخبرني بما يفترض بي معرفته؟»

أمرت ليبي قائلة:

- «ابتعد.»

دورت حصانها متجاوزة فين لتركب بمحاذااتي، وأردفت:

– «أوف، ليس لديك أدنى فكرة عما اضطررت لتحمله معهما.»

مررت أصابعها الصغيرة بين خصلات شعرها الطويل لتستجمع رباطة جأشها، ثم قالت:

– «بيدن، المقاومة... لقد انتهت المقاومة. انتهى كل شيء.»

مررت أصابعي على الخاتم الذي يطوق إبهامي، وهزرت رأسي لها قائلة:

– «عما... عما تتحدثين؟ ماذا تعنين بأنها انتهت؟»

رمقت لينا الشابين بنظرة سريعة قبل أن تتابع بحسرة:

– «كانت المعركة في الصحن دموية وقاسية. لم نكن مستعدين لتلك

الأعداد الغفيرة من الإمبراطوريين الذين تدفقوا إلى المكان. كل الحسابات التي

أعدناها، وكل التفاصيل التي جمعناها من جواسيسنا في الداخل، كانت

خاطئة. لم يسر أي شيء على ما يرام في ذلك اليوم.»

أضاف فين:

– «أجل، لقد أسكت كالوم قبل أن تسنح له فرصة نفي تلك الافتراءات

بأننا نحن العاديون مصابون بمرض ما ونضعف المملكة.»

أومأت برأسي مستذكرة كيف استشاط الحشد غضباً حين علموا بعدد

العاديين الذين يعيشون بينهم، وسألت:

– «هل هو على قيد الحياة؟ كالوم؟ وماذا عن ميرا؟»

هز ليني رأسه ماسحاً بيده على مؤخرة عنقه، وقال:

– «سمعنا أن الملك يحتجزهم. والأرجح أنهم يخضعون للاستجواب في

هذه اللحظة بالذات.»

ارتجف جسدي لمجرد التفكير فيما قد يفعله كيت بهما؛ بزعيم المقاومة

وابنته. فسألت بصوت خافت أخشى سماع إجابته:

– «وبقية من كانوا في الصحن؟ هل أبيدوا جميعاً –؟»

هزت لينا رأسها مصوبة بصرها نحو الرمال، وقالت:

– «كل من نجا من أفراد المقاومة ولم يسقط في معركة الصحن، أصبح الآن طريداً مشرداً. تماماً مثلنا.»

خيم علينا صمت ثقيل ونحن نستحضر هذا الموت الزؤام. أرواح كثيرة قدتها بنفسى إلى تلك الحلبة. دماء بريئة كثيرة أزهقت في سبيل الدفاع عما آمنوا أنه الحق. عما هو الحق.

قال فين أخيراً قاطعاً حبل الصمت:

– «وهكذا انتهى بنا المطاف هنا. وهكذا عثرنا عليك.»

ابتسمت، وهزرت رأسى وأنا أنظر إلى ثلاثتهم قائلة:

– «وكيف عرفتم أنها أنا؟»

تدخل ليني قائلاً:

– «حسناً، ما ساعدنا هو أن مجموعتكم كانت تفتش الأرض حول نار مشتعلة. مكننا ذلك من رؤيتكم دون أن تلمحونا، حتى وإن كنتم مستيقظين. أما بالنسبة لمعرفة هويتك...»

ضحك، واستدار ليشد ضفيري المتناثرة، وتابع:

– «كان معظم هذا الشعر يغطي وجهك ويعكس الضوء.»

قال فين بنبرة مرحة:

– «كنت أشبه بمنارة صغيرة تتوهج في عتمة الليل.»

ضحكت بخفة وأنا أراقب لينا تقلب عينيها قبل أن تضيف:

– «لم يكن التخلص من جنود الإمبراطورية بالأمر العسير، بالنظر إلى أنهم كانوا نياماً. ناهيك عن أنك تكفلت بأمر المنفذ نيابة عنا.»

قال فين وهو يرمي لينا بنظرة ذات مغزى:

– «أجل، حسناً، لم يكن أحد منهم ليستيقظ لو أن لينا – –»

أشار إليها وتابع:

– «لو لم تضرب أحدهم في ذراعه وتجعله يصرخ ملء شذقيه.»

حتى في ضوء القمر الشاحب، كان يسعني بوضوح رؤية شرر الغضب يتطاير من عيني لينا البنيتين. قالت من بين أسنانها المطبقة:

- «حدث ذلك لأنك اصطدمت بي.»

رغم فين بصوت مستفز:

- «كما يحلو لك يا ليني الصغيرة.»

مما كلفه وكزة موجعة في ضلوعه.

بقيت أستمع إلى مناكفاتها حتى مال ليني بجسده نحوي، وسأل:

- «كيف حالك يا بيدن؟ أعني، بعد كل ما حدث؟»

ألقي نظرة سريعة خلفه، وبدا كأنه يتفقدني بالكامل في لمحة واحدة، ثم

أضاف:

- «لم أكن واثقاً حتى من بقائك على قيد الحياة. لقد عدنا في النهاية إلى

مقر المقاومة - منزلك - وكان - -»

أكملت نيابة عنه:

- «مشتعلاً ومسوى بالأرض؟ أجل، لقد كنت بداخله حين حدث ذلك.»

رمرت المنفذ الذي يسير على بعد عدة ياردات أمامنا بنظرة حارقة،

متمنية أن يشعر بنظراتي وهي تخرق ظهره.

هز ليني رأسه وقال:

- «أنتِ صرصور صغير عنيد، هل تعلمين ذلك؟»

زفرت بسخرية وقلت:

- «بحق الطاعون. أنت تتقن حقاً انتقاء الكلمات التي تطرب أذن أي فتاة،

أليس كذلك؟»

استدرك قائلاً:

- «لا، ما أعنيه هو أنني بتّ مقتنعةً بأنك قادرة على النجاة من أي

شيء.»

قلت بصوت خافت:

- «أجل، حسناً، بتّ مقتنعة بأن هذه القدرة أضحت لعنة.»

قال ليّني بنبرة حنونة:

- «هيا، لا تقولي ذلك. لا تعيشي لتموتي، بل موتي لأنك قد عشتِ

حياتك.»

صمت لوهلة، ثم أضاف:

- «أو شيئاً من هذا القبيل. اسمعي، لقد استحققتِ كل نفس تتنفسينه

بجدارة. لذا، استمتعي بحياتك.»

تنهدت قائلة:

- «حسناً، لا يوجد الكثير مما يدعو للمتعة في هذه الصحراء.»

قال ببساطة:

- «صحبتي.»

قلت بابتسامة:

- «كما قلت؛ لا يوجد الكثير مما يدعو للمتعة.»

حذرني ليّني قائلاً:

- «انتبهي لكلماتك أيتها الأميرة. فأنا من يمسك بزمام هذا الوحش الذي

ترتعدين خوفاً منه.»

قلبت عينيّ نحو ظهره، غير أنني تشبثت به بقوة أكبر. ساد الصمت بيننا

ونحن نقطع مسافة لا بأس بها عبر الرمال، قبل أن يكسره ليّني قائلاً:

- «على الأقل تمكنت من رؤية وجهك كل يوم. فصورك تملأ جدران إيليا

بأسرها.»

أضفت:

- «وفي دور أيضاً. وفي تاندو. وربما في إزران.»

قال مطلقاً تصفيرة خافتة:

– «إن الجائزة المعروضة لرأسك هي – –»  
تنهدت قائلة:

– «أجل. هذا ما تجنيه حين تقتل ملكاً، على ما أظن.»  
شعرت به وهو يتردد في صياغة سؤاله، قبل أن يفتح فمه أخيراً:  
– «بيدن، كيف حدث ذلك أصلاً – –؟»  
أجبت بصوت هادئ:

– «كنت أركض عائدة من القلعة. لقد قطعت عهداً، ولم أستطع الرحيل دون أخذ شيء ما.»  
رحت أعبث بحاشية سترتي المهترئة، مستحضرة طيف أصابع أدينا الماهرة وهي تحيكها.  
تابعت:

– «وكان هو واقفاً هناك، خارج الصحن، ملطخاً بالدماء وممسكاً بسيفه.  
ثم... ثم انقض عليّ، كأنه كان يتربص بتلك اللحظة.»  
هزرت رأسي وأكملت:  
– «تفوه بأشياء عن والدي وعن المقاومة، ولكن كل شيء يبدو ضبابياً  
الآن.»  
أكاذيب.

إنني أعيش تلك اللحظة بكل تفاصيلها في كل مرة أغمض فيها عيني.  
استدار ليني متتبعاً بعينين تملؤهما المخاوف تلك الندبة المتعرجة التي  
تمتد على عنقي، وسأل:

– «هل هو من فعل بك هذا؟»  
ابتلعت ريتي بصعوبة وأجبت:  
– «أنت لم تر ما فعلته أنا به.»

لسعني الجرح المنقوش أسفل ترقوتي حين داهمتني الذكرى، فأحكمت إغلاق سترتي حول جسدي. لن يرى أحد كيف حطمني ومزقني.

قال ليّني برقة:

– «أنا آسف لأنك كنت وحدك.»

أجبتة:

– «صرصور عنيد، أتذكر؟ أجد دائماً طريقاً للنجاة.»

ضحك بخفوت، بينما رحّت أتأمل السماء، ملمحة طلائع السحب الوردية التي بدأت تتزاحم في الأفق. أخذت نفساً عميقاً وسألت:

– «كيف حال ملكنا الجديد؟»

هز ليّني رأسه قبل أن يمسح بيده على وجهه، وقال:

– «هناك... هناك شائعات.»

كررت وراءه متسائلة:

– «شائعات؟»

قاطعنا فين الذي اقترب ممتطياً حصانه ليركب بمحاذاتنا:

– «المملكة بأسرها تتحدث عن الأمر. لقد جُنّ جنونه. ببساطة.»

رمقه ليّني بنظرة معاتبة وقال:

– «هذه هي الشائعة التي قصدتها. كل ما نعلمه يقيناً هو أنه لم يبرح

مكتبه منذ وفاة الملك، والخدم يتناقلون الأقاويل. يزعمون أنهم يسمعون

تمتماته تتسرب عبر الجدران، وأنهم دائماً ما يجدون طعامه ملقى من النافذة.»

هز كتفيه وأضاف:

– «ربما هو مجرد حزن عابر وسينقضي قريباً. أو ربما – –»

قالت ليّنا بصوت خافت:

– «ربما هذا هو مستقبل إيليا.»

شعرت فجأة بغصة تسد حلقي. فأنا أعلم عن كثب مدى تأثير كيت بوالده حين كان حياً. والآن، وبعد أن قتله أنا...

تنحنحت بصعوبة وسألت:

– «وكيف حال إيليا؟ كيف حال الشعب؟»

هز ليني كتفيه مجيباً:

– «حسناً، ليسوا في أفضل حال. فد أفراد النخبة يندبون أيضاً الحاكم

الذي جعل من إيليا المملكة الأقوى على الإطلاق عبر نفي العاديين.»

أردف فين بنبرة مازحة، رغم أن الموضوع لم يكن يحمل أي طابع للمزاح:

– «هناك جموع غفيرة تمقتك بشدة؛ لنكتفِ بقول ذلك.»

أشحت بوجهي وهزرت رأسي قائلة:

– «لست مندهشة. فهم لا يمقتون ما اقترفته يداي فحسب، بل يمقتون

كينونتي وما أمثله.»

قالت لينا بهدوء:

– «الشعب يعيش حالة من التملل والاضطراب. فملكنا الجديد لم يُظهر

وجهه للمملكة بعد، مما جعل الكثيرين يشعرون بنوع من التجاهل والإهمال.»

أضاف فين:

– «و الملكة ليست في وضع أفضل أيضاً. الجميع يعتقد أن مسألة رحيلها

باتت مجرد مسألة وقت لا أكثر.»

تعلقت عيناى بالأمير الذي يتقدمنا. كان يصبو بصره نحو السماء،

يراقب العتمة وهي تتلاشى لتفسح المجال لتباشير الفجر الوردى. أطلقت زفرة

مرتجفة. والدته تحتضر، في حين أرسل هو في مهمة لجلبى. مهمة طالت مدتها

بأكثر مما توقعه أي شخص.

هل ودعها قبل أن يغادر؟ هل قطع لها وعداً لن يقوى على الإيفاء به الآن؟

هل --

طردت تلك الأفكار من رأسي، ووأدت قلقي تحت طبقات كراهيتي العميقة له. إن سلامة الأمير ليست من شأني.

ومع هذه الفكرة، أعدت انتباهي إلى الشاب الجالس أمامي والوحش الذي يقلنا، وقلت:

– «ليني، يجب أن تعلمني كيف أمتطي أحد هذه المخلوقات.»



## الفصل 22

# بيكان

متسائلة:

**قلت**

– «إلى أين تأخذنا؟»

انحنيت قبل أن يصطدم رأسي بعارضة خشبية متهالكة. كنت أتخبط في العتمة، باذلة قصاري جهدي لمجاراة خطى ليني الطويلة الذي كان يسبقني بخطوات. كان جسدي يئن وجعاً بعد يوم كامل من امتطاء الخيل، والتنقل الأعمى عبر الأزقة الخلفية لـ دور لم يكن ليخفف من وطأة الأمر.

صاح ليني من فوق كتفه، مخاطباً المجموعة التي تتذمر خلفه:

– «سترون قريباً. اقتربنا.»

رمقتني لينا بنظرة تملؤها الريبة، بينما كان فين يسير خلف كاي وفي يده قوس نشاب. كنا نجوب مشارف المدينة منذ قرابة الساعة، ورغم ذلك لم يُفصح لنا أحد عن غايتنا.

حذرنا ليني قبل أن ينحني ليمر عبر مدخل سُدت أجزاء منه بالألواح:

– «انتبهوا لرؤوسكم هنا.»



استدرت أتأمل المبني المهجور الذي خطونا للتو داخله. كانت بقايا الجدران تلتحف بالظلال، وتتخللها بقع من ضوء القمر المتسلل عبر السقف المتشقق.

لم يكلف ليني نفسه عناء إبطاء خطواته الواسعة التي قادته نحو زاوية مظلمة. ضيقت عينيّ أراقبه، وشهقت بحدة. وبينما كنت أرمش محاولة الرؤية، استطعت بالكاد تمييز أطراف تنبثق من الظلال التي كان يقترب منها ليني. فتحت فمي لأصرخ محذرة، وأنادي باسمه:

– «ليني!»

ولكن صرخة امرأة أخرى سبقتنني، رغم أن الكلمة كانت على طرف لساني. أضاء وميض لهب خافت الجدار، ليكشف عن تفاصيل المشهد. كانت العشرات من فرش النوم تتناثر على ألواح الأرضية غير المستوية، يشغل معظمها رجال ونساء وأطفال يغالبون النعاس. ووسطهم، وقفت امرأة فارعة الطول، يتوهج شعرها الأحمر القصير كجمرة في الضوء المرتجف. ابتسم ليني باتساع، وسحبها في عناق ضاغط.

تمتم فين بجواري:

– «بحق الجحيم، ما الذي يحدث هنا؟»

هزرت رأسي، عاجزة عن فعل أي شيء سوى التحديق.

قال ليني أخيرًا بعد أن أفلتها من عناقه:

– «يا رفاق، أقدم لكم أمي.»

رمشنا بأعيننا ناظرين إليه وإلى الغرباء الذين بدأوا يستيقظون ببطء.

كانت لينا أول من تحرك، فمدت يدها للمرأة قائلة:

– «مرحبًا. أنا لينا.»

صافحتها المرأة بحرارة قائلة:

– «ميريديث.»

قال ليني:

- «أمي، أقدم لكِ بيدن، وفين، و-»

قاطعته ميريديث بشفتين مزمومتين:

- «و المنفذ.»

مسح ليني على مؤخرة عنقه وقال:

- «أجل، المنفذ. لم نقرر بعد ما الذي سنفعله بشأنه.»

حولت ميريديث عينيها البنيتين نحوي، وقالت:

- «حسناً، أنتِ المنقذة الفضية، أليس كذلك؟»

ابتسمت بخفة وأجبت:

- «لسوء الحظ، أجل.»

لم تبدُ عليها علامات الخوف مني أو مما اقترفته، بل بادلتني الابتسامة

قائلة:

- «إذا استخدميه لتتالي حريتك. الملك بحاجة إلى ذراعه اليمنى أكثر من

حاجته إلى فتاة هاربة.»

أوما ليني ببطء وقال:

- «قد يفوح ذلك. سنحتاج إلى وضع خطة محكمة، ولكن - -»

قاطعه فين قائلاً:

- «أعتذر عن المقاطعة، ولكن أين نحن؟ ومن هؤلاء الأشخاص؟»

كان هناك العشرات منهم يتملطون بنعاس في فرشهم أو ينهضون

للمشاركة في الترحيب. ابتسمت ميريديث وقالت:

- «هذا... ملجأ من نوع ما.»

صرخت طفلة بفرح:

- «لين لين!»

اندفع طيف صغير راکضاً نحو ليني قبل أن يتلقفه بين ذراعيه. ضحكت

الطفلة الصغيرة بهيستيريا وهو يدور بها، ثم طبع قبلة على خدها قائلاً:

- «ها أنتِ ذي يا تنينتي الصغيرة!»  
سأله ببهجة:

- «هل اشتقت إليّ؟»

ابتسم ليني وقرص أنفها قائلاً:

- «يعتمد الأمر على مقدار اشتياقك لي.»

ابتسمت بعينين لامعتين وقالت:

- «أكثر من قليل.»

قال ليني:

- «جيد. وأنا اشتقت إليك أكثر من قليل أيضاً.»

راقبتها وهي تعبت بشعره، قبل أن أسأل بتردد:

- «هل هذه شقيقتك؟»

هز ليني كتفيه مجيباً:

- «بطريقة ما. وجدتها أمي في شوارع إيليا، وأدركت أنها لا تستطيع

البقاء هناك، فجلبتها لتعيش هنا. لقد ارتبطنا ببعضنا أكثر من قليل.»

سألت لينا وهي تتأمل المبنى المتداعي:

- «وأين نحن هنا، بالتحديد؟»

ابتسمت ميريديث وقالت:

- «إنه مكان يضم...»

وقعت عيناها على الأمير الموثق، الذي كان يراقب الطفلة باهتمام بالغ.

وأضافت:

- «حسناً، يبدو أنه قد اكتشف الأمر بالفعل.»

اتخذ كاي خطوة نحو الطفلة قبل أن يوكزه فين بطرف قوسه قائلاً:

- «على رسلك أيها الأمير.»

تجاهله المنفذ واستمر في تفحص الغرباء المحيطين بنا بعينين دقيقتين. متم وهو يهز رأسه، محاولاً استيعاب ما تستشعره قدراته:

- «إنهم... جزئيون. نسب متفاوتة.»

أومأت ميريديث بابتسامة خفيفة وقالت:

- «هذا صحيح. إنهم ثمرة تزاوج أفراد النخبة و العاديين. بعضهم يمتلك قدرات أقوى من غيره، ولكنهم جميعاً هنا لأنهم لا ينتمون إلى أي مكان آخر.»  
وجهت حديثها لكاي بنظرة ذات مغزى، تراقب كيف يمتص كل كلمة تتفوه بها، وتابعت:

- «لا يمكنهم المخاطرة بالعيش في أحياء إيليا الفقيرة لأن قدراتهم أضعف من أن تُصنف ضمن قدرات النخبة، وفي الوقت ذاته لا يمكنهم العيش بحرية في المدن المجاورة لأن الناس يمقتون القوة التي لا يستطيعون السيطرة عليها.»

تنحت جانباً لتمنحنا رؤية كاملة للعديد من الوجوه التي تحرق بنا الآن، وأضافت:

- «لذا، ينامون هنا، ويحاولون الاندماج والتواري قدر استطاعتهم.»  
همس ليني في أذن الطفلة:

- «أريهم ما يمكنك فعله يا تنينتي الصغيرة.»

ابتسمت، وعرضت راحتي يديها وهي تحرك أصابعها - تلك الأصابع التي اشتعلت فجأة بلهب خافت. ابتسمت لليني الذي أومأ لها مشجعاً:

- «هيا. أريهم لماذا أدعوك بتنينتي الصغيرة يا لونا.»

أومأت برأسها، وقد تخلل ضوء النار خصلات شعرها الداكن. ثم رفعت أصابعها المشتعلة نحو فمها، وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تنفخ في اللهب. تموجت النيران من أصابعها لتتمدد في الغرفة وكأنها تنفث النار حقاً.

قالت ميريديث بنبرة هادئة:

– «تنحدر لونا من سلالة طويلة من الهجناء، إن صح التعبير، ولهذا السبب يقتصر ظهور قدرتها ك مشعل (بليزر) على أصابعها فقط. وجدتتها في الأحياء الفقيرة حين لم تكن تتجاوز سن المشي. وأدركت على الفور أنها لا تمتلك القوة الكاملة لـ مشعل (بليزر)، بالنظر إلى أن أطفال النخبة بالكاد يستطيعون احتواء قدراتهم لعدة سنوات. كان يفترض أن يغمرها اللهب بالكامل.»

ابتسمت بحزن للطفلة الضاحكة بين ذراعي ليني، وتابعت:

– «أيقنت أنه لن يمر وقت طويل قبل أن يكتشف الجميع أنها ليست من النخبة الخالصة. وإيليا لا فائدة لها بمن أضعفتهم دماء العاديين.»

تخطت عيناها المنفذ وهي تقول:

– «لذا، خبأتها لبعض الوقت. لا يزال معظم الهجناء أقوياء بما يكفي للاندماج مع النخبة، لكن لونا أبعد ما تكون عن الهجين الأول في سلالتها. في النهاية – –»

لوحث بيدها نحو المجموعة خلفها وأكملت:

– «وجدت المزيد منهم في أرجاء حي لوت، وآويتهم. استمر الأمر حتى لم يعد المكان يتسع للمزيد، فقمنا بتلك الرحلة الشاقة إلى دور، حيث الوضع أكثر أماناً لهم. هنا، يواجهون الكراهية إن انكشف أمرهم. أما هناك – –»

صوبت نظرة ثابتة نحو الأمير وختمت:

– «أما هناك فيواجهون الموت.»

أضاف ليني:

– «لم يتبق الكثير منهم في إيليا. فر معظمهم إلى دور أو تاندو منذ جيل مضى، وباتوا يعيشون بين العامة. لكن، إذا ما صادفت أيًا منهم في الأحياء الفقيرة أثناء فترة خدمتي هناك، كنت أرسلهم إلى أمي.»

تنحرج رجل وتقدم خطوة من بين صفوف المجموعة في الخلف. كانت يدها مضمومتين معاً، تحتضنان لهباً صغيراً أضاء زوايا الغرفة المعتمة. قال:

– «وجدني ليني منذ بضع سنوات. أنا أيضاً مشعل (بليزر) جزئي. لا بد لي من ضم يديّ بهذا الشكل لأتمكن من إشعال شرارة.»

وتنحنحت امرأة أخرى وتقدمت إلى الضوء الخافت، قائلة:

– «أنا متخفية (فيل) جزئية. لذا...»

ومضت ذراعاها وتلاشتا أمام أعيننا.

– «أما بقية جسدي فيظل مرئياً.»

تقدم العديد من الأشخاص، ليشاركونا قصص وصولهم إلى هنا والقدرات الضئيلة التي يمتلكونها. كادت لينا أن تبكي وهي تمطر ميريديث بالشكر على كل ما قدمته، وعانقتها وعانقت كل من سمح لها بذلك.

أما المنفذ، فكان هو من أسر انتباهي. كان يدرسهم وكأنهم أحجية، مفككاً طلاس نسبة القوة التي يمتلكها كل منهم. تساءلت في سري عن عدد أنصاف النخبة هؤلاء الذين مروا بجواره في الشوارع دون أن يفقه عنهم شيئاً. وجهت ميريديث انتباهها نحوي، وقالت بلطف:

– «أنتم مرحب بكم للبقاء هنا قدر ما تشاؤون. أستطيع أن أتخيل مدى صعوبة إبعادك عن المشاكل بهذا الشعر المميز.»

ابتسمت بخفة وقلت:

– «ليس لديك أدنى فكرة.»

قال ليني:

– «خذوا راحتكم.»

ثم استدار نحو والدته ليخبرها بمكان تركنا للخيل، بينما واصلت لونا العبث بشعره.

أسرعت في بسط فراش نومي وأنا أقضم قطعة من الخبز الذي بدأت ميريديث في توزيعه علينا. سألت وأنا ألتفت لأرى فين يشير بقوسه نحو الأمير:

– «ما الذي سنفعله به؟»

قلت بنبرة عذبة رغم أن ابتسامتي كانت أبعد ما تكون عن ذلك:

- «أجلسه بجواري. سنتناوب على حراسته.»
- حين جلس بجانبني، كان يرتدي قناعي الأقل تفضيلاً من بين أقنعتة: قناع اللامبالاة. فملت نحوه، وهمست في أذنه برقة:
- «لحسن حظك، قدماي متجمدتان.»



## الفصل 23

# كلاي

### بداي خدرتان.

وقد كانتا كذلك منذ يومين تقريباً.

تحركتُ مسنداً ظهري إلى الجدار، وحاولت تدوير معصميّ المؤلمين. كنت مكبلاً منذ تعرضنا للكمين في الأراضي المحرقة، وبصراحة، لم أعتد الشعور بأن أصابعي على وشك التساقط. زفرت بحنق من وضعي الحالي.

قالت من موقعها عند حافة فراشي:

– «هل من خطب ما أيها الأمير؟»

كانت تحمل قوس النشاب، وابتسامة ساخرة ترسم على شفثيها. من المزعج حقاً مدى استمتاعها بهذا الأمر. قلت بجفاء:

– «لا أعلم، ربما حقيقة أنني لا أزال مقيداً؟»

رمقتني بنظرة تعاطف زائفة وقالت:

– «من الأفضل لك أن تبدأ في الاعتياد على الأمر.»

أوه، لقد كان لدي متسع من الوقت للاعتياد عليه.



لقد قطعت طريق العودة بأكمله من الأراضي المُحرقة ويدي موثقتان خلف ظهري. على الأقل، كان لدي ما يسليني في ذلك الحين. كان استراق السمع كفيلاً بشغلي طوال الرحلة الطويلة، إذ يبدو أن لا أحد تذكر أن قدرة ليني ك مفرط حواس (هايبر) كانت فريسة سهلة ومتاحة لي. وحينها سمعت كيف قتلته. أدركت أنني لم أسألها قط كيف كان شعورها حين فعلتها. ربما لم أرد أن أعرف إن كان لديها مبرر وجيه للقيام بذلك. تعلقت عيناى بالندبة التي تنحدر عبر عنقها لتختفي تحت طيات سترتها. تتبعت نظراتي، وتململت بانزعاج تحت وطأة تدقيقي. سحبت ياقة سترتها لأعلى، وبادلتنى النظرات بثبات وسألت:

– «ماذا؟»

هزرت كتفي وأشحت بنظري نحو الأرض، مجيباً:

– «لا شيء. أنا فقط أعرف مدى ألم ذلك.»

لقد تعرضت لجروح الملك بما يكفي لأعلم يقيناً مقدار الضغط الذي يستخدمه حين يمسك بالنصل.

قلبت عينيها وقالت:

– «التعاطف لا يليق بك يا آزر.»

ابتسمت لها وقلت:

– «كل شيء يليق بي يا جراي. لا تكذبي.»

انفرجت شفتاها، وكنت أتطلع بشغف لسماع ما كانت على وشك التفوه به، لولا أن ليني خطا نحونا مقاطعاً:

– «هل أنت مستعدة للغد يا بيدن؟»

أخذت نفساً عميقاً، وبدت متماسكة وهي تواصل التحديق بي وقالت:

– «أوه، لا أطيق صبراً.»

أوماً ليني موافقاً وقال:

– «عظيم. سننطلق في المساء ونمتطي خيولنا طوال الليل. وبعد بضعة أيام، حين نقرب من إيليا، سأسبقكم لإبلاغ الملك بأن المنفذ في حوزتنا.»  
تنهد وأضاف:

– «سأطلب منه ملاقاتنا في الحقل القريب من ملاذ الأرواح برفقة ثلاثة إمبراطوريين على الأكثر، لتجنب الكمين الذي سيُصب علينا حتماً إن حاولنا جميعاً دخول قاعة العرش. سنبقى أقواسنا موجهة نحو ورقة المساومة – –»  
أوماً برأسه نحوي وتابع:

– «طوال الوقت لضمان عدم حدوث أي تلاعب. وحينها، سنبادل أميرنا هنا بحريتك.»  
صفق بيديه معاً بمرح وأكمل:

– «وبعد ذلك، نعود إلى دور ونعيش في سعادة أبدية.»

جاهدت كي لا أهز رأسي سخرية منهم. إنها خطة كارثية. سيفقدون السيطرة عليّ تماماً بمجرد أن أقرب بما يكفي من أحد أفراد النخبة. نخبة حقيقي. وليس تلك الخيوط الواهية من القوة التي كنت أحاول التشبث بها من هذه المجموعة طوال اليومين الماضيين. فهذا القدر الضئيل من القدرات الذي يمتلكونه غير متوقع، وينزلق تحت جلدي كالزئبق، ولم أتعلم بعد كيف أطوعه.

لم يسبق لي أن شعرت بشيء كهذا. ولكن الآن وقد شعرت به، لا يساورني الشك في أنه كان مختبئاً تحت أنفي طوال الوقت. أتساءل كم من أفراد النخبة قرأتهم وكانوا يحملون نسبة ضئيلة من القوة لأنهم ينحدرون من سلالة مختلطة. إنه أمر رائع ومحبط في آن واحد.

نادت ميريديث وهي تقوم بجولتها المعتادة محملة بسلة من الخبز الجاف والجبين الدافئ:

– «هل من أحد يريد الخبز؟»

كانت قدرتها تنبض في عروقي، وقوتها هي وليني أشد سطوة من البقية. إنها زاحفة (كرولر)، وهو أمر كان ليكون في غاية النفع لو لم تكن يداي مكبلتين خلف ظهري.

صاح فين وهو يقفز من فوق بعض الأجساد النائمة ليأخذ رغيفاً:  
- «نعم يا سيدتي.»

قضم منه قطعة، والتفت نحو بيدن قائلاً:

- «مهلاً، سأتولى أنا نوبة الحراسة الأولى الليلة.»

حتى من هذه المسافة، كان بوسعي رؤية فتات الخبز يتطاير من فمه وهو يكمل:

- «اذهبي لتنالي قسطاً من النوم.»

ابتسمت له وبدا عليها الارتياح:

- «شكراً يا فين. أيقظني بعد بضع ساعات، اتفقنا؟»

كان لا يزال يمضغ خبزه حين أدى لها تحية عسكرية، وأخذ قوس النشاب، ثم استند إلى الجدار على بعد بضع ياردات. متجاهلاً الزاوية التي يجلس فيها، تفحصت الأرضية المتناثرة عليها الشموع والتي تلقي بظلالها المرتجفة على الجدران والسقف المتداعي. حشرت نفسي داخل فراش النوم الواسع، مجبراً على الاستلقاء على جانبي ويدي موثقتان خلف ظهري. ترددت بيدن قليلاً قبل أن تنسل بجواري. هي تفعل ذلك دائماً. لا تبدو خجلة إلا حين أكون قريباً بما يكفي للمسها.

تحركت في الفراش مصدراً حفيفاً كافياً ليجبرها على إطلاق زفرة ممتعضة:

- «ما خطبك؟»

قلت وصوتي مكتوم بين الأغطية:

- «أنفي يؤلمني.»

صمتت بطريقة جعلتني أظن أنها تكافح كي لا تضحك. زفرت بحنق وقالت:

- «حسناً. استدر.»

وبذراعين متألمين، انقلبت على جانبي الآخر لنصبح متواجهين. لم تسنح لي الفرصة لتأملها مؤخرًا. كانت قريبة مني، وجسدها دافئ رغم قدميها المتجمدتين اللتين تزحفان ببطء نحو قدمي. تموجت عيناها الزرقاوان في ضوء الشموع، كأنهما أعمق ركن في بحيرة صافية. استطعت بالكاد تمييز النمش الباهت الذي يزين أنفها، رغم أنني تظاهرت بنسيان العدد الدقيق لتلك النمشات.

أخرجت يدها من تحت الغطاء، ومدتها نحو وجهي. قالت بتردد مجددًا:  
- «همم. أين؟»

قلت وعيناوي لا تفارقان عينيها:

- «جسر أنفي.»

لامس طرف إصبعها أنفي، ولم يسعني إلا أن أتذكر حين نقرته سابقًا. ربما كانت تفكر في الأمر ذاته، لأنها، وبعد مسحة سريعة بإصبعها، سحبت يدها بسرعة.

تنحنحت وقلت:

- «لم أظنك من النوع الذي يميل للمقامرة.»

قالت بنبرة لامبالية:

- «أنا لصة. وكل جيب أمد يدي إليه يمثل مقامرة.»

- «حسنًا. لم أظنك من النوع الجاهل أيضًا.»

رمقتني بنظرة باهتة وقالت:

- «إلى ماذا يرمي هذا الحديث أيها الأمير؟»

حدقت فيها بثبات وقلت:

- «صفقتك مع الملك. مبادلتني بحريتك. لن تنجح.»

سافرت عيناها عبر الغرفة، وقد سكنتهما أشباح الذكريات. قالت:

- «كيت يحبك أكثر مما يكرهني. ستنجح الخطة.»

ابتسمت بحزن وقلت:

– «ستتفاجئين.»

خيم الصمت علينا، وراقبت جفنيها يرفان استسلامًا للنوم. إنها حقًا لا تُحتمل. ولكن ليس بالطريقة التي تسهل عليّ الإشاحة بنظري عنها. لا، فكل ما فيها يجسد نوعًا جريئًا من الجمال، كوردة تتباهى بأشواكها بشموخ. إنها فاتنة كمعظم الأشياء المميّنة.

إنها تسلب الألباب.

لا. لا، إنها مرعبة. يفترض أن تكون مرعبة، ما زلت أفكر فيها كشيء أسعى لاستحقاقه. ما زلت أراها جديرة برغبتني.

لكنها ليست كذلك. بغض النظر عما حدث بيننا بالفعل. إنها أسيرتي ومهمتي.

إنها لا تعني لي شيئًا.

وهذا ما أردده على مسامع نفسي وأنا أراقبها تغوص في النوم.

أتبعها... إلى النوم، إلى النسيان، إلى أي مكان تذهب إليه.

ولم أستيقظ إلا حين أُلقي بشيء فوق رأسي، ليصبح الهواء ثقيلًا وخانقًا.

قاومت الأذرع القوية التي كانت تخنقني قبل أن يرتخي جسدي تمامًا.

ثم عدت لأحلم مجددًا. وربما كان حلمي بها.

كانت يداي لا تزالان موثقتين خلف ظهري.

لكنهما الآن، كانتا موثقتين بيديها هي أيضًا.

كان رأسها مستندًا إلى مؤخرة رأسي، ويداها ترتعدان بجانب يديّ.

تحركت قليلًا، وكان هذا هو الإنذار الوحيد بأنها توشك على الاستيقاظ. ثم

ارتطمت مؤخرة جمجمتها بجمجمتي، لتتراقص النجوم أمام عينيّ.

تأوهت وأنا أميل للأمام قدر ما تسمح به الحبال:

– «آخ.»

قالت بصوت مثقل بالنعاس:

– «أوه، هذا أنت. لم أعرف بمن تم تقييدي. كان يجب أن أضربك بقوة أكبر.»

قلت من بين أسناني المطبقة:

– «مضحك. اقتربي مني أكثر. أنتِ تشدين يدي.»

كاد بوسعي أن أشعر بعينيها تدوران في محجريهما وهي تقول:

– «حاضر يا صاحب السمو. هل هناك أي شيء آخر يمكنني فعله لراحتك؟»

– «من دواعي سروري حقاً أن أُوسر برفقتك.»

شعرت برأسها يلتفت لتفحص الزنزانة التي ألقينا فيها. لم يكن هناك سوى حجارة متصدعة وأرضية قذرة. كانت القضبان مصنوعة من معدن عادي، وليس كاتماً (ميوت) كما اعتدت. ورغم ذلك، ومن دون وجود أي شخص من النخبة أستمد منه القوة، فأنا عاجز تماماً كالعاديين.

سألت أخيراً، لتتق بالسؤال الذي كنت أنتظر سماعه:

– «أين نحن بحق الجحيم؟»

أجبت:

– «سجن من نوع ما. تحت الأرض بالتأكيد.»

كانت الأرضية الحجرية المغطاة بالقاذورات شديدة البرودة، ومصدر الضوء الوحيد يقع في منتصف الردهة خارج زنزانتنا.

سألت والذعر يغلف كل كلمة تنطق بها:

– «كيف... كيف وصلنا إلى هنا؟ لا أتذكر أي شيء من الليلة الماضية.»

أسندت رأسي إلى رأسها وقلت:

– «لا بد أنهم خدرونا. تباً لصديقك الذي كان يتولى الحراسة.»

شدت يديها، وجذبت يديّ معها، قائلة:

– «لا، لا، لا. لا يمكن أن يحدث هذا –»

قلت بهدوء:

– «على رسلك يا جراي. ستخلعين ذراعي من مكانها.»

شهقت لالتقاط أنفاسها وقالت:

– «لماذا...؟ لماذا وضعونا في زنزانة صغيرة كهذه؟»

أجبت بهدوء:

– «حسنًا، ليس وكأننا نستطيع التحرك في الأرجاء...»

صرخت في وجهي:

– «شكرًا على التذكير يا آزر! لا أستطيع تحمل هذا. هل تشم رائحة

الدماء؟ أنا أشم رائحة دماء. لا أستطيع. أنا... أنا بحاجة للخروج من هنا.»

شعرت بيديها تتصببان عرقًا حول يديّ، وشعرت بظهرها يتمدد مع كل

نفس مرتجف. كانت رائحة الدم باهتة، لكنني معتاد على هذه الرائحة لدرجة

أنني بالكاد لاحظتها. لماذا تزعجها إلى هذا الحد؟

وحين تعثرت أنفاسها مطلقًا ما بدا كبداية نحيب، أيقنت أن هناك خطبًا

ما.

قلت بنبرة خافتة، متذوقًا حلاوة اسمها المسكر على لساني:

– «بيدن. بيدن، هل تسمعيني؟»

أجابت وهي تلهث:

– «ومتى استمعت إليك في حياتي؟»

ابتسمت في سري وقلت:

– «هل ركبناك مضمومتان إلى صدرك؟»

زفرت بحنق وقالت:

– «ماذا؟ أجل. أجل، ركبناي مضمومتان إلى صدري.»

قلت ببطء:

- «حسناً. أريدك أن تستمعي إليّ لمرّة واحدة في حياتك، وأن تضعي ساقيك على الأرض. افريقيهما قدر استطاعتك.»

- «ولماذا أفعل - -»

- «الاستماع، هل تذكرين؟»

كانت أنفاسها مرتجفة، ويدها متعرقتين وهي تزلق ساقيها على الأرض الحجرية. قلت ببطء:

- «الآن، أريدك أن تلاحظي مساحة الفراغ التي تملكينها. هذه الزنزانة أكبر بكثير مما تظنين. ساقي أنا أيضاً ممددتان على الأرض.»

كذبة. ركبتي مضمومتان إلى صدري، وأنا أهدق في جدار حجري.

- «هل تشعرين بحجم المساحة؟ هذه الزنزانة واسعة بما فيه الكفاية، ولن تزداد ضيقاً أبداً.»

ابتلعت ريقى قبل أن أشبك أصابعي بأصابعها، وشعرت بأنفاسها تتعثر عند هذا التلامس المفاجئ. ولكن بعد ذلك، بدأت أنفاسها تهدأ ضد ظهري، ويدها تتشبث بيدي كمرساة توقف طوفان أفكارها المتسارعة.

سألته لاهثاً:

- «أفضل؟»

شعرت بها تومئ برأسها:

- «أفضل.»

امتد الصمت بيننا. وأراحت رأسها على كتفي. تركز كل كياني على إحساس أصابعها المتشابكة مع أصابعي. كان أمراً منافياً للعقل.

دفعها صوت خطوات حذاء ثقيلة تقترب منا لانتزاع يدها من قبضتي.

جيد. حسناً. أنا سعيد لأن هذا قد انتهى.

الرجل الذي ظهر خارج قضبان زنزانتنا بدا مألوفاً نوعاً ما، بشعره الرمادي المخطط المربوط كذيل، وحاجبيه الكثيفين المتدليين فوق عينيه

السوداوين. ولكن حين شعرت بتصلب جسد بيدن خلفي، أدركت سبب معرفتي له.

تنهدت بيدن وقالت:

– «رافائيل. إذا جشعك هو ما يقف وراء هذا؟»

فتح ذراعيه كمن يرحب بصديق قديم وقال:

– «أوه، هيا يا فتاة. هل يمكنكِ لومي؟ لا أحد يستطيع تفويت الجائزة المعروضة لرأسك.»

انتقلت عيناه إليّ وأضاف:

– «وما يمكنني الحصول عليه مقابل كليكما معاً لا يُقاوم. حتى أنا قد

أتحمل فكرة وضع قدمي في إيليا مقابل الذهب الذي سأجنيه منكما.»

سألت بيدن بصوت مختنق، فقد بدأ الهواء يثقل تدريجياً برائحة كريهة أخذت تفوح نحونا:

– «كيف تمكنت حتى من العثور علينا؟»

واصل رافائيل حديثه غير عابئ:

– «نشرت رجالي في كافة ضواحي المدينة، يراقبون المكان بحثاً عنك

تحسباً لهربك من أميرك.»

ابتسم بانتشاء وأكمل:

– «لكنك بدلاً من ذلك، أحضرته معك.»

تعكر مزاجه حين رأى تعابير وجه بيدن، فقال:

– «أوه، لا تأخذي الأمر على محمل شخصي يا شادو. ربما جلبت لي

الكثير من الفضيات في حلبة القتال، لكنك ستجلبين لي ثروة طائلة حين أعيدكِ إلى إيليا.»

ابتعد للحظة ليحضر طبقاً من طاولة قريبة، وقال:

– «فكرت في تقديم هذا لكما بنفسي.»

فتح باب الزنزانة بمفتاح صدئ قبل أن ينحني ليضع صينية معدنية أمامنا، مليئة بقطع من الخبز الجاف.

- «عربون شكر لعودتك إليّ.»

سعلت بيدن تقريباً وقالت:

- «شكرًا، لكنني أشك في قدرتي على ابتلاع أي شيء وسط هذه الرائحة

النتنة.»

أوماً رافائيل قائلاً:

- «آه، هذا هو مجاري الصرف الصحي تحتنا.»

أشار برأسه نحو شبكة معدنية على بعد أقدام قليلة أسفل الردهة وتابع:

- «يملئ الصرف ويغسلونه كل بضعة أسابيع. ولحسن حظكما، يبدو

أنهم سيفعلون ذلك قريباً جداً.»

ابتسم والباب يُغلق خلفه، وأضاف:

- «أتمنى أن تستمتعا بإقامتكما القصيرة في أرقى سجون دور.»

ثم أوماً نحو طبق الخبز الجاف.

- «استمتعا بمحاولة اكتشاف كيفية تناول هذا.»

تلاشت أصوات خطواته تدريجياً وهو يبتعد في الردهة. سعلتُ محاولاً تنقية حلقي من الهواء الثقيل الذي كاد يخنقني. أراحت بيدن رأسها على كتفي، مجبرة انتباهي على العودة إليها وهي تقول:

- «يجب أن نخرج من هنا.»

أومأت برأسي قبل أن أسند رأسي فوق رأسها وقلت:

- «مستحيل بحق الجحيم أن أعود إلى إيليا كأسير.»

إن مجرد حدوث ذلك كفيل بتدمير السمعة التي بنيتها بدمي وعريقي منذ كنت صبياً. كل أمر أطعته، كل مهمة أنجزتها، كل روح أزهقتها بيدي - سيغدو كل ذلك هباءً منثوراً. فالعودة ورأسي معروضة لفدية ستجعلني أبدو أسوأ من

ضعيف، وأكثر إثارة للشفقة من الموت أثناء مهمة. إنه ببساطة خيار غير مطروح.

قالت بصوت حازم خالٍ من المشاعر:  
- «حسناً إذاً. هل لديك أي أفكار أيها الأمير؟»



## الفصل 24

# كبريت

طرق على بابي.

هناك دائماً طرقاً على بابي. دائماً خادم، أو جندي إمبراطوري، أو أي شخص آخر يقرع الخشب متوسلاً انتباهي.

هذه هي حياة الملوك، على ما أظن.

مررت يدي على وجهي المرهق، ثم على سترتي المجددة، قبل أن أتذكر أصابعي الملطخة بالخبث.

أنا لا أبدو كملك.

أبدو كفتى يحاول ارتداء حذاء رجل يفوقه حجماً، جالساً على كرسي يبتلعني بالكامل. أعيش في مملكة تعج بأشخاص أخشى مواجهتهم.

ورغم ذلك كله، أظهار. أظهار بأنني أعرف كيف أعيش حياتي كملك.

– «تفضل بالدخول.»

أعقب أمري صرير المفاصل يليه وقع خطوات خافتة على السجادة البالية. رفعت عيني عن الأوراق المتناثرة التي تغطي كل شبر من المكتب. أغلق الرجل الباب ببطء، وكانت كل حركة من حركاته هادئة ومدروسة.



ليس خادمًا. ولا جنديًا إمبراطوريًا. ولا شخصًا يتوسل انتباهي. في الواقع، لا يسعني تخيله يفعل أي شيء من هذا القبيل. هزرت رأسي وأنا أحاول عبثًا ترتيب الفوضى الملتخة بالحبر على مكتبي:

– «تبا، هل انتصف النهار بالفعل؟»

قال بنبرة سلسة، وهو يومئ برأسه نحو النافذة المسدلة:

– «حسنًا، من الصعب تتبع الوقت وتلك الستائر مغلقة دائمًا.»

زفرت وأنا أشير له بالجلوس:

– «أنت تعلم لم أبقها مغلقة. لست بحاجة إلى المزيد من الخدم يحدقون في نافذتي من الفناء. هناك ما يكفي من الشائعات التي تلوکها الألسنة كما هي الحال.»

قال برقة، بتلك الطريقة التي تصعب عليك تمييز ما إذا كان يوبخك أم لا:

– «ولهم في ذلك عذر وجيه.»

إنه بارع حقًا في انتقاء كلماته. واثق بما يكفي ليتحدث بصوت خافت، لأنه يعلم أن الجميع سيميلون بأجسادهم لسماعه. كل كلمة مدروسة، ودقيقة بأكثر الطرق إلحاحًا.

اخترقت عيناه الزرقاوان الشاحبتان عيني، باحثتين في أعماق تتجاوز نظرتي، وقال:

– «لم تخاطب شعبك بعد يا كيت. إن لم تمنحهم ما يتحدثون عنه، فسيختلقون روايتهم الخاصة.»

تمتت، وقد سئمت سماع هذه الأسطوانة في كل اجتماع يجمعنا:

– «أجل، شكرًا لك على هذه النصيحة الحكيمة.»

لانت نظراته وهو يستند إلى كرسيه، متأملًا إياي من الجهة المقابلة للمكتب:

– «أنا هنا فقط للمساعدة يا كيت. لتقديم توجيهاتي.»

أومات برأسي وقلت:

– «صحيح. بالطبع. والطاعون يعلم مدى حاجتي إليها.»

ابتسم ابتسامة بعثت في نفسي الطمأنينة وقال:

– «والطاعون يعلم أن هذا ليس بالأمر الهين عليك أيضاً.»

تنهدت وقلت:

– «أجل، حسناً. لقد أرشدتني خلال جزء كبير من هذه المحنة، وأنا ممتن

لك على ذلك.»

تحرك في مقعده ليميل فوق المكتب وقال:

– «وسأستمر في فعل ذلك. ولهذا السبب، آمل أن تمضي قدمًا في

اقتراحي الأخير.»

تصلب جسدي. كان اقتراحه الأخير عبثيًا في أفضل أحواله. عبثية كنت من حماقة بمكان لأفكر فيها. ولكن قبل أن أتمكن من البوح بهذا أو بشيء آخر لا يقل حماقة، أخرج صندوقًا صغيرًا من جيبه ووضعه على الخشب البالي بيننا.

رمشت بعيني محملاً في الصندوق المخملي وأنا أعلم ما يخبئه داخله. تعثرت نبضات قلبي بين ضلوعي، وتبعها فمي محاولاً تشكيل اسمه احتجاجاً:

– «ك.. كالوم – –»

قاطعني وهو يمرر أصابعه عبر شعره الأشقر:

– «هذه هي الطريقة المثلى. أعلم أن الفكرة ليست الأكثر جاذبية – –»

سخرت منه ضاحكاً من جنون الموقف بأكمله:

– «ليست جاذبية؟ هل تدرك حتى ما تطلبه مني؟»

زفر زفرة ثقيلة، وكأنه هو الآخر يحمل عبء المملكة على كتفيه. وبطريقة ما، هو كذلك.

– «أنت الملك. الحياة التي تعيشها لم تعد ملكك وحدك. هذه تضحية

يجب أن تُبدل من أجل خير المملكة.»

صمت لوهلة، تاركًا كلماته معلقة في الهواء بيننا، ثم أضاف:

– «هكذا ستمد يد العون للشعب الذي لم تواجهه بعد.»

أشحت بنظري، وهزرت رأسي نحو الحبر الذي يلطخ كل الأسطح.

– «سأفعل. أنا فقط...»

خنق الانفعال الكلمات في حلقي، وحبسها حتى تمكنت أخيرًا من بصق

المقاطع:

– «أنا فقط أتألم. لست الأمير الذي عرفوه.»

قال كالوم بهدوء:

– «لا، لست كذلك. لأنك الآن ملكهم.»

وبيد مترددة، دفع الصندوق مسافة أبعد عبر المكتب، حتى لم يعد

بوسعي تجاهله.

– «مما يعني أنك تضحي بمن كنت من أجل من يجب أن تكون.»

ثقت عيناه عيني، لتقرأ أكثر بكثير من المشاعر المرتسمة على وجهي.

– «ومع من يجب أن تكونه.»

حدقت في الصندوق، ولم أرفع نظري إليه إلا حين همس:

– «ماذا كان والدك يقول للشعب دائماً؟ شيئاً عما يصنع الملك

العظيم؟»

رسمت ابتسامة حزينة وأكملت:

– «آه، أجل. الباءات الثلاث.»

أوما كالوم مدندناً عند استرجاع الذكرى:

– «هذا هو. أذكر كيف كان يرددها حين يبلغ المملكة بقانون جديد أو

قرار اتخذه.»

استعدت الذكريات وقلت:

- « كانت إحدى شعاراته العديدة. كان يجبرني على كتابتها عشرات المرات خلال جلساتنا التعليمية. لن أتفاجأ إن كنت أتمم بها في نومي.»
- ضحك كالوم بينما سردت العبارة بجمود:
- « كي تكون ملكاً عظيماً، يجب أن تكون أولاً: باسلاً، وباراً، وباطشاً. حينها فقط يمكنك حكم مملكة عظيمة.»
- أوما كالوم متراجعاً في كرسيه وقال:
- « لم يخطئ. إنه معيار جيد لتقيس به نفسك.»
- ثم مد يده نحو الصندوق، ونقر بإصبعه الطويل على المخمل.
- « والقيام بهذا سيتطلب كل تلك الصفات الثلاث التي أمل أن يجدها فيك. البسالة.»
- نقر على الصندوق.
- « والبر.»
- نقر مرة أخرى.
- « وحتى البطش، اعتماداً على كيفية نظرتك للأمر.»
- إنه محق. بحق الطاعون، إنه محق دائماً.
- ابتلعت ريقي، والتقطت الصندوق لأحتضنه في راحة يدي وقلت:
- « الباءات الثلاث، هاه؟»
- ابتسم لي وقال:
- « الباءات الثلاث.»



## الفصل 25

# بيكان

– «**خطواتك** الخرقاء ستكون السبب في هلاكنا، أتعلمين ذلك؟»

انتزعت صرخة إحباط من حلقي وقلت:

– «حسناً، أنت لست بالضبط الشخص الأكثر تشجيعاً ليُقيد المرء معه.»  
أجاب لاهتأً:

– «في ظروف أخرى، أعدك بأنني أكثر متعة بكثير حين أُقيد.»  
توردت وجنتاي وأنا أقلب عيني، عالمة تمام اليقين أنه لا يستطيع رؤيتهما.

– «أنت. لا. تساعد.»

شعرت بظهره يهتز من الضحك. تجاهلته، وثبتت قدمي، مستعدة للمحاولة:

– «حسناً، لنجرب هذا مرة أخرى.»

أخذت نفساً عميقاً، ثم ضغطت على ظهره محاولة تثبيت قدمي أسفل جسدي.

همس قائلاً:



« أحسنتِ يا جراي. هيا، القليل بعد. »

كانت ساقاي ترتجفان وهما تجاهدان للوقوف معه. لم تكن هذه محاولتنا الأولى بأي حال، مما أشعرتني بالإرهاق والإحباط في آن واحد. لم يكن الوقوف على قدميَّ يومًا بهذا التحدي. دفعت ظهره، وزحزحت قدميَّ تحتي لأقف بصعوبة وافتقار للرشاقة على أرضية السجن الباردة.

تنهد الوغد قائلاً:

« لقد حان الوقت أخيرًا. الآن يبدأ المرح. »

رمقت الصخرة المدببة البارزة من الجدار، والتي ترتفع عن الأرض قرابة أربعة أقدام. اتخذ خطوة نحوها، جاذبًا إياي خلفه.

فحسست ألمًا وقلت:

« آخ! ليتك تحذرنني في المرة القادمة. »

قال بجفاء:

« حسنًا. أنا أسير نحو الصخرة الآن. »

ومع ذلك، جرتني خلفه جرًا وأنا أتعثر إلى الوراء نحو الجدار. زفرت بضيق حين استقرت قدمي أخيرًا على الأرض، متمنية لو كان بوسعه رؤية نظرتي الغاضبة. ثم رفع يدينا، ووجه الحبل ليستقر على الصخرة الحادة.

كانت ذراعاي مسحوبتين خلف ظهري، ومثنيتين بزاوية مؤلمة. وازداد الأمر سوءًا حين بدأ ينشر الحبل على الصخرة. ذهابًا وإيابًا. ذهابًا وإيابًا. أسدلت رأسي نحو الأرض، أراقب شعري ينسدل في هالة فوضوية حول وجهي.

« هل أنت بخير هناك يا جراي؟ »

قلت بصوت مكتوم بين خصلات شعري:

« أوه، أنا في غاية الروعة. لم يشعر عنقي براحة كهذه من قبل. »

كنت أسمع صوت احتكاك الحبل بالصخر، وأشعر بكاي وهو يبذل جل الجهد.

– « ما رأيك أن نلعب لعبة؟ لنشغل تفكيرك عن الأمر. »

ارتفع رأسي فجأة إثر عرضه. كان اهتمامه مفاجئاً. ألم يقسم على ألا يفعل ذلك مجدداً؟

أمرني المنفذ بالاقتراب خطوة من الصخرة.

لكن هذا ليس اهتماماً، أليس كذلك؟ لا، إنه يستخدمني للهرب وإنقاذ سمعته. أنا مجرد وسيلة لتحقيق غاية.

تنهد وهو لا يزال ينشر الحبل:

– « حسناً. أرى شيئاً رمادي اللون. خمّني ما هو. »

زفرت ساخرة:

– « كل شيء في هذا المكان الملعون رمادي. »

– « إذاً، يفضل أن تكوني محددة. »

زفرت من أنفي وقلت:

– « حسناً. الجدار. »

– « خمّني مرة أخرى. »

– « القضببان؟ »

شد الحبل ليختبر متانته وقال:

– « خطأ مرة أخرى. »

– « السقف؟ »

– « أنت لست بارعة جداً في هذه اللعبة – – »

قطعت وقع خطوات يتردد صداها كلماته. هذه المرة كنت أنا من يجذبه بصمت نحو بقعتنا على الأرض، حيث كدت أسقط، ساحبة إياه معي. انعطفت الحارس حول الزاوية ليدخل الردهة الموحشة بخلوها، وتوقف فقط ليخرج مفتاحاً من جيبه. لم ينظر إلينا وهو يخطو للداخل ويضع وعاء معدنياً من الماء بجوار الخبز الجاف الذي لم نمسه تقريباً.

جاهدت لأكتم سخرיתי. يتوقعون منا أن نلحق الماء كالكلاب. دليل آخر على كراهيتهم لنا نحن أبناء إيليا.

أغلق الباب خلفه بنقرة ثقيلة، وراقبت ظله ينزلق عبر الردهة. لزمنا الصمت للحظة طويلة قبل أن أشعر بيد كاي تربت على أسفل ظهري في أمر صامت. أخذت نفساً عميقاً، واستعدت قبل أن أكافح للنهوض على قدمي. ثم عدنا إلى الصخرة وعملية النشر المضنية. أسدلت رأسي مجدداً، لأريح عنقي المؤلم وأنا أتمتم:

– «الصينية.»

– «تلك أقرب للون الفضي.»

عبست وقلت:

– «وماذا عن شعري إذا؟»

قال ببطء:

– «لا أعلم أيتها المنقذة الفضية، أخبريني أنت.»

جادلته قائلة:

– «أعتقد أنه يمكن اعتباره رمادياً.»

ضحك. كانت ضحكة عميقة ومظلمة بطريقة بتّ أميزها.

– «شعرك أقرب لأن يكون أشعة قمر من أن يكون رمادياً.»

قلت ببطء:

– «احذر، كاد ذلك أن يبدو كإطراء.»

سمعته يزفر ضاحكاً:

– «ربما أمنحك إطراءً حقيقياً إن تمكنتِ فعلاً من التخمين بشكل

صحيح.»

رمقت الأرض بنظرة غاضبة وقلت:

– «لقد سميت كل شيء رمادي هنا.»

- «من الواضح أنك لم تفعلي.»

توقف عن النشر لفترة كافية ليشد الحبل. شعرت به يرتخي قليلاً حول معصميّ فتنهدت بارتياح. لم يبق الكثير حتى أتحرر.

رفعت رأسي لأمسح الزنزانة بنظري مجدداً وسألت بحنق:

- «ما الذي يمكن أن أكون قد أغفلته؟»

قال ببساطة، وكأنه لا يبدو مجنوناً:

- «تلك الصخرة هناك.»

حاولت عض لساني لأطول فترة ممكنة. حاولت حقاً. لكن قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي، اندفعت قائلة:

- «عفوًا، هل تقصد الصخرة الموجودة في الجانب الآخر من الزنزانة

والتي لا يمكنني رؤيتها؟»

سكت للحظة ثم قال:

- «تلك هي.»

- «هذا ظلم تام.»

قال ببطء:

- «أخبرتكَ أن تكوني محددة.»

تصاعد صوت إحباط من حلقي، وكان له الجراءة ليسخر مني ضاحكاً.

بصورة مفاجئة، تمكنت من إبقاء فمي مغلقاً، مترهلة بصمت وذراعاي

تُسحبان جيئةً وذهاباً. وحين بدأت جفوني تثقل، توقف ليختبر متانة الحبل.

قال بصوت أجش، وجسده يتوسل النوم:

- «سأتمكن من قطعه الآن. يمكننا الاستراحة حتى يعود الحارس.»

أومأت برأسي، وجذبتة بتثاقل عائدين إلى منتصف الزنزانة لننزلق إلى

الأرض.

- «وبعدها سنخرج من هنا.»

كرر بهدوء:

– «وبعدها سنخرج من هنا.»

وجد رأسي طريقه إلى كتفه، مستنداً إليه رغم كل محاولاتي لعدم فعل ذلك. جسدي يؤلمني، وكل إنش من كياني الخائن يتوق للتكور بجانبه، ليحتضنني.

في أشد لحظات ضعفي، أتمناه. وفي أوج قوتي، أتمنى لو يسعني القول إن الأمر ليس كذلك.

أراح رأسه فوق رأسي، بلمسة حنونة تثبتني في الواقع. أكره أنه يمنحني هذا الشعور. شعور وكأنه الراحة متجسدة.

سألت بهدوء، وإن كان ذلك فقط لإراحة ضميري:

– «هل يمكننا التظاهر بأنه لا بأس بالأ نكره بعضنا في هذه اللحظات؟»

بدا وكأنه كان ليضحك لولا شدة إرهاقه:

– «أجل. فلنتظاهر.»

لذت بالصمت حتى قاطعته:

– «هل تندم على أي من ذلك؟»

سأل بصوت هادئ ومريح:

– «أندم على ماذا؟»

همست، مستحضرة لحظة ضعفنا على السطح:

– «علينا؟»

صمتت برهة.

– «هل تندم على ما حدث بيننا؟ حتى الأشياء الأحدث؟»

بقي صامتاً لفترة طويلة حتى غفوت، ولم أستيقظ إلا حين همس:

– «نامي أيتها المتبصرة الصغيرة. الندم نتركه للصباح.»

استيقظت على صوت صرير المعادن.

رفت جفناي حين شعرت بكاي يربت على أسفل ظهري محذراً. ومن خلال رؤية ضبابية، راقبت الحارس يخطو داخل الزنزانة، ممسكاً برغيف جاف. رمشت لأطرد النعاس، مستعدة للخطة التي توشك أن تُنفذ.

حدث كل شيء بسرعة بالغة لدرجة أنني كدت أنسى الدور الذي يفترض بي تأديته. بمجرد أن انحنى الحارس ليضع الخبز بيننا، حرك كاي جسده ودس قدمه أسفل الصينية. ارتطم المعدن بوجه الرجل حين ركله الأمير لأعلى، بقوة كافية لسماع صوت تحطم أنف الحارس.

صاح كاي من بين أسنانه وهو يشد الحبل الممزق الذي لا يزال يربطنا معاً:

– «اسحبي باتجاهي يا جراي!»

ألقيت بوزن جسدي للأمام، وكدت أهشم وجهي في الجدار الحجري حين انقطع الحبل، ليحرر معصمي.

اندفعت متخبطة نحو الحارس الذي يئن ممسكاً بأنفه المكسور. ضربت رأسه بالجدار قبل أن تتسع عيناه لرؤيتي حتى. فقد وعيه تماماً بينما كنت أعبث بجيوبه، لأجد المفتاح الصديء داخله، وأترنح نحو باب الزنزانة. كان كاي خلفي مباشرة، يراقبني وأنا أمد يدي عبر القضبان لأفتح الباب من الخارج. خطونا عبر القضبان المفتوحة، نفرك معصمينا المؤلمين. مسحت عيناي الجدار المكون من زنزانات فارغة، وشعرت بارتياح حين لم أجد وجهاً مألوفاً واحداً بداخلها.

ليني والآخرون ليسوا هنا. يبدو أن الأمير والمنقذة الفضية فقط هما من استحقا عناء رافائيل. وقد أسعدني هذا الإدراك مؤقتاً.

لكن شبكة مجاري الصرف في نهاية الردهة هي ما أسر انتباهي الآن.

همس كاي، وانطلق في ركضة خفيفة نحو فتحة الصرف:

– «الأمور تسير على ما يرام حتى الآن.»

كنت في أعقابه في لمح البصر، ورأسي يدور باحثاً عن أي علامة لحراس قادمين. تسارع نبض قلبي، وكان رأسي يقرع كالطبول، بينما ركزت على إبقاء ساقي المتعبتين تندفعان نحو الحرية.

أمرني المنفذ حين توقفت منزلقة فوق الشبكة المعدنية:

– «أمسكي بالجانب الآخر.»

انزلت أصابعي على المعدن المكسو بالقاذورات، لكنني رفعت بكل ما أوتيت ذراعي المجهدتان من قوة.

شخر كاي بجهد:

– «هيا يا جراي، يمكنك فعل أفضل من ذلك.»

كانت الشبكة ثقيلة بشكل مستحيل، وصوت وقع الأحذية العسكرية المتزايد لم يساعدني على التركيز. أخذت نفساً عميقاً قبل أن أجذب للأعلى بقوة، متأملة أن يتكفل كاي بالباقي. كدت أشكر الطاعون حين تمكن من سحب الغطاء إلى منتصف الفتحة المظلمة التي تهوي إلى مجاري الصرف.

استقبلنا صوت المياه المتدفقة، ورائحة الفضلات البشرية. كدت أتقيأ رغم كل محاولاتي للسيطرة على معدتي، لكنني تمكنت من إبقاء قضمات الخبز الجاف القليلة في جوفي. جعلني صياح متباعد أرفع رأسي بحدة، مجهداً عيني في الضوء الخافت لأرى كم عدد الحراس الذين يركضون نحونا. أتممت عددهم سبعة قبل أن تلتقي عيناي بعيني كاي عبر الفم الفاجر لمجاري الصرف في الأسفل.

وبإيماءة واحدة، خطوت عن الحافة إلى غياهب الظلام.

هبطت بصوت دفقة ماء، ممتنة لاكتشافي أن ما يلتف حول ربلتي ساقي كان مجرد ماء في الغالب. سرعان ما هبط كاي بجواري رغم أن شيئاً ما اصطدم بكتفيه وأحدث رنيناً معدنياً. لم يمنحني فرصة للسؤال قبل أن يقبض على يدي وينطلق راکضاً عبر النفق.

صاح فوق هدير المياه المتدفقة:

– «إنهم قادمون! يجب أن نتحرك بسرعة!»

أومأت برأسي رغم علمه بأنه لا يرى ذلك، محاولة تجاهل حقيقة أن هذا هو المدى الذي وصلت إليه خطتنا. هذا هو أقصى ما خططنا له. قطع الحبل. إفقاد الحارس وعيه. الحصول على المفتاح. الهرب عبر مجاري الصرف. باستثناء أننا لا نملك أدنى فكرة عما ينتظرنا في نهاية هذا النفق. شعرت بثقل في ساقيّ، كأنني أحاول الركض وسط العسل. صرخت والذعر يجعل صوتي يرتجف:

– «المنسوب يرتفع!»

كان الماء يندفع حول ركبتي الآن، بقوة وسرعة. تردد صدى أمره عبر جدران النفق، مجبرًا ساقيّ على التحرك بسرعة أكبر وسط التيار:

– «واصلي التحرك!»

كان الظلام حالكًا في الأسفل لدرجة أنني لم أستطع رؤية كاي وهو يشق طريقه في الماء أمامي، لكن يده كانت قابضة على يدي بحزم وهو يقودني عبر النفق. مدت يدي الحرة، وجررت أصابعي على الجدار القذر بجواري، متحسسة كل ممر كان بإمكاننا الانعطاف إليه.

باتت المياه الكثيفة تلامس خصري الآن. لم أكن أرى سوى ظلال وأطيان، ولم أشعر سوى بالمياه المتجمدة ورعب يشل الأوصال. كنت أنزلق مع كل خطوة، محاولة مجاراة كاي وهو يسحبني خلفه. كان السائل يرتفع بسرعة ونحن نركض، متحدثًا إيانا بالغرق مع كل إنش يزيده.

لم يكن الغرق يومًا نهاية مثالية، وخاصة في مجاري الصرف. أعلم أنني أتحرك، لكنني بالكاد أشعر بساقيّ تحتي. اجتاحت القشعريرة جسدي، وانضمت أسناني المصطكة الآن إلى سيمفونية المياه المتدفقة – المياه المتدفقة التي لا تنفك ترتفع.

– «لم يبق سوى القليل!»

سمعت صياحه المشجع، لكنني لم أكلف نفسي عناء تصديقه. نحن نركض بغير هدى في شبكات الصرف الصحي، يطاردنا الماء من جهة، وحراس يدفعهم الجشع من جهة أخرى. احتمالات نجاتنا لا تبدو في صالحنا أبداً.

كانت يداي خدرتين، وأصابعي متجمدة بفعل الماء الذي وصل الآن إلى مرفقيّ.

ربما يكون هذا المصير أفضل من ذاك الذي ينتظرني في إيليا. ربما هنا يدركني الموت أخيراً، ويحظى بفرصة القهقهة وهو يراني أنزلق إلى قبر مائي.

أو ربما سيعانقني كصديق قديم.

اصطدمت بشيء صلب، وتناثرت المياه المتجمدة على ما تبقى جافاً مني. كان ظهر كاي يسد طريقي، لكنني كنت قريبة بما يكفي الآن لأسمع سيل اللعنات التي يطلقها. أفلت يدي وهو يلهث:

– «تباً.»

تحسست طريقي حوله وأنا أسأل:

– «ماذا؟ ما الذي يحدث؟»

اندفعت للأمام حتى...

لامست راحتي جداراً قذراً.

مررت أصابعي المذعورة في كل اتجاه، باحثة عن أي فتحة في الظلام. لا شيء.

كانت المياه تلامس قفصي الصدري، وكنت أكافح لالتقاط أنفاسي جراء برودة المياه والخوف الذي يعتصر صدري. قلت ببساطة:

– «لا. لا، لا بد من وجود مخرج.»

كنت أسمع كاي يمرر يديه على كل جدار، محدثاً طرطشة وهو يفتش النفق تحت أقدامنا. متجاهلة صدى الصرخات التي تزداد اقتراباً، واصلت

تحسس كل إنش من الحجر الذي يحبسنا هنا. كادت أطراف أصابعي تلامس السقف الذي يخيم فوقنا، مما اضطرني للقفز وأنا أبحث عن أي منفذ للنجاة. كنت ألهث، أذعر، وأضرب الجدران. وجدت قبضتاي الصخر أمامي، فضربتته مرارًا وتكرارًا.

– «لا بد من وجود طريق!»

لست واثقة بمن كنت أصرخ. بالجدار. بالأمير. بطيف الموت الذي أشعر به يلوح فوقي.

كنت أمزق الجدار بأظافر متشحمة، وأهوي بقبضات نازفة على الصخر. لا أرى شيئاً، وأشك في أنني سأرى شيئاً مرة أخرى. وصل الماء إلى صدري، يضرب جسدي وأنا أصارع من أجل التنفس. أظن أنني كنت أصرخ مع كل ضربة من يدي على الجدار. أظن أنني ربما خائفة من الموت.

– «هذا يكفي.»

كان صوته هادئاً، هادئاً لدرجة أنني أردت صفعه على وجهه الذي لا أستطيع حتى رؤيته. تجاهلته كالعادة، وواصلت الضرب على الجدار. انزلقت دمعة على خدي، لتختلط بالماء المتناثر على وجهي.

– «قلت، هذا يكفي.»

أمسك بي من خصري، وجذبني بعيداً عن الجدار. قاومته، وكأني حيوان مفترس أحتاج في الماء.

– «بيدن!»

تردد صدى اسمي عبر الجدران، مسكناً إياي للحظة. ثم كان وجهه بجوار وجهي، وخده مبللاً وبارداً ضد خدي.

– «هذا يكفي.»

سمعته حينها. سمعت الهزيمة في صوته. إنه يستسلم.

صرخت وأنا أصارع الذراعين الملتفتين حولي:

– «لا، هذا لا يكفي! لا، لا بد من وجود مخرج. لا بد من وجود طريق...»

انزلت يداه من خصري، برقة وتأنٍ، وكأنه يحفظ ملمس جسدي. صعدت يداه الخشنتان على ذراعيّ، لتجبرني على الاستدارة لمواجهته. لم أستطع رؤية وجهه، لكنني أعلم تمامًا ما الذي سأكون أنظر إليه.

– «بيدن...»

بدا وكأن الماء قد سكن لصوته الخافت.

قلت بحزم:

– «لا. لا تفعل ذلك. لا تنطق باسمي لاعتقادك بأنها قد تكون المرة

الأخيرة التي تفعل فيها ذلك.»

كان لديه الجرأة ليضحك بخفوت:

– «اسمك يبدو كلمة جيدة لأموت وهي على شفتي.»

– «كاي – –»

– «أنا لست نادماً.»

كانت كلماته متدفقة، اعترافاً تمسك به:

– «لست نادماً عليك، ولا على ما كان بيننا. ولست نادماً على تقبيك

على ذلك السطح. لكنني أعلم أنني سأندم على ما يجب أن أفعله بك طوال

حياتي المتبقية.»

كان الماء يلامس عظمة ترقوتي وأنا أرمش مستوعبة كلماته. كلمات رجل

يحدق في وجه الموت، مصمماً على أن تكون له الكلمة الأخيرة.

سأل بصوت ملح:

– «هل أنتِ نادمة؟»

صعدت يداه عبر عنقي لتتحسس وجهي، وارتجفت أصابعه فوق وجنتي.

– «أنا...»

وجدت يداي ذراعيه، وطوقت معصميه.

– «أنا نادمة على عدم القيام بالأمر بشكل صحيح. ونادمة على عدم كوني ما يُفترض بي أن أكونه.»

مرر إبهامه على خدي المبلل وقال:

– «أنا آسف لأنك مضطرة لتكوني أي شيء على الإطلاق.»

أعلم أنه مجرد حديث رجل يحتضر. مجرد اعترافات لشخصين أدركا فجأة هلاكهما الوشيك. لكنني نبت عند كلماته، ورثيت ما كان يمكن أن يكون. والآن سأغرق في الندم الذي يمثله هو.

كان النفق يمتلئ بالماء، مما أجبرني على رفع ذقني والوقوف على أطراف أصابعي. شعرت بفقدان الأمل بين ذراعيه، وكأن لا شيء كان يهم قبل أن يضمني إليه. لا ماضٍ، لا مستقبل.

هو فقط. نحن فقط. هذه اللحظة فقط وما نقرر فعله بها.

الموت يمنح الجرأة. والنهاية هي البداية.

جذبت يداه وجهي أقرب حتى شعرت بأنفاسه على شفتي. تقاطر الماء من شعره ليتناثر على بشرتي التي اشتعلت حرارتها فجأة. كان نبضه يدق بقوة تحت أصابعي الملتفة حول معصميه.

قلبي يعتصر ألماً. يتوق للشم مع القطعة التي سرقها مني.

لامس أنفي أنفه.

همست على شفتيه:

– «فلنتظاهر.»

أنا التهور متجسداً. حتى النهاية.

التقت شفتي بشفتيه.

كان طعمه كالشوق. كالندم والارتياح. وكأن لا شيء يهم سوى هذه اللحظة.

قبلة متقدة، كصلاة خاطئ أخيرة.

وربما هذا ما تعنيه هذه القبلة.

توبة.



## الفصل 26

# كاي

**كان** طعامها كقطعة من نعيم لن أطأه أبداً.

تقبيلها هو الخلاص.

إنه مطلب رقيق بطبيعته.

ابتعدت عني، تلهث بكلمات بين كل قبلة وأخرى:

– «أنا أكرهك.»

همست في شفتيها:

– «أعلم.»

دفعت صدري براحتيها، مبعدة شفتيها عن شفتيّ لتهمس مجدداً:

– «أنا أكرهك.»

مررت يدي ببطء على جانبها، وهمست بجوار أذنها:

– «أثبتتي لي ذلك يا جراي. اكرهيني بما يكفي لتستغليني.»

سمعت أنفاسها تتعثر، وشعرت بقلبها يتسارع نابضاً ضد صدري.

أشحت بنظري، مستعداً للابتعاد و—

التقطت يد وجهي، لتديره نحوها وتطبع شفتيها على شفتيّ مجدداً.



سُحقت شفاتها ضد شفتيّ، وكانت هي من سأ تخلله مع أنفاسي الأخيرة.  
 طوقت يداي وجهها، وتخلت أصابعي خصلات شعرها المبلل.  
 قبلتها بلهفة جنونية، حافرًا في ذاكرتي ملمس شفتيها على شفتيّ.  
 كانت هذه القبلة تحمل طابع النهاية. هذه اللحظة تحديداً.  
 قبلتها بقوة أكبر إثر تلك الفكرة، متلذذاً باستنشاقها حتى الرمق الأخير.  
 انزلت ذراعاها من معصميّ لتطوقا عنقي. كانت تتشبث بي وكأنني  
 مرساة ترتضي الغرق معها. كنت أغرق معها، وفيها.  
 ولم تبعد إلا حين لامس الماء شفتيها. همست:  
 - «كاي، لم أتعلم السباحة قط.»  
 همست وأنا أبعد خصلات شعرها المتشابكة عن وجهها:  
 - «أنت بخير. أنا ممسك بك.»  
 لففت ذراعيّ حول خصرها، ضامًا إياها إليّ. لم يعد الأمر سوى مسألة  
 وقت. بلغ الماء عنقي وكان يرتفع بسرعة. ولم يمضِ وقت طويل حتى وجدت  
 نفسي أركل الماء، محاولاً إبقاء كلينا طافيين.  
 أمرتها بهدوء، محافظاً على رباطة جأشي من أجلها:  
 - «طوقيني بساقيك.»  
 شعرت بها تومئ برأسها قبل أن تعانق ساقها خصري، محررة يديّ  
 لأتمكن من إبقاء رأسي فوق سطح الماء.  
 اقترب رأسي من السقف الذي يحبسنا في هذا العمق. ركزت على إحساس  
 يديها حول عنقي، وعلى أصابعها التي تعبت بشعري. همست وشفاتها  
 تلامسان أذني:  
 - «هل أنت خائف؟»  
 قلت بهدوء:  
 - «أنا شجاع بما يكفي لأعترف بأنني مرعوب.»

كان إبقاء كلينا طافيين صراعاً مريراً، رغم أنني لن أضطر لاحتماله لوقت أطول.

تمنيت فقط لو كان بوسعي رؤية وجهها، وإحصاء حبات النمش المتناثرة على أنفها لمرّة أخيرة. تمنيت لو أغرق في زُرقة عينيها المحيطيتين قبل أن تسنح الفرصة للماء لفعل ذلك.

بدأت قائلة، وشعرت بذراعيها تبتعدان عن عنقي:

– «هل... هل تشعر بذلك؟»

حاولت إبقاء صوتي ثابتاً رغم كفاحي لإبقاء رأسي فوق السطح:

– «أشعر بماذا؟»

أجابت ويدها تتحسسان الحجر المتداعي فوقنا:

– «الهواء... هناك هواء يتسرب من هنا.»

بدأت حركة أصابعها محمومة. سمعت صوت احتكاك الأظافر ولعناات متممة قبل أن أرمش هلعاً أمام شعاع رفيع من الضوء يتسلل عبر السقف. قالت لاهثة:

– «كاي. إنها شبكة معدنية. مغطاة، لكنها موجودة.»

ألقت بقطعة الحجر التي كسرتها في الماء، شبه ضاحكة وهي تشرع في تمزيق السقف. كنت أتفادى قطع الحجارة المتساقطة بينما تواصل هي تفتيت السقف المتداعي. كان إبقاؤها طافية صراعاً حقيقياً مع حركتها المستمرة بين ذراعيّ، ناهيك عن حقيقة أن رأسي يلامس السقف. تدمرت بجهد:

– «أسرعي يا بيدن.»

تصلب عمودها الفقري استجابة لذلك اللقب، لكن سرعان ما تشتت انتباهها بالمشكلة الأكثر إلحاحاً أمامنا. لهثت وهي تسحب الحجارة المدببة:

– «أعلم، أعلم.»

كشفت عن عدة بوصات من الشبكة المعدنية التي غطيت على عجل، مما سمح لضوء الشمس بالتدفق عبر شقوقها.

أُجبرت على إمالة رأسي للخلف لألتقط أنفاسي. شهقت:

– «بيدن.»

قالت بهلع:

– «القليل بعد.»

بوصات قليلة فقط باتت تفصلنا عن السقف. كان رأسها مائلاً، ووجنتها على الأرجح ملتصقة بالحجر الذي تخدشه. باتت الشبكة مكشوفة في معظمها الآن، وكانت تدفعها بينما أحاول أنا رفعها. لا أستطيع. لم أعد أقوى على حملها. لا أستطيع البقاء طافياً. لا أستطيع التنفس.

تمكنت من القول:

– «باي، خذي نفساً –»

ابتلعت جرعة من الهواء قبل أن يبتلعنا الماء بالكامل.

حررت بيدن نفسها مني، مستخدمة كلتا يديها للدفع ضد الشبكة. لففت ذراعاً حول خصرها لأمنعها من الغرق، ودفعت الشبكة بكل ذرة قوة متبقية لدي.

داعبنا ضوء الشمس، راسماً بقعاً متألئة في الماء العكر. تذكر بأن الشيء الوحيد الذي يفصلنا عن الهواء هو هذه الشبكة الملعونة. صدمت كتفي بها، فشعرت بها تتزحزح. دفعتها بيدن، وراحت تضرب بأملنا الأخير. نفذ هوائي، وأعلم أنها كذلك. غدت حركاتها أكثر بطئاً وثقلاً مع كل ثانية تمر.

لن أدعها تموت هكذا. لا أستطيع.

وبصدمة أخيرة بكتفي، شعرت بالشبكة ترتفع. اضطرت لإفلاتها، مستخدماً كلتا يدي لإزاحة الشبكة جانباً. تحركت لبضع بوصات، مما أتاح لي الإمساك بحافتها ودفعها بالكامل لتنتفح.

ثم استدرت، لأجد بيدن تغوص ببطء نحو قاع النفق. أُسدل جفناها،  
وتلونت شفاتها بزرقة مخيفة. سبحت للأسفل، ممسكاً بها من خصرها،  
ودفعت بقدمي عن الأرضية لأنطلق بنا نحو الضوء.  
ثم دفعتها لأعلى حتى برز رأسها عبر الفتحة.  
سمعت شهقتها المكتومة بصعوبة، وسعالها المختنق. وعبر رؤية  
ضبابية، راقبتها تسحب نفسها لأعلى متجاوزة الشبكة.  
لقد نجت. إنها تتنفس. إنها على قيد الحياة.  
لا أعلم إن كان يسعني قول الشيء ذاته عن نفسي.  
ثقل جفناي، ليطبقا دون إذن مني. في الواقع، كان جسدي بأسره ثقيلاً،  
يجذبني للأسفل بينما بدأت في الغوص.  
إذن، هذه هي النهاية.  
هكذا يلقي المنفذ العظيم حتفه.  
أظن أن الأمر كان ليكون أسوأ.  
لم أعد أكلف نفسي عناء محاربة الماء بعد الآن. كنت متعباً للغاية.  
ومستعداً تماماً للراحة.  
ستكون حرة مني الآن. ربما قطعت نصف الطريق نحو ظل يمكنها أن  
تذوب فيه. كادت الفكرة أن ترسم ابتسامة على ثغري.  
غصت في غياهب النسيان، وكانت الفكرة بها هي صلاتي الأخيرة.



## الفصل 27

# بيكان

**اندفع** الماء من فمي.

كنت أتقيأ على أرضية الزقاق المتداعي الذي زحفت إليه. لاهثة، تدرجت على ظهري، أرمش في وجه ضوء الشمس الآفل.

أنا على قيد الحياة.

أنا على قيد الحياة.

كنت أسعل وأبصق ومبللة بما يعلمه الطاعون وحده، لكنني على قيد الحياة.

ضحكت موجهة نظري للسماء، وجسدي بأسره يهتز مع كل ضحكة.

كدت أسمع الموت يلعن اسمي. كانت أذناي تطنان، وأرتجف من قمة رأسي إلى أخمص قدمي. مجرد سحب نفسي من النفق كان --

توقف قلبي لبرهة، متعثراً بين ضلوعي.

لقد أنقذني. لقد رفعتني فعلياً عبر تلك الشبكة. إنه...

لقد قبلته. مجدداً.

والآن هو يحتضري في قاع مجرور الصرف.



زحفت بلهفة نحو حافة الشبكة، ممسحة الماء العكر بنظرات محمومة.  
استطعت بالكاد تمييز المخطط الباهت لجسده وهو يغوص نحو قاع النفق.  
تسارع عقلي، ولحقه قلبي.

يمكنني تركه. يمكنني تركه والانتهاه من هذا كله. لأنه لا أحد سواه قادر  
على الإمساك بي، لا أحد سواه قادر على إيجادي مجددًا بمجرد أن أتوارى عن  
الأنظار.

هذا هو مهربي. هذه هي حرיתי.  
هذا خطأ.

شدت شعري، ليتجسد إحباطي في حركة جسدية. إن أنقذته، فقد أكون  
أكتب بذلك هلاكي. ومع ذلك، هذا بالضبط ما فعله هو. إنقاذه لي جعله يغوص  
نحو حتفه.

هزرت رأسي أمام انعكاسي في الماء العكر.  
ثم غصت فيه.

كان الأمر أبعد ما يكون عن الرشاقة. اصطدم وجهي بالسطح في اللحظة  
التي تذكرت فيها أنني لم أسبح يوماً في حياتي. نبض الذعر في عروقي، لكنني  
نحيته جانباً وأجبرت ساقي على دفعي للأمام. وبذراعين وقدمين تتخبطان،  
تمكنت من الغوص أعمق.

مسحت الماء بنظري، فوجدته ينحرف على بعد أقدام قليلة مني. ركلت  
الماء بقوة، دافعة نفسي للأمام وأنا أمد يدي إليه. لففت ذراعاً حول صدره،  
ورئتي تصرخان طلباً للهواء. وحين لامست قدمي أرضية النفق، دفعت  
نفسي عنها بساقين مرتجفتين.

شققنا الماء، متوجهين نحو الشبكة المفتوحة بالأعلى. ركلت بكل ما  
أوتيت من قوة وإرادة للقتال، مبقية عيني معلقتين بالسماة فوقي. امتدت يدي  
بغير هدى نحو حافة الشبكة، تتلمس شيئاً لأتشبث به. ومع احتراق رئتي  
باحتجاج صامت، ساورني إغراء إفلات المنفذ والتسلق نحو الحرية.

لكن أصابعي الزلقة التفت حول الحافة قبل أن أرفعنا للأعلى. اخترق رأسي السطح، ولم أضع ثانية واحدة قبل أن أبتلع الهواء بشراهة. وبيدٍ تقبض الآن على ذراعه، استخدمت الأخرى لسحب نفسي إلى الشارع. ثم استلقيت على بطني، وطوقت ذراعيّ أسفل كتفيه، وسحبته لأعلى.

طفا رأسه فوق السطح، بعينين مغلقتين وشعر أشعث كحبر يسيل. تأوهت من الجهد المبذول لمحاولة رفع نصفه العلوي إلى الشارع. الآن فقط تمكنت من رؤية ما جلبه معه إلى مجاري الصرف. سلسلة ترن حول عنقه، تكاد تخنقه. سحبتها وألقيتها جانباً دون أن ألقى لها بالاً، لأواصل سحبه لأعلى، إنشأً تلو الآخر.

كنت ألهث قبل حتى أن يستقر نصف جسده على الحجارة المرصوفة، بينما لا يزال النصف الآخر يغوص في مياه الصرف. كان قلبه على ظهره صراعاً، لكنني تمكنت بطريقة ما من دحرجته. تدلى رأسه للجانب، وأطبقت عيناه في وجه شمس المغيب. انتظرت أن يحدث شيء، أي شيء على الإطلاق. لكنه لا يتنفس.

إنه لا يفعل شيئاً سوى الاحتضار.

أليس هذا ما أردته؟

تمت:

– «لا. لا. لم أغص عائداً إلى هناك لتموت أنت.»

ربت على وجهه. ربت بقوة أكبر. ثم صفعته كما لطالما قلت إنني سأفعل. لا شيء.

– «لا. لا.»

وجدت يداي منتصف صدره وبدأت في الضغط، بدأت أحاول تخليصه من الماء الذي ابتلعه. همست:

– «هيا يا أزر.»

أصبحت رؤيتي ضبابية، لكنني لم أكلف نفسي عناء الانتباه للدموع التي تجمعت في عيني. أمرته:

– «لا تكن درامياً. افتح عينيك اللعينتين.»

كنت أضغط بقوة على صدره، متوسلة إياه. يا للشفقة. لا أعلم لم أهتم. هذا بالضبط ما يجب أن أريده. أن أكون قد بذلت قصارى جهدي ومع ذلك أتححر منه. هذا هو الموقف المثالي. يمكنني الابتعاد عن هذه اللحظة دون أن يجرنني الشعور بالذنب إليها لبقية حياتي.

إذن، لم أقاوم دموعي؟

همست وأنا أواصل ضغطي الإيقاعي:

– «هيا. هيا أيها الوغد العنيد.»

رَفَّ جفناه ليُفتحاً.

قفزت مبتعدة عنه، مانحة إياه المساحة ليستدير ويتقيأ. انزلقت دمعة على وجهي وأنا أضحك بارتجاف، وقد غمر الارتياح كل جزء من جسدي المنهك.

– «كدت أفقد الأمل فيك.»

سحب نفسه بالكامل فوق الشبكة، يتنفس بصعوبة مواجهاً السماء. أدار رأسه للجانب، وعيناه تدرسانني بتمعن. سعل قبل أن يقول بصوت مختنق:

– «أنا مصدوم لأنك كلفت نفسك عناء المحاولة حتى.»

أومأت ببطء، تاركة ما فعلته لتوه يستقر في ذهني.

– «إنه ندم سيتعين عليّ التعايش معه.»

تبادلنا النظرات، وعيناه الرماديتان لا تحيدان. بدت هذه النظرة مختلفة. نظرة شخصين يتشاركان الآن سرّاً آخر. لم يتغير شيء بيننا، ومع ذلك، لن يعود أي شيء كما كان أبداً. الأشياء التي أرغمتنا الموت على قولها، القبلة التي تشاركناها ظانين أنها الأخيرة، لا يمكن التراجع عنها أبداً.

لقد فشلت بالفعل مرتين في مقاومته، ولن أدع ذلك يتكرر.

أمل ذلك.

إنه عدوي، وآسري، ومرافقي نحو الموت. لن أدعه يكون نقطة ضعفي أيضاً. ليس مجدداً.

همس بصوت أجش:

– «شكراً لك. أنت لا تكفين أبداً عن مفاجأتي.»

قلت بهدوء وأصابعي تلامس شفتيّ دون وعي مني:

– «على ما يبدو، وأنت كذلك.»

كانت ابتسامته سريعة، مشتتة للحظة، ثم تلاشت في اللحظة التالية.

أشحت بنظري، شاعرة بخجل مزعج. كان الشعر المبلل ملتصقاً بوجهي، فأخذت وقتي في عصر الخصلات. تجاهلت الإحساس الملموس جداً بنظراته المصوبة نحوي، وركزت بدلاً من ذلك على تهدئة أنفاسي، وإسكان جسدي المرتجف.

ترددت قبل أن أستلقي بجانبه.

– «وشكراً لك أيضاً.»

كان صوتي خافتاً. شبكت يديّ فوق معدتي، مدركة فجأة لحقيقة أنه يمكنني بسهولة أن أمد يدي وألمسه.

– «أنت من أنقذني أولاً.»

أطلق ضحكة ضعيفة وقال:

– «أنا مصدوم لأنك اعترفتِ بذلك حتى.»

قلبت عينيّ نحو السحب الوردية فوقنا. ثم تنهدت، وأنا أدير الخاتم الزلق في إبهامي:

– «كان ليني ليدعوني بالصرصور لو كان هنا.»

أدار رأسه لينظر إليّ وسأل:

– «صرصور؟ أعني، لقد دُعيت بأسوأ من ذلك بكثير، لكن – –»

قاطعته:

- «أنا واثقة من ذلك. وخاصة مني.»

كانت ضحكته متعبة:

- «أجل، هذا صحيح.»

لزمت الصمت للحظة، مكتفية بالشعور بمراقبته لي وأنا أهدق في السماء بالاعلى.

- «إنه يقول إنني أتمكن دائماً بطريقة ما من النجاة. ليني، أقصد. رغم أنني لا زلت أحاول تحديد ما إذا كان ذلك هبة أم لعنة.»  
همهم قائلاً:

- «همم. لو كنت رجلاً مختلفاً، رجلاً أفضل، لربما أخبرتك أن النجاة هبة دائماً. لكن - -»

قهقهه بظلامية وأضاف:

- «أنت وأنا نعلم يقيناً أنني لست كذلك. وأنني أعلم أكثر من غيري أن النجاة تكون أحياناً أشد إيلاماً من الموت.»  
أومات ببطء. بالطبع سيفهم. هو دائماً ما يفهم.

- «لكنني سعيدة لأنني نجوت هذه المرة. لم تكن تلك الطريقة التي خططت للموت بها.»

غلقت صوته مسحة من السخرية الجادة:

- «هل خططت لموتك؟»

هزرت كتفي:

- «لقد خططت لميتتي المثالية. لقد وُلدت لأموت. وحين تقضي حياتك بأكملها هارباً من المحتوم، فإنك تفكر كثيراً في النهاية. أظن أنه يمكنك القول إن لدي أفضلية معينة.»

سكت لعدة خفقات قلب وسأل:

- «وما هي تلك الأفضلية؟»

ضحكت بخفة وكأن الفكرة لم تسلبني النوم ليلاً:

- «ماذا، هل تدون ملاحظاتك لتحين لحظة أمر الملك لك بقتلي؟»

لكنني استرسلت مسرعة، دون انتظار رده:

- «أريد نهاية تشبه نهاية من أحببتهم بشدة. أن أُطعن في صدري

وابتسامة تعلو وجهي.»

بدأ بهدوء:

- «بيدن...»

قلت بنبرة جافة:

- «هذا ما أريده. أريد أن أشعر بما شعروا به. أريد أن أشعر وكأنني

معهم لمرة أخيرة بينما لا أزال على قيد الحياة.»

قال متأملاً:

- «هذا... مثير للإعجاب، بطريقته الملتوية الخاصة.»

صمت للحظة، يفكر في شيء ما، ثم أضاف:

- «وأنا آسف لأنني كنت أول من بدأ هذا النمط.»

اعتدلت في جلستي فجأة، وأشحت بوجهي عنه. تمنيت لو أنه لم يقل ذلك،

لو أنه لم يعتذر عن كونه أول من طعن شخصاً أحببته. تمنيت لو علم أن والدي

كان أول مهامه. تمنيت لو أنه كذب. كان ذلك ليجعل كراهيته أسهل بكثير.

سألته، متجنباً اعتذاره:

- «هل لديك طريقة مفضلة للموت؟»

أجاب:

- «لم أفكر في الأمر قط.»

شخرت بتهكم:

- «بالطبع لم تفعل. لأن أمثالك لا يتوقعون الموت في أي وقت قريب.»

قال بهدوء:

– «ربما. أو ربما أحاول فقط تجاهل حقيقة أنني لست مخلصاً.»  
قلت:

– «يا لحكمتك البالغة أيها المنفذ.»

عصرت شعري لمرّة أخيرة وأنا أمسح الزقاق الذي زحفنا إليه بنظري. كان مظلاً الآن، مما ساعد في إخفائنا في الضوء المتلاشي. كنا متواريين في زاوية طريق مسدود، وشبكة الصرف لا تزال مفتوحة عند أقدامنا. ولكن حتى مع خلو الشوارع ببطء إيداناً ببدء المساء، لم تكن لدي أي نية للجلوس هنا على مرأى من أي شخص قد يمر بهذا الزقاق.  
بدأت قائلة:

– «المكان ليس آمناً هنا. أولئك الحراس سيبحثون عنا.»

سألني وقد بدا فجأة أقرب بكثير مني:

– «هل سنتحدث عن الأمر؟»

كان جالساً الآن، يمشط شعره المبلل للخلف بأصابعه.  
أجبت:

– «ليس لدي أدنى فكرة عما تشير إليه.»

أطلق ضحكة مغرورة وقال:

– «أحقاً؟ يمكنني تذكيرك، إن شئت؟»

زفرت بضيق، مستديرة لأنظري في وجهه الذي كان قريباً للغاية:

– «لقد كان خطأ. هذا الخطأ، والذي سبقه أيضاً.»

قال:

– «الخطأ الوحيد كان عدم ارتكابه في وقت أبكر.»

كنت أتلعثم:

– «أنا... هذا...»

ابتسم بتلك الطريقة التي تثير بداخلي رغبة في صفعه. ثم أخذ يقترب أكثر، سارقاً ببطء المسافة الصغيرة التي فصلنا.

انزلت أصابعه على عنقي لتتبع خط فكي وهو يقول:

– «لا. الخطأ كان في تذوقك الآن، بما أنك على الأرجح لن تسمح لي بفعل ذلك مجدداً.»

ابتلعت ريقِي. ارتجفت. شهقت لاهثة.

فلتساعدني الأوبئة.

كان وجهه قريباً بما يكفي لاتخاذ قرار سيئ بأقل مجهود. تشابكت أصابعه الخشنة في شعري، ملامسة البشرة الحساسة على عنقي. كانت قطرات الماء تتساقط من أطراف شعره، لتتشبث برموشه الكثيفة المحيطة بعينين تحدقان بحرارة في عيني.

قلت بأنفاس لاهثة:

– «أنت محق. لن أدعك تقبلني مجدداً.»

كذبة.

كنت أميل نحوه مع كل كلمة تسقط من شفتي اللتين تتوقان بشدة للقاء شفتيه مجدداً.

ارتفعت زاوية فمه، جاذبة انتباهي.

– «هل أنت متأكدة من ذلك؟»

كانت أنفاسه دافئة، تغمرني بالحرارة. أومأت بشرود، وأفكاري منصبة على أي شيء سوى الوفاء بكلمتي.

طوقت يد خشنة وجهي، بقسوة أكبر من التبجيل الذي احتواني به سابقاً. ذبت في لمستته، مائلة أقرب بينما انزلت عيناه نحو شفتي. كان رؤيته وهو يمتصني بنظراته أمراً مسكراً.

اقترب أكثر، ويده تتجول هبوطاً على عنقي.

تعثرت أنفاسي حين لامست شفثاه شفتي و—

انطبق شيء على كاحلي بصوت طقة معدنية.

ابتعدت سريعاً، ناظرة للأسفل لأرى السلسلة المعدنية التي جلبها معه من مجاري الصرف. قيد كاحل واحد يحتل كل طرف من السلسلة التي يبلغ طولها ثلاثة أقدام. وقد أحكم لتوه إغلاق أحدهما عليّ.

- «ما بحق الجحيم - -»

لم أكد أنهى بصق بقية شتيمتي حتى كان يطبق الطرف الآخر من السلسلة على كاحله. تنقلت عيناى من طرفه إلى طرفي، أرمش أمام المسافة القصيرة التي تربطنا معاً.

وحين وجدت صوتي، كان هادئاً بشكل خادع:

- «ما الذي فعلته؟»

أجاب:

- «لقد تأكدت للتو من أن مهمتي ستعود إلى إيليا معي.»

رمشت محمقة فيه؛ في ذلك التعبير الخالي من المشاعر الذي ألصقه على وجهه.

- «أنت... أنت ربطتنا معاً بسلسلة؟!»

هز كتفيه وقال:

- «كانت الطريقة الوحيدة لضمان بقائك معي.»

- «وأنت...»

دارت الأفكار في رأسي وأنا أمرر أصابعي عبر شعري.

- «لقد خططت لهذا قبل حتى أن نغادر السجن. لهذا السبب أخذت هذه

السلسلة من الجدار.»

هزرت رأسي بسخرية وأنا أشيح بوجهي عنه.

- «أيها الوغد.»

شعرت بالغثيان. شعرت بالاستغلال. وشعرت بالمسؤولية عن هذا. لأنني أنا من جلب هذا على نفسي. لم أكتفِ بإنقاذ المنفذ فحسب، بل سمحت لنفسي بالرغبة فيه أيضاً. لكن الأمر برمته لم يكن سوى إلهاء بالنسبة للأمير. وسيلة لتحقيق غاية. وكنت من الغباء بحيث ظننت أنه كان ليعني أي شيء أكثر من ذلك.

المثيرون للشفقة ينالون عقابهم. والآن أنا مقيدة بأسري.

- «بيدن - -»

قاطعته بهدوء:

- «لا تفعل. لا تنطق باسمي.»

ومض الألم في عينيه؛ ظهر في رمشة وتلاشى في التالية. كرر بهدوء:

- «كانت الطريقة الوحيدة.»

قلت بنبرة متبلدة:

- «مهمتك بحاجة إلى حمام. وسرير.»

حدق في، وكأنه يبحث عن شيء في عيني.

- «حسناً.»

نهضت على قدمي ومشيت بساقين مرتجفتين حتى اشتدت السلسلة. جذبت كاحلي، مهددة بتمزيق جلدي. جاهدت لاتخاذ خطوة أخرى، ساحبة ساقه بقوة.

استدرت، مرتدية قناعاً خاصاً بي لأخفق غضبي وألمي.

- «حاول مجاراتي أيها الأمير.»



## الفصل 28

# كاي

– «هل تنوين التحدث مجددًا في أي وقت؟»

كنا نمشي بخطى متخبطة عبر شوارع المدينة الخلفية لقراة الساعة الآن، ولم تتفوه بكلمة واحدة. كانت السلسلة تُجر بيننا، متجاوزة الحصى المتصدع كتذكير دائم بما فعلته.

لست فخورًا بذلك. لست فخورًا بما اقترفته لأضع ذلك القيد على كاحلها. لا يسعني سوى تخيل ما تتوق للصراخ به في وجهي، وما هي الأفكار التي تتردد أصدائها في جمجمتها. أنا أعلم كيف تفكر، لذا أعلم أنها تفترض أن الأمر برمته كان مجرد حيلة. كل لمسة، كل كلمة، كل قبلة.

وكم تمنيت لو كان كذلك. تمنيت لو لم تكن لدي مشاعر تشوش تركيزي، وحكمي. تمنيت لو أنني لا أحتاجها كما أحتاج لإتمام هذه المهمة. إنه أمر منهك، أن أقاوم كل دافع يلح عليّ لأشرح لها لم فعلت ذلك. لم يتحتم عليّ فعل ذلك.

حياتي ليست ملكي. ولهذا السبب، لن تكون يومًا لي.

وكأن الأمر سيحدث فرقًا. لقد دمرت كل ذرة ثقة بُنيت بيننا. والآن، لم أعد سوى ما كنت عليه من قبل – عدوها.



قادتني بصمت إلى حيث كانت حقيبتها لا تزال مخبأة تحت أنقاض مبنى متداع، وسرعان ما سحبت وشاحاً من داخلها لتلفه حول شعرها المميز. سحبت منديلاً مبللاً من جيبي لأعقده حول النصف السفلي من وجهي، مذكراً إياها بأن كلينا في خطر إن عُرفت هوية أحدنا.

لم تتنازل بالرد على ذلك التهديد المبطن، بل اكتفت بأرجحة الحقيبة على ظهرها والإشارة لي لأقودها نحو حمام وسرير. وهذا بالضبط ما كنت أفعله طوال الساعة الماضية.

لحسن الحظ، كان معظم ما كنا نسبح فيه في المجاري هو الماء المتجمد المستخدم لغسل النفق، لكننا في أمس الحاجة إلى حمام وملابس نظيفة. وكلاهما سيثبت صعوبته مع هذه السلسلة التي تقيدنا معاً. لكن أولاً، علينا العثور على مكان به حوض استحمام.

تنهدت وقلت:

– «لا أتصور أنك ستصمدين لوقت أطول دون أن تتفوهي بشيء.»

انسحبت السلسلة بيننا، خادشة الأرض لتملأ الفراغ الصامت.

لم تكلف نفسها عناء النظر إليّ. كانت عيناها مصوبتين نحو الشارع الخالي أمامنا، تتلألآن بزرقه في آخر أشعة الشمس. أفترض أنني أستحق صمتها. على الرغم من أنني، وللإنصاف، لم أعتقد أنه سيدوم طوال هذا الوقت.

انعطفت بنا نحو شارع أكثر ازدحاماً، شاعراً بالقيد يعض كاحلي مع التوتر. كان التجار يحزمون بضائع عرباتهم استعداداً لليل، داهسين بغير خجل على أصابع قدمي أي شخص يعترض طريقهم. توجهت نحو السوق الرئيسي، شاعراً بالسلسلة تشدد وأنا أسحب بيدن، مجبراً إياها على تسريع خطواتها.

السلسلة.

توقفت بحدة، فشعرت براحتها تصطدمان بظهري قبل أن يفعل أنفها ذلك. استدرت لمواجهتها، فبدت وكأنها تنظر إلى أي مكان سواي. وبحلول

هذا الوقت، كان صبري قد نفذ، كالمعتاد. وجدت يدي فكها، لتدير وجهها برفق نحو وجهي. خنقتني بنظرة حاولت جاهداً تجاهلها. قلت:

– «ستحتاجين إلى سرقة تنورة.»

ارتفع حاجباها، في أول علامة على الانفعال أراها منها منذ أن تركنا الشبكة.

قلت بجفاء:

– «لا تقلقي، لا أطلب منك التحدث. فقط اسرقِ قطعة قماش لعينة على الأقل.»

أبعدت يدي عن فكها، وبدأت متفاجئة من صوتها:

– «أود رؤيتك تحاول فعل ذلك، في الواقع.»

ارتسمت ابتسامة على وجهي:

– «لقد نطقت.»

تجاهلتني، ورفعت يديها ببراءة مصطنعة قائلة:

– «لقد تركت أيام اللصوصية خلف ظهري.»

هزرت رأسي قبل أن ألقى نظرة من فوق كتفي على الشارع الذي يحتضر حيوية.

– «أجل، أنتِ قديسة. الآن، ما لم تكوني ترغيبين في الانتهاء في السجن مجدداً، أقترح عليك سرقة شيء ما لتغطية السلسلة التي ستجذب إلينا الكثير من الانتباه.»

سألت وهي تعقد ذراعيها:

– «وخطأ من هذا؟»

أخذت نفساً قبل أن أقول:

– «أنتِ مخلوق مستحيل المراس بشكل لا يصدق.»

ضحكت بحدة:

– «ربما كان عليك التفكير في ذلك قبل أن تقيد نفسك بي.»  
 تنحيت جانباً، مانحاً إياها رؤية واضحة للشارع:  
 – «أجل، يا له من سهو تام من جانبي. الآن اذهبي وأريني ما يمكنك فعله.»

زفرت وهي تتجاوزني بكتفها:  
 – «لقد فعلت بالفعل أيها الأمير. حين سرقت منك، أتتذكري؟»  
 أوه، أنا أتذكر.

تتبعتها، أراقبها وهي تطل برأسها من زاوية الزقاق. تحركت لأقف خلفها قبل أن تجد يدها صدري، دافعة إياي للخلف دون أن تكلف نفسها عناء النظر إليّ. لست معتاداً على تلقي الأوامر، ناهيك عن دفعي جانباً. لكنني دورت عنقي، وابتلعت كبريائي، وتراجعت خطوة لأستند إلى الجدار وأراقبها تعمل. قرقت عدة عربات مارة بمدخل الزقاق الذي نقف فيه، لكنها بقيت ساكنة، غير راغبة فيما يبيعونه. وبعد عدة دقائق، رأيت كتفيها يتصلبان، وجسدها يميل للأمام بترقب. ثم رأيت السبب.

حين مرت العربة التالية، لم تتردد في التعثر بها. وبذراعين تتخبطان، أوقعت كومة من التنانير الملونة على الأرض. لو أنني رمشت، لكانت فاتتني تلك الركلة الخفية وهي تدس تنورة أسفل العربة.

– «أنا آسفة جداً يا سيدي!»

ارتفع صوتها طبقة كاملة، ليبدو بريئاً وجاهلاً. لعن التاجر قبل أن ينظر لأعلى ليتعرف على المذنب. قاومت الرغبة في كسر فك الرجل حين لانت نظراته مع كل ثانية قضاها يمرر عينيه عليها بجشع.

قال بنعومة، متقدماً ليضع يده على كتفها:

– «خطئي أنا يا آنسة. هل أنت بخير؟ كانت سقطة قوية حقاً.»

– «أفضل بكثير الآن، شكراً لك.»

قلبت عيني لا إرادياً. انحنت لتلتقط كومة التنانير قبل أن تعيدها إلى عربته.

- «أشعر بإحراج شديد!»

- «لا داعي لذلك يا عزيزتي.»

عادت يده إلى كتفها، وكنت أفكر جدياً في كسرهما.

- «قولي لي، إن لم تكوني مشغولة الآن - -»

قاطعته قائلاً:

- «إنها مشغولة، في الواقع.»

تباً. لم أستطع إبقاء فمي مغلقاً، أليس كذلك؟

التقت عينا التاجر بعيني، وكأنه يلاحظني للمرة الأولى. لم يكلف نفسه عناء الرد، مكتفياً بإيماءة فهم مقتضبة. وبنظرة أخيرة متلكئة إلى يدي، استدار ليواصل دفع عربته عبر الشارع، غافلاً عن التنورة التي تركها خلفه. سرعان ما التقطت بيدن قطعة القماش من الأرض قبل أن تسنح للرجل فرصة الالتفات ورؤيتها. ثم تراجعت إلى الزقاق، رافعة حاجبها نحوي.

تمتت حانقاً:

- «ماذا؟»

شخرت بتهكم:

- «نتملك الأشياء، أليس كذلك؟»

- «لقد قيدتك بي. ماذا تظنين؟»

طأطأت رأسها، خانقة ابتسامة وهي تبدأ في طي التنورة. ولحسن حظنا، تتكون الأزياء في دور من أقمشة خفيفة تُلَف حول الجسد. لم تكن التنورة سوى قطعة قماش كبيرة مزينة برباط، مما سهل على بيدن تثبيتها فوق بنطالها الرقيق.

تمتت قائلة:

– «انتهيت. كنت لأدور لأريك إياها، لكن أخشى أن السلسلة لن تسمح بذلك.»

مررت عينيّ عليها، متأملاً حاشية التنورة التي تتجمع حول قدميها لتغطي جزءاً من السلسلة.

– «أفضل بكثير.»

قلت وأنا أدور حولها لأتفحصها أكثر.

– «إنه لون رائع عليك.»

بالكاد استطعت إخراج الكلمات دون أن أضحك. كانت التنورة مصبوغة بدرجة فظيعة من اللون الأصفر، تتضارب بشدة مع سترتها الخضراء المهترئة وبشرتها السمراء.

تطابق تعبير وجهها الباهت مع صوتها:

– «أنت مرح للغاية. حقاً. يسعدني أنني أستطيع تسليتك.»

مررت يدي على وجهي، محاولاً مسح تلك الابتسامة الغبية عنه. ثم جلست القرفصاء أمامها، ناظراً إليها بتساؤل:

– «هل تسمحين لي؟»

ومن المفارقات المضحكة، أن هذه هي نفس الكلمات التي تفوهت بها قبل تمزيق تنورة الفستان الذي ارتدته للمقابلات. رغم أنني لا أخطط لتكرار التاريخ في الوقت الحالي.

دفعت التنورة جانباً لأرفع حذاءها. سمعت بدايات احتجاج قبل أن أشرع في لف السلسلة الزائدة حول كاحلها. سكتت، تراقب كيف تتقلص مسافة الحلقات بينما حتى لم يتبق سوى قدم واحدة.

نهضت، مسقطاً التنورة الفضفاضة لتسدل فوق بقية السلسلة التي لا تزال تفصل بيننا. تنهدت:

– «ها نحن ذا. بالكاد يمكن ملاحظتها. لكن سيكون عليك المشي بالقرب مني للغاية. ربما تضعين ذراعك في ذراعي، وتقنعين الجميع بأننا حبيبين.»

ارتفع حاجباها حتى جبهتها. سألتها:

– «هل تعتقدين أنكِ قادرة على التعامل مع ذلك؟»

زفرت بضيق:

– «وهل أملك خياراً؟»

أومأت برأسي:

– «نقطة جيدة. حسناً، دعينا نذهب.»

اندفعت للأمام حين اتخذت خطوة قصيرة. هسهست بالقرب من أذني:

– «على رسلك يا أزر.»

اشتدت قبضتها على ذراعي الملتفة حولها في تحذير صامت.

– «أنا أرتدي تنورة بشعة وسلسلة كاحل. لا تتماد.»

ربت على ذراعها بيدي الأخرى، متخذاً خطوات بطيئة نحو الشارع:

– «لم أكن لأحلم بذلك يا جراي.»

إن مناداتها باسم عائلتها لم يزدني إلا تذكيراً بأنها لا تريدني أن أنطق

باسمها الأول. لقد آلمني فقدان ذلك الامتياز. فقدان الحق في شيء حميمي  
كتدحرج اسمها على لساني. لكنني سأحترم رغبتها، مبقياً اسمها حبيساً في  
زوايا عقلي.

وبعد عدة خطوات متعثرة، وجدنا إيقاعاً مألوفاً، حيث تساقطت خطوات  
أقدامنا بتناغم معاً. أسرع التجار متجاوزين إيانا، غير عابئين بنا وهم يهرعون  
إلى منازلهم لقضاء الليل. ولم يمضِ وقت طويل حتى أفرغ الشارع بشكل  
موحش، وفكت بيدن ذراعها من ذراعي.

انزلقت الشمس خلف المباني المتداعية، غائصة في الأفق لتنام ليلتها.  
مشينا بصمت عبر الظلال، متتبعين الشارع حتى برز أمامنا نزل متهاك يلوح  
في الأفق.

وضعت يدي بخفة على أسفل ظهرها، موجهاً إياها نحو المبنى:

– «مرحباً بكِ في سريركِ وحمامكِ.»



## الفصل 29

# كاي

– «أرقى» ما في دور، أنا واثقة.»

بدت جادة في نبرتها، وكأن هذا هو أفضل ما يمكن لـ دور أن تقدمه. وأنا لا أختلف معها.

قدت بيدن حول حافة المبنى إلى صف النوافذ الملحقة بالغرف بالداخل. وبعد أن وقعنا في الأسر مرة بالفعل، توصلت إلى أن خيارنا الأكثر أماناً هو التسلل إلى غرفة بدلاً من إظهار وجوهنا لصاحب النزل.

اختبرت كل نافذة، باحثاً عن واحدة قد تكون غير مقفلة. وحين ارتفعت إحداها بسهولة، أطلت برأسي لأجد أمتعة متناثرة على الأرضية. همست لـ بيدن التي كانت تقف على أطراف أصابعها محاولة الرؤية بالداخل:

– «مشغولة.»

واصلنا السير إلى الجزء الخلفي من المبنى، نسحب المزالج حتى انزلقت واحدة أخرى وفتحت. شكرت الطاعون تحت أنفاسي قبل أن ألتفت إلى بيدن المذهولة العينين.

– «فارغة.»



أشرقت بابتسامة تلاشت بسرعة أكبر من اللازم. جثوت على ركبة واحدة أمامها، ممدًا يدي نحو قدمها لأفك السلسلة الزائدة من حول كاحلها. وحين رفعت نظري، قوبلت بعينين زرقاوين تتسعان دهشة. همست:

– «أنا لا أطلب يدك للزواج، لا تقلقي. قفي على ساقي؛ سأرفعك للأعلى.»  
تمتت، وأشاحت بنظرها مسرعة:

– «صحيح. هل السلسلة طويلة بما يكفي؟»  
هزرت كتفي قليلًا:

– «على الأرجح لا. سأتدبر الأمر.»

أومأت برأسها قبل أن تضع حذاءها المتسخ على فخذي. وبقبضتها على حافة النافذة، بدأت في سحب نفسها للأعلى بذراعين مرتجفتين. وضعت يداً أسفل فخذها بينما دفعت أسفل ظهرها بالأخرى. سمعتها تهمس بحدة من فوق:

– «انتبه ليديك يا أزر.»

ابتسمت وقلت:

– «أنا رجل نبيل، أتذكرين؟ أنا ببساطة أساعدك على اقتحام هذا

النزل.»

– «يا لنبلك الشديد.»

تمكنت من سحب نفسها فوق حافة النافذة وإلى داخل الغرفة. اشتدت السلسلة قبل أن تسنح لي فرصة التقاط أنفاسي. جذبت ساقي للأعلى، مما أجبرني على القفز والتشبث بالحافة بافتقار للرشاقة. كان سحب نفسي إلى الغرفة صراعاً مع السلسلة المتشابكة والمشدودة بيننا، لكنني تمكنت من الدخول سليماً إلى حد ما.

سقطت على الأرضية التي تصدر صريراً، وكاحلي ينبض ألماً. حدقت بي في الظلام، وتعابير وجهها تشي بالرضا عن الذات:

– «هل كان هذا هو ما قصدته ب (سأتدبر الأمر)؟ لأنه بدا وكأنه مؤلم.»

- اعتدلت ببطء، ممرًا يدي في شعري الأشعث:
- «مؤلم بحق الجحيم. شكرًا لاهتمامك.»
- ابتسمت، متجهة نحو الحمام حتى جذبت السلسلة ساقي في اتجاهها.
- «لقد وُعدت بحمام.»
- عبست ناظرة حيث لا زلت جالسًا على الأرض:
- «هل يجب عليّ جرك طوال الطريق إلى حوض الاستحمام؟»
- رمقتها بابتسامة سريعة وقلت:
- «بكل سرور. تفضلي وحاولي.»
- ألقت حقيبتها على الأرض، رامقة إياي بنظرة غاضبة وهي تفك اللفافة من حول وجهها. انزلق الشعر الفضي من الوشاح، متدليًا نحو خصرها. تتبعت عيناى طوله قبل أن تلتقيا بنظرتها الثاقبة.
- قالت ببساطة:
- «أنا أمقتك.»
- رمشت قائلاً:
- «شكرًا على التذكير.»
- «أردت فقط توضيح ذلك تمامًا في حال حدث شيء جعلك تفكر بخلاف ذلك.»
- طأطأت رأسي لأهزه نحو الأرض:
- «مثل تقبيلك لي؟»
- تقدمت خطوة، موجهة إصبع الاتهام نحوي:
- «فقط لنكون واضحين، أنت من قبلني.»
- صمتت لبرهة ثم أضافت:
- «في المرة الأولى.»
- وقفت متخذًا خطوة بطيئة نحوها، ملغياً المسافة بيننا في خطوة واحدة:

- «ثم قبلتني أنتِ في المرة الثانية. وأعتقد أنكِ تمقتين نفسكِ لأنكِ ترغبين في فعل ذلك مجدداً.»

زفرت مستخفة، وأشاحت بوجهها عني:

- «وما الذي يجعلك تظن أن لدي أي رغبة في فعل ذلك مجدداً؟»  
هزرت كتفي:

- «لقد فعلتِ ذلك مرتين بالفعل. لذا انظري إليّ وأخبريني أنكِ لن تفعلها مجدداً.»

فتحت فمها لتفعل ذلك بالضبط، لكنني قاطعتها بجذبة من السلسلة جعلتها تتعثر مقتربة مني:

- «بدون أن تنقري بقدمكِ اليسرى.»

أطبق فمها بسرعة. ابتسمت لرؤيتها مرتبكة في مشهد نادر. زفرت متجهة نحو غرفة الاستحمام:

- «لن أجاريك في هذا. أريد حمامي.»

كنت لا أزال أبتسم وهي تقودني إلى الباب المتعفن الذي يفصلنا عن حوض الاستحمام بالداخل. استدارت، غارزة إصبعها في صدري:

- «أنت ستبقى هنا في الخارج.»

ثم دفعت الباب لتختلس النظر حول الزاوية:

- «من المفترض أن تصل السلسلة إذا جلست خارج الباب.»

- «يا لحسن الحظ.»

أكسبني ذلك ضربة خلفية سريعة في معدتي. خطت إلى غرفة الاستحمام، ساحبة السلسلة من تحت الباب.

رمقتني بنظرة حازمة قبل أن تغلق الباب جزئياً وتأمرنني:

- «اجلس.»

أطعت، جالسا في إطار الباب المعوج والخشب يغاز في ظهري.

كافحت لتجاهل صوت الملابس المبللة وهي ترتطم بالأرضية. لذا، وكوني رجلاً نبيلاً كما أنا، رحت أتتبع التجاويف في الخشب، محاولاً إشغال أفكاري بأي شيء سواها. توقفت حين سمعت صوت تمتمتها:

- «هل كل شيء على ما يرام بالداخل؟»

- «بخلاف حقيقة أنني أحاول الاستحمام بسلسلة حول كاحلي؟»

واصلت تمتمتها، مشتتة الانتباه للحظات:

- «سأضطر لغسل هذا البنطال مع بقية جسدي، لأنه لن يُخلع في أي

وقت قريب. أعتقد أن لدي قميصاً إضافياً في حقيبتى...»

طغى صوت تدفق المياه وصرير الأنابيب على كلماتها. لا بد أن هذا هو النزل الوحيد في دور بأسرها الذي تتوفر فيه مياه جارئة. ربما هذا هو أرقى ما لديهم حقاً.

سمعت صوت رشاش الماء حين نزلت في الحوض، وهي حركة سحبت ساقي لمنتصف غرفة الاستحمام. امتد الصمت بيننا، ولم يقطعه سوى صوت ارتطام الماء بين الحين والآخر. أسندت رأسي إلى الجزء الداخلي من إطار الباب، منصتاً إليها:

- «يمكنني سماع اصطكاك أسنانك من هنا.»

قالت من بين أسنانها:

- «أجل، حسناً، الماء ليس د-دافئاً بالضبط.»

لم أتدبر كلماتي التالية قبل أن أسألها:

- «لم غصتِ عائدة إلى المجاري من أجلي؟»

لا أستطيع رؤية وجهها، لكن ليس من الصعب تخيل نظرة المفاجأة التي أضاءته على الأرجح.

- «أنا... لم أستطع السماح لنفسى بإزهاق روح أخرى.»

أصبح صوتها أرق مع كل كلمة.

- «لدي ما يكفي من الدماء على يدي.»

قلت بنبرة متزنة:

- «على أطراف أصابعك، ربما. لكن ليس على يديك. ثلاثة أرواح بالكاد تكفي لتلطix روحك.»  
أنا أعلم ذلك جيداً.

قالت ببطء:

- «إذا، لقد عثرت على الجندي في الصحراء.»  
- «أجل. ومع ذلك، أرى أنه استحق ما ناله.»  
ارتطم الماء خلف الباب.

- «هذا ما أستمر في إخبار نفسي به. لكن لا يبدو من العدل أن يقرر شخص أن حياته تستحق أكثر من حياة غيره.»  
سمعتها تأخذ نفساً مرتجفاً.

- «وهذا بالضبط ما فعلته أنا.»

همست:

- «أعرف هذا الشعور.»

صمتت لعدة خفقات قلب بطيئة.

- «كنت على السطح، أتعلم ذلك. راقبتك وأنت تعثر على الإمبراطوري الذي قتلته.»  
تعثرت أنفاسي.

ابتلعت ريقِي، محاولاً إبقاء صوتي ثابتاً:

- «أحقاً؟ إذن لمَ لا أزال على قيد الحياة؟»

- «لأن...»

أخذت نفساً عميقاً.

– «لأنك كنت ستدفنه من أجلي. تمامًا كما فعلت مع سيدي في تلك المحاكمة الأولى. ورؤيتك راکعًا هناك، ورؤيتك تحمل ذلك الرجل على كتفك من أجلي رغم كل شيء...»

تلاشى صوتها، وتنحنحت لتنقيه.

– «لم أستطع ببساطة أن أرمي ذلك السكين.»

لا أستطيع رؤية وجهها، وجزء خجول مني ممتن لذلك.

– «كان بإمكانك أن تتحرري مني مرتين الآن. أنت تعلمين ذلك، أليس

كذلك؟»

جاء صوتها خافتًا:

– «أعلم.»

– «هل تندمين على ذلك؟»

أسكتها سؤالي لعدة ثوانٍ قبل أن تهمس:

– «سأندم على ذلك في الصباح.»

رسم وقع كلماتي التي قلتها لها في الزنزانة ابتسامة خفيفة على شفتي.

أغمضت عيني، راضيًا بأن أترك الصمت يمتد بيننا. ولم يمضِ وقت طويل حتى وقفت في الحوض، تاركة إياي أستمع إلى صوت قطرات الماء تتساقط من جسدها.

– «هلاً أخذت القميص من حقيبتني وألقيته هنا؟»

كانت فكرة الرفض مغرية نوعًا ما، لكنني مددت يدي نحو حقيبتها بدلاً

من ذلك. كنت قد أفرغتها بالفعل من الأسلحة العديدة التي خبأتها بداخلها،

تاركًا إياها شبه فارغة. نقبت في الأرجاء حتى وجدت قميصًا رماديًا رقيقًا

ملفوفًا بإحكام حول دفتر ملاحظاتٍ بال.

أخرجتهما معًا، وفككت الدفتر الملفوف قبل أن أقلب صفحاته الممزقة.

سألتها وأنا ألقى القميص عبر الباب الموارب:

– «ما هذا الكتاب هنا؟»

كانت تقف خارج الباب مباشرة الآن، وظلها يرسم لوحة على الأرضية بجواري.

- «إنه لوالدي. معظمه مليء بأعمال ونظريات طبيب معالج.»  
 أمكنني سماع الألم في صوتها، مهما حاولت جاهدة إخفاءه. وأكره أنني كنت السبب في ذلك. وحين عجزت عن إيجاد صوتي، تحدثت هي بدلاً مني:  
 - «أجل، لقد أنقذته من المنزل الذي سوّيته أنت بالأرض حرقاً.»  
 قالتها بخفة، وكأنها غير متأثرة بالحدث. مررت يدي في شعري وبدأت قائلاً:

- «بخصوص هذا - -»

- «لا تقل إنك آسف. أرجوك.»

وحين تحدثت تالياً، كان صوتها هادئاً ورقيقاً:

- «الأمر أسهل هكذا.»

أومأت برأسي، عالماً أنها لا تستطيع رؤيتي. عالماً تماماً ما تعنيه. عالماً أن الاعتذار عما فعلته بها لن يزيدني إلا إنسانية. سيجعل من الأصعب عليها أن تكرهني.

صر الباب وهو يُفتح بينما خطت عبره. كان القميص الفضفاض يتدلى من كتفها، مبللاً من تشابك الشعر الرطب المنسدل على ظهرها. وبمنشفة مهترئة في يدها، عادت إلى غرفة النوم لتجفف بنطالها المبلل.

وبعد أن عصرت ملابسها جيداً، لفت نفسها بالمنشفة وجلست متهاوية في إطار الباب وقالت:

- «دورك.»



## الفصل 30

# بيكان

كنت أضفر شعري حين خرج من الحمام.  
خرج من الحمام، عاري الصدر.

انزلت خصلة شعر من بين أصابعي. هببت واقفة، ناظرة إلى أي مكان  
سوى الصدر الأسمر والبنطال المبلل المتدلي على وركيه. كانت قطرات الماء  
تتساقط من شعره لتتدحرج على كتفيه، متتبعة مسارها نحو الجسد بالأسفل.  
ليس وكأنني لاحظت ذلك.

قلت بعفوية وعياني مصوبتان نحو الضفيرة التي أتخبط معها:

– «هل ترتدي قميصاً في أي وقت؟»

ارتفعت عيناه الرماديتان لتعانقا عيني:

– «لقد غسلته، لذا يحتاج إلى أن يجف. إذا كنت أشتت انتباهك، بكل

الوسائل، أخبريني.»

سخرت وكأن هذا ليس بالضبط ما يفعله. وبينما كنت أعبّر الغرفة، أُجبر  
على تتبعي حتى ارتميت على المرتبة الرقيقة. انتصب فوقي، لا يضيئه سوى  
ضوء القمر المتدفق عبر النافذة، وهو يجفف شعره المبلل بمنشفة بفرك  
عدواني.



قلت مبتعدة أكثر عبر المرتبة:

- «أنت تقطر الماء على سريري.»

نظر إليّ من تحت المنشفة وسأل:

- «عذراً، سريرك أنت؟»

- «أجل، سريري.»

قال ببساطة:

- «لا، لقد سمعتك. أنا فقط أحاول فهم سبب قولك لذلك.»

- «لأنني لن أنام معك.»

رمقني بنظرة، مما جعلني أعيد صياغة كلامي بسرعة:

- «لن أنام في هذا السرير معك.»

لم يبذل أي جهد لإخفاء مدى طرافة الأمر بالنسبة له.

- «ولماذا هذا؟ ليس وكأننا لم نتشارك سريرًا من قبل.»

أعدت انتباهي إلى الضفيرة المهملة.

- «كما تستمر في تذكيري. أجل، من قبل.»

قبل كل نرة خيانة وُضعت بيننا.

أوماً نحو السلسلة المتدلّية بوهن بيننا.

- «حسناً، ليس لديك الكثير من الخيارات.»

قلت بنبرة عذبة:

- «يمكنك تدلية رأسك من الجانب الآخر للسرير.»

تقدم خطوة أقرب للسرير، ملامساً اللحاف بركبتيه.

- «لم لا تفعلين أنت، بما أنك من تتوقين بشدة للابتعاد عني؟ ليس لدي

أي مشكلة في النوم بجانبك.»

هزرت رأسي بانزعاج، متحولة إلى الجانب الآخر من السرير الذي بدا فجأة أضيق مما يروق لي. غاصت المرتبة حين جلس بجواري. تجاهلته، وأخذت وقتي في فك اللحاف الرقيق والانزلاق تحته لأختبئ في الأغطية. كان الجو متجمداً، والهواء البارد يغري أسناني بالاصطكاك. لست متأكدة متى أصبح الجو بارداً هكذا فجأة، لكن الشعر المبلل الملتصق بعنقي بالتأكيد لا يساعد. سحبت اللحاف فوق ذقني قبل أن أدس يديّ الجليديتين تحت كل فخذ.

قال بهدوء:

– «أنتِ ترجين السرير.»

– «وأنتِ مرحب بك تمامًا لتدحرج بعيداً إن كان الأمر يزعجك إلى هذا الحد.»

استطعت سماع الابتسامة في صوته:

– «أنتِ ترتجفين منذ استحمامك.»

رنت السلسلة بصوت عالٍ حين انقلبت على جانبي وحدقت في الظلام.

– «أنت تقول ذلك وكأنك تهتم لسلامتي.»

– «لا، بل أهتم لسلامتي أنا. وأفضل ألا أبقى مستيقظاً طوال الليل بسبب

ارتجافك.»

سخرت قائلة:

– «تتحدث كرجل نبيل بحق.»

خيم علينا الصمت، ولم يملأ المكان سوى اصطكاك أسناني الخافت. سكن بجواري تمامًا، لدرجة أنني افترضت أنه قد نام. ذلك، حتى غاصت المرتبة خلف ظهري، وتدحرجت فعلياً نحوه.

– «ما الذي تفعله بحق الجد – –»

التقى صدره بظهري.

حاولت مجدداً:

- « ما بحق الجد - - »

- « صه. »

انفرج فمي:

- « أنا أنتظر تفسيرًا أفضل من هذا. »

لامست يده وركي، مما جعلني أقفز ضده.

- « على رسلك يا جراي. لا أستطيع النوم وأنتِ ترجين السرير، ولا

يمكنك أنتِ النوم وأنتِ تتجمدين بردًا. هذا هو الأفضل لكلينا. »

بدأت قائلة:

- « أحقًا؟ لأنني - - »

قهقهه بالقرب من أذني:

- « بحق الطاعون. فقط تظاهري. التظاهر بألا نكره بعضنا في هذه

اللحظات، أتذكرين؟ »

فتحت فمي لأعترض، لكن الذراع التي طوق بها خصري جعلتني أطبقه

بسرعة.

- « كل ما يعنيه هذا هو أننا مفيدان لبعضنا البعض. »

تصلبت قليلًا ضده.

مفيدان لبعضنا البعض.

لسعتني العبارة أكثر مما يجب. أكره نفسي لكراهيتي لطريقة نطقها من

على لسانه. لأن كلمة "مفيدان" هي أقصى ما تبلغه علاقتنا. أقصى ما سنعنيه

لبعضنا يومًا.

قلت منزعة من صوتي المرتجف:

- « حسنًا. تظاهر. »

ومع ذلك، سمحت لنفسي بالذوبان في دفئه حين جذبني أقرب إليه.

أنا متشابكة بين ذراعيه ومقيدة بالسلسلة التي تربطنا معًا.

رمشت في ضوء الشمس الضبابي المتدفق عبر النافذة، شاعرة بدفئه يغلف وجهي. كانت ذراعه دافئة ضد وجنتي، وأصابعه تطل من تحت شعري المنسدل. كان بوسعي الشعور بأنفاسه العميقة تداعب شعري، وتدفع عنقي. إنه مرتاح. إنه راضٍ. إنه يتظاهر.

دفعتني هذه الفكرة لفك تشابكي معه، بدءًا بالذراع الملفوفة بإحكام حول خصري. أمسكت بمعصمه وألقيت به خلفي، غير عابئة بأن أكون رقيقة. ثم جلست، ساحبة خصلات شعري من بين أصابعه. تمللم قبل أن يعتدل سريعًا مستندًا على مرفقيه. انزلق اللحاف عن صدره العاري وهو يراقبني بعينين ناعستين، متتبعًا يدي وأنا أجمع شعري فوق كتفي.

– «لقد نسيت خصلة.»

رفعت نظري عند سماع صوته الأجلش:

– «صباح الخير لك أيضًا.»

مررت يدي على عنقي، لأجد الخصلة المنسية متدلّية على ظهري. راقبني بينما تظاهرت بعدم الشعور بنظراته وهي تجوب وجهي. سألته بشرود:

– «ماذا الآن؟ حان وقت جري مجددًا إلى الصحراء؟»

تلاشت فكرة العودة إلى إيليا لتندمج بفكرة أخرى لا تقل كآبة، واعتصر قلبي ألمًا إثر التذكير المفاجئ بأنانيتي. لقد كنت منشغلة تمامًا بالمنفذ الذي يمسك بمصيري بين يديه لدرجة أنني لم أخصص لحظة للتفكير في أصدقائي؛ الهجناء الذين يعيشون في البؤس. كنت قلقة على ليني، ولينا، وفين، وكل روح أخرى كانت لطيفة بما يكفي لمساعدتي. للإيمان بي.

أرجوكم كونوا بخير. أرجوكم.

لو كنت أعلم لمن أو لأي شيء أصلي، لفعلت.

- « ليس تمامًا. »

تحرك السرير حين نهض على قدميه، مجبرًا إياي على الوقوف أيضًا. سار نحو غرفة الاستحمام، وخطا للداخل ليلتقط قميصه المبلل من الحوض. لست متأكدة لم أشحت بنظري حين سحبه فوق رأسه ليرتديه، لكن الحركة بدت حميمية للغاية.

عاد لغرفة النوم قائلًا:

- « سنقطع طريقنا عبر دور. ومن ثم نعبّر ملاذ الأرواح. »

أطلقت ضحكة خالية من المرح:

- « ملاذ الأرواح؟ تلك التضاريس الصخرية الموبوءة بقطاع الطرق؟ »

سخرت:

- « أعتقد أنني أفضل الأراضي المحرقة. »

كان صوته مكتومًا قليلًا بفعل الباب الموارب:

- « لقد أرسلني والدي إلى هناك مرات عديدة. سنكون بخير. »

ابتلعت ريقى عند تذكر تدريبه التعذيبي.

- « حسنًا، هل كنت مقيّدًا بالسلاسل في آخر مرة زرت فيها المكان؟ »

صمت لعدة ثوانٍ.

- « كنت دائمًا... أواجه التحديات حين أكون هناك. »

مزيد من الصمت.

- « لذا، كما قلت، سنكون بخير. »

حين خرج من غرفة الاستحمام، كان يحمل صرة من الملابس بين ذراعيه، عازمًا على إلقائها على الأرض ليجدها صاحب النزل. لفت انتباهي وميض لون أخضر زيتوني مألوف، فخطفت السترة من قبضته. نهرته بحدة:

- « ليس هذه. »

ارتفع حاجباها عند نبرتي - في سؤال صامت. قلت بهدوء بعد أن  
تنحنت بحرج:

- «لقد صنعتها أدينا من أجلي. أنا... أنا قطعت لها وعداً.»  
أوماً ببطء، وبدا متردداً.

- «المحاكمة النهائية. أنا... لقد رأيت ذلك يحدث. رأيتك تضمينها.»  
ارتعشت عضلة في وجنته.  
- «وسمعتك تصرخين.»

أشحت بنظري، شاعرة بالدموع تبدأ في التجمع في عيني.  
- «لقد جعلتني أعدها بأن أرتديها من أجلها.»  
مررت يدي على الحاشية الخشنة.  
- «وأنوي فعل ذلك تمامًا.»

تنحنت، وسحبت السترة فوق كتفي. أكره الطريقة التي يراقبني بها،  
وكأنه مستعد لجمع حطامي حين أنكسر لا محالة. زفر من أنفه، وفتح فمه  
ليقول...

ضربة مدوية على الباب قاطعته.

- «هيه! من بالداخل؟»

دق الرجل على الباب المقفل، مزلزلاً المفاصل الصدئة. أوماً كاي نحو  
النافذة، وعيناه لا تزالان مثبتتين على الباب. خطوت بخفة نحو مهربنا وأنا  
ألف الوشاح حول رأسي، داسة خصلات شعري الفضية بداخله. وحين وصلنا  
إلى النافذة، انتعلت حذائي وسرعان ما ألقيت بساقي فوق حافة النافذة قبل أن  
يتبعني بقية جسدي. كان كاي خلفي مباشرة، قافزاً من الحافة حين سمعت  
الباب يُقتحم.

- «هيه! عودا إلى هنا أيها الوغدان!»

تخبطنا هاربين من المشهد بأطراف لا تزال مثقلة بالنعاس. كنت أتعثر،  
محاولة لف التنورة حولي بينما ألقى كاي ملابسنا المتسخة خلفنا. تسلقت

ضحكة حلقي قبل أن تتدفق من فمي. رمقني الأمير بنظرة، ولمحت ابتسامته قبل أن يسحب المنديل على وجهه. سمعته يقهقه بينما انحنينا هاربين نحو زقاق، نتفادي العربات المتدحرجة والتجار الذين يلقون الشتائم.

– «أوقفوهما!»

أدرت رأسي بحدة، لألمح من لا يمكن أن يكون سوى صاحب النزل. كان وجهه محمرًا وملطخًا بالغضب وهو يندفع خلفنا، موجهاً إصبعًا غليظاً في اتجاهنا.

– «أوقفوا هذين الاثنين!»

لم يزدني منظره إلا ضحكاً، في حين أن صوت ضحكاتي لم يزد ابتسامته كاي إلا اتساعاً تحت المنديل. أغمضت عيني جزئياً في أشعة شمس الصباح، متفادية بصعوبة أولئك الذين يتجولون في شارع التجار.

صاح كاي من فوق كتفه، قابضاً على يدي ليجذبني نحو زقاق:

– «من هنا!»

خطف قبعة كبيرة من عربة مارة – في محاولة خرقاء للسرقة. صرخ التاجر خلفنا بينما شققنا طريقنا عبر عدة شوارع أخرى، والسلسلة تخدش الحجارة المرصوفة تحتنا بينما أحاول كتم ضحكاتي. لم أستطع إلا أن أجد كل هذا مسلياً للغاية، وكنت قلقة قليلاً حيال السبب.

همس كاي بعد أن تردد صدى صرخة أخرى حول الزاوية:

– «يجب أن نضله.»

كنت على وشك قول شيء حين سحبني فجأة نحو زقاق آخر ودفعتني ضد الجدار المتداعي.

– «ما الذي تفعل – –»

تنفس بالقرب مني، حاصراً إياي ضد الجدار بجسده:

– «تظاهري يا جراي.»

وقبل أن تسنح لي فرصة سؤاله، كان قد فك تنورتي بيد واحدة وألقاها على الأرض. رمشت ناظرة إلى القماش المجعد عند أقدامنا قبل أن توجه يده وجهي للعودة نحو وجهه.

رأيت الأمر في عينيه، والحاجة لأن أستمع إليه، لهذه المرة فقط. لذا، لم أدفعه بعيداً حين انزلت يده على عنقي لترفع الوشاح عن رأسي. لأن هذا مجرد تظاهر. هذه خطة.

سحب القبعة المرنة فوق رأسي، داساً ضفيري الفوضوية بداخلها. ثم مال أقرب، ساحباً المنديل عن وجهه. كانت يده الحرة مشدودة على وركي، دافعة ظهري ضد الجدار. أخذت نفساً سريعاً حين غاص رأسه تحت فكي. جعلتني ملامسة شفتيه أبتلع ريقِي.

تحرك فمه بخفة، تاركاً أثراً من القبلات على بشرتي. تعثرت أنفاسي حين طوقت يد وجهي لتميله نحوه وبعيداً عن الشارع. تحرك ببطء لأسفل عنقي، وشفته تزدادان جرأة وتقل ترددهما وهما تتبعان مسار ندبتي المتعرجة. بدا صوتي لاهتاً، رغم أن ذلك لم يكن ما قصدته على الإطلاق:

– «كاي...»

همس ضد بشرتي، مما جعلني أرتجف:

– «تظاهري.»

وعند سماع الصرخات المقتربة ووقع الخطوات المدوية، سحب رأسي والقبعة التي تعلوه للأسفل أكثر. كان جسده ملتصقاً بجسدي، ووجهه مدفوناً في عنقي ومخفياً تحت حافة هذه القبعة البشعة التي أرتديها.

مرت مجموعة الرجال الذين يطاردوننا دون أن يخطوا خطوة واحدة في اتجاهنا. نحن لسنا سوى حبيبين متيمين، بعد كل شيء. مجرد عاشقين يبحثان عن الخلوة.

عاشقين.

فكرة أن يرانا الآخرون هكذا جعلتني أبتلع ريقِي.

وصل إلى نهاية ندبتي، طابعاً قبلة على تجويف ترقوتي. ولو تمادى في  
النزول أكثر، لوجدت شفتاه ندبة أخرى منقوشة فوق قلبي، توسمني حتى  
الموت. دفعتني هذه الفكرة لإبعاده عني والتنصل من قبضته.  
تراجع خطوة للوراء، لاهثاً بشدة. اصطدمت عيناه الرماديتان بعيني،  
تسبحان بمشاعر لم أكلف نفسي عناء محاولة فك طلاسمها. وبعد لحظة  
طويلة، رمش، مانحاً إياي إيماءة استحسان مقتضبة. شعرت بوجنتي تحترقان  
فسحبت القبعة للأسفل لأحتمي من نظرتة الثاقبة.  
راقبني وأنا أنفض الغبار عن التنورة قبل أن ألفها حول خصري، مانحة  
وجهي وقتاً ليبرد. ثم تنحج قبل أن يلف السلسلة عدة مرات حول كاحلي،  
مغلقاً الفجوة بيننا.

سأل بعفوية، وكأنني تخيلت الدقائق الخمس الماضية:

– «مستعدة؟»

حسناً. إن كان لا يعير الأمر اهتماماً، فأنا كذلك.

لذا عدلت قبعتي، وأومات باقتضاب، وشبكت ذراعي في ذراعه.



## الفصل 31

# كبريت

**يقبى** الصندوق الصغير على مكتبي مدفوناً تحت أكوام من اللفائف الملطخة.

أخبئه هناك كلما راودتني الرغبة في إطالة التفكير في قراري. ذلك القرار الذي أكد لي كالوم صوابه. رغم أن تذكيري بقواعد والدي الثلاث لأصبح ملكاً عظيماً قد ساعد في إقناعي أكثر.

نقرت أصابعي على المكتب الخشبي، ليتردد صوت أجوف وقاسٍ. قاطعني طرق سريع، مفاصل تقرع الباب بصدى يحاكي نقر أطراف أصابعي على المكتب. قلت:

– «تفضل بالدخول.»

أنت المفاصل قبل أن يطل جندي إمبراطوري مقنع برأسه داخل الغرفة، قائلاً:

– «يا جلالة الملك. أعتذر عن مقاطعتي، لكنك أمرتني أن – –»  
قاطعته قائلاً:

– «إذن، لم تعثروا له على أثر؟»



سمعت الجندي يبتلع ريقه قبل أن يجيب:

– «لا، يا جلالة الملك. ولا لأي من رجاله أيضاً.»

سألته:

– «وماذا عنها؟»

أجاب:

– «لا شيء، يا جلالة الملك.»

كان ينبغي أن يعود الآن. لقد مر أكثر من أسبوعين، وكان ينبغي أن يعود الآن. كان ينبغي أن يُحضرها إليّ. أو ربما أخذها إلى مكان آخر. ربما لم ينو قط إعادتها. ربما هرب معها. ربما يهربان مني – معاً. لأنه كان ينبغي أن يعود الآن. – –

قلت بصوت مسموع:

– «كان ينبغي لـ المنفذ خاصتي أن يعود الآن.»

أوماً الرجل بحماس شديد وقال:

– «أجل. كان ينبغي له ذلك، يا جلالة الملك.»

أمرته:

– «واصلوا البحث عند أطراف المدينة.»

قال وهو يختلس النظر إلى الباب، متوسلاً الإذن بالانصراف:

– «حاضر، يا صاحب السمو.»

قلت:

– «انصرف.»

بإيماءة مقتضبة، انسحب من الباب قبل أن يغلقه بهدوء خلفه.

مررت يداً ملطخة بالحبر على وجهي.

كان دائماً ينجز مهامه. حسناً، كان دائماً ينجز مهامه من أجل أبي. لكنني

لست هو، أليس كذلك؟ كان يذكرني بذلك كل يوم. ثم يقضي بقية ذلك اليوم

في تدريب منفي المستقبل. ذلك الذي كان ينبغي أن يعود الآن. ذلك الذي يهرب معها. أو مني. أو من حياته.

أزحت اللفائف المتناثرة على مكتبي بحدة، منقباً حتى وجدت أصابعي ذلك الصندوق الصغير الذي دفنته تحتها.

حدقت فيه كما أفعل كل يوم.

تظن المملكة أنني جُنت.

أعتقد أنني ذهبت إلى مكان ما. مكان أشد ظلمة، ربما.

أسمع همسات الخدم وهم يمرون ببابي، وأراقب الإمبراطورين وهم يرمقونني بنظرات متلصصة حين تصادف خطواتي الممرات.

يظنون أنني جُنت من فرط الحزن على رجل لم يحمل لي سوى خيبة الأمل والإحساس بالواجب.

يا للسخف.

ما أسخف أن أحزن على رجل أحب السلطة أكثر من أبنائه. ما أسخف أن أحزن على رجل لم يمنحني كلمة ثناء قط. ما أسخف أن أحزن على رجل لا يمكن إرضاءه أبداً.

كم هو ظالم أن أحزن على رجل كهذا.

لذا، لن أفعل ذلك بعد الآن. لقد انتهيت من هذا الأمر. حقاً.

أفتقد من كنت عليه قبل أن أجده وخنجر مغروس في عنقه. أفتقد الأخ الذي كنته لـ كاي و جاكس، أفتقد الأيام المتصببة عرقاً في حلبة التدريب. أفتقد الهروب من الحفلات لأحتسي الشراب حتى شروق الشمس. أفتقد الهروب من المسؤولية بشكل عام.

كنت أنا وكاي على وفاق. خاصة بعد آفا. أصبحنا أقرب بشكل لا يُصدق مع كل ليلة قضاها يغالب دموعه في غرفتي. أتذكر سرقتنا للشراب من القبو للمرة الأولى بعد كل ما حدث، أتذكر بصقي للرشفة الأولى.

كم هو غريب أن بعضاً من أئمن الذكريات الآن لم تكن كذلك على الإطلاق في وقتها.

رغم أنني أشك في أنني سأحب الحياة التي أعيشها الآن في أي وقت قريب. قد لا أعيش حتى طويلاً بما يكفي لأنظر إلى الوراء وأفتقد الأيام التي كرهتها.

مسحت أصابعي على سطح الصندوق، متحسباً أهميته مع كل لمسة. لا أريد أن أكره كل يوم. ربما لن أضطر إلى كره كل يوم. ربما يكون هذا هو الأفضل...

حركت كتفي، ذينك اللذين يحملان الآن الوزن الساحق لهذه المملكة. ثم تمكنت من العثور على ورقة نظيفة نسبياً. هذه الرسالة له.

للرجل الذي سئمت الحداد عليه.

هذه الرسالة موجهة إلى الحزن الذي تركني أصرعه.

الحزن الذي لا يستحق أن يجعلني أشعر به.

الرسالة التالية لها.

وعادة ما تكون كذلك.

إنها تمثل إلهاماً لا بأس به.

أو ربما هي مجرد شخص يسهل التفكير فيه، ويسهل ترجمته إلى كلمات.

سكبت أفكاري على الورقة.

كان ينبغي لها أن تعود الآن.

بقعة حبر أخرى.

كان ينبغي لها أن تعود الآن.

تمزقت الورقة تحت وطأة يدي الضاغطة.

كان ينبغي لها أن تعود الآن.

أضفت الورقة إلى الكومة.



## الفصل 32

# كاي

### قالت:

– «شريحة.»

قطبت حاجبي، منتظرًا أن تكمل. تمكنت من القول من بين أسنانها المكشرة:

– «من فضلك.»

كافأت تهذيبها بابتسامة وبقطعة تفاح رفعتها إلى شفتيها. خطفتها أسنانها من راحة يدي، وكادت تعضني في تلك الأثناء. وهو ما حاولت فعله عدة مرات.

رمقتني بنظرة غاضبة من مجلسها فوق السطح. كان ضوء الصباح الباكر يرسم بقعًا متألئة على وجهها وعلى خصلات الشعر الفضي التي تطل من تحت وشاحها. سألت:

– «هل هذا ضروري حقًا؟»

كانت تتحدث بالطبع عن الحبل الذي قيدت به معصمها. أجبت:

– «أوه، أنتِ تعلمين تمامًا لم هو ضروري.»



بعد يوم طويل من المشي نحو أطراف المدينة الأكثر هدوءًا، تمكنا من تسلق سطح مبنى متداعٍ، حيث امتلكت الجرأة لتسحب سكيناً في وجهي أثناء نومي. استيقظت على صوت عبثها بالقفل المحيط بكاحلها قبل أن تضع النصل على حلقي. انتابني بعض القلق لتمكنها من الحصول على سلاح دون علمي. لكن العراك المنهك انتهى بتقييد كلتا يديها خلف ظهرها بشريط من قماش مشمع قديم وجدته. حينها فقط تمكنت من الحصول على بعض الراحة. سألت بحنق:

– «أليس من المفترض أن أحاول الهرب من أسري؟ لست بالضبط من النوع الذي يستسلم بهدوء.»

تنهدت وأنا أقدم لها شريحة تفاح أخرى، وقلت:

– «من الواضح أنك لست كذلك.»

أخذتها على مضض، كارهة أنني من يطعمها.

حركت أصابعها نحوي من خلف ظهرها وسألت:

– «إلى متى سيستمر هذا؟»

أجبت:

– «إلى أن تخمد رغبتك المُلحة في قتلي.»

زفرت ضاحكة وقالت:

– «إن يبدو أنني سأظل مقيدة إلى الأبد.»

قلت بشرود وأنا أستخدم السكين الذي وجدته لأقطع شرائح تفاح لنفسني:

– «يا له من أمر مؤسف حقاً.»

لمحت تقلبها السريع لعينيها. وقالت:

– «شريحة.»

بدأ هذا الأمر يصبح غير ممتع لكليتنا. قطعت لها قطعة أخرى قبل أن أمد

يدي لأرفعها إلى شفتيها. وقلت:

– «لقد قطعنا قرابة نصف المسافة عبر دور. إذا تقدمنا بشكل جيد اليوم، ولم نواجه أي مشاكل، فقد نصل – –»

قاطعتني:

– «شريحة.»

أغمضت عيني، متنفساً بعمق للحظة قبل أن أطعمها قطعة أخرى. قلت بنبرة أهدأ مما أشعر به حقاً:

– «كما كنت أقول، قد نصل إلى ملاذ الأرواح في غضون يومين.»

ابتسمت ابتسامة عذبة مخادعة وقالت:

– «ممتاز. معلم آخر يقربني من حتفي.»

أشحت بنظري نحو الشارع أسفلنا، غير راغب في التفكير في الحقيقة المحتملة في كلماتها. أكره أنني لا أعلم ما الذي يخطط له كيت بشأنها. أو الأسوأ، ما الذي يخطط لأن يجعلني أفعله بها.

كافحت للنهوض على قدميها، ناظرة إليّ من أعلى وهي تضيف:

– «حسناً، من الأفضل ألا نترك الملك ينتظر، أليس كذلك؟ خاصة وأننا

نسلك الطريق الطويل للعودة إلى إيليا. لا نريد أن يظن أن مكروهاً قد أصابك.»

كانت نبرتها ساخرة، محاولة إخفاء ما تشعر به حقاً. وأنا أعلم أكثر من غيري كيف يكون ذلك الشعور. لذا لم أقل شيئاً وأنا أنهض على قدمي، متأملاً وجهها والمشاعر التي ترفض أن تدعني أراها. لكن اليد التي لوحت بها نحوي من خلف ظهرها هي ما لفت انتباهي.

قالت:

– «أحتاج إلى ذراعيّ لأتمكن من النزول.»

ابتسمت بخفة وقلت:

– «يمكنني ببساطة أن أتلقفك في الأسفل.»

قالت:

– «هذه السلسلة ستسحبني من فوق السطح قبل أن تصل أنت إلى هناك حتى.»

قلت ببساطة:

– «حسنًا. إذن ستسبقيني إلى الأسفل.»

تصاعد صوت انزعاج من حلقها. ضحكت بخفة قبل أن أطوي المسافة بيننا، مراقبًا عينيها وهما تتنقلان بين عيني. سكنت تمامًا حين مددت يدي خلف ظهرها، ملامسًا جانبيها قبل أن أمسك بيديها المقيدتين.

وفقط حين فتحت فمها لتوبخني، قطعت القماش المشمع بسكيني، وعينا لا تفارقان عينيها طوال الوقت. تحررت يداها بصوت فرقعة، ليرسم ذلك الصوت ابتسامة رقيقة على شفثتها. وسألت:

– «إذن، أنت لا تريدني أن أسقط لألقى حتفي؟»

كانت قريبة، وتفوح منها رائحة صابون النزل الرخيص الباهتة. هزرت كتفي وقلت:

– «ليس إذا كنت ستسحبيني للأسفل معك.»

أجابت:

– «حسنًا، هذه هي الطريقة الوحيدة التي قد أسمح لنفسني بالموت بها.»

تسللت الابتسامة إلى شفثتي قبل أن أتمكن من كبها. ثم امتدت يدي لأدسّ خصلات فضية متمردة من شعرها تحت وشاحها، فلامست أصابعي صدغيها برقة. أعاد ملمس بشرتها عقلي هائمًا إلى ذلك الزقاق؛ حيث استقرت شفثاتي على عنقها، ألتمس إيقاع نبضها المتسارع تحت فمي.

إنه لأمر مقلق، مدى فتننتها الطاغية.

كان تذوقها امتيازًا لا يُنال، والشعور بها حلمًا بعيد المنال.

لقد تطلب الأمر قوة إرادة خالصة كي أبتعد، كي أنتزع نفسي منها انتزاعًا.

لكن الأمر برمته لم يكن سوى تظاهر في نهاية المطاف. أو على الأقل، هذا ما أوصل إقناع نفسي به.

خللتُ أصابعي في شعري قبل أن أسحب المنديل لأغطي به أنفي. سقتُ خطانا نحو حافة السطح، وسألتها:

– «هل أنتِ مستعدة؟»

أجابت بنبرة مرحة:

– «وما عساه يهم إن لم أكن كذلك!»

هزرتُ رأسي دلالة على اليأس، ثم تدليتُ بجسدي من جانب المبنى، متشبثاً بالحافة المرتفعة للسطح بينما تأرجحت ساقي في الهواء. حذت بيدين حذوي، وبدا عليها الإجهاد وهي تبدأ هبوطها الحذر. كافحنا ونحن نهبط على طول الجدار الحجري، مستغلين كل صدع فيه لغرس أصابعنا وتثبيت أقدامنا.

صلصلت السلسلة المعدنية الممتدة بيننا حين وثبنا أخيراً إلى الأرض. لسعني ألم مباغت في يدي، فخفضتُ بصري لأجد خطأً رفيعاً من الدماء يتفتح كزهرة حمراء على كفي؛ هدية من حجر مدبب الأطراف. تجاهلتُ الجرح، وراقبتها وهي تلف معظم السلسلة حول كاحلها قبل أن تستقيم في وقفها. بعد ذلك، دسّت ذراعها في ذراعي بتردد، وانطلقنا نشق طريقنا عبر الأزقة الخلفية لمدينة دور.

كانت أطراف المدينة مقفرة بصورة توحى بالوحشة، لا تؤوي سوى المشردين والمقعدين. إن العيش في مكان ناءٍ كهذا، بعيداً عن شوارع السوق الرئيسية، ليس خياراً طوعياً – بل هو عقاب –. يُنفى المنبوذون إلى الأطراف المنسية، ليتركوا هناك يصارعون الجوع، أو يتكبدون عناء الرحلة الشاقة نحو أزقة السوق.

لكن العبور بمحاذاة الحدود أكثر أماناً لنا؛ فقلة الناس هنا تعني تضاؤل فرص التعرف علينا، لا سيما مع احتمالية تفشي خبر هروبنا من السجن. قطعنا مسافة جيدة في وقت قصير، ولم نضطر سوى إلى تفادي بعض الباعة المتجولين اللحويين مع انقضاء ساعات النهار.

لم نفقد إيقاعنا إلا حين مررنا بالمنشور الرابع الذي يحمل صورة وجهها؛  
فانتزعته بحدة من على جدار أحد المتاجر.

التقطت النظرة الخاطفة التي رميتها بها، فزمجرت قائلة:

– «ماذا؟ لقد سئمتُ من التحديق في وجهي أينما وليت.»

هممت بتجعيد المنشور وتكويره، لكنني اختطفته من يدها. راوغتُ ضربة  
يدها الغاضبة بيسر، ورفعتُ الورقة عاليًا فوق رأسي قائلاً:

– «دعيني ألقِ نظرة على هذا.»

زفرت بضيق، مستسلمة أخيرًا للأمر الواقع:

– «أنت شخص لا يُطاق! ما الذي قد تريده بورقة كهذه؟»

أجبتها ببساطة، وأنا أحمل الصورة بمحاذاة وجهها:

– «أقارنها بالنسخة الأصلية.»

كادت أن تسمح لضحكة بالانفلات من ثغرها لسماعي أقول ذلك. تنقلت  
عيناها بين وجهها والمنشور، أتفحص كل تقاسيمها بدقة، قبل أن أعيد الورقة  
إليها في غضون ثوانٍ معدودة قائلاً:

– «الشمش ليس كافيًا.»

التفتت نحوي بحدة، وقد عقدت الارتباك حاجبها:

– «ليس كافيًا... ماذا تقصد بأن الشمش ليس كافيًا؟»

أردفتُ دون أن أرفع عينيَّ إليها:

– «أعني أنهم لم يرسموا ما يكفي من الشمش.»

تأففت بانزعاج:

– «أجل، لقد سمعتُ ذلك، لكن...»

قاطعها خروج رجل ضخم الجثة من أحد الأزقة، ليقطع علينا طريقنا.  
التفت ذراع بيدن حول ذراعي بشدة طفيفة حينما مسحت عيناها جسدينا، قبل  
أن تتسمر نظراته على السلسلة المعدنية المقيّدة بكاحلي. اتخذتُ خطوة إلى

الأمام، حاثًا بيدن على الالتفاف حوله، لكن وجهه انفرج فجأة عن ابتسامة عريضة.

جار بصوت جهوري:

– «ياللهول! لقد قيدت نفسك بعبء ثقيل وامرأة متسلطة حقًا، أليس كذلك؟»

للمرة الأولى في حياتي، شعرتُ بالارتياح لسماع تعليق كهذا. فليظن ما يشاء، طالما أنه يجهل هويتنا الحقيقية. وبناءً على ذلك، جاريته في اللعبة قائلاً:

– «أجل، ومن الواضح أنها امرأة يصعب ترويضها.»

سأدفع ثمن هذه الكلمات غالباً في وقت لاحق. أستطيع استشعار ذلك من الطريقة التي تعتصر بها ذراعي الآن.

وضعتُ يدي على ظهر بيدن أوجَّهها للمضي قدمًا، بينما أردف الرجل ضاحكًا:

– «لقد أحكمت وثاقها حقًا!»

تشنَّج جسدها بأكملها، وبدت متأهبة لتمزيق الرجل إربًا. سارعتُ بلف يدي حول خصرها، لاصقًا إياها بصدري كي أمنعها من اقتراف أي حماقة، ثم قلت:

– «حسنًا، لا يمكنني تركها تهرب مني الآن، أليس كذلك؟»

تلاشت ضحكاته خلفنا ونحن نسرع الخطى متجاوزين إياه نحو الزقاق. كنتُ أتوقع ضربة المرفق التي وجهتها نحو أضلاعي قبل حتى أن تصطدم بي. همست بنبرة خافتة:

– «هذا أقل ما تستحقه.»

تمتمتُ مبررًا:

– «ما الذي أردت مني فعله بالضبط؟ هل أخبره بالسبب الحقيقي الذي يجعلك مقيدة بي؟»

لم تكلف نفسها عناء الرد، وواصلنا السير بخطى متزامنة على طول الشارع. سيرنا في صمت لعدة دقائق، خافضين رؤوسنا ومحافظين على إيقاع سيرنا المعتدل. ولم نتعثري في خطواتنا إلا حين ظهرت أمامنا فجأة مجموعة من الرجال تسدّ طريقنا.

كانوا أربعة رجال، جميعهم ضخام الجثة ثقال الخطو. تقدم أحدهم مبتسماً بتهكم، ولم يكن سوى الرجل الذي أفلتنا منه قبل دقائق معدودة. هز إصبعه في وجهنا وقال:

– «أتعلمان؟ لقد ظننتُ أن ملامحك مألوفة يا فتاة.»

أخرج من جيبه قطعة ورق مجعدة ورفعها أمامنا، ليطل منها وجه بيدن.

– «إذن، هذه هي المنقذة الفضية سيئة السمعة، أليس كذلك؟»

أسندت يدي على ظهر بيدن حين خطا خطوة بطيئة نحونا، وتابع:

– «وهذا يجعلك بالتأكيد المنفذ الذي أرسل لجلبها لمليكك الصغير. لقد سمعنا عن هروبكما من رافائيل، لكنه تمكن من القبض عليكما بسهولة تامة.»  
اتسعت ابتسامته وهو يضيف:

– «سنحصل على مكافأة مجزية مقابل هذين الاثنين يا رفاق. لن يتمكن هذا المعتوه من النخبة من الإطاحة بنا جميعاً. في الواقع، لا أعتقد أن المنفذ يمتلك حتى نصف القوة التي تخيلناها.»

استرقت نظرة إلى اليمين، متفحصاً الزقاق الخالي هناك، وقلت:

– «أكره قول هذا، ولكن...»

تمتت مجيبة قبل أن تندفع راكضة:

– «أعرف.»

انزلقنا داخل الزقاق، نتعثري في السلسلة بينما تكافح بيدن لفكها من حول كاحلها. تعالت الصيحات خلفنا، تلتها عن كثب أصوات خطوات هادرة. أمسكت بيدها ونحن نركض في مسارات متعرجة عبر الشوارع غير الممهدة، منصبين تركيزنا على ألا تفلت الأرض من تحت أقدامنا.

هتفت وهي تلهث، ساحبة إياي في اتجاه جديد:

– «لن نتمكن من تضليلهم بهذه الطريقة.»

مسحت العرق الذي يلسع عيني وقلت:

– «أعرف ذلك.»

عند الانعطافة التالية يمينا، وجدنا أنفسنا نتجه مباشرة نحو أحد مطاردينا، مما أجبرنا على التوقف المفاجئ والاستدارة. سألتها بأنفاس متلاحقة:

– «أليكِ أية أفكار عبقرية؟»

أجابت وهي تكاد تتفادى رجلاً عجوزاً تعثر في طريقنا:

– «كنت على وشك أن أسألك الشيء نفسه.»

انعطفنا عند زاوية أخرى، لندخل شارعاً أكثر ازدحاماً من سابقه. ودون أن تنبس بكلمة، سحبني نحو مبنى خافت الإضاءة ودفعت بابه بقوة. تعثرنا في طريقنا للداخل، ننتقل من وميض الشمس المسببة للعمى إلى ظلال كثيفة تكتنفنا. مسحت الغرفة بنظري، مستوعباً الكراسي المخملية وطاولات اللعب. كان المكان يعج بالدخان، مما ساعد في إخفاء وجوه الرجال المنهمكين في الشرب والمقامرة. بينما تجولت نساء بملابس فاضحة في أرجاء المكان، باحثات عن حجر فارغ ليجلسن عليه.

تمت بجوارها:

– «لقد ورطتنا للتو في الدخول إلى نادٍ للرجال.»

همست بحدة:

– «بالطبع ستعرف ماهية هذا المكان. ماذا نفعل الآن؟»

تركت يدي تلامس أسفل ظهرها بخفة وأنا أجيب:

– «الآن، نندمج مع الحشود.»

سحبت القبعة المرنة من الحقيبة المتدلية على كتفها، وانتزعت الوشاح عن رأسها بسرعة. ثم سحبت القبعة لتغطي وجهها، داساً بقايا ضفيرتها الفوضوية بداخلها. لففت ذراعي حول خصرها وتمتمت:

– «سأيريني في الأمر، حسناً؟ اخلي سترتك، فمن السهل التعرف عليها.»

أطاعتني للمرة الأولى، وطوت السترة داخل حقيبتها لتكتفي بقميص رقيق يتدلى عن كتفها الأسمر. جذبتها بعد ذلك نحو كرسي شاغر عند إحدى طاولات اللعب المتعددة. تعلق بضعة رجال حول اللعبة، يسترقون النظر من خلف النساء الجالسات في أحضانهم لترتيب أوراق اللعب في أيديهم، بينما ينفثون الدخان من السيجار المعلق بين شفاههم.

جلست ببطء على الكرسي المخملي قبل أن أسحب بيدن لتجلس في حضني. جلست منتصبية ومتصلبة إلى أن استقرت يداي على وركيها لأرخي ظهرها ليسند على صدري. همست في أذنها:

– «استرخي يا عزيزتي. لنبدُ وكأننا ننتمي إلى هذا المكان.»

أومأت برأسها قليلاً، فكادت حافة قبعتها أن تصفع وجهي. شعرت بها تلين وتستند إليّ، لتبدو بصورة مقنعة أكثر راحة في جلستها فوق فخذي. أبقيت إحدى يدي ممددة برخاوة عبر وركيها، واستخدمت الأخرى لأشير إلى الموزع بإشراكي في اللعب. وبعد أن رميت بضعة فضيات متبقية معي على قماش الطاولة الأخضر، رمى لي أحدهم عدة أوراق.

استدارت ليلامس خدها خدي، ولفت ذراعاً متراخية ببطء حول عنقي. كان ذلك مجرد ذريعة للهمس دون إثارة الشبهات، لكنني مع ذلك كافحت لتهدئة نبضات قلبي المتسارعة. همست وشففتها تكاد تلامس خدي:

– «ما الذي تفعله يا أزر؟»

ابتلعت ريقى إثر هذا التلامس، وأجبت بصوت خافت:

– «يجب أن تدفعي لتلعبني. وعدم اللعب سيجذب إلينا المزيد من الانتباه

وحسب.»

زفرت أنفاسها على بشرتي بطريقة جعلتني أتحنح لتنقية حنجرتي، ثم  
قالت:

- «ذكرني بأن أسرق مالك عائداً إليّ في نهاية هذا الأمر.»

وبعد ذلك، استدارت نحو الطاولة لتراقب الرجال وهم يلقون بأوراقهم.  
سأكون كاذباً إن قلت إنني غير معتاد على نوادي الرجال، رغم أن النادي  
الموجود في إيليا يبدو أكثر نظافة ورقياً من هذا بكثير. لكنني أعرف كيف تُدار  
هذه الألعاب، والأهم من ذلك بكثير، أعرف كيف أفوز بها.  
وضعت ورقة لعب على الطاولة البالية وقلت:

- «أشك أنك ستحتاجين لفعل ذلك يا عزيزتي. فأنا لا أنوي الخسارة.»

تناوب الرجال حول الطاولة على اللعب، وكثيراً ما كانوا يبدلون النساء  
اللاتي يزينن أحضانهم. كنت أشعر بتوتر بيدن في كل مرة تُستبدل فيها فتاة  
بأخرى، ماقتة الطريقة التي ينبذ بها الرجال إحداهن لمجرد تمرير أيديهم على  
أخرى.

لم يمض وقت طويل حتى تسالت امرأة نحوي لتلف ذراعها حول كتفي.  
كان صوتها حاداً ومليئاً بالغنج وهي تعرض أن تحل محل بيدن. لكن عندما  
فتحت فمي لأرفض، لم يكن صوتي هو ما سمعته.

قالت بيدن ببرود، ساحبة نفسها لتقترب مني أكثر بذراعها التي لا تزال  
ملتفة حول عنقي:

- «هذا المكان محجوز.»

زفرت المرأة بضيق، وأومات برأسها مستديرة لتبحث عن جسد آخر  
تمنحه دفئها.

ارتسمت ابتسامة ماكرة ببطء على وجهي. انحنيت للأمام لأنظر إليها،  
لكنها تجاهلتني بعناد مفضلة التركيز على اللعبة التي تتكشف أحداثها أمامنا.  
ورغبة مني في خطف نظراتها، ألقيت بأوراقي على الطاولة وسحبت ذقنها برفق  
نحوي.

همست وأصابني لا تزال تطوق ذقنها:

– «الغيرة تليق بك يا جراي.»

تنقلت عيناها بين عيناى، مشتعلتين بتلك النيران المألوفة، وقالت:

– «أنا لست غيورة.»

تريثت بنظراتي على شفيتها قبل أن أطوف بها على طول جسدها، ثم

قلت:

– «إذن، أنت ببساطة تبدين فاتنة.»

أطلقت سخرية خافتة، وأدارت وجهها محررة إياه من قبضتي قائلة:

– «لم لا تركز على ألا تخسر، هاه؟»

فتحت فمي لأجادلها بأنها السبب في تشتيتي من الأساس، حين فُتح

الباب فجأة على مصراعيه، ليغرق الغرفة بضوء قاسٍ.

دلف رجلان مألوفان إلى الداخل، منتصبين في إطار الباب، وعيونهما

تبحثان عنا.



## الفصل 33

# بيكان

قال الرجل:

– « جلبت فتاتك معك، هاه؟ »

انتزعتُ نظراتي من الرجلين اللذين يسدان المدخل لأرمش ناظرةً إلى الرجل الجالس بجوارنا. كانت المرأة القابعة في حضنه تعتمر قبعة مزينة بالريش تستقر على رأسها بتوازن هش، وربما أخلّ توازنها ذلك الرجل المتطفل الذي تجلس فوقه.

أوردت ملاحظته وجنتي خجلاً. أمقت هذا المكان، وأمقت اضطراري للتصرف كدمية جميلة لا أكثر.

اشتدت قبضة كاي على خصري.

لا تتسرعي. هناك من يراقبنا.

هذا ما سمعته من خلال قبضته، ومن الطريقة التي سحبني بها بتمك لأستند إلى صدره. جعلني أمره الصامت أسترخي بين ذراعيه، مسترقةً النظر من تحت حافة قبعتي السخيفة إلى الرجلين اللذين يتفحصان الغرفة الآن. كانا يبدوان بريئين بما يكفي، وكأنهما يحاولان تقرير الطاولة التي سيلعبان عليها. لكن عيونهما كانت باحثة، تدرس كل شخص يعترض طريقهما.



قال كاي ببساطة، منتزعاً بضع ضحكات خافتة من الجالسين حول الطاولة:

- «إنها تميمة حظي.»

لقد لف ذراعه بالكامل حول خصري، وانحنى ليسند ذقنه على كتفي العاري. ومع إزاحته للمنديل عن وجهه في هذا الضوء الخافت، دغدغت لحيه فكه الخفيفة بشرتي، مما أرسل قشعريرة في جسدي.

همس في أذني وهو يحمل أوراق اللعب أمامي:

- «ما رأيك يا عزيزتي؟»

قالها بصوت مسموع لمن حول الطاولة، وكأن هذا روتين معتاد بيننا.

أملت رأسي ليسند على رأسه، مستشعرةً أنفاسه على خدي، ثم رفعت يدي لأنقر على إحدى الأوراق قائلة:

- «هذه.»

تمتم وهو يضع الورقة على الطاولة:

- «هذه هي فتاتي الذكية.»

استمرت اللعبة، رغم أنني لم أكن أعيرها أي انتباه، خاصة مع الطريقة التي بسط بها أصابعه على معدتي. رفعت بصري نحو الرجلين اللذين يبحثان عنا، فوجدتهما يشقان طريقهما ببطء نحو طاولتنا. أدركت أن كاي قد لاحظهما أيضاً حين خفض وجهه مقترباً من وجهي ليختبئ بمهارة تحت حافة قبعتي.

لم يسعني سوى التصلب مع كل خطوة يخطوها مطارداًنا. كنت متأهبة للقفز من حوض كاي والركض إن لزم الأمر. عبثت أصابعي بالتنورة المسدلة فوق السلسلة المقيدة لكاحلي، مكورةً القماش في راحتي المتعرقتين.

انزلت يد حازمة على طول جانبي، لتستحوذ على انتباهي بالكامل. تنفس في أذني قائلاً:

- «استرخي يا جراي.»

سافرت راحة يده من خصري إلى ساقِي، مقبضاً على ما تحت ركبتي  
ليسحبني إليه أكثر بصورة مستحيلة. وتابع بصوت أشبه بمداعبة، يحاكي  
حركة يده التي تمسح على فخذي الآن:

– «تظاهري، هل تذكرين؟»

حسناً. مجرد تظاهر.

هذا هو حقيقة كل شيء بيننا. كل لمسة، كل نظرة، كل لحظة صادقة.  
مجرد تظاهر.

تحركتُ، مستديرة بجانبِي لألقي بساقِي فوق حضنه.

مجرد تظاهر.

وجدت يدي طريقها إلى مؤخرة عنقه، وتخللت أصابعي خصلات شعره.

مجرد تظاهر.

لا شيء يحمل أي معنى معه. وهذا ما أوصل إقناع نفسي به.

كان تركيزه منصباً عليّ وبعيداً تماماً عن اللعبة الدائرة. سألته برقة:

– «هل أشتت انتباهك؟»

أجاب:

– «ومتى لا تفعلين؟»

همست في أذنه عند استشعاري لنبضه الهادر تحت صدره:

– «همم. قلبك يخفق بشدة أيها الأمير.»

تمتم قائلاً:

– «إنها لعبة متقاربة. وأنا لست معتاداً على الخسارة.»

أطلقت سخرية خافتة:

– «لا، بل أنت معتاد على أن يجلب لك وجهك الوسيم ولقبك كل ما

ترغب فيه.»

تراجع للخلف بما يكفي لينظر في عينيّ، سامحاً لي بلمح المشاعر التي تتسرب من شقوق قناعه. جالت نظراته الرمادية على وجهي، مستوعبة كل إنش فوضوي مني، ثم قال:

– «ليس كل شيء..»

رمشتُ بعيني. واصل التحديق بي حتى أشار له أحد الرجال بأن دوره قد حان. وعندما نظرت لأرى الورقة التي لعبها، لمحت الرجلين يتجهان نحو طاولتنا. وجد ذقن كاي طريقه إلى كتفي مجدداً ليخفي وجهه تحت حافة القبعة، بينما راحت يده تمسح صعوداً وهبوطاً على خصري، لتساعدني على البقاء مسترخية ضد صدره.

تظاهري.

هذا ما فعلته حين توقف الرجلان للوقوف بجانب الطاولة. عبثت بشعر كاي، ولففت ذراعيّ حول عنقه.

تظاهري.

راحت يدي الحرة تمرر أصابعها على فكه غير الحليق، قبل أن تجد طريقها نزولاً إلى عنقه.

تظاهري.

كنت أتظاهر بتجاهل حقيقة أن الرجلين ينظران إليّ مباشرة الآن، يراقبان العرض الذي أؤديه من أجلهما. كنت أستشعر نظراتهما وهي تتجول فوقنا وفوق وجهينا المخفيين جزئياً. وحين تيقنت من أن اللحظة قد حانت للقفز على قدمي والركض، سئما منا واستدارا ليراقبا طاولة أخرى.

زفرت أنفاسي، مسندةً جبهتي على خد كاي، وقلت:

– «لقد رحلا.»

ارتعشت عضلة في فكه وهو يقول:

– «عمل جيد يا جراي.»

اعتدلت في جلستي قليلاً إثر نبرته، وإثر التذكير بأن كل هذا كان لمجرد الاندماج في المكان لا غير. سألته بتصلب:

- «هل أوشكتَ على الخسارة بعد؟»

كان مشتتاً، فأجاب:

- «إيمانك بي ملهم حقاً.»

قلت بصوت خافت:

- «هل يمكنك الإسراع في هذا؟»

وضع ورقة على الطاولة وسأل:

- «ماذا، أديك مكان أفضل لتكوني فيه؟»

أجبت به بجفاف:

- «أجل. أي مكان سوى حضنك.»

أحنى رأسه، يضحك بخفوت ضد عنقي:

- «أحقاً؟»

ارتجف جسدي حين طوقت يده خصري ببطء مجدداً، وأصابه الخشنة تلامس بشرتي العارية حيث ارتفع قميصي. أومأت ببطء:

- «أشعر بالملل.»

لامست شفثاه فكي وهو يقول:

- «لا، أنت لست كذلك.»

قاومت الرغبة في الاستدارة ومواجهته بالكامل:

- «وما الذي يجعلك تظن أنني لست كذلك؟»

همس في أذني قبل أن يلقي بورقة جعلت الرجال حول الطاولة يتأوهون

بخيبة:

- «اعتبريه حدساً.»

انتهت اللعبة بتذمرات غاضبة، ودُفعت كومة الفضيّات اللامعة باتجاهنا.

ألقى كاي العملات بسرعة في حقيبتني بنظرة رضا لا تُطاق، وقال:  
 - «يبدو أنك لن تحتاجي لسرقة أي شخص اليوم يا عزيزتي.»  
 تمتت قائلة:

- «يا للأسف، كنت أتطلع لذلك بشدة.»

بضحكة خافتة، كاد كاي يرفعني عن حضنه ليوقفني على قدمي. وقف خلفي مباشرة، واضعاً يداً حازمة على أسفل ظهري. شققنا طريقنا نحو الباب بخطوات عادية، وكأننا لا نحمل ثروة تفوق بكثير ما كسبناه للتو.

ألقيت نظرة أخيرة من فوق كتفي نحو الرجلين اللذين يبحثان عنا، فوجدتهما يتحدثان إلى جالسين على طاولة في الجانب الآخر من الغرفة. ثم خطوت عبر الباب لأرمش عيني في ضوء الشمس الساطع. انعطفنا بحذر عند الزاوية، ومسحنا كل شارع بنظراتنا قبل أن نمضي فيه.

استغرقتنا قرابة الساعة من المشي قبل أن نشعر بالأمان الكافي لإبطاء وتيرتنا وخفض دفاعاتنا، لكننا أبقينا رؤوسنا منخفضة عند مرورنا بالمتسكعين العابرين في هذا المكان القصي عن قلب المدينة. تتأقلت قدماي من الإرهاق، وهددت جفوني بالانغلاق. لاحظ كاي ذلك بالطبع، فأخذ يجذب السلسلة كلما تباطأت خطواتي.

قطع كاي صمتنا الممتد قائلاً بهدوء:

- «لقد أبليتِ بلاءً حسناً هناك.»

هممت بازدياء:

- «ليس من الصعب جداً الجلوس في حضن أحدهم.»

جادلني قائلاً:

- «أوه، الجلوس أمر سهل. لكن الجزء المتعلق بأن تبدي فاتنة هو ما قد

يكون صعباً. حسناً...»

أضاف بصدق:

– «ليس في تجربتي أنا، لكنني واثق أن الآخرين قد يواجهون صعوبة في ذلك.»

ضحكت رغم إرادتي:

– «أنت معتد بنفسك كثيراً.»

قال:

– «لا بد لأحدنا أن يكون كذلك.»

التفتُ نحوه بحدة إثر اتهامه التالي:

– «بما أنك ما زلتِ تنكرين أنني وسيم.»

– «حسناً، أنا لا أعتقد أنك وسيم.»

ألقي عليّ نظرة حائرة:

– «أتدريين؟ أكاد أصدقك. أنتِ مقنعة إلى حد ما، خصوصاً أثناء أدائكِ

في حضني.»

أدرت وجهي قبل أن يلمح حمرة الخجل التي توردت بها وجنتاي، وقلت:

– «حسناً، لدي خبرة طويلة في التظاهر. لقد كنت أفعل ذلك طوال

حياتي.»

عند ذكر الزيف الذي يغلف حياتي، وادعاء قدرة المتبصر (سايكيك)، لم

أتذكر سوى الأشخاص الكثيرين الذين جُرّوا إلى هذه الكذبة. أولئك الذين

كانوا شركاء غافلين، وأضراراً جانبية في مسرحيتي. ومضت في ذهني عيون

خضراء ناعمة وابتسامة مريحة. كان الملك الجديد أحدث ضحايا خداعي

وخيانتني.

أنزلت الحقيبة عن كتفيّ لأخرج رغيفاً نصف مأكول كنت قد اختطفته من

عربة أحد التجار – تماماً كما فعلت مع كل طعامنا. وسألته بين قضمات الخبز:

– «هل تظن أنه قلق عليك؟»

ولما رفع كاي حاجبيه متسائلاً، أضفت:

– «كيت؟»

ابتلعت ريقِي. كانت هذه المرة الأولى التي أشير فيها إلى الملك باسمه وليس بلقبه الجديد. بدا الاسم غريباً في فمي، وكأنه ينتمي لذكرى شخص كنت أعرفه يوماً. وبطريقة ما، كان الأمر كذلك حقاً.

تنهد كاي قائلاً:

– «إن كان قلقاً، فذلك لأنني معك.»

شخرت بتهكم:

– «ماذا، هل يظن أنني أسعى لقتل جميع أفراد العائلة المالكة؟»

نظر إليّ باهتمام حينها، وجالت عيناه على وجهي:

– «إنه لا يملك أدنى فكرة عما تسعين لفعله.»

قلت بنبرة دفاعية:

– «أنا لا أسعى لفعل أي شيء. كل ما أريده هو إيليا موحدة. وبالتأكيد لم

تكن لدي نية لقتل الملك في ذلك اليوم. لقد هاجمني هو، هل تذكر؟ وكأنه كان ينتظر تلك اللحظة.»

أدرت وجهي وهزرت رأسي. قاطعني:

– «لكنك قتلت الملك. أنت مجرمة—»

قاطعته ضحكتي المريرة:

– «وماذا يجعلك هذا؟ قديساً؟»

توقف فجأة، وكاد ينتزعني نحوه بالسلسلة. قال وصوته يتسم بنعومة

خادعة رغم أن يديه كانتا تقبضان على كتفي:

– «لم أدع يوماً أنني أي شيء سوى وحش. لكنني أيضاً لم تكن لدي نية

لقتل والدك في ذلك اليوم. في الواقع، لم تكن لدي نية لأتحول إلى هذه القشرة

الفارغة من إنسان التي أنا عليها اليوم. لكنني فعلت، وأنا أدفع ثمن ذلك كل

يوم.»

رمشت عيني محدقة فيه، متفاجئة من هذا التحول المفاجئ في مسار

حديثنا.

– «ماذا تعني بأنه لم تكن لديك نية لقتل والدي؟»

قال متوقفاً لبرهة ومحرراً كتفيّ وكأنه أدرك لتوه أنه كان يهزهما:

– «لم تكن لدي نية حتى لأصبح قاتلاً في ذلك اليوم. لم أكن أعرف ما ستتضمنه مهمتي الأولى. ولم أكن لأنفذها بمجرد أن اكتشفت الأمر.»

مرر يده في شعره الفوضوي وتابع:

– «كان نائماً، ولم أكن سأفعلها. كنت سأتسلل من الباب وأتحمل العواقب. لكنه استيقظ. نظرت في عيني مباشرة، وحينها وجدت نفسي فجأة أغرز السيف في صدره.»

هز رأسه وأضاف:

– «لم يحاول حتى الوصول إلى سلاح. لم يتحرك على الإطلاق. ومع ذلك، طعنته. في حالة ذعري، فعلت بالضبط ما كان الملك يأمل أن أفعله.»

صمت طويلاً، مبتلعاً كبرياءه قبل أن يضيف:

– «تعثرت خارجاً من الغرفة وتقيأت قبل حتى أن أصل إلى حصاني. لم أرد فعل ذلك يا جراي. لم أكن لأفعله.»

تراجعت خطوة للوراء، أرمش لأحبس دموعي وأنا أنظر إلى أي مكان سواه. قال بصوت خشن:

– «ليس هذا ما أردت سماعه، أليس كذلك؟ هذا يجعل كراهيتك لي أمراً أصعب.»

استدرت ببطء، مستأنفة خطواتي البطيئة في الشارع. قلت بخفوت:

– «أصعب، ربما. لكنه ليس مستحيلاً.»



## الفصل 34

# كاي

**كانت** أطراف المدينة خاوية بشكل مريب.

مع كل خطوة تقربنا من ملاذ الأرواح، كان عدد الأشخاص يقل. وهذا متوقع، بالنظر إلى قطاع الطرق الذين يسكنون هذه الزاوية من المدينة. كنا نمر بين الحين والآخر بغريب متوجس يسرع في خطاه ليجد طريق عودته إلى شارع مزدحم.

استرقت نظرة جانبية إلى بيدن. كانت تدير ذلك الخاتم في إبهامها طوال الساعات القليلة الماضية بينما تحرص على النظر إلى أي مكان باستثناء اتجاهي. أمقت هذه الحالة؛ عندما لا نتحدث، وعندما تتصرف وكأنها سجينتي. قلت:

– «ضفيرتك تنفك.»

لم تكن كذلك في الواقع. لكنني مثير للشفقة ولم أستطع التفكير في طريقة أفضل لكسر حاجز الصمت. فالحديث عن شعرها أفضل من عدم الحديث على الإطلاق. أمسكت بحافة قبعتها، ونظرت حولها بحثاً عن أي عيون متلصصة. وحين تيقنت من خلو المكان، أسقطت القبعة عن رأسها لتترك الضفيرة تتدلى على ظهرها.



أمرتني وهي تدفع القبعة إلى يدي:

– «أمسك هذه.»

تمتمت وأنا أراقبها تكافح مع الربطة المعقدة في نهاية ضفيرتها. كان مشهداً لا يُحتمل حقاً:

– «ها هي ذي أخلاقك الحميدة. دعيني أفعل ذلك وحسب.»

ضحكت قائلة:

– «مستحيل. في المرة الأخيرة التي ضفرت فيها شعري، كان كارثة، هل

تذكر؟»

– «كنت أفتقر إلى الممارسة.»

مرّ طيف من المشاعر على وجهها، وقالت:

– «حسناً، أنا واثقة أنك قد صقلت مهاراتك منذ ذلك الحين.»

شعرت بالحيرة للحظة قبل أن يصفعني الإدراك.

إنها تظن أنني كنت مع نساء أخريات.

كدت الفكرة أن تضحكني، ومع ذلك سايرتها.

– «هل يزعجك ذلك يا جراي؟»

انحرفت نحو شارع جانبي خافت الإضاءة، ساحبة إياي معها:

– «هل ستصلح هذا أم أصلحه أنا؟»

كانت لا تزال تحاول فك الضفيرة حين أسندت ظهري إلى الجدار وقلت:

– «لم يكن هذا جواباً.»

زفرت بضيق وهي تلقي بصفيرتها خلف ظهرها:

– «ماذا تريدني أن أقول؟ إن قيامك بتصفير شعر امرأة أخرى يزعجني؟

هذا مثير للشفقة، ولن أقوله.»

تنهدت، وخطوت خلفها لأجمع ما تبقى من الضفيرة بين يدي:

– «حسناً، لم أفعل.»

تمكنت من فك الربطة وتمرير أصابعي عبر شعرها. سألت بتصلب:

- «لم تفعل ماذا؟»

قلت بهدوء:

- «لم أضفر شعر أي امرأة سواك. حسناً، أنتِ وآفا.»

شعرت بعمودها الفقري ينتصب تحت أصابعي. ضحكت بلا مرح قائلة:

- «آفا؟ دعني أظن، واحدة من عشيقاتك الكثيرات؟ ربما واحدة كنت

تحبها حقاً؟»

صمتت طويلاً، أبتلع الغصة التي تتسلق حنجرتي:

- «أجل، كنت أحبها. بل عشقتها حتى.»

- «عظيم جداً.»

زفرت أنفاسي بقوة:

- «لقد كانت.. كانت الحياة ذاتها. كل ذرة خير افتقرتُ إليها.»

استرقت نظرة من فوق كتفها، لكنني أعدت وجهها برفق نحو الجدار:

- «لماذا تخبرني بكل هذا؟ لتثير غيرتي؟»

ابتسمت:

- «لا داعي للغيرة-»

قاطعت كلماتي:

- «حقاً؟ لأن الأمر يبدو وكأنك-»

أكملت متحدثاً فوق صوتها:

- «من شقيقتي.»

أظنني سمعت فكها ينغلق بصدمة. تلعثمت باحثة عن الكلمات:

- «أنا.. لم أكن..»

قلت ببساطة:

– «لم تكوني تعلمين أن لدي شقيقة؟ بالطبع لم تعلمي. لم يكن مقدراً لك ولا لبقية المملكة أن يعلموا.»

انزلق شعرها من يديّ وهي تستدير لتواجهني:

– «ماذا تعني؟»

أمسكت أصابعي بذقنها، وأدرتها برفق نحو جدار الزقاق مرة أخرى لأتمكن من جمع شعرها بين أصابعي مجدداً:

– «لقد وُلدت قبل أحد عشر عاماً – كان عيد ميلادها قبل ثلاثة أسابيع تقريباً. من أجل صحتها، لم يكن مقدراً لأمي أن تنجب المزيد من الأطفال. لكن آفا كانت مفاجأة غير متوقعة. غير مخطط لها.»

أخذت نفساً هادئاً وتابعت:

– «كانت الولادة.. صعبة. كدنا نفقد الملكة بسببها. أتذكر جلوسي بجوار سريرها، ممسكاً بيد أمي بينما يبذل المعالجون (هيلرن) قصارى جهدهم.»

كانت الضفيرة الآن قد وصلت لمنتصف ظهرها، وشعرها ناعم بين يديّ:

– «لم يكن مقدراً لآفا أن تنجو من الولادة، لكنها كانت معجزة رغم كل الصعاب.»

سألت بيدن بتردد:

– «ماذا.. ماذا حدث؟»

– «كانت مريضة. قال المعالجون إنه لم يتبق لها الكثير لتعيشه. وبسبب ذلك، أمر أبي بإبقائها سراً عن المملكة. لم يُرد أن تنتشر أخبار عن ملكة هشة وطفلة مريضة. يبدو أن مرض أفراد العائلة المالكة يمثل إحراجاً. علامة على ضعف الملك والمملكة.»

دورت كتفيّ، مستشعراً التوتر والغضب يتراكمان هناك:

– «لذا تم إخفاء آفا، وكانت سراً احتفظ به طاقم القلعة بأكمله. ولا تزال كذلك.»

سألت بيدن برقة:

– «والآن؟»

ابتلعت ريقِي:

– «كانت في الرابعة عندما خطفها المرض مني. لقد تعلمت التضفير بسببها. كانت ضعيفة، وكان تصنيف شعرها أمراً يشق عليها. لذا تعلمت فعله من أجلها. استخدمت أي عذر لنقضي الوقت معاً. كنت أتحمّل كل تدريب قاسٍ يفرضه عليّ الملك لأنني كنت أعلم أنها تنتظرني في نهايته.»

ربطت ضفيرة بيدن بأصابع مرتجفة:

– «كانت تمتلك ذلك الشعر الأسود الكثيف الجميل. وعينين رماديتين واسعتين كعيني أمي. كان الجميع يمازحنا بأنها النسخة الأجل مني. وحين كنت أنظر إليها، كنت أرى أفضل أجزاءي.»

بدأت بيدن قائلة:

– «كاي.. لم أكن أعلم.»

تابعت:

– «لم يكن مقدراً لها أن تطأ قدمها خارج القلعة التي حبستها.»

سألت بهدوء:

– «لم يكن مقدراً لها؟ هذا يوحي بأنها فعلت.»

رفعت ابتسامة رقيقة شفّتيّ عند تذكر ذلك:

– «أوه، لقد فعلت. لقد حرصتُ على ذلك. عندما أصبح واضحاً أن المرض سيأخذها في أي لحظة، هربتُ بها إلى الحدائق في إحدى الليالي. رشتني بماء النافورة المتجمد، وقطفت أكبر عدد ممكن من الأزهار.»

توقفت لبرهة:

– «وضحكت. بحق الطاعون، ورغم كل شيء، كانت تضحك دائماً. كان

جوهرها بحد ذاته معدياً.»

امتد الصمت بيننا بينما التفتت بيدن ببطء لتواجهني:

– «أنت لا تتحدث عنها أبداً.»

أدرت بصري، هازاً كتفيّ وكأن حزن ذلك كله لا يبتلعني حياً:  
 - «إنه يؤلمني كثيراً. حتى كيت لا يأتي على ذكرها أبداً. إنه يعلم أنه لا  
 ينبغي له ذلك. لكن الجميع أحبها. والجميع يعلم ألا يتحدثوا عنها كثيراً في  
 وجودي.»

مرر يده في شعري:

- «حتى في الموت، لا تزال تبدو وكأنها سر. وأنا أريد التحدث عنها -  
 أريد ذلك حقاً. إنه أمر أناني في الواقع. لكن في كل مرة أنظر فيها إلى نفسي،  
 أرى نسخة مشوهة منها.»

همست بيدن، وأصابعها تمسح على ظهر يدي بتردد:

- «أنا آسفة جداً. لم تكن لدي أدنى فكرة.»

قلت بمرارة:

- «ومعظم الناس لن يعرفوا أبداً. حتى بعد وفاتها، رفض الملك - والد  
 آفا - إخبار المملكة عنها. إنها مدفونة تحت شجرة الصفصاف تلك في  
 الحدائق. تلك التي وجدته تحتها في تلك الليلة أثناء التصفيات.»

راقبت الإدراك يوسع عينيها:

- «أزورها كلما استطعت.»

تمت:

- «لهذا السبب كنت هناك.»

هزرت رأسي محدقاً في الحجارة غير المستوية تحت قدمي:

- «أردت إخبارك. لكنني لم أعتقد أنني سأفعل ذلك يوماً.»

استقرت راحة يدها على ذراعي، برقة وتردد. وبدت خجولة وهي تقول:

- «شكراً لك على إخباري. وأنا آسفة جداً بشأن آفا.»

ابتسمت قليلاً، يائساً من تلطيف الأجواء والتفكير في أي شيء سوى

شقيقتي الميتة:

– «لذا، لم أضفر يوماً شعر عشيقة. ولا أعتقد أن شقيقتي البالغة من العمر أربع سنوات هي شخص يستدعي الغيرة.»  
رفعت ابتسامة سريعة شفيتها بتفهم. إنها مألوفة مع صوت تغيير الموضوع:

– «وكأنني سأكون غيورة في المقام الأول.»  
تنهدت بارتياح لاستعدادها لمجاراتي في اللعبة:  
– «إنه أمر لطيف عندما تتظاهرين بأنك لست كذلك.»  
قلبت عينيها سريعاً قبل أن تمر أصابعها على الضفيرة:  
– «ليس سيئاً يا آزر. لست مقتنعة تماماً بأنك لم تكن تتدرب على شخص ما.»

– «أنتِ فقط يا عزيزتي.»

همهمت وهي تلقي بشعرها فوق كتفها:

– «كم هذا رقيق.»

رمقت الشمس الغاربة بنظرة سريعة:

– «دعينا نتحرك. يمكننا قطع مسافة أبعد قليلاً قبل حلول الليل.»

التقطت قبعتها العملاقة من حيث ألقيت بها على الأرض. تدمرت حين دفعتها فوق رأسها وعينيها. وبعد أن رفعت حافتها لترمقني بنظرة غاضبة، دست ذيل ضفيرتها بداخلها قبل أن ننطلق في الشارع المهجور.

– «أنتِ تدوسين على يدي.»

كان حذاؤها يسحق أصابعي الملتفة حول درجة السلم.

– «أوه. المعذرة.»

– «أجل، المعذرة.»

همست لي من الأعلى:

– «لا أستطيع رؤية أي شيء هنا.»

كانت الحظيرة التي تسللنا إليها غارقة في الظلال، والطابق العلوي فوق الاسطبلات كان أكثر إعتاماً. كنا الآن على وشك مغادرة مدينة دور، وأي شخص مستعد لمواجهة ملاذ الأرواح يتوقف هنا للحصول على وسيلة ركوب لعبوره. كانت الخيول تنهذه بخفوت تحتنا، مستقرة في حظائرها لتمضية الليل. احتكت السلسلة بكاحلي المجروح حين سحبت نفسها للأعلى إلى الطابق العلوي. تحسست طريقي صعوداً على السلم حتى قابلتني ألواح خشبية متينة بشكل مفاجئ. تدرجت على ظهري بتهيدة، مستنشقا رائحة القش والحيوانات التي تأكله.

لامس كتفها كتفي حين استلقت بجواري. جعلني هذا التلامس أسرح بذاكرتي إلى جلوسها في حضني. دفعت الفكرة جانبا، تماماً كما فعلت عدة مرات الآن.

همست:

– «ألا تعتقد أن أحداً رآنا نتسلل إلى هنا؟»

هزرت رأسي، غارزاً القش في شعري:

– «لا أعتقد أن هناك أحداً في الخارج ليرانا أصلاً.»

صمتت لفترة طويلة، ثم قالت:

– «أواصل الأمل في أن يجدني.»

واصل القش طعناته بينما أدت رأسي نحوها:

– «تأملين أن يجديك مَنْ؟»

همست:

– «ليني. أو أي من الأشخاص القلائل الذين ما زالوا يهتمون لأمرني.»

قلت متجاهلاً الذنب المتنامي الذي أرفض الشعور به:

– «أنا واثق أنهم بحثوا عنك.»

– «هل قتلت أياً من الهجناء (ميكسن)؟ أم مجرد العاديين حتى الآن؟»

تصلبت قليلاً إثر الألم المبطن في صوتها:

– «لم أجد أياً من الهجاء في إيليا. حسناً، لم أدرك حقيقتهم إن كنت قد صادفتهم. لكن الآن بعد أن عرفت كيف يبدو شعور قوتهم المحدودة، لا أشك في أنني سأفعل.»

– «ومن ثم ستقتلهم.»

– «لم أقل ذلك.»

بصقت كلماتها:

– «لم تكن مضطراً لقوله. إنهم بالضبط ما تخشاه أنت وبقية المملكة – أن تتضاءل قواكم.»

زفرت بقوة:

– «إنهم بداية النهاية بالنسبة للنخبة.»

همست تتوسلني لأفهم:

– «وما العيب في ذلك، إن كان يعني أن يحظى الجميع بحق العيش؟»  
أحاط بنا الصمت، لم يقطعه سوى حركة الخيول المكتومة. سألتها أخيراً:

– «والدتك كانت من العاديين؟»

أجابت ببساطة:

– «أجل. توفيت بسبب المرض عندما كنت رضية.»

– «ووالدك كان معالماً (هيلر)؟»

– «أنت تعرف ذلك مسبقاً.»

قلت ببطء:

– «إذن، كيف يعقل أنك من العاديين؟»

– «ما الذي..»

توقفت لبرهة.

– «عما تتحدث؟»

هزرت كتفي، مثيراً حفيف القش تحتها:

– «ألم يكن من المفترض أن تكوني من الهجاء إذن؟ طالما أن والدتك كانت، حسناً –»

قالت بهدوء خادع:

– «فكر بعناية شديدة في كلماتك التالية يا آزر. لأنك إن كنت على وشك الإيحاء بأن أمي كانت خائنة، فأنصحك بالتفكير مرتين.»

فجأة أصبح صوتها رقيقاً:

– «لقد كانا يحبان بعضهما.»

قلت ببساطة:

– «أعتقد أنكِ تبالغين في تقدير الحب.»

– «لا يمكنكِ المبالغة في تقدير شيء لا نهائي.»

لا نهائي. كم هي كلمة مخيفة ومثيرة للاهتمام في آن واحد.

كنت بالكاد أستطيع تمييز ملامحها في الظلام:

– «لا يمكنكِ إخباري بأنكِ لم تتساءلي يوماً عن سبب كونكِ من

العاديين.»

كانت نبرتها باهتة:

– «أفترض أنني كنت مشغولة جداً بمحاولة البقاء على قيد الحياة

لأكتشف ذلك.»

صمتت، متأملاً كلماتها. وبعد عدة دقائق طويلة، تنحنحت وقلت:

– «سننام لبضع ساعات قبل أن نسرق حصاناً ونتجه نحو الملاذ.»

تمتت بنعاس:

– «لا أطيع الانتظار.»

– «هل ستحاولين طعني أثناء نومي؟»

صمتت لبرهة.

– «مجدداً؟»

كان صوتها مكتوماً في الحقيبة التي غرزت وجهها فيها:  
- «حسناً، لم ينجح الأمر تماماً الليلة الماضية، أليس كذلك؟»  
طمأنتها:

- «لا زلت أتنفس. لكنها كانت محاولة شجاعة.»  
- «لا تسخر مني، وإلا سأدفعك من هذا الطابق.»  
- «حينها ستسقطين معي.»  
استدارت قائلة:  
- «سيكون الأمر يستحق ذلك.»



## الفصل 35

# بيكان

**كان** القش يطعن رأسي، وكذلك كان يفعل إصبع كاي الذي ينجزني به وهو يقول:

– «أنتِ تنامين كالموتى.»

تدحرجت متذمرة في الحقيبة التي استخدمتها كوسادة:

– «أنا أتدرب فقط على اللحظة التي سأصبح فيها ميتة حتماً.»

أصدر صوتاً ربما كان ضحكة مكتومة:

– «انهضي. الآن.»

– «أنا متعبة.»

تنهد قائلاً:

– «وأنا كذلك. وتحديداً منك أنتِ.»

تمتت:

– «أنت من قيدنا معاً، لذا لا يحق لك التذمر من رفقتي.»

– «انهضي يا جراي.»



– «أجبرني على ذلك يا آزر.»  
اللعنة. كان ذلك خطأً.

أرجح ساقيه فوق السلم، وتمكن من سحبي إليه. ثم نزل، جاراً ظهري عبر القش نحو الحافة. لهثت عندما كاد رأسي يتدلى عن الطابق الخشبي:  
– «حسناً، أنت شخص لا يُطاق.»

توقف لوقت كافٍ ليسمح لي بدفع القبعة فوق شعري، والتعثر في ارتداء جواربي ثم حذائي:  
– «لقد أخبرتني بذلك. مرات عديدة.»

تسلل ضوء شمس باهت عبر شقوق الخشب في الحظيرة. كان النهار لا يزال في بدايته، يطرد الظلال بعيداً. اصطدم حذائي بالأرض محدثاً صوتاً مكتوماً أثار سحابة من الغبار. استترقت الخيول النظر من زوايا حظائرها، رافعة آذانها بفضول تجاه الغريبين اللذين يحدقان بها.

همس كاي وهو يقودني إلى الجزء الخلفي من الحظيرة. أوماً برأسه نحو الحيوانات المصطفة على طول الجدران:

– «هذه الخيول مهيأة للرحلات الطويلة. ولدينا ما يكفي من الطعام والماء في حقيبتك لأربعة أيام.»  
تمتت:

– «أجل، بفضلتي.»  
أوماً كاي برأسه:

– «أجل، بفضلك وبفضل مهارتك في السرقة.»  
– «أفضل استخدام كلمة مهارات، ولكن –»

سهل حسان إلى يساري، مما جعلني أقفز فزعاً. تنفست وقلبي يخفق بشدة:

– «تباً لهذه الوحوش.»  
ضحك كاي بخفوت:

– «هذه الوحوش هي أطف ما قد تجدينه.»

فك مزلاج إحدى الحظائر ودفع الباب بهدوء. كان الحصان بالداخل بنياً داكناً، ومعطفه باهتاً بفعل الغبار. مرر كاي يده بشرود على خطمه قبل أن يلتقط سرجاً من حيث ألقى فوق الجدار.

قال كاي بنعومة وهو يومئ نحو الحصان الذي يسرجه الآن:

– «تعالى وقدمي نفسك.»

– «أنا بخير، شكراً.»

انتزع الوغد السلسلة، مما جعلني أكاد أتعثر نحو الوحش الذي ينفث أنفاسه فوقى. فحتت بغضب وأنا أعتدل لأجد نفسي أهدق لأعلى في الحصان:

– «أيها الوغد.»

سخر مني:

– «أوه، هيا أيتها المنقذة الفضية، لن يعضك.. على الأرجح.»

قلبت عيني متذمرة من الأمير قبل أن أرفع راحتي بتردد نحو خطم الحصان. كان أنفه ناعماً ودافئاً وهو يفركه برفق في يدي. استجمعت ابتسامة صغيرة، مبتلعة خوفاً من هذا المخلوق المهيب. لأن شيئاً بهذه القوة لا يمكن ترويضه بالكامل أبداً.

قال كاي ببرود:

– «شجاعتك ملهمة حقاً. والآن افتحي الباب لأتمكن من إخراجه قبل أن

يصل عمال الإسطبل.»

وللأسف، أطعت أمره وتنحيت جانباً بينما كان يقود الحصان للخارج نحو الممر الأوسط. قرقت الحوافر على التراب المدكوك ونحن نتجه نحو باب الحظيرة والامتداد الأخير للمدينة خلفه. كنا على وشك الخروج حين انزلق ظل إلى داخل الحظيرة، تبعه هيئة رجل.

تعثر الرجل متوقفاً، مستوعباً مشهد الحصان والغريبين اللذين يسرقانه.

تلعثم وعيناه تمسحاننا:

- «بحق الجحيم؟»

لم تحِدِ نظرات كاي عن الرجل العملاق:

- «اصعدي على الحصان يا جراي.»

- «لكن السلسلة-»

- «إذن ضعي قدمك في الركاب وتشبثي.»

لم تسنح لي فرصة للجدال قبل أن يتقدم الرجل نحونا، ممسكاً بشيء يلمع في يده. دفعني كاي خلفه قبل أن يتفادى لكمة سددها الرجل نحو فكه.

كانت المعركة مجرد طيف مشوش بالكاد أستطيع رؤيته من خلف ظهر كاي. تأوه الرجل حين تلقى ضربة في صدغه، لكنه تمكن من جعل المنفذ ينحني متألماً بعد أن غرز قبضته في معدته.

صرخ كاي خلفه وهو يتفادى ضربة أخرى بصعوبة:

- «أجل، خذي وقتك براحة مع هذا السرج!»

أخرجتني سخريته من ذهولي لأكافح مع الركاب. عندما أراقبه وهو يقاتل، يصعب عليّ إشاحة بنظري. إنها دقة متمرسة؛ نوع جذاب من الفوضى.

لامست مقدمة حذائي الركاب وأنا أحاول التوازن على قدم واحدة. سمعت أصوات العراك واحتكاك الأحذية قبل أن يصطدم ظهر كاي بي، ليطرد الهواء من صدري ويوقعني أرضاً. ارتطمت بالأرض بصوت مكتوم، لكنني أجبرت نفسي على النهوض قبل حتى أن أتمكن من استنشاق الهواء لرئتي المحترقتين.

نظرت لأعلى لأجد الرجل يمسك بأنفه الدامي ويتعثر للخلف إثر ضربة تلقاها. لم يضيع كاي لحظة واحدة قبل أن يستدير ليلف يده حول فخذي ويدفع حذائي داخل الركاب. ثم استقرت يده على ظهري، تدفعني لأعلى بينما بدأت أرجح ساقي الأخرى فوق السرج.

عندما اشتدت السلسلة، أمسك كاي بالسرج ورفع نفسه ليجلس خلفي، ممدداً السلسلة بيننا. رمقت الرجل تحتنا بنظرة، وقد كان الآن يتعثر للأمام

ليمسك بساقي. ركلته بعنف، محاولة تحرير نفسي من اليدين اللزجتين الملتفتين حول ربة ساقي. وحين لم يتزحزح، انحنيت لأمسك بشعره قبل أن أهوي بأنفه المكسور على ركبتي.

عوى الرجل من الألم، والدم يتدفق على وجهه وهو يترنح للخلف. فجأة، طُرحت ضد صدر كاي حين غرز كعبيه في جانبي الحصان، حاثاً إياه على الركض. ولم يبطئ كاي وتيرتنا إلا حين طرنا خارج باب الحظيرة إلى الشوارع. وبالقاد أبطأها.

كنت أتشبث بمقبض السرج، عاصرةً عيني ومغلقة إياهما مع كل منعطف. كانت يدا كاي تستقران على فحذي، وذقنه يحوم فوق كتفي بينما يقبض على الزمام. هذا المكان بعيد جداً عن السوق الرئيسي، وهناك قلة من الناس يملكون الشجاعة للعيش بالقرب من الملاذ إلى هذا الحد. لكن أولئك الذين يفعلون، وجدوا أنفسهم يقفزون من طريقنا لتجنب التعرض للدهس.

ترددت أصدااء قرع الحوافر على الحجارة الملساء بين الجدران القرميدية المحيطة. هبت عاصفة من الرياح لتلتقط حافة قبعتي، فتنتزعها عن رأسي وتلقي بها في الشارع. تدلى شعري الفضي على ظهري، مكشوفاً لضوء النهار للمرة الأولى.

استقرت يد كاي على قمة رأسي، دافعة إياه لأسفل قبل أن نمر تحت عارضة متساقطة محشورة بين مبنيين:

– «انخفضي يا عزيزتي.»

قلت وأنا أعتدل ممررة يدي على شعري المتطاير:

– «لا تنادني هكذا.»

– «لا أناديكِ بماذا؟»

– «ب"يا عزيزتي".»

استطعت الشعور بابتسامته ضد عنقي:

– «ولماذا؟ هل يعجبك أكثر من اللازم؟»

تحديثه قائلة:

– «أعتقد أنه يعجبك أنت أكثر من اللازم.»

أطلق ضحكة خافتة حركت خصلات شعري. مشطت الرياح فروة رأسي بأصابعها الباردة، وكدت أتهد من روعة الشعور. كان الهواء الطلق محرراً، يغريني بمد ذراعيّ ومعانقته.

راقبت ما تبقى من المدينة يمر كطيف مشوش، وبالكاد لمحت بعض الأشخاص العابرين يشيرون باتجاهنا. ولكن سرعان ما أصبح الشارع الممتد تحتنا أكثر وعورة مع اقتراب ملاذ الأرواح.

ابتلعت ريقي. ها نحن ذا. هذه هي بداية النهاية التي أطلت أمدّها لسنوات عديدة. لا أمل في الإنقاذ خارج مدينة دور. هذا الملاذ هو حكم إعدامي. إنه تبدد لكل الآمال وختم على مصيري. إنه هلاك محتوم.

تحول الطريق إلى أنقاض، والمباني إلى جلاميد صخرية. أبطأ كاي سرعتنا حين دخلنا الممر الضيق الذي يمثل ملاذ الأرواح. كنت بالكاد أستطيع تمييز معالم كل قبر ضحل وشاهد قبر متصدع منح هذا المكان اسمه.

سألته بهدوء وأنا أراقب الحجارة المتداعية المنحوتة بأسماء باهتة:

– «أنت لا تصدق ما يقولونه عن الأرواح، أليس كذلك؟»

تنهد كاي قائلاً:

– «لا أعرف إن كان الموتى يطاردون المسافرين، لكن لا يسعني القول

إنني لم أرَ بعض الأمور الغريبة تحدث هنا.»

– «مثل ماذا؟»

قال بنعومة:

– «من الأفضل ألا تعرفي يا جراي. لا أحتاجك أن تكوني خائفة من

الحصان ومن محيطنا.»

فاجأتني الضحكة التي فقاعات من حنجرتي أنا شخصياً. تمكنت بالكاد

من نطق الكلمات من تحت راحتي التي كتمت بها فمي:

- «أنت لست مضحكاً.»

انحنى كاي فوق كتفي لينظر إليّ بصوت مليء بحيرة هزلية:

- «حقاً؟ لأنه يبدو وكأنني كذلك.»

أدرت وجهي لأخفيه عنه:

- «لا. لن أمنحك متعة جعلي أضحك.»

- «لكنك بذلك ستحرميني من سماع هذا الصوت.»

صمتّ، وأنزلت يدي عن وجهي. تحرك خلفي، متنحنحاً، وبدا متردداً وكأنه تفاجأ بكلماته هو نفسه.

هذا هو الجزء الذي ينبغي لي فيه أن أداعبه، أن أخبره بأن الغزل لا طائل منه.

لكن نبرته كانت مألوفة، تمنح شعوراً يشبه الرقص في غرفة مظلمة وحروب الإبهام تحت أشجار الصفصاف. الطريقة التي انزلت بها الكلمات عن لسانه شعرت وكأنها نقرة خفيفة على طرف أنفي، وكأصابع خشنة تضفر شعري الفضي.

بدت وكأنها كاي. وكأنه ذلك الرجل القابع خلف الأقنعة الذي كان ينظر إليّ وكأنني شخص استثنائي.

رمشت محمقة في الصخور المتداعية التي تزاحم المسار، راغبة في أن يشرّد ذهني لأي شيء سوى تلك الكلمات التي تجعلني أتمنى لو كانت الأمور مختلفة. لكنني من العاديين. أنا التجسيد للضعف الذي تشربّ كراهيته. العاديون.

تردد صدى الكلمة في جمجمتي، وبدت مختلفة عن كل مرة سابقة.

كنت أعلم بوجود الهجاء حتماً، نظراً لأن النخبة كانوا يخشون جداً التحول إليهم وإضعاف قواهم. لكنني لم أتساءل يوماً عن سبب عدم كوني واحدة منهم، وعن سبب كوني مجرد شخص عادي.

نظرت لأسفل إلى الخاتم الذي أديره بحماس في إصبعي. شعرت بالغباء لأنني لم أكتشف هذا الأمر في وقت أبكر. لكن ما أخبرت به الأمير هو الحقيقة – وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لي. أفترض أنني كنت مشغولة جداً بمحاولة البقاء على قيد الحياة.

قطعت كلمات كاي أفكاري:

– «سنمتطي الحصان حتى حلول الليل، ونختبئ حتى الفجر. قطاع الطرق سيسيطرون في الظلام، وسنكون مخفيين بشكل أفضل على الأرض.»  
قلت بشرود:  
– «حسناً.»

داعب نسيم عليل شعري المتساقط حول وجهي، ليلفت انتباهي إلى الضفيرة التي نسجها وإلى الفوضى الفضية التي آلت إليها.  
لم أتوقف عن التفكير في آفا. لا أستطيع التوقف عن التفكير في الرقة التي تحدث بها عنها، وكأنه يتذكر مدى هشاشتها. استطعت سماع الحب الذي يغلف كل كلمة، والألم الذي يتردد صداه بعدها.  
أفكر في التصفية الأولى، في جاكس وهو يموت بين ذراعيه. كاد أن يفقد شقيقاً آخر في ذلك اليوم. هناك قلة من الأشخاص الذين يهتم لأمرهم لم يشاهدهم يموتون – أو يخونونه.

كانت الشمس تلفحنا بحرارتها، وبدأت أتمنى لو أن قبعتي البشعة لم تطر بعيداً. شممت عن أكمام قميصي، كاشفة عن كتفين غمرتهما الشمس للسماء.  
كنا نركب الحصان منذ فترة طويلة الآن، نمسح محيطنا بصمت ونرتب أفكارنا.

أحاطت بنا الأحجار الشاهقة، ملقية بظلالها المتقطعة على طريقنا بينما تحترق تحت شمس منتصف النهار.

قلت بصوت خشن لقلة الماء والاستخدام:

– «أراهن أنه يمكنك طهي بيضة على إحدى هذه الصخور.»

ولما لم أسمع رداً ذكياً كالمعتاد، تحركت قليلاً مستشعرة ثقلاً على حقيبتني. وبنظرة من فوق كتفي، لمحت أمواجاً شديدة السواد تستريح ضد ظهري. ابتلعت ريقني، مستشعرة فجأة أنفاسه العميقة، وشعره الذي يدغدغ ذراعي.

إنه نائم.

هذا الفعل بشري بصورة لا تُصدق.

جسده مسترخٍ، في سلام.  
وضعيف تماماً.

أشك في أنه نام أكثر من بضع ساعات طوال الأيام القليلة الماضية. لكن ها هو ذا، يتنفس بعمق ويدها تستريحان على فخذي، وأصابعه تشكل قبضة رخوة حول الزمام.

رمشت ناظرة إلى الجلد الذي يمكن أن يقودني إلى أي مكان، ويمكنه توجيهه حتى أقوى المخلوقات.

نبض قلبي بشدة ضد صدري.

هذه هي الفرصة. هذا هو الأمل.

أخذت نفساً عميقاً، وبدأت بفك أصابعه برفق عن الزمام، متوقفة عند أدنى حركة منه. وعندما تحررت يده اليسرى، مدها باحثاً عن شيء ما، قابضاً أصابعه بغريزية. ابتلعت ريقني، ووضعت راحتي فوق راحته قبل أن أشبك أصابعي بأصابعه.

حبست أنفاسي حتى توقف عن الحركة، ويبدو أنه كان قنوعاً بالإمساك بيدي بدلاً من الزمام.

أتممت العمل بسرعة مع يده اليمنى، محررة الحزام لأجمعه في يدي. كان هناك الآن ملء قبضة من الجلد أعتصره في يدي، ولم تكن لدي أدنى فكرة عما يجب فعله به. سحبت الزمام نحو اليسار، آملة في إقناع الحصان بالاستدارة.  
لا شيء.

أخذت نفساً. ثم سحبت بقوة أكبر.

انحرف الحصان نحو اليسار، وأصبح الآن يسير أقرب إلى الجدار الصخري. ابتلعت إحباطي واستعدت لسحب الزمام بقوة أكبر.

لأنني إن تمكنت من جعل هذا الحصان يعود باتجاه دور، فيمكنني –  
– « ما كنت لأفعل ذلك. »

التفت يد حول معصمي، لتوقف محاولتي.

زفرت بضيق، ناظرة لأعلى لأهز رأسي نحو السماء:  
– « تبا لك. »

قال رافعاً رأسه بالقرب من رأسي:

– « محاولة جيدة يا جراي، لكنك لم تكوني لتصلي بعيداً. »  
هزرت كتفي، محاولة التظاهر بعدم الاكتراث:

– « ومن قال إنني كنت أحاول الوصول إلى أي مكان؟ ماذا لو أردت فقط الإمساك بالزمام؟ »

سألني:

– « ويدي؟ أردت فقط الإمساك بها أيضاً؟ »

كنت قد نسيت أن أصابعي لا تزال مشابكة بأصابعه، ففككتها بسرعة.  
وقلت بلطف مصطنع:

– « كنت تعجبني أكثر بكثير عندما كنت نائماً. »

– « من الجيد سماع أنني كنت أعجبك من الأساس. »

التصق الخبز المتفتت بسقف حلقي.

أخذت جرعة أخرى من الماء الذي كان من المفترض أن نقتصد في استخدامه، لأدفع العجين إلى معدتي. كانت النار التي أشعلها كاي تتضاءل، ولم تتبق منها سوى ألسنة لهب تحتضري في الظلام المتزايد. كان يجلس بجانبني، والسلسلة ممددة بيننا، يقطع من خبزه بين الحين والآخر بعد أن

اعتنى بالحصان. لا بد أن المسكين كان مرهقاً بعد أن حملنا طوال اليوم في الحر. لم نتوقف إلا عندما زحفت الظلال نحونا، وانزلت فوق الصخور لتبتلعنا في الظلام.

كان كاي يقول وهو يومئ برأسه نحو الأرض الصخرية حولنا:

– «أتدرين؟ كان من المفترض أن يكون هذا المكان هو المثنوى الأخير للعائلة المالكة. ومن هنا جاءت تسمية ملاذ الأرواح. في الواقع، دُفنت الملكة الأولى في سرداب داخل أحد الكهوف، ولكن عندما بدأ قطاع الطرق في الاستيلاء على هذه الأرض، تخلوا عن الفكرة.»

أخذ نفساً، مسترجعاً تاريخ إيليا:

– «لذا، ف مارينا – الملكة الأولى – مدفونة وحيدة تماماً في هذا المكان.»  
هممت بشرود:

– «لا يبدو أنها وحيدة.»

أشرت إلى القبور المتناثرة على الأرض على بُعد أقدام قليلة.

– «هي فقط ليست مع أقرانها من أفراد العائلة المالكة.»

كانت الكلمة مغلغة بمرارة لم أقصد النطق بها.

صحح كاي كلامي:

– «هي ليست مع زوجها. بل مع عائلتها.»

قلت بهدوء، وكأن ذلك يصلح كاعتذار:

– «صحيح. إذن، أين دُفن بقية أفراد عائلة آزر؟»

اقتطع كاي قطعة من خبزه:

– «هناك مقبرة في أراضي القلعة. كل ملك، وملكة، وطفل مدفونون

هناك. باستثناء شخص واحد.»

آفا.

بإيماءة بطيئة، تحركت متربعة بساقيّ على بساط النوم. لمح كاي جفلي من الألم إثر الحركة. فسألني:

- «ما الخطب؟»

قلت بسرعة:

- «لا شيء.»

- «حاولي مجدداً.»

تنهدت قائلة:

- «أشعر ببعض الألم فقط، حسناً؟»

تسلقت ضحكة حنجرتي.

- «بحق الطاعون، لقد طلب منك كيت أن تعيدني إلى إيليا، لا أن تعتني

بي.»

ضاقت عيناه قليلاً:

- «لا يحتاج لأن يخبرني بأن أعنتني بك.»

- «إذن لماذا تفعل ذلك؟»

انحنيت للأمام، باحثة عن أي نوع من التصدع في القناع الذي يرتديه.

- «منذ متى وأنت تفعل أي شيء لم يأمرك الملك بفعله؟»

كان صوته هادئاً:

- «ما شعرت به تجاهك تعارض مع كل أمر تلقيته يوماً.»

قلت بهدوء:

- «حسناً، من الجيد إذن أن المشاعر لم تعد تقف في طريقنا بعد الآن.»

أحنى رأسه، وقد أبدى فجأة اهتماماً برغيف الخبز الذي لا يزال بين يديه.

تنحنحت، ناظرة لأعلى إلى النجوم التي تغمز لنا، وسألته:

- «لماذا قمت ب...»

توقفت لأفكر في سبب رغبتني في معرفة الإجابة قبل أن أكمل سؤالتي.

– «لماذا أخبرتني عن آفا؟ لقد قلت إنك لا تتحدث عنها أبداً.»

مرر يده في شعره، متنهداً نحو النار المفرقة:

– «أعتقد أن هذا السؤال يستحق رقصة.»

غصت بسخريتي:

– «عفواً؟»

قال ببساطة، وكأن الأمر بديهي بشكل مؤلم:

– «أنت تعرفين كيف تسير الأمور يا جراي. نرقص – وتحصلين على

إجابتك.»

شخرت هازئة:

– «أرجوك. لا بد أن هذه مزحة.»

أمال رأسه قليلاً إلى الجانب:

– «هل هذا يعني الرفض؟»

قلت بنفاد صبر:

– «ولماذا قد ترغب في الرقص معي أصلاً؟»

– «أنت تطرحين المزيد من الأسئلة، ومع ذلك، لا زلنا لا نرقص.»

هزرت رأسي مبتسمة نحو السماء:

– «حسناً.»

وقفت على قدمي، نافضة فتات الخبز عن قميصي.

– «ولكن فقط لأنني أريد إجابات. لأن هذا أمر سخيف.»

ابتسم بخفة قبل أن يقف ليمد يده التي أخذتها بتردد:

– «لنر ما تتذكرينه.»

ابتسمت وأنا أريح ذراعي فوق كتفه:

– «أتذكر كيف أدهس أصابع قدميك.»

– «أنا واثق من ذلك.»

استقرت يده على خصري، لتستقر هناك بطريقة مألوفة جداً.

– «لِمَ لا ترينني أنكِ تتذكرين كيف تقفين قريبة من شريكك؟»

قاومت الرغبة في التهرب وأجبرت نفسي على الخطو نحو دفتئه. ارتفعت زاوية فمه حين أخذ يدي الحرة في يده، وشبك أصابعنا معاً. استقرت راحة يده مسطحة على أسفل ظهري، مما جعلني أبتلع ريقِي.

تمتم قائلاً:

– «جيد جداً يا جراي. كان الاقتراب مني دائماً هو الجزء الأصعب

بالنسبة لكِ.»

– «هكذا تكون الحال عادةً عندما يكون الشخص لا يُطاق، أجل.»

كان ينظر إليّ مبتسماً بخفة:

– «حسناً أيتها المدعية للذكاء.»

مرت لحظة طويلة.

– «هل سنرقص، أم تفضلين الاستمرار في التحديق بي؟»

أدرت بصري، ووجنتاي تحترقان:

– «لم أكن أحقق بك.»

– «حسناً. كنتِ تتأملينني إذن –»

قاطعته:

– «أنتِ لم تجب على أسئلتِي.»

أوماً برأسه نحو قدميّ المسمرتين في مكانهما:

– «وأنتِ لم تحترمي شروطي. نحن لا زلنا لا نرقص.»

– «إذن ابدأ بالقيادة يا آزر.»

تنقلت عيناه بين عينيّ قبل أن ترفع ابتسامته شفثيه إثر تحديي له:

– «أجل يا عزيزتي.»

بدأ بخطوة بسيطة، مجبراً قدميَّ على التعثر بالتزامن مع قدميه. وبعد عدة عدات والكثير من التركيز المفرط، استرخيت أخيراً في الحركة، تاركة قدميَّ تجدان الإيقاع المألوف.

قلت ببطء:

– «إذن، سؤالي.»

– «أيهما؟»

– «آفا.»

توقفت لبرهة.

– «لماذا أخبرتني عنها؟»

تنهد ضد شعري:

– «هل.. هل تتذكرين الحفلة الراقصة الثانية، عندما كنت –»

أملت رأسي لأنظر إليه:

– «عندما كنت ثملاً وتتصرف بعدوانية؟»

بدت ابتسامته حزينة:

– «أجل، عندما كنت ثملاً وأتصرف بعدوانية. والذي كان خطأك

بالمناسبة.»

سخرت:

– «خطئي؟ وكيف كان ذلك خطئي؟»

أدارني حينها، ليفاجئني فأتعثر بقدميَّ:

– «كنت ترقصين مع أخي؛ هكذا. كنت تمنحينه تلك النظرة كما تفعلين

دائماً.»

– «أي نظرة؟»

قال بهدوء:

– «لست متأكداً تماماً. لم تمنحيني إياها أبداً.»

أدرت بصري، غير متأكدة مما يجب قوله. تنحنح كاي وتابع:  
 - «على أي حال، أحد الأشياء التي أتذكرها بوضوح شديد من تلك الليلة هو عندما سحبتكِ إلى حلبة الرقص.»  
 ابتسمت، سعيدة بتغيير الموضوع:  
 - «أجل، أتذكر ذلك بوضوح شديد أيضاً.»  
 - «لقد قبلت يدكِ قبل أن نرقص. هل تتذكرين؟»  
 أومأت ببطء، مسترجعة كيف لامس فمه مفاصلي ليراها الجميع.  
 كانت نبرته متممة، وكلماته مجرد ذكرى تُروى:  
 - «ثم وجدت شفطاي وسادة إبهامك. لم أكن أدرك حتى أنني فعلت ذلك.»  
 هز رأسه.

- «وحتى تلك اللحظة، لم أكن قد فعلت ذلك لسنوات.»  
 بحثت في ملامح وجهه وسط الظلال:  
 - «أتذكر ذلك أيضاً. لطالما تساءلت عما يعنيه ذلك.»  
 قال بهدوء، ولا زلنا نرقص ببطء:  
 - «كانت آفا من الزاحفين (كرولرن).»  
 شرد ذهني نحو الشخصيات العديدة التي رأيتها تتسلق المباني المتداعية في حي النشالين، وقدرتهم التي تسمح لهم بالتسلق بلا عناء.  
 قاطع أفكارني متابعاً:  
 - «كانت مجرد نخبة دفاعية (ديفينسيف). يقول البعض إن مستوى قوتك يعود إلى مدى قوتك الجسدية والعقلية. وقد ولدت آفا ضعيفة.»  
 أدارني مرة أخرى ببطء.  
 - «كلما كبرت، كان استخدام قدرتها يزداد صعوبة. كانت تتعب وتسقط من على الجدران. ثم تبكي قائلة إن كل ما تريده هو أن تكون قوية.»

تنهد من أنفه، ناظراً لأعلى إلى النجوم.

- «لذا، كنت أقبل كل إصبع من أصابعها لأعطيها بعضاً من قوتي. كانت تعشق ذلك. وكانت تصل لمسافة أعلى على الجدار كل يوم. لكنها كانت تحب بشكل خاص عندما أقبل إبهامها، أخبرتني أن ذلك يمنحها قوة إضافية. لذا هذا ما فعلته. كنت أقبل إبهامها كل يوم حتى ساعدني كيت في دفنها.»

لم أدرك أن هناك دموعاً في عيني حتى هددت إحداها بالسقوط. همست:  
- «لقد كنت تحبها كثيراً.»

قال ببساطة:

- «كنت أحبها. ولا زلت. ولم أقبل يوماً إبهاماً لم يكن لها.»  
تنفست بصعوبة وسألت:

- «إذن.. لماذا إبهامي؟»

التقت أخيراً عيناه بعيني، وهز رأسه قليلاً:

- «روحك مألوفة. أنت تذكريني بما كان يمكن أن يكون. في حياة أخرى، أعتقد أن آفا كانت لتكبر لتصبح مثلك.»

كافحت لأضحك:

- «ماذا، أردتها أن تكون مجرمة؟»

تمتم:

- «لا. أردتها أن تكون مهيبة. جريئة بتهور. قوية بغض النظر عن القدرات.»

حدقت فيه، مستوعبة كل كلمة قالها. همست:

- «أنا لست أياً من هذه الأشياء.»

أفلت يدي ليمرر أصابعه برقة تحت ذقني، رافعاً وجهي نحوه:

- «أنت أكثر بكثير من هذه الأشياء.»

- «أنت تبالغ في تقديري.»

– «لا. أنا أراكِ على حقيقتكِ وحسب.»

كانت أدينا هي الشخص الوحيد الذي رأني حقاً وبقي رغم ذلك. لكنها رحلت. وها هو الأمير الذي يُفترض به قتلي يتفوه الآن بالكلمات نفسها التي اعتادت أن تطمئنني بها.

ابتلعت الجمل التي لم أعرف كيف أنطق بها. تابع بنعومة:

– «لم أهتم يوماً لدرجة تقبيل إبهام شخص آخر. لكن شففتاي وجدتا شففتيكِ في ذلك اليوم.»

همست وأنا أقاوم ابتسامتي:

– «وانظر إلى أين أوصلك ذلك.»

جالت نظراتي على وجهه، من العينين الرماديتين اللتين ترانني إلى الشفتين الناعمتين اللتين تذوقتا طعمي. شعرت بنفسني أسقط في شيء مألوف، كفخ أمشي إليه طواعية. كانت يده حازمة على ظهري، تحرقني كالوسم وتجذبني أقرب مع كل خطوة في هذه الرقصة المتبادلة بيننا. ومرة أخرى، أجد نفسي أمشي على الحد الحاد لشفرة، مدركة أنها ستجرحني في النهاية لا محالة.

ومع ذلك، وجدت أصابعي طريقها إلى شعره. وضغط جسدي ضد جسده. ونبض قلبي ليكسر.

ابتسم بتلك الطريقة التي جعلتني أبتسم له فجأة. سحقت أحذيتنا التراب تحتنا ونحن نرقص في الظلام، بينما كانت السلسلة تلتف حول ساقي لتتعثرني باستمرار. زفرت بضيق، منزعجة من هذا الشيء اللعين. ضحك كاي حين اصطدمت به للمرة الثانية عشرة، فرفعت نظري إليه أرمقه بغضب.

قال:

– «لا تؤذي نفسكِ يا عزيزتي.»

وقبل أن تسنح لي فرصة الرد، لف ذراعه بالكامل حول خصري ورفعني لأقف على حذائي.

- «بحق الجحيم..؟»

ابتسم ابتسامة عريضة، كاشفاً عن غمازتيه:

- «دعيني أرقص بالنيابة عنا نحن الاثنان.»

ابتلعت اعتراضاتي، ناظرة لأسفل إلى قدمي المنتعلتين الحذاءين فوق قدميه. كانت الذراعان اللتان لفهما حول خصري قويتين، آمنتين بالطريقة التي احتجزتاني بها ضده. همست:

- «كاي. لا ينبغي لنا..»

وضع فمه على أذني وقال:

- «هسس. تظاهري.»

غمرتني الكلمة بشعور زائف بالارتياح، وكأنه سُمح لي فجأة بأن أرغب في هذا. أن أظاهر بأن هذا أمر لا بأس به. طوقت يديّ حول عنقه، مكافحة لأبتسم وسط كل المشاعر التي تزاхمت على وجهي.

توقف فجأة، باحثاً في عينيّ:

- «ما الخطب؟»

ابتسمت بحزن، مقاتلة الدموع التي هددت بالسقوط:

- «لا شيء. أنا فقط.. اعتدت فعل هذا مع والدي. لهذا السبب لم أتعلم

أبداً كيف أرقص بشكل صحيح.»

بدت ضحكتي متألّمة.

- «لأنه كان يفعل ذلك بدلاً مني دائماً.»

أوماً برأسه، داساً خصلة من شعري خلف أذني:

- «أنا آسف لأنني فعلت هذا بك.»

تنشقت بخفوت:

- «فعلت ماذا؟»

تمتم:

- «هذا الألم.»

تمايلنا بصمت لفترة طويلة قبل أن أسمح أخيراً لرأسي بالاستناد على صدره. إنه نقطة ضعف. راحة لا ينبغي لي أن أسمح لنفسي بالبحث عنها. لكنني تركت قدميه تقودان قدمي، مغلقة عينيّ ضد طوفان الذكريات. همست ضد صدره:

- «كان معتاداً على الرقص بي حتى أغط في النوم.»

شعرت به يومئذ ضد شعري:

- «إذن سنرقص حتى ترينه في أحلامك.»



## الفصل 36

# كأبي

**يسحق** رأسها ذراعي.

وأخشى أنني لن أتحرك مجددًا أبدًا إن كان ذلك يعني بقاءها بجانبني.  
مذهلة هي تلك الفكرة، تتسلل من أعماق شعور لا أرغب في الغوص فيه  
في هذه اللحظة. لذا، وأدتها في مهدها، مكتفيًا بالتحديق بصمت نحو السماء  
الموشحة بغيوم وردية. لم يفلح بساط النوم كثيرًا في إخفاء قسوة التراب غير  
المستوي تحت ظهري، ومع ذلك، ها هي تنام بعمق بجواري. إنه لأمر مثير  
للإعجاب حقًا.

لقد رقصت فوق قدمي حتى تناقلت أجفانها، وتهاوى رأسها ليستقر على  
صدري. أنزلتها برفق على بساط نومي قبل أن يسيل لعابها على قميصي  
الوحيد. والآن، أحرق فيما تبقى من الضفيرة التي نسجتها في شعرها، ممرًا  
إصبعي على الخصلات الفضية.

إنها مخادعة بحق. تشبه النخبة إلى حد بعيد. من المربك ألا أستشعر أي  
قوة تنبعث منها.

انفلت صوت خافت وناغم من بين شفثيها، مثقل بالنعاس. قاومت الرغبة  
في لف ذراعي الحرة حولها، وفي تمرير شفثي على عنقها.  
رغم كل شيء، أكافح كي لا أرغب فيها.



لقد تغير شيء ما بيننا، ومع ذلك، لم يتغير شيء على الإطلاق. إنها بيدن ذاتها التي عرفتتها قبل أن أكتشف أنها من العاديين. بيدن ذاتها التي عرفتتها قبل أن تقتل الملك.

بيدن ذاتها التي كنت أقع في حبها.

وهذا أمر مرعب. مرعب أن أعرف كل الفظائع التي ارتكبتها، وما زلت أرغب في كل ذرة منها رغم ذلك.

أنا فقط لا أعرف إن كان بوسعها قول الشيء نفسه عني.

لقد قتلتُ والدها في نهاية المطاف. دافعت هي عن نفسها ضد رجل مقتته أنا، بينما قتلتُ أنا رجلاً أحبته هي. والآن، قيدتها إلى حتفها بيدي. إنها المهمة التي أرتعد من فكرة إنجازها.

تحركت في نومها، فتصلبت في مكاني. وحين استدارت لتواجهني، انفرجت عين زرقاء، ترمش في ضوء الصباح.

تدمرت بحيرة:

– «لم توقظني.»

أجبتها:

– «لم أعد أكلف نفسي عناء المحاولة.»

ضحكت بنعاس:

– «كنت أظن أنك قد رميتني فوق الحصان بحلول هذا الوقت.»

رفعتُ يدي التي سلمت من سحقها إياها، ونقرت على طرف أنفها:

– «لا يكون السفر ممتعاً إلا حين تحاولين الهرب باستمرار.»

أنزلت يدي لأجد عينين متسعيتين ترمشان محدقتين بي.

تباً.

مرة أخرى، لم أفكر فيما أفعله إلا بعد أن وقع الفأس في الرأس.

لم أنقر على أنفها منذ تلك التصفية النهائية حيث انهار كل شيء في الجحيم. التصفية النهائية التي كنت أسبق الزمن لإنهاؤها فقط كي أجدها في الطرف الآخر.

لم أنقر على أنفها منذ أن كنت من الحماسة بما يكفي لأكنّ لها مشاعر. وها أنا ذا الآن، أواجه المصير ذاته. أسقط في الأنماط ذاتها. مع بيدن ذاتها. تنحنحت، وبدت فجأة مستيقظة تمامًا:

– «هل تود مني أن أواصل محاولة الهرب؟»

قلت بنبرة غير مكترثة، رغم أنني كنت أشعر بعكس ذلك تمامًا:

– «إنه أمر مسلٍ إلى حد ما.»

– «من الجيد سماع ذلك. لأنني لم أكن أنوي التوقف.»

وبحركة خاطفة، التقطت حجرًا مسننًا من جوار بساط النوم، وغرزته في عنقي وهي تنحني فوقى قائلة:

– «قد يحدث هذا ضررًا يكفي لهروبي، ألا تظن ذلك؟»

تحولت ابتسامتي إلى تجهم حين ضغطت بيدها الأخرى على وركي لترفع نفسها أكثر. بالكاد تمكنت من القول وأنا أزفر أنفاسي:

– «فقط إن كنتِ قادرة على المضي قدمًا في الأمر.»

انعقد حاجباها بشيء يشبه القلق المخادع:

– «ماذا حدث؟ ما خطب تعبيرات وجهك هذه؟»

قلت من بين أسناني:

– «ربما له علاقة بالحجر الذي يغوص في حنجرتي.»

– «أوه، أرجوك، أنا بالكاد أضغط—»

أسندت ثقلها على وركي مجددًا، فجفلت ألمًا بما يكفي لتلتقط هي حركتي. انحدرت عيناها نحو قميصي قبل أن تتسعا إثر ما رأتاه.

التفتت برأسها نحوي بحدة:

- «لماذا تنزف؟ ولماذا لم تخبرني أنك تنزف؟»
- «إنه مجرد خدش يا جراي-»
- غصت الكلمات في حلقها وهي تسقط الحجر:
- «خدش؟ الدم يخرق قميصك. بالكاد يمكنني تسمية ذلك خدشاً.»
- أشحت بوجهي، مقلباً عيني:
- «هل أنت قلقة عليّ؟ تبدين قلقة.»
- أجابت ببساطة، مواجهةً نظرتي المتعجرفة:
- «أجل. أخشى أن تتحول إلى عبء ميت. وبما أننا مقيدان معاً، فلا أرغب في جر جثتك طوال الطريق عائدة إلى مدينة دور.»
- «كم أنت مراعية.»
- كانت عيناها قد عادت لتتفقدا قميصي الملطخ بالدماء:
- «أنا لم أطعنك، فمن بحق الجحيم فعل؟»
- «عامل الإسطبل. كان يخفي نصلاً صغيراً بين مفاصل أصابعه. لم يكن الجرح عميقاً، لكنه على الأرجح انفتح مجدداً الليلة الماضية.»
- هزت رأسها نحوي، وقد أغرق الإحباط ملامحها. ضحكت نصف ضحكة وقالت:
- «ما خطبك بحق الجحيم؟ جدياً. أود أن أعرف. كان يمكن أن يتلوث هذا الجرح. لماذا لم تخبرني؟»
- «لأنني نجوت مما هو أسوأ بكثير يا جراي.»
- لانت نظراتها:
- «هذا لا يعني أن تواصل التألم لمجرد أنك تعرف أنك قادر على احتمالها.»

تأملت وجهها؛ الطريقة التي تعض بها باطن خدها بتركيز، أو ترمش بسرعة إحباطاً. وحين التفت أصابعها حول حافة قميصي، شعرت بقلبي يتعثر في صدري.

قالت بنعومة وهي تدفع القماش لتكشف عن معدتي:

– «أحتاج لرفع هذا.»

ابتلعت ريقِي:

– «دائماً ما تحاولين تجريدي من ملابسي، أليس كذلك يا عزيزتي؟»

حدقت في الجرح محاولة الرؤية عبر الدماء:

– «لا، لكنني دائماً ما أنقذ مؤخرتك أيها الأمير. أجل، لا يبدو عميقاً

جداً.»

قلت بلا مبالاة:

– «لقد كَشَطَنِي وحسب. أخبرتك أنه سطحي.»

رمقتني بنظرة قائلة:

– «هذا لا يعني أنه لن يتلوث.»

تخبط يداها باحثتين في حقيبتها، تتحسس ما بداخلها حتى أخرجت التنورة الصفراء البشعة. استخدمت أسنانها لتمزيق شريط من القماش من أسفل حزام الخصر، وغمرته باقتصاد بماء من إحدى قَرَبِنَا القليلة.

قالت:

– «لا نملك أي مرهم، ولا النباتات المناسبة لصنع واحد، لذا سيتعين

علينا الاكتفاء بتنظيفه.»

راقبتها عن كثب وهي تمسح الدماء لتنظيف الجرح. راقبت تسارع

أنفاسها وارتجاف يديها الطفيف. أشاحت بنظرها، وقد ازداد وجهها شحوباً بمرور الثواني. استقرت أصابعها فوق القماش، نافرة من الدماء التي تتشربها.

سألتها بهدوء وأنا أتأمل وجهها الممتعض:

– «هل تشعرين بالدوار فجأة يا جراي؟»

ارتجف صوتها قليلاً:

– «شيء من هذا القبيل.»

هناك خطب ما بالتأكيد. وأنا شبه واثق من أنها لا ترغب في التحدث عنه. لذا رفعت يدي ببطء، واضعاً راحتي فوق معصمها.

– «دعيني أفعل ذلك.»

رأيتها تبتلع ريقها، تتأمل فكرة مجادلتني قبل أن تومئ ببساطة وتسقط القماش. تراجعت للخلف على بساط النوم، لتضع مسافة بيني وبين جرحي. انتزعت نظراتي منها لألتقط القماش، مكفهر الوجه وأنا أسند نفسي على مرفقي وأواصل تنظيف الجرح.

نظرت إليها، راغباً في تشتيت انتباهها عما جعلها تبدو مذعورة إلى هذا الحد.

– «لماذا لم تغادري إيليا أبداً؟»

لقد كان هذا السؤال يحترق في حلقي منذ أن اكتشفت حقيقتها.

استرقت نظرة إليّ، وانحدرت عيناها نحو الجرح قبل أن تشيح بنظرها سريعاً:

– «لا أملك حقاً سبباً وجيهاً. أعتقد أنني كنت فقط... عنيدة.»

ضحكت وهزرت رأسي:

– «يا لها من مفاجأة.»

لم تتوافق النظرة الغاضبة التي رمقتني بها مع الابتسامة المتنامية على وجهها:

– «كنت عنيدة وأقنعت نفسي بأن إيليا هي وطني بقدر ما هي وطن

للنخبة. ناهيك عن أنني كنت أصغر من أن أنجو من رحلة عبر الأراضي الضحلة أو الأراضي المحرقة – بالكاد قد نجوت هذه المرة. وأعتقد أن والدي كان ليرغب في بقائي في إيليا. أقصد، لقد دربني لأبدو كالمتبصر (سايكيك) لسبب ما. وأسس المقاومة لسبب ما.»

أحنت رأسها، مبتسمة بحزن:

– « كانت أيضاً طريقتي الصغيرة في تحدي الملك وكل ما قاله عن العاديين. كنت أعيش رغم كل الصعاب، وتحت أنفه مباشرة.»

التقت عيناها بعيني:

– « وهناك شيء في ذلك الأمر جعلني أواصل القتال.»

أومات ببطء، معتدلاً في جلستي قليلاً بعد أن انتهيت من تنظيف الجرح:

– « كان البقاء في إيليا أمراً يمكنك السيطرة عليه. كان قرارك، على عكس كل شيء آخر في حياتك.»

ضحكت بخفوت:

– « أنت آخر شخص توقعت أن يتفهم ذلك.»

هزرت كتفي:

– « في حال نسيت، أنا أيضاً لم أملك خياراً في المصير الذي كُتب لي.

لذا، وجدت طريقي الخاصة لأشعر بالسيطرة.»

سألتنى بهدوء:

– « مثل ماذا؟»

– « مثل ألا أزهد روح طفل مجدداً. كنت أنفي الأطفال العاديين مع

عائلاتهم وأكذب على والدي.»

ارتعشت شفطاي بابتسامة:

– « كان ذلك تحديي الصغير للملك. حتى أنني في دور التقيت بطفلة

صغيرة نفيتها، وتمكنت من عبور الأراضي المحرقة مع عائلتها. أبيعيل هي

من قادتني إليك.»

كانت تقاوم الابتسام، وبدت محاولتها فاتنة:

– « إذن يعود الفضل لأبيعيل في ظهورك في حلبة القتال الخاصة بي؟»

– « كان لابد لشخص ما أن يعلمك التواضع يا شادو (الظل).»

كانت ابتسامتها تجسيداَ لأشعة الشمس؛ دافئة، ومشرقة، وعمياء:  
- «أوه، هل هذا ما فعلته؟ لأنني أتذكر أنني لقنتك درساً قاسياً.  
كالمعتاد.»

- «هذا لطيف يا جراي. واصلي إخبار نفسك بذلك.»  
هزت رأسها نحوي:

- «اعتدل في جلستك.»

ابتسمت بتلك الطريقة التي أعلم أنها تمقتها:  
- «كم أنت مهذبة. كالمعتاد.»

جعلتني نظرتها أضحك وأنا أعتدل ببطء متأوهاً. كانت الآن تمزق المزيد  
من القماش بأسنانها، محررة شريطاً طويلاً من التنورة. ثم انزلت بتردد  
مقتربة لتلف ذراعيها خلفي، ووجهها قريب مني. مررت القماش حول ظهري،  
ولفته عبر معدتي عدة مرات قبل أن تعقده.

قالت بنعومة وهي تتفحص صنيع يديها:

- «ها قد انتهينا. الآن لا ينبغي لي أن أقلق من تحوُّك إلى عبء ميت.»  
حمم الحصان على بُعد أقدام قليلة منا، فانتزع نظراتي منها ليذكرني  
بمكاننا:

- «إنه مستعد للتحرك.»

تمتت قبل أن تقف على قدميها وتفك تشابك السلسلة من ساقها:

- «لست وحدك.»

نهضت خلفها، ولففت بسط النوم لأحشرها في الحقيبة. وأثناء عبثي  
بالزمام الذي عقدته حول صخرة طويلة، قدمت للحصان تفاحة قضمها  
بسعادة. التفت من فوق كتفي إلى حيث كانت بيدن تلقي الحقيبة على ظهرها:

- «هل أنت مستعدة؟»

أجابت بجفاف:

- «لا. أحتاج للتبول.»
- تنهدت، وأحسيت رأسي مدرجاً ما توشك على قوله:
- «أنت تعرف الإجراء المتبع يا أزر.»
- أسندت جبھتي على الحصان:
- «لا أعرف لماذا تصرين-»
- «هل أذناك مسدودتان؟»
- زفرت أنفاسي بقوة قبل أن أعطي أذني، وصرخت على الأرجح:
- «أجل! رغم أنني لا أفهم السبب.»
- جاءت صرختها مكتومة:
- «واصل الحديث!»
- رفعت صوتي قائلاً:
- «أتعلمين، أنا أتبول أيضاً. لا أفهم لماذا يُفرض عليّ سد أذني والصراخ في كل مرة.»
- كانت فجأة خلفي، فرفعت يدي عن أذني قبل أن أستدير لمواجهتها.
- «بالطبع لا تفهم. أنت رجل.»
- رمشت بعيني نحوها، متردداً إن كنت أرغب في معرفة ما يعنيه ذلك بالضبط. خطت ببطء بجوار الحصان، مادة يدها بتردد لتمسح على عرقه. التقت عيناها الزرقاوان الحازمتان بعيني من فوق كتفها:
- «علمني كيف أمتطي هذا الشيء.»



## الفصل 37

# كبريت

**ينسكب** الضوء عبر النوافذ المصطفة على طول الردهات المزخرفة.

كدت أجفل من شدة سطوع المكان، بعد أن كنت حبيس زنزانتي - أو بالأحرى، غرفة مكتبي. خفف السجاد الزمردي من وقع خطواتي، بينما كافح كل فرد من جنود الإمبراطورية المتمركزين لكي لا يحدق بي.

دستت الصندوق في جيبتي، رغم أنني لست متأكدًا تمامًا من السبب. لقد توصلت إلى استنتاج مفاده أن الإحساس الدائم بوجوده يساعد في إقناعي بأنني مسيطر على الموقف. وأنني أتخذ القرار الصائب. لكن الصندوق بدا ثقيلًا ضد ساقي، مبطناً كل خطوة من خطواتي.

متبعًا رائحة العشاء المتصاعدة، انعطفت نحو ردهة أخرى، حاصدًا ابتسامات خجولة من الخدم المارين. مررت يدي في شعري بارتباك، أملًا ألا أبدو كالملك المجنون الذي يتهامسون حوله.

لقد غامرت بالخروج من مكتبي على أمل أن يثرثروا عن شيء آخر كنوع من التغيير. ربما عن كيف فكرت الحبر عن يدي واستبدلت قميصي المجعد بآخر جديد ناصع. أو كيف تناولت وجبتي هذا الصباح بدلًا من إلقائها من



النافذة. وإن لم يكن هناك شيء آخر، فإن مجرد خروجي من المكتب سيكفي لجذب انتباههم.

تسرب ضوء دافئ من تحت أبواب المطبخ، متجمعاً حول قدمي حين تعثرت متوقفاً. بدت العقد في معدتي وكأنها تشتد عند سماع صوتها الجهوري؛ مألوف ومخيف في آن واحد. لقد كنت أتحاشاها، ولست مستعداً تماماً لمواجهة عواقب ذلك القرار.

استدرت، متراجعاً عبر الردهة كجبان. مرت خادمة في طريقها إلى المطبخ، محولة بصرها حين حاولت التحدث إليها بنظرتي.

عظيم. الآن تم رسدي وأنا أتنقل خلسة في قلعتي الخاصة.  
أنا حقاً لا أساعد موقفي إطلاقاً.

مرت ثماني ثوانٍ فقط قبل أن تضبطني الطاهية.  
قالت بنبرة تساؤل ولكن بحجم صرخة:

– «كيت؟»

استدرت، لألمح رأسها يطل من بين أبواب المطبخ. وبابتسامة متكلفة، شققت طريقي عائداً إلى المطبخ المزدهم.

قلت بصوت بدا خجولاً للغاية بالنسبة لملك:

– «مرحباً يا جايل.»

فتحت الباب على مصراعيه، مانحة إياي رؤية كاملة لوجهها المغطى بالدقيق ومريلتها الملطخة بالطعام.

لجزء من الثانية، كنت مقتنعاً بأنها تكرهني، مقتنعاً بأنني لست سوى الشائعات التي تتردد عني. لست سوى الملك المجنون الذي أجبرت الآن على خدمته.

لكن الثانية انقضت، وفي التي تلتها، سُحبت إلى عناق ساحق.

– «أوه، يا كيت عزيزي!»

طوقتني ذراعاها الملطختان بالدقيق، لتغمر الدفء في كل صدع بارد في قلبي. وحين ابتعدت أخيراً، كانت ابتسامة واسعة ترتسم على وجهها.

– «تفضل بالدخول، ادخل! لدي شيء من أجلك.»

سُحبت إلى داخل المطبخ، شاعراً وكأنني الصبي الذي ربه. اتسعت العشرات من العيون عند رؤيتي قبل أن تشيح بنظرها سريعاً. هرع الخدم مبتعدين عن الطريق بينما قادتني جايل إلى المنضدة حيث نعتاد أنا وكاي التسكع.

– «كنت أصنع بعضاً منها كل يوم، على أمل أن تأتي لتراني.»

دفعت نحوي طبقاً مغطى، ورفعت المنديل من فوقه لتكشف عن كعكة لزجة وحلوة تلمع.

بدت الابتسامة التي تشكلت على شفتي غريبة.

– «شكراً لك يا جايل.»

تنحنحت وتابعت:

– «أنا آسف لأنني لم أزرِك في وقت أبكر.»

لانت نظرتها:

– «حسناً، أنت رجل مشغول الآن.»

قلت بأخف نبرة استطعت حشدها:

– «لسوء الحظ، أجل.»

رمقتني بنظرة فاحصة، ورأت في وجهي ما دفعها لتصرخ:

– «فليخرج الجميع من هنا! استراحة لخمس دقائق قبل أن نبدأ في تقديم

الطعام.»

لم يجرؤ أحد على التشكيك في الأمر. وفي غضون ثوانٍ، كان كل خادم

قد انسحب عبر الأبواب المزدوجة ليتدفقوا في الرواق المجاور. وعندما هدا المكان بما يكفي لسماع صوت قضي للفاقة الحلوى اللزجة واللامعة، صوبت جايل نظراتها الثاقبة نحوي مجدداً.

رفعت حاجبها قائلة:

– «سمعت أنك تلقي بوجباتي من نافذتك. ألم تعد ترقى لمستوى معايرك؟»

قلت مدافعاً عن نفسي:

– «لا.»

ثم كررتها لأن حاجبها واصل صعوده نحو جبهتها:

– «لا، بالطبع لا. أنا فقط.. لم أعد أمتلك نفس الشهية التي اعتدت عليها.»

هممت:

– «همم.»

ثم أومأت نحو لفافة الحلوى، تأمرني بصمت أن آخذ قضمة أخرى. ولم تقل ما لديها إلا بعد أن فعلت ذلك:

– «هل هذا هو السبب الذي جعل إحدى فتياتي تخبرني بأنك كنت تبتعد عن مطبخي؟ لعدم امتلاكك شهية لتناول العشاء؟»

أومأت برأسي، مدركاً أن ذلك أكثر أماناً من الاعتراف بأنني كنت أتهرب من هذا اللقاء بالذات. أومأت هي الأخرى، رغم شكلي في أنها تصدقني حقاً.

– «كيف حالك يا كيتي؟»

أوقف سؤالها مسار الحلوى في طريقها إلى فمي. كان هذا هو السبب الدقيق وراء رغبتني في تجنب مواجهتها. لأنها ستجبرني على التحدث عن الأمر.

– «أنا أفضل.»

أعتقد ذلك. ربما. في الواقع، أنا لا أذكر كيف يفترض بشعور "أفضل" أن يكون.

قالت بصوت خافت – وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لها:

– «أعلم مدى صعوبة هذا الأمر عليك. ليس فقط بسبب والدك، ولكن أيضاً بسبب..»

ترددت حتى في التلميح إلى مدى اهتمامي بها. إلى مدى الألم الذي سببته لي عندما خانتني بتلك الطريقة، قاتلةً والدي، وأكثر من مجرد جزء من نفسي في طريقها.

تمكنت من القول:

– «أجل، لقد كان الأمر صعباً. لكنني حظيت بالمساعدة.»

فكرت في كالوم وتوجيهاته، وفي كاي ومحاولاته لإنقاذ العلاقة التي ربما أكون قد دمرتها.

أومأت برأسها، وماسحة خدي بمنديل وكأنني لا أزال ذلك الطفل الصغير الذي اعتادت أن تحمله بين ذراعيها. لكنني لم أقاومها. كان من المريح أن أحظى بالرعاية. من الجميل أن أظهار بأن جايل هي الأم التي لم أحظ بفرصة لقائها يوماً.

بدأت بنبرة متزنة:

– «كيّتي، ولأنني أحبك، لا بد لي من السؤال.»

طال الصمت قبل أن تستجمع ما يكفي من الشجاعة لتسمح للكلمات بالخروج:

– «ماذا تنوي فعله بها بمجرد أن يعيدها كاي؟»

كدت أستجمع ضحكة:

– «إن أعادها أصلاً.»

وبختني، متجاهلة حقيقة أن من يقف أمامها الآن هو الملك:

– «لا تقل هذا. بالطبع سيعيدها إليك. وليس لأن هذا واجبه، بل لأنه

يحبك.»

اندفعت الكلمات من فمي، مستحضرة من أعماق مخاوفي:

– «وماذا لو كان يحبها هي أكثر؟»

بالكاد سمحت لنفسي بالتفكير في الأمر، ناهيك عن التحدث به. لكن الأسوأ من ذلك هو الطريقة التي لم تتغير بها ملامح جايل أبداً. كان تعبيرها فارغاً، وظهرها مستقيماً، وعيناها لا ترمشان. وكأنها ليست المرة الأولى التي تسمع فيها هذا السؤال. وكأنها طرحته على نفسها مسبقاً.

أشحت بوجهي بعيداً، يائساً للتركيز على أي شيء سوى السؤال المعلق بيننا. وقعت عيناها على شمعة رفيعة مدسوسة في زاوية أحد الطاولات. أومأت نحوها، في محاولة يائسة لتغيير الموضوع:

- «هل هو عيد ميلاد أحدهم؟ هناك شمعة كعكة موضوعة هنا.»

قالت جايل ببطء، وهي تمشي لتلتقط الشمعة:

- «أوه. لقد وجدت واحدة لكاي، لكن الوقت كان متأخراً جداً. كنت أنوي تخبئتها منذ وقت طويل.»

- «لكاي..؟»

قاطع الإدراك سؤالي. مررت يدي على وجهي، وهزرت رأسي نحو الأرض.

- «آفا.»

لقد نسيت. لقد نسيت رغم علمي التام بمدى أهمية يوم ميلادها بالنسبة له. لم أفوت يوماً صباحاً واحداً تحت شجرة الصفصاف. حتى الآن، على الأقل.

ابتلعت ريقِي، مستشعراً المشاعر وهي تبدأ في لسع عيني. أصبحت الرغبة في سكب أفكارِي على الورق عارمة فجأة. رمشت محدقاً في المطبخ، متمنياً لو أنني لم أغادر أبداً راحة مكتبي - زنزانتي. وبينما كنت أتراجع مبتعداً عن جايل، فُتحت الأبواب لتسكب الخدم مرة أخرى في الغرفة. لم أتردد في شق طريقِي عبر الفوضى، مراقباً الأجساد وهي تقفز مبتعدة عن هيئتي المذعورة.

دعوهم يظنون أنني مجنون. ربما أنا كذلك. ربما كان هذا أفضل.

سمعت صرخة تشبه اسمي.

لكنني لم أنظر خلفي.



## الفصل 38

# بيكان

**قلت** وأنا أشير إلى يسارنا:

– «انظر، هناك سهم آخر. محشور بين تلك الحجارة.»

استدرت قليلاً في السرج لأرى نظرات كاي تتتبع امتداد ذراعي. أوماً برأسه حين لمح السهم أخيراً وقال:

– «إذن أوصلينا إلى هناك يا جراي.»

كان لدي شعور بأنه سيقول ذلك بعد أن أمضى اليوم بأكمله يعلمني كيف أوجه هذا الوحش. كان الزمام زلقاً في راحتي، مما أجبرني على إحكام قبضتي وأنا أسحب الجلد نحو اليسار. كتمت ابتسامة الرضا حين أطاعني الحصان. مشينا نحو مجموعة الصخور حيث سحبت الزمام، لأوقف قرقة الحوافر.

ربت كاي على فخذي بحزم قبل أن يقفز من السرج:

– «عمل جيد. أنا معلم عظيم.»

قلت وأنا أربت برفق على عرف الحصان:

– «أو ربما أنا ببساطة سريعة التعلم.»



– «أجل، سريعة التعلم لدرجة أنكِ وجهتنا نحو دزينة من الصخور على الأقل.»

أمرته قبل أن تسنح له فرصة المتابعة:

– «أحضر السهم اللعين وحسب.»

توترت كتفاه وهو يكافح لسحب رأس السهم العالق. وحين تمكن أخيراً من تحريره، قوّم طرفه المعوج قبل أن يضيفه إلى السهام الأخرى البارزة من الحقيبة التي يرتديها الآن.

قلت وأنا أشعر بالسرج يتحرك حين وضع قدمه في الركاب:

– «هذه خمسة أسهم. بهذا المعدل، لا بد أن هناك قوساً مرمياً في مكان ما هنا.»

وضع راحتيه في مكانهما المعتاد على فخذيّ وقال:

– «لن أتفاجأ بذلك. مع كل قطاع الطرق الذين يمرون من هنا، من

المحتمل أن تكون هناك أسلحة متناثرة في كل مكان.»

مررت بنظري على جدار الصخور الذي يحفنا من الجانبين، مشكلاً نفقاً غير مستوٍ:

– «ولم يظهر قطاع الطرق هؤلاء بعد.»

– «ولنصلّ ألا يفعلوا.»

دسست الزمام في يديه، وقد تملكني فجأة فضول أكبر من الرغبة في توجيه الحصان:

– «لم أظنك من النوع الذي يصلي أيها الأمير.»

شعرت بكتفيه ترتفعان ضد ظهري:

– «لم أكن أوّمن بوجود إله.»

– «والآن؟»

طال الصمت قبل أن يلين صوته:

- «لقد وجدت دليلاً على وجود الفردوس.»

استرقت نظرة من فوق كتفي لأجد عينيه معلقتين بي بالفعل:

- «وما هو؟»

جالت نظراته على وجهي وانزلت على طول ضفيري:

- «ستعرفين حين ترينه.»

بحق الطاعون. فتى وسيم. وكلمات معسولة.

وحين عادت عيناه لتلتقي بعيني، أدت وجهي لأنظر إلى أي شيء سواه. كانت يده تستريحان على فخذي، بينما يلامس صدره ظهري مع كل نفس يتنفسه، وكان هذا الشعور يغرق كل فكرة عقلانية في رأسي.

أتمنى لو كان بإمكانني سكب الماء البارد على نفسي، والارتجاف حتى أنفض عني هذا الشعور. هذا الشعور بالسقوط في شباك شيء أعلم أنه يجب عليّ محاربتة.

أخذت نفساً عميقاً، مجبرة نفسي على التركيز في جدار الحجارة الذي نمر بجواره. ركبنا الحصان بصمت - ذلك النوع من الصمت الذي يعلو صوته بكثير على النطق بكلمة. زحف النهار ببطء، ساحباً الشمس عبر السماء حتى بدأت في المغيب.

مرت عينا على الحجارة، تدرس أشكالها لتمضية الوقت. أغمضت عيني جزئياً في مواجهة الشمس، حين التقطت شيئاً يلمع من حيث هو محشور بين صخرتين شاهقتين.

كسرت الصمت أخيراً:

- «هل ترى ذلك؟»

تنهد ضد شعري:

- «أرى ماذا؟»

- «أياً كان ذلك الشيء الذي يلمع هناك.»

وحين لم يجب، مددت يدي للخلف لأمسك بفكه، وغرزت لحية فكه الخفيفة في أصابعي وأنا أدير وجهه في الاتجاه الصحيح. همهم ضد يدي:

- «شكراً على المساعدة. إنه مرتفع جداً. مَنْ منا سيتسلق إلى هناك و-

«-

كنت أرجح ساقي بالفعل فوق السرج:

- «بفضلك، كلانا مضطر للذهاب يا عزيزتي.»

مضغت كلمته المفضلة ببطء، مما جعله يضحك بخفوت بينما خششت السلسلة بيننا.

- «يجب أن ترافقني أنت وخوفك من المرتفعات.»

استطعت سماع الابتسامة في صوته حين قفز بجانبني، وربط الحصان بفرع بارز بسرعة:

- «أجل، يمكنني أن أتخيل أنكِ وخوفكِ من الخيول حزينان جداً لأخذ استراحة من هذا الوحش.»

قلت برقة من فوق كتفي:

- «ليتني فقط أستطيع أخذ استراحة منك أنت.»

لوحت الصخور الشاهقة فوقنا، تبتلعنا في ظلالها. كان هناك أشجار متناثرة في هذه المجموعة من الحجارة أكثر مما رأيت منذ أن انطلقنا في ملاذ الأرواح.

قلت وأنا أحرق لأعلى في الشيء اللامع:

- «من هنا.»

كان جذع شجرة ضخمة يتلوى من بين الحجارة، مشكلاً موطئ قدم متين. التفتت أصابعي حول اللحاء الخشن لفرع بجوار رأسي، وبجهد من عضلاتي المتألمة، بدأت التسلق ببطء. تبعني كاي عن كثب، متتبعاً مسار مواطئ الأقدام ومقابض الأيدي التي وجدتتها.

أصبحت في مستوى قمة الصخرة بجانبى تقريباً، وتمددت لأرى من فوقها. كان طرف قوس يبرز من بين الحجارة، وغطاؤه البرونزي يعمي الأبصار في ضوء الشمس. انفرج وجهي عن ابتسامة عريضة.

نادى كاي من تحتي:

– «هل يمكنك الوصول إليه الآن؟»

تنفست بصعوبة:

– «أجل. لقد أمسكت به.»

وبينما استندت إلى الصخرة، لامست أصابعي طول القوس قبل أن أبذل جهداً مضنياً لتحريره. وحين قفز السلاح من الصخرة، كدت أسقط من الشجرة التي أتشبث بها.

لهثت:

– «لقد وجدت قوسنا.»

– «يا للأسف أنك لن يُسمح لك باستخدامه.»

رمى القوس عبر ظهري:

– «ولماذا؟ هل غرورك لا يحتمل كوني رامية أفضل منك؟»

قال ببرود:

– «لست قلقاً من أن تجرحي غروري، بل بقية جسدي.»

– «مجرد وزن ميت، هل تذكر؟»

كنت على وشك البدء في النزول عن الصخرة حين تعثرت نظراتي بما يلمع خلفها. تجمدت في مكاني، ويدي المتعرقتان تنزلقان وقلبي يتسارع.

لم أتردد قبل أن أمد قدمي على الصخرة وأقنع بقية أطرافي ببطء

باتباعها. تنهد كاي، دون أن يتزحزح من تحتي:

– «هل تتكلمين بتوضيح سبب تسلقك فوق الصخرة إذا كنت قد حصلت

على القوس بالفعل؟»

قلت وأنا ألهث، وأنا الآن فوق الصخرة وأشق طريقي للنزول من الجانب الخفي:

- «لأنك، لن تصدق أبداً ما يختبئ خلفها.»

اشتدت السلسلة بيننا، معرقة تقديمي.

- «هيا يا آزر. على الأقل حاول مجاراتي.»

- «ليس وكأن لدي خيار يا جراي.»

ارتخت السلسلة حين بدأ يتسلق، مما سمح لي بالانزلاق بلا رشاقة أسفل الظهر القصير للصخرة إلى العشب الوثير بالأسفل. رمشت عيني غير مصدقة الجمال الذي أراه.

كان أشبه بعالم خفي؛ لوحة من الكمال. بستان من الأشجار المتدلّية ينبت من فراش من العشب الناعم، وتتشابك أغصانها وكأنها تمسك بأيدي بعضها لعقود. اقتحمت جذور ضخمة الأرض لتتخلل أوراق الشجر النابضة بالحياة التي تحيط بأجمل شيء على الإطلاق.

بركة مياه متألئة تتوهج في وسط المشهد، متموجة مع كل هبة نسيم عليل. وتزاحمت النباتات حول الماء لتتنقع أوراقها وتستحم في شمس الغروب. هذا المكان هو السلام بعينه.

وقف كاي فجأة بجانبني، مأخوذاً بالتحفة الفنية أمامنا:

- «لا عجب أن قطاع الطرق قد استولوا على هذا المكان.»

- «إنه يخطف الأنفاس.»

جلست بجوار حافة البركة، واضعة إصبعي في الماء البارد:

- «ويبدو.. غريباً جداً في هذا المكان.»

انضم إليّ، يتفحص النباتات عند أقدامنا:

- «أنا واثق أن هذا المكان كان هنا قبل فترة طويلة من تحول ملاذ

الأرواح إلى طريق الدفن الذي هو عليه اليوم.»

نظرت إليه قبل أن تعود عينايتي لتتأمل الجمال خلفه:

– «يبدو أن ملاذ الأرواح كان له معنى مختلف تماماً آنذاك. عندما دُفنت الملكة الأولى هنا. لم يكن مكاناً مخيفاً – بل كان مقدساً. مكاناً تحتفل فيه الأرواح.»

استطعت الشعور بنظراته معلقة بي:

– «وما الذي تحتفل به الأرواح؟»

هزرت كتفي، ولا زلت أتحاشى لقاء نظراته الحارقة:

– «بأن هناك من اهتم لأمرها بما يكفي ليدفنها.»

علقت كلماتي في الهواء بيننا. شرد ذهني نحو غابة الهمسات حيث دفن كاي سيدي خلال التصفية الأولى. ليس لأنه أراد ذلك، بل لأنه كان يعلم أنني أردت ذلك.

لامست يده يدي.

لقد وضع راحة يده على العشب بجوار يدي. شعرت بأصابعه تزحف مقتربة قبل أن تلامس أطراف أصابعي. لم أجرؤ على النظر في اتجاهه. تركزت نظراتي على الماء المتلألئ وأنا أشغل نفسي بعد كل تموج فيه.

عند التموج الثالث، مرر خنصره تحت خنصري. وعند السابع، كانت معظم أصابعنا متداخلة، متشابكة في العشب الكثيف.

إنه أمر سخيف حقاً.

لا، في الواقع، إنه هراء تام.

إنه هراء تام ومطلق أن يكون قادراً على إذابتي بمجرد لمسة عابرة. لا ينبغي ليده أن تمتلك هذا القدر من السيطرة عليّ. لا ينبغي لأصابعه الملامسة أن تعبت بأوتار قلبي. لكن هذه الرقة ستكون سبب هلاكي. هناك حميمية في أن يمد أحدهم يده إليك.

مرر إبهامه على إبهامي.

كان الشعور يجسد الراحة، وسلاماً ملموساً. ولهذا السبب سحبت يدي قبل أن أغير رأبي.

وقفت فجأة وبدأت في ثرثرة متواصلة:

- «أنا سأنزل إلى الماء. مما يعني أنه يجب عليك أنت أيضاً أن تنزل. لأنك حرصت على ألا أتمكن من فعل أي شيء بدونك. لذا، نحن سننزل إلى الماء.»

سحبت القوس من كتفي وألقيته على الأرض. كان يحدق بي لأعلى، ولم يكلف نفسه عناء الوقوف بعد.

- «هل هذه كلها خطة لمحاولة إغراقي؟»

نظرت لأسفل بابتسامة، وسترتي قد انزلت بالفعل عن أحد كتفي:

- «هذه فكرة لا بأس بها.»

ضحك بخفوت، وهز رأسه وهو يقف ببطء. وعندما أنزل الحقيبة عن كتفيه، حدق بي مترقباً. سألته، غير متأكدة من سبب نبرتي الدفاعية:

- «ماذا؟»

هز كتفيه برخاوة:

- «أنا أنتظر منك فقط أن تطلبي مني الاستدارة.»

رمشت بعيني نحوه. ثم نحو حافة قميصي التي لا تزال مقبوضة في يدي. اعتدلت قليلاً في وقفتي، محدقة فيه بجرأة. لست متأكدة لماذا قلت ذلك. ولماذا شعرت بالحاجة لإثبات شيء له. لكن عندما فتحت فمي، تساقطت الكلمات:

- «وما الذي يجعلك تظن أنني كنت سأطلب منك الاستدارة؟»

عقد ذراعيه على صدره:

- «على الأرجح، كل لحظة أمضيها معاً قبل هذه اللحظة.»

رفعت قميصي العملاق لأعلى، مبقية عيني معلقتين بعيني:

- «أنا مليئة بالمفاجآت أيها الأمير.»

سحبت القماش الفضفاض من فوق رأسي، لأقف أمامه بقميص داخلي مقطوع ومفتوح الصدر يُضيق تحت ثديي مباشرة. إنه نوع الملابس الداخلية المريحة التي أرتديها أثناء التدريب، وأسهل ما يمكن العثور عليه وسرقته في

حي النشالين. استرقت نظرة سريعة للأسفل، متأكدة من أن الوسم ليس ظاهراً. يكفي أن الندبة الممتدة أسفل عنقي متاحة دائماً للعيون المتلصصة.

كان البنطال متديلاً على وركي، كاشفاً عن كل إنش من بطني أمامه. وحين جالت عيناه فوق، ارتجفت رغم شمس الغروب التي تتخلل الأشجار. هناك شيء في الطريقة التي ينظر بها إليّ يجعل من الصعب ألا أرغب في أن يفعل ذلك. كانت نظراته مبعجة، بطيئة كصلاة مخلص.

ابتلعت ريقى حين التقت عيناه بعينيّ مجدداً. وأخذت نفساً حين سحب قميصه بسرعة من فوق رأسه. كانت قطعة القماش التي لففتها حول معدته ملطخة بالدماء، ولم يكلف نفسه عناء النظر للأسفل وهو يبدأ في فكها. تنفست كلماتي، لأنني لم أستطع التفكير في أي شيء آخر لأقوله:  
- «من الجيد غسلها.»

أوماً برأسه، وألقى بالقماش على الأرض. آمل ألا يكون قد سمعني أبتلع ريقى عند رؤية جسده. لقد رأيت مرات لا تحصى بلا قميص، ومع ذلك، لا زلت أكافح لكي لا أحرق فيه. بشرته سمراء، وكل عضلة فيها محددة بوضوح. تتبعت عيناى شعار إيليا الموشوم على صدره، والخطوط الداكنة المتشابكة فوق بشرته.

بحق الطاعون، أحتاج لأن أبرّد نفسي.

كان وجهي يحترق، فأدرته في اتجاه البركة:

- «أنت أولاً.»

اقتطف خطوة أقرب إليّ وليس نحو الماء:

- «لا، تفضلي أنت يا عزيزتي. تبدين متوردة قليلاً.»

- «أترين؟ فكرة إغراقك تبدو أكثر إغراءً في كل دقيقة.»

تبعثني ضحكته الخافتة إلى حافة البركة حيث خلعت حذائي وجواربي

قبل أن أدلي قدمي فوق الماء الصافي. شهقت حين لامست أصابع قدمي

السطح. كان الماء شديد البرودة ومنعشاً، وسرعان ما غطست بقية قدمي فيه.

كانت الحلقة الخارجية للبركة ضحلة، وماؤها أزرق ويدعو للسباحة. لكن المركز كان يزداد قتامة وعمقاً، ولم أكن أنوي استكشاف مدى ذلك. حبست أنفاسي وأنا أغوص ببطء في البركة، وعضضت لساني حين لامس الماء وركي. منحت نفسي عدة ثوانٍ للتأقلم مع درجة الحرارة قبل أن أسحب السلسلة بقدمي:

- «هيا. إنه دافئ كماء الاستحمام في قصر كالفخم.»

- «أحقاً؟ لهذا السبب تتحول شفثاك إلى اللون الأزرق؟»

طارت أصابعي إلى فمي والأسنان التي تصطك بداخله:

- «إنهما ليستا كذلك.»

أنزلت يدي لأرشه بالماء.

- «الآن، انزل إلى هنا لأتمكن من إغراقك وأرتاح.»

سخر وهو يخطو داخل البركة:

- «كم أنت مضيافة. اللعنة.»

هسهس من بين أسنانه المطبقة حين وصل الماء البارد إلى فخذه. سألته

ببراءة:

- «ما الخطب يا آزر؟ تبدو كأنك تشعر ببعض البرد.»

- «أوه، وأنت لا تشعرين به؟»

رسمت دائرة بإصبعي على سطح الماء، مشكلة تموجات صغيرة:

- «ولا قيد أنملة.»

- «همم.»

النظرة في عينيه جعلتني أشعر بالقلق:

- «حسناً، هذا لن ينفع.»

ثم خاض في الماء متجهاً نحو وسط البركة. لم يمض وقت طويل حتى

اشتدت السلسلة بيننا، وسُحبت خلفه. ابتلعت شهقتي حين تناثر الماء حول

خصري، متصاعداً مع كل سحبة لقدمي. أفلتت ضحكة من بين أسناني المصطكة عند رؤية القشعريرة التي زحفت على ظهره المفتول العضلات. غرزت كعبيّ في الأرضية الزلقة حين لامس الماء عظام ترقوتي.

– «كاي.»

لامس الماء كتفيّ.

– «حسناً يا كاي، أنا أشعر بالبرد. يمكننا التوقف الآن–»

غطس ذقني في الماء، واجتاحني الذعر. كنت أضرب الماء بذراعيّ، وأركل بقدمي اللتين بالكاد تلامسان القاع الآن. ومن خلال رؤية مشوشة، رأيت كاي يستدير ويندفع نحوي، راشأ الماء مع كل خطوة. طوقت ذراعان قويتان خصري، رافعة رأسي عالياً فوق الماء.

– «أنت بخير. أنا ممسك بك.»

جعد القلق عينيه وهو يتفحصني:

– «لقد نسيت كم أنت قصيرة. لم أدرك أن الماء أصبح عميقاً إلى هذا

الحد.»

سعلت، أرمش لأطرد الماء من عينيّ:

– «لا أزال لا أجيد السباحة أيها الوغد.»

هز رأسه نحوي، يتنفس بصعوبة. كان الماء يتدحرج على وجهه، ويقطر من رموشه. رفع يده عن ظهري ليدس خصلة شعر مبللة خلف أذني:

– «بحق الجحيم، مع كل ذلك الحديث عن إغراقي، ظننت أنك ستكونين

أكثر ثقة في الماء.»

ابتسمت بوهن:

– «أنا واثقة بما يكفي لأبقي رأسك تحت الماء.»

ضحك بخفوت، كاشفاً عن غمازته. لعبت أصابعه بنهاية ضفيرتي قبل أن

يشدها برفق:

– «إذن، لقد علمتكِ الرقص وركوب الخيل الآن. هل يجب أن أضيف السباحة إلى تلك القائمة؟»

تمتت:

– «ليس إذا كنت ستتباهى بذلك.»

– «أنا لا أتباهى. ليس بعد.»

مرر إصبعه أسفل ضفيري المبللة:

– «أنا أقول ببساطة إنني لست متأكداً مما كنت لتفعله بدوني.»

ابتسمت بحزن:

– «كنت لأكون حرة بدونك. كنت لأفعل كل ما يحلو لي بحق الجحيم.»

– «مثل القتال في حلبات الأقفاص والعيش في مبنى متداعٍ؟»

أجبتة وعيناي معلقتان بعينيه:

– «أفضل من التعفن في زنزانة.»

وجدت أصابعه طريقها إلى ذقني، لتمسح الماء المتقاطر من شفتي:

– «لن أسمح بحدوث ذلك.»

ضحكت بلا مرح:

– «أجل. احرص على قتلي بسرعة، أرجوك. أفضل أن أنهي الأمر

وحسب.»

هز رأسه، وعيناه معلقتان بندبتي. جفلت حين لامست أصابعه الخط

المتعرج، وأدرت وجهي لأخفيه عنه.

– «جراي..»

قاطعتة بحزم:

– «آزر. لا تتظاهر بنسيان حقيقة ما نكونه لبعضنا البعض. حقيقة ما

نكونه بالنسبة لإيليا.»

غرزت إصبعي في صدره العاري:

- «نخبة. عاديون. منفذ. مجرمة.»
- هزرت رأسي، محدقة بشرود في الأغصان المتمايلة حولنا:
- «نحن أعداء بيننا تاريخ. أعداء يكرهون بعضهم البعض.»
- لم أكلف نفسي عناء النظر إليه، لكنني كنت أعلم أنه كان يهز رأسه:
- «أنت لا تكريهيني.»
- «أوه، لدي كل الأسباب لأفعل.»
- «لكن هذا لا يعني أنك تفعلين.»
- زفرت بضيق ودفعت راحتيّ ضد صدره:
- «أنزلني.»
- أمسك بي بقوة أكبر:
- «أتدرين بماذا أفكر؟»
- «لا، وفي الواقع، أنا لا أهتم إطلاقاً بما-»
- «أعتقد أنك تكريهين حقيقة أنك لا تستطيعين كرهني.»
- كان وجهي على بعد إنشات من وجهه:
- «أوه، يمكنني أن أكرهك بكل سهولة.»
- «إذن، اكرهني حقيقة أنك تكنين لي بعض المشاعر.»
- لامست يده فخذي بينما ضغطتني الأخرى بحزم ضده.
- «اكرهيني لأنني أجعلك ترغيبين في هذا.»
- سقطت قطرة مطر على خدي. ابتلعت ريقتي، باحثة عن الكلمات قبل أن أكتفي بهز رأسي. دفعت صدره بضعف، أرمش محملقة في قطرات الماء التي تنحدر على بشرته السمراء.

همس:

– «تظاهري وحسب. نحن نستحق أن نتظاهر.»

ها هي تلك الكلمة مجدداً - الكلمة التي تبرر المشاعر التي أحاربها.  
 كان يرفع ساقي، ويوجهها حتى التفت حول وركه. وجدت قطرة مطر  
 أخرى طريقها إلى أنفي حين رفعت نظري لألتقي بعينه، ووجهانا متقاربان.  
 نبض قلبي بشدة في صدري، مشعلاً حرباً مع عقلي الصارخ.  
 لا ينبغي لي أن أفعل هذا. إنه منحدر زلق أقف على شفا السقوط فيه،  
 إغراء أعلم جيداً ألا أتذوقه. مجدداً.

لكن هذا تظاهر.

هذا سر للأرواح.

وهذا ما أخبرت به نفسي وأنا ألف ساقي الأخرى حول وركه، وتشدد يداه  
 عبر ظهري. وبمرافقته لي ضده، تراجع بضع خطوات بطيئة حتى لامس الماء  
 عظام ترقوتينا. وسمحت له بذلك. لأنني أثق به أكثر مما أود الاعتراف به.  
 بدأ المطر يتساقط من السماء، مشكلاً نمطاً من التموجات حولنا. همست  
 وأنا أذوب بين ذراعيه:

- «هذا مجرد تظاهر؟»

- «هذا نحن وحسب.»

انزلت يد على ظهري وفوق شعري:

- «بلا ألقاب. بلا التزامات. بلا تاريخ.»

أومأت ببطء وأنا أضع يدي على جانبي عنقه. تناثر المطر على وجهينا،  
 متساقطاً بقوة أكبر مع كل ثانية نقضيها في التحديق في بعضنا البعض.

همس وهو يمرر إبهامه على شفتي السفلى الآن:

- «هل ستقبليني يا جراي، أم ستستمرين في تأمل ما تريه وحسب؟»

كان صوتي لاهثاً، وأصابعي تتجول على منحنى فكه:

- «لا زلت أفكر في إغراقك، في الواقع.»

- «أوه، يا عزيزتي، أنا غارق بالفعل.»

اقتربت شفتاه من شفتي أكثر، تداعبانني:

– «وأنا أتوسل إليك أن تدعيني أتفسك.»

ابتسمت بمكر:

– «ظننت أنك لا تتوسل أبداً؟»

– «أنا أعتاد على ذلك عندما يتعلق الأمر بك.»

ثم انزلت يده خلف عنقي لتسحب شفتي نحو شفتيه.

كان فمه على فمي، يشدني عن كل صدى تحذير يتردد في جمجمتي. كان طعمه كخطأ، ومع ذلك، حفظت ملمس شفتيه ضد شفتي. هناك جزء مني يعلم أنه لا ينبغي لي فعل هذا، لكنني لم أستطع تذكر سبب واحد يمنعني.

هذه القبلة تبدو مختلفة.

هذه القبلة تبدو وكأنها تعويض عن الوقت الضائع. وكأنها تعويض عن كل لحظة تلامست فيها أجسادنا بينما بقيت شفاهنا متباعدة. عن كل لحظة التف فيها التوتر حولنا، ومع ذلك انفصلنا.

كانت القبلة على سطح المبنى تهدف إلى إيذائه، لتُظهر له مدى كراهيتي. لقد غلفت الكراهية الشفاه التي التقت بشفتيه، ودفعني الغضب لفعل ذلك. وقبلتنا في المجاري كانت بدافع الموت الوشيك، وبتحريض من الذعر. كانت متسرعة ومندفعة – عكس هذه اللحظة تماماً.

هذه القبلة طعمها كالشوق. إنه الشغف الذي يفرق شفتي، والرغبة التي تعمق القبلة.

أخذ وقته ليفعل بالضبط ما توسل لفعله – أن يتنفسني. انزلت يد على عنقي بينما استكشفت الأخرى منحنى خصري العاري. أبطأ القبلة حين تخلت أصابعي شعره قبل أن تمر على طول كتفيه، مستشعرة الندوب التي تملأ بشرته.

هناك تبجيل معين في قبلته، ورقة في الطريقة التي يمسك بها وجهي. لم أشعر يوماً بشغف رقيق كهذا.

كان المطر يجلدنا الآن، يببل شعري ويقطر من أنفي. لكنه قبلني بقوة أكبر رغم كل شيء، وكأنه يتذكر كيف لم يفعل ذلك في المرة الأولى التي علقنا فيها تحت المطر، خارج القصر. لففت ساقيّ بإحكام أكبر حوله، ساحبة إياه بالقرب مني بما يكفي لأشعر بقلبه يطرق ضد صدره.

تنهدت ضد فمه حين التقى لسانه بلساني. مما جعله يسحبني بقوة نحوه بشراهة بيد خشنة. أصبحت القبلة نفاذ صبر، ومتطلبة، ويأسة بالطريقة التي تكون عليها الرغبة عادةً.

سحبت أسنانه شفتي السفلى. ليس بغضب أو كراهية كما فعلت أنا على ذلك السطح، بل برغبة. أشعل هذا الفعل النار في جسدي، لينشر اللهب في كل وريد. تحرك فمي بالتزامن مع فمه، مجارياً كل تمريرة من لسانه، وكل حركة من شفتيه. كانت أصابعه في شعري المبلل، تنحدر على عنقي—  
قصف الرعد فوقنا.

ربما كان يقصد تشجيعنا، لكنه بدلاً من ذلك، مزقنا بعيداً.

كنت أتنفس بصعوبة، أرمش في المطر المنهمر نحوه وهو يفعل الشيء نفسه. أغمضت عينيّ جزئياً ناظرة لأعلى إلى السماء المزدهمة بالغيوم المنذرة بالسوء، والتي يقطعها وميض البرق بين الحين والآخر. حررت ساقيّ من وركيه، وتنحنحت، مجبرة نفسي على التقاء عينيّ بعينيّه.

درسني للحظة طويلة، رافعاً يده ليمسح قطرة ماء من طرف أنفي:  
— «أنتِ ترتجفين.»

قالها بصوت بالكاد أسمعُه وسط العاصفة.

ابتلعت ريقِي:

— «أنا أشعر بالبرد.»

ارتعشت شفثاه إثر ذلك. وتتبعّت أصابعي رمز إيليا الدوامي الموشوم على صدره:

— «قلبك ينبض بشدة.»

- «هذا ما يميل للحدوث عندما تلمسينني، أجل.»  
 رفعت نظري لأجد غمازته تطل عليّ. أغراني ارتعاش شفثيه بأن أضغط  
 شفثي عليهما، لكنني تمكنت من كبح نفسي حين داهمنا الواقع.  
 تظاهر. تشثيت. ضعف.

كلها كلمات تصف ما لم يكن ينبغي أن يحدث للتو. أمسك بمعصمي  
 برفق ليوجهه خلف عنقه، وفعل الشيء نفسه مع الآخر. سألته بتردد:  
 - «ماذا تفعل؟»

خطا أعمق في الماء، وأدارنا في دائرة بطيئة:

- «أخبريني أنت، أيتها المتبصرة الصغيرة.»

قلبت عيني نحوه بينما أطلق ابتسامته. عكست كلماته التالية تلك التي  
 همس بها بعد أن وضعني فوق قدميه لأرقص بجوار ضوء النار:

- «دعيني أسبح بالنيابة عنا نحن الاثنان.»



## الفصل 39

# بيكان

مبلة حتى العظم بحلول الوقت الذي رفعتني فيه كاي إلى حافة  
**كنت** البركة.

كان المطر يتساقط بقوة أكبر الآن، يوسع عينيّ ويصنع بشرتي. سحب  
كاي نفسه إلى العشب بجواري، وشعره فوضى مبلة فوق جبهته. تمدد على  
ظهره، وأغمض عينيه في مواجهة المطر المتواصل.

وعندما تحركت لأقف، لف ذراعاً حول خصري ليسحبني لأسفل بجواره.  
شهقت قبل أن أضحك وأنا أدحرج رأسي نحوه في العشب المبلل. خيم السلام  
على ملامحه، ولين شفثيه في ابتسامة خفيفة.

كان يبدو كالتجسيد للراحة.

أشك في أنه شعر يوماً بهذا القدر من الحرية. لا توجد روح واحدة سواي  
وتلك الأرواح المحيطة بنا تعرف مكانه. وهناك راحة معينة في أن يضيع المرء  
طواعية، وأن يختبئ من الحياة ذاتها.

رقدنا هناك لفترة طويلة، نستمتع بحمام الطبيعة. وفي مرحلة ما، وجدت  
يده يدي. وشابك أصابعنا برخاوة، وهو فعل كان بطريقة ما أكثر حميمية من  
الوقت الذي أمضيناه في البركة، وكأنه قنوع بالوجود الصامت بجواري.



جعلني صدع برق ساطع أجلس منتصباً، وعيناي مفتوحتان على مصراعيهما. نظرت خلفنا إلى الحقيبة المبللة القابعة في العشب الرطب، ووقفت بسرعة على قدمي.

حاول كاي الوصول إليّ مجدداً، لكنني قفزت مبتعدة بضحكة:  
- «هيا، يكفي استلقاءً.»

التقطت حقيبتني عن الأرض، أراقبها وهي تقطر كما هو حالي.  
- «نحن بحاجة لأن نجف، وكذلك كل شيء آخر.»  
جلس منتصباً، يرمش في المطر:

- «أجل، أنتِ ترجين السلسلة مع كل ارتعاشة.»  
عند ذكر السلسلة، ارتجفت مجدداً. استدرت، والتقطت القوس قبل أن أتراجع لأصطدم بالجسد القوي الذي وقف خلفي فجأة.  
- «سأخذ هذا.»

همس في أذني:

- «لقد تعرضت حياتي للتهديد بما يكفي لهذا اليوم.»

سمحت له على مضض بسحب السلاح من يديّ، وأنا أفرغ الماء من حذائي، لمجرد إعادته إلى قدميّ المبللتين. رميت قميصي المنقوع فوق كتفي، ومشيت نحو جدار الصخور والأشجار الذي يفصلنا عن الطريق خلفه.

كان تسلق المنحدر الزلق مهمة تذكرنا بمدى ضعفنا. تطلب الأمر عدة محاولات لأسحب نفسي فوق قمة الصخرة قبل أن أتمكن من محاولة الوصول إلى الشجرة بجانبها. تبعني كاي وأنا أشق طريقي ببطء نحو الأرض، لأتنهد بارتياح حين غاصت قدماي في التراب الرطب.

أغمضت عينيّ جزئياً لأرى عبر مجرى المطر المتواصل:  
- «أين الحصان؟»

وقف كاي بجانبني، والقوس متدلٍ عبر ظهره:

- «لا بد أن الرعد قد أخافه. ربما يكون قد ابتعد كثيراً الآن.»

تنهدت:

- «لقد كنت بالكاد أبدأ في إتقان الركوب.»

سأل كاي وشفتهاه مسحوبتان في ابتسامة متكلفة:

- «أوه، أهذا ما تسمينه ركوباً؟»

وضعت يدي على خده، ودفعت وجهه وأنا أمشي بجواره. بدا هذا الفعل مريحاً بطريقة تمنيت لو لم تكن كذلك. لذا أبقيت يديّ بعيدتين عنه ونحن نمشي في الطريق المغمور بالماء، باحثين عن مأوى لانتظار انتهاء العاصفة. لم نبتعد كثيراً قبل أن تلفت مجموعة من الصخور انتباهي. كانت صخرة كبيرة ومسطحة تمتد فوق الصخور التي تحتها، مشكلة مظلة مؤقتة عالية بما يكفي لجلس تحتها براحة. صرخت فوق صوت العاصفة وأنا أوجهنا نحو المأوى:

- «من هنا!»

وعندما انحنينا تحت الصخرة، أنزلت الحقيبة عن كتفي وأنا أتنفس بصعوبة. كنت على وشك الارتقاء على بقعة الأرض الجافة حين قال كاي:

- «أحتاج للذهاب لجمع حطب.»

انخفض رأسانا نحو السلسلة التي تربطنا معاً. تنهد قائلاً:

- «حسناً. نحن بحاجة للذهاب لجمع حطب.»

كان إجبار نفسي على العودة إلى المطر يتطلب قوة إرادة. جررت قدميّ بينما جمع كاي الحطب لنا، كاسراً الأغصان من الأشجار ومكدساً إياها بين ذراعيّ.

كانت أسناني تصطك بحلول الوقت الذي عدنا فيه إلى مخيمنا. تتمم كاي وهو يرتب الأغصان المبللة للنار التي كنا على وشك محاولة إشعالها:

- «لن يكون إشعال هذا الحطب سهلاً.»

قلت وأنا أنبش في حقيبتي المبللة:

- «تبقى لدينا عودا ثقاب.»

وجدت أصابعي الصندوق المعدني وسحبته، وتنفست الصعداء حين  
وجدت أعواد الثقاب لا تزال جافة. نظر كاي إليّ قائلاً:  
- «هذا الحطب لن يشتعل بمفرده. نحن بحاجة لشيء ليساعد في إشعاله.  
هل لدينا أي ورق؟»

كنت على وشك هز رأسي بالنفي حين وقعت عيناى على المذكرات  
المدسوسة بين بساطي النوم المبللين. ابتلعت ريقى، ومددت يدي ببطء  
نحوها. استطعت الشعور بنظرات كاي معلقة بي وأنا أسحب الكتاب الجلدي  
وأقلب صفحاته، لأجدها جافة بشكل مثير للدهشة.  
قلت بهدوء:

- «هنا بعض الورق.»

كان صوت كاي حازماً:

- «لا. لا، لن نستخدم ذلك.»

أومأت برأسي، محاولة إقناع نفسي:

- «لا بأس. أنا واثقة أن معظم هذا مجرد أبحاث وملاحظات. وأفضل ألا  
أتجمد الليلة لذا.. لا بأس.»

ضاقت عيناى، وتعبيره متشكك.

- «أنا بخير.»

بدا أن ذلك أقنعه بما يكفي ليومئ برأسه قليلاً. عدت للكتاب الذي بيدي،  
وأخذت نفساً قبل أن أتصفح الصفحات الأولى. خط يده المؤلف جعلني  
أبتسم، وجعلني أكافح لابتلاع ريقى. أغمضت عينيّ جزئياً في الضوء الخافت،  
حاثّة إياهما على التكيف مع الظلام المتزايد.

تمزقت الصفحة الأولى بسهولة. كانت تتحدث عن وصفات لعلاجات  
مختلفة يمكن للنخبة استخدامها عندما لا يتمكنون من الوصول إلى معالج.  
وكانت الصفحة الثانية مشابهة، وتحتوي على مقادير وأعشاب للأمراض

شائعة. وكانت الصفحة الثالثة مليئة بالحبر، وتدور حول ملاحظات خربشها تصف مريضاً يصعب علاجه.

كانت كل قطعة ورق تحترق بسهولة أكبر من تمزقها. سلمت كاي كل مزقة من والدي، أراقب عمل حياته وهو يشتعل بالنيران. تطلب الأمر عدة صفحات لإشعال الحطب، ولم ينتج عن ذلك سوى شعلة ضعيفة. اعتنى كاي بالنار، مجبراً إياها على النمو رغم الصعوبة.

عصرت قمصاننا، وفردتها بالقرب من النار بجوار كل أشياءنا الأخرى المبللة. ثم استندت إلى الحجر لأقرأ الصفحات المتبقية والمجعدة بين غلافي المذكرات الجلديين. تصفحتها، متوقفة لقراءة مدونات حول العديد من الأشخاص الذين ساعد في علاجهم في حي النشالين.

تعثرت أصابعي بقطعة سميكة من الورق بالقرب من النهاية، ودفعتني فضولي للتقليب إلى ما يكمن خلفها. حدقت في مدونة يوميات، وحروفها المائلة تلتخ الصفحة. لكن هذه كانت مختلفة عن البقية. كانت شخصية ومؤرخة، أفكار عميقة سُكبت على الورق.

جلست منتصبه قليلاً، وعمودي الفقري يتصلب من الصدمة. ولم يمر هذا الفعل دون أن يُلاحظ. سأل كاي ناسياً أمر النار:

– «ماذا؟»

هزرت رأسي نحو الصفحة:

– «والدي.. لقد كان يحتفظ بمذكرات.»

حل الصمت.

– «أجل، لقد استنتجت ذلك.»

– «لا، أقصد، لقد كان يحتفظ بيوميات.»

رفعت نظري إليه وعينا يواسعتان.

– «أفكاره ومشاعره الخاصة. سجل لحياته.»

قال كاي بهدوء:

- «يوميات سرية.»

أومات برأسي، ناظرة لأسفل إلى الكتاب في حطني:

- «المدونة الأولى مؤرخة قبل ولادتي بأكثر من عشر سنوات.»

كانت الكلمات ملطخة ومسرعة، وكأنه ظن أن الكتابة عن حياته الخاصة مضيعة للوقت. رفعت نظري لأجد نظرات كاي معلقة بي. جعلتني إيماءته المشجعة أتحنح وأقرأ الخط المخربش.

«أفترض أنني سأكتفي بالكتابة عن هذا، لأنه من الخيانة التحدث به لأي

شخص آخر.

عرض الملك عليّ وظيفة مجدداً. حسناً، بالأحرى هددني بها. لقد تم استدعائي إلى القصر لمساعدة معالجه خلال موسم الحمى، لكنني أعرف نواياه الحقيقية. إنه يريدني خارج حي النشالين وإلى المدينة العليا مع بقية المعالجين. إنه لا يريد أن يعتني أحد بالفقراء أو الأقل قوة، في هذا الصدد. لن أتفاجأ إذا بدأ تصفية أخرى، وهذه المرة للمجردين (ماندينز). إنه يظنهم ضعفاء كالعادين، ويعامل حي النشالين وكأنهم الحثالة تحت حذائه اللامع الذي تمثله مملكته النخبوية.

هناك سبب لعدم إمكانية العثور على أي معالج آخر بالقرب من حي النشالين. الجشع طاعون لم تقض عليه إيليا بعد. ولكن عندما يعرض الملك على كل معالج أموالاً أكثر مما قد ينفقونه في حياتهم كلها، فإنهم يوافقون بسعادة على أي شروط مرفقة. الشروط بسيطة بما فيه الكفاية - الاهتمام بالطبقة العليا فقط والترويج لفكرة أن العادين يضعفون قوانا من خلال القرب المطول بسبب المرض غير القابل للكشف الذي يحملونه.

إنه يشتري صمتهم. يا لها من كذبة باهظة الثمن. لأنه لن يشكك أحد فيما يقول المعالجون إنهم يكتشفونه. لعقود، كان الملك يشتري دعم الأشخاص الوحيدين الذين يعرفون أن هذا المرض كذبة. وقد نجح الأمر ببراعة. ليس وكأن المعالجين يهتمون لأمر العاديين. قد يعرفون أن 'المرض غير القابل للكشف' مهزلة، لكنهم يعرفون أيضاً أن تزواج العاديين والنخبة سيقلص من قوتنا ويتسبب في انقراض جنسنا في النهاية. هذا وحده يكفي لجشعهم ليروج لكذبة الملك ويضمن ألا يسمح النخبة أبداً بعودة العاديين إلى إيليا. إنه هراء، ولكنه عبثي.

وأنا المشكلة. الاستثناء الذي يحمل هدفاً على ظهره. الملك مقنع - سأعطيه ذلك. رشايه مغرية جداً لأحد سكان حي النشالين، لكنني لا أستطيع التخلي عن الطبقة الدنيا، خاصة عندما لا يساعد أحد غيري في المرض الذي ينتشر عبر الشوارع كالنار في الهشيم.

لذا، سأبقى في حي النشالين. لن يشتري الملك دعمي.»

رمشت محدقة في الخط المألوف، أسمع صوته مع كل كلمة أقرأها. جالت عيناى على الصفحة مرة أخرى. ومرة أخرى. و- -

قلت بان دفاع ناظرة لأعلى نحو كاي:

- «هل سمعت ذلك؟»

كان جاثياً أمام النار، ويدها متدلّيتان على ركبتيه. حدق بشرودي في الشعلة المتراقصة، وأوماً برأسه قليلاً:

- «لقد سمعته.»

ارتسمت ابتسامة مجنونة على شفتي:

– «هل تعرف ماذا يعني هذا؟ هذا دليل يا كاي. هذا دليل على أنه لا يوجد مرض يكتشفه المعالجون. والملك –»

أكمل بهدوء، ولم تحِدِ نظراته عن النار الخافتة:

– «الملك كان يرشوهم ليكذبوا بشأنه. هذا إن كان أي من هذا صحيحاً أصلاً.»

قلت بحدة، أقسى مما قصدت:

– «والدي لم يكن كاذباً.»

زفرت بضيق قبل أن أتابع بهدوء:

– «ألا ترى؟ كل هذا منطقي. كان والدك يسيطر على جميع المعالجين، في مكان يمكنه مراقبتهم فيه عن كثب. وأراد أن يعاني حي النشالين لأن حتى بعض النخبة أضعف من أن يرضوا ذوقه.»

سمعته يأخذ نفساً مهتزاً:

– «لا. لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً.»

مرر أصابعه في شعره المبلل.

– «لا يمكنني السماح بأن يكون هذا صحيحاً لأنني بررت كل شيء. كل ما فعلته كمنفذ. كان كل ذلك لحماية النخبة وإيليا من هذا المرض، ولكن إن لم يكن العاديون يضعفون قوانا..»

صمت، ممرراً يده على وجهه. مددت يدي نحوه بتردد، غير متأكدة مما يجب قوله:

– «كاي..»

– «هذا يعني أنه كان يقتل العاديين لمنعهم من التكاثر مع النخبة. لقد كان يقتل أشخاصاً أصحاء وأبرياء.»

نظر إليّ أخيراً، وعيناه الرماديتان باردتان كالثلج.

– «لقد كنت أقتل أشخاصاً أصحاء وأبرياء.»

همست:

- «لم تكن تعلم. كيف كان لك أن تعلم؟ كان الملك يجعل كل معالج يروج لكذبه.»

أدرت وجهي، مصدومة من الصدق الذي يتسرب إلى كلماتي. لم أظن يوماً أنني سأتعاطف مع الجرائم التي ارتكبتها ضد عاديين مثلي، لكن رأسه كان بين يديه، وألمه مخفياً خلف القناع المتداعي الذي يرتديه. كان الندم مكتوباً على وجهه كله. والغضب مرسوماً في تصلب كتفيه، والعاصفة التي تستعر في عينيه.

لقد أمضى حياته كلها يعيش كذبة ساعدته على التعايش مع نفسه.

هز رأسه، وفعل ظله الشيء نفسه على الجدار خلفه:

- «لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً.»

ولم ينظر إليّ.

- «هل هناك أي مدونات أخرى؟ أي شيء آخر حول هذا؟»

قلبت الصفحة، لأجد المزيد من الكلمات مكتوبة هناك:

- «هذه مؤرخة بعد بضعة أسابيع. خذ، انظر إلى هذه.»

اقتربت أكثر من النار، مغرقة الصفحة بالضوء وجاعلة قراءتها أسهل

علينا.

«خطرت لي فكرة أثناء عملي في القصر اليوم. فكرة فظيعة وخائنة لم يكن

ينبغي كتابتها. لكنني أعلم أن هناك عاديين يختبئون في إيليا ويحتاجون للمساعدة

للبقاء على قيد الحياة. وربما فاتالز (قتلة) أيضاً. وربما من السذاجة أن آمل أن

يكون هناك نخبة يعتقدون أن قتل العاديين أمر خاطئ.

أريد أن أجد هؤلاء القلة. أريد أن أبني مجتمعاً شيئاً لا يستطيع الملك

تجاهله. أريد أن أقاتل مع العاديين - من أجل العاديين وأمثالهم.

لا أعرف كيف بعد، لكنني سأحاول.»

حدقت في الصفحة الملطخة:

- «إنه يتحدث عن المقاومة.»

ابتسمت قليلاً:

- «لا عجب أنه خبأ هذه المذكرات تحت لوح الأرضية. إنها تدين.»

أوماً كاي برأسه وأنا أقلب الصفحة لنقرأ المدونة التي تليها.

«لقد كنت أبحث في المباني المهجورة في حي النشالين ووجدت اثنين من العاديين على استعداد للثقة بي. دعوتهم إلى منزلي وأخبرتهم بخططي للقتال من أجل حقهم في العيش في إيليا.

نحن الآن أكثر من ذلك - على الأقل دزينة. مقاومتنا الصغيرة تنمو. لقد بدأت في تدريب العاديين على 'تبنى' قدرة، لمساعدتهم على الانضمام إلى المجتمع بدلاً من الاختباء في المباني المهجورة. يتبنى معظمهم قدرة الهاير لأنها أسهل كذبة.

لا يزال يتم استدعائي إلى القلعة لموسم الحمى. رشاوي الملك مغرية، لكنني ألعب دوري كعلاج وأعود إلى حي النشالين.  
في كل مرة.»

قلبت الصفحة بلهفة، لأجد موضوعاً مختلفاً مخربشاً هناك.

«التقيت بفتاة عادية. حسناً، امرأة. أصيبت بالحمى أثناء عيشها في حي النشالين، وهو ما يعني الموت عادة. لكنني تمكنت من العثور عليها في الوقت

المناسب. إنها جميلة - تشيتت كامل أثناء عملي. شيء ما في روحها بدا وكأنه  
ينادي روجي. أنا مصمم على الزواج منها.  
لقد فعلتها أخيراً. لقد تزوجتها.  
سأصبح أباً. لقد كانت أليس ثقيلاً طوال الصباح والابتسامة تعلو وجهها.  
إنها مقتنعة بأنها فتاة.»

هددت الدموع بالسقوط وأنا أقرأ عن الأم التي لم ألتقِ بها يوماً. ومن  
خلال رؤية مشوشة، لفت تاريخ انتباهي، مجبراً أصابعي المحمومة على  
التوقف. قلت بهدوء، رافعة نظري لأجد كاي يحدق باهتمام:  
- «هذه مؤرخة قبل ولادتي بثلاثة أسابيع.»

«لقد فقدت الكثير من الدم. لم أستطع إيقافه. أنا معالج لعين ولم أستطع  
حتى إنقاذها. دفنتها في الفناء الخلفي مع طفلتنا. كانت علي حق. لقد كانت  
فتاة.»

توقف قلبي. وتباطأ الزمن.

"دفنتها في الفناء الخلفي مع طفلتنا."

هزرت رأسي، متجاهلة اليد التي وضعها كاي على ركبتي:

- «أنا.. أنا لا أفهم. قال والدي إنها ماتت بسبب المرض عندما كنت  
رضيعة ولكن...»

تلاشى صوتي، ومزقت الصفحات حتى وجدت المدونة التالية.

«لم أكن أنوي الكتابة هنا بعد أليس. لم أكن أنوي حتى أن يكون هناك  
'بعد أليس'، لكنني استيقظت على دقة على بابي الليلة الماضية. ومع ذلك، عندما  
فتحت الباب، لم يكن هناك أحد. هذا حتى نظرت لأسفل.

وها هي ذي. طفلة رضية.

تركها أحدهم على عتبة بابي. لا يمكن أن يتجاوز عمرها بضعة أسابيع برأس  
مليء بالشعر الفضي وعينين زرقاوين عميقتين. إنها جميلة. كانت أليس لتدرف  
الدموع عند رؤيتها.

سأصبح أباً. هذا ما كانت لتمناه أليس. كانت قد اختارت اسماً بالفعل  
على أي حال.»

سقطت دمعة على الورق، مغرقة الحبر.

أظن أن كاي كان يقول شيئاً ما، لكنني لم أستطع سماع أي شيء سوى  
الطينين في أذني. رأسي يدور، وقلبي يطرق، وأنفاسي عالقة في حلقي لأنني لا  
أستطيع ابتلاعها. لا أستطيع التنفس. لا أستطيع—

— «مهلاً.»

انتزعني يدا كاي الخشنتان على وجهي من أفكاري.

— «مهلاً، انظري إليّ. أنت بخير.»

مددت يدي حول ذراعيه لأمسح بشراسة الدموع التي تتسرب من عيني:

— «لا، لست بخير!»

سحبت نفساً أخيراً، أرمش لأحبس طوفان المشاعر خلف عيني:

— «لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. لن أصدق ذلك.»

تلعثمت، مرددة كلمات كاي نفسه.

— «هذا يعني.. أنني كنت يتيمة قبل حتى أن أفقد والدي.»

انفلتت شهقة هستيرية من بين شفتي:

- «وهذا يجعل حياتي كلها كذبة.»

هز كاي رأسه، وتعبيره صارم:

- «لا. حياتك ليست كذبة، هل تسمعينني؟»

رفع وجهي لأعلى، مجبراً إياي على النظر إليه:

- «لمجرد أنكما لا تتشاركان الدم نفسه، لا يعني ذلك أنه لم يكن والدك.

لقد رباك كابنته. لقد اختار أن يحبك.»

كان كل ما يقوله منطقياً - وأنا كرهته.

أريد أن أغضب، أريد أن أصرخ، أريد أن أجلس هنا وأشعر بالشفقة على

نفسي. لأن جزءاً مني يشعر بالخيانة، يشعر بالخداء من قبل الرجل الذي

دعوته أبي.

قلبت ببطء إلى المدونة التالية بينما انزلت يدا كاي ببطء عن وجهي.

استطعت الشعور بعيني معلقين بي، في انتظار أن أنهار.

لكنني سئمت من الانهيار. سئمت من الاضطرار لجر أجزاء من نفسي أنا

متعبة جداً من محاولة تجميعها مرة أخرى.

تنشقت، وأعدت عيني إلى الصفحة وواصلت القراءة بخدر.

«بدون أليس، غرضي الوحيد الآن هو المقاومة. إنها كل ما يبقيني

مستمراً. هي، وييدن.»

تطايرت الدموع على الصفحة مرة أخرى عند رؤية اسمي. مسح كاي

ببطء إبهامه على خدي، سارقاً الدمعة من بشرتي:

- «تحدثي معي.»

همس وهو يميل بالقرب مني بما يكفي لكي لا أتمكن من تجاهله. هزرت رأسي، مكافحة لابتلاع المشاعر المسدودة في حلقي:

- «الحقيقة، إذن؟»

أوماً برأسه:

- «الحقيقة، دائماً.»

أخذت نفساً مهتزاً، أقاوم الدموع بين كل نفس يليه:

- «لقد أمضيت حياتي كلها أتقبل حقيقة أنني لن أتمكن أبداً من عيشها حقاً. أنا عادية، ولا بأس بذلك - أنا أتعاش مع الأمر. لقد تقبلت ما لست عليه، وسأتعامل معه حتى يوم وفاتي. لكن -»

أخذ يدي المرتجفة في يده، حاثاً إياي بنظرة ثابتة واحدة.

- «لكنني دفعت الثمن، أليس كذلك؟»

كانت الكلمات لاهثة، وكأنها انتزعت من حنجرتي.

- «ألم أعان بما فيه الكفاية؟ أنا بالفعل لا شيء، والآن لا أنتمي لأحد. الشيء الوحيد في حياتي الذي كان صحيحاً وحقيقياً وخاصاً بي وحدي قد انتزع مني.»

أخذت نفساً مرتجفاً، أرمش محدقة بشرودي في النار:

- «تماماً ككل شيء آخر.»

كان يهز رأسه نحوي، رافعاً يده ليدفع شعراً متطائراً عن وجهي:

- «لا يمكنك أن تكوني لا شيء عندما تكونين كل شيء لشخص آخر.»

تسلق بصري إلى عينيه، لأجدهما تتجنبان عيني. استغرق الأمر عدة

نبضات قلب ليفتح فمه، سارداً كلمات بدت غير مؤكدة:

- «وهذا ما كنته بالنسبة لوالدك. سواء أكان من دمك ولحمك أم لا. لقد

أحبك أكثر من معظم الناس.»

ضربتني كلماته بقوة - تذكيراً بأن أي شيء أفضل مما تحمله من قبل

الرجل الذي كان حقاً والده. صمتت، محاولة تهدئة تنفسي. ثم قلبت الصفحة،

متجاهلة الدموع التي تجمعت في عينيّ ولم تسقط بعد. أجبرت عينيّ على التركيز، وعلى مواصلة القراءة. كانت كلماته مصدر إلهاء لي، وخط يده مصدر راحة.

«التقيت بقاتل (فاتال) اليوم في الشوارع. سحبنى إلى زقاق وهمس بأنه يريد المساعدة في فكري - والتي لم يعرف عنها إلا لأنه صادف أن يكون قارئ أفكار. تحدثنا لساعات عن المعاناة التي تحملها وكيف يريد أن يرى العاديين والقتلة (الفتالز) أحراراً مرة أخرى. لكننا نحتاج أولاً إلى العثور على أولئك الذين يختبئون في مرأى من الجميع.»

همست:

- «كالوم.»

عارفة بالضبط من هو قارئ الأفكار هذا. كانت الصفحة التالية مجموعة مسرعة من عدة أيام.

«لقد وجد لنا كالوم ثلاثة آخرين من العاديين بالفعل. إنه يجب الشوارع، يقرأ الأفكار حتى يجد عقلاً يصرخ بسرّه. طريقته أسرع بكثير من طريقي. التقينا جميعاً الليلة لمناقشة خططنا.

العديد من العاديين لدينا لم يحضروا أي اجتماع منذ أسابيع. لقد بدأت أفلق من أن شيئاً ما قد حدث. على الأرجح من فعل الإمبراطورين.

لقد أخلينا القبو تحت المنزل لاستخدامه في الاجتماعات. أصبح عددنا كبيراً جداً الآن ليمر دون أن يلاحظ. صممت رف كتب فوق باب القبو، لإخفاء المدخل في حال حصلنا على زوار غير متوقعين.»

تصفحت الصفحات، مروراً بسنوات من نمو المقاومة.

«لقد عينت قادة لقطاعات مختلفة من حي النشالين. لم يعد بإمكاننا جميعاً الاجتماع في منزلي. الآن، نحن القادة فقط نعقد اجتماعات لمناقشة كيفية سير المقاومة. لدينا خطط لمواجهة الملك وأكاذيبه، لكننا أضعف بكثير من محاولة ذلك الآن. ربما في السنوات القليلة القادمة.»

– «جراي.»

نطق اسمي بنعومة، محاولاً إيقاظي من ذهولي. وتجاهلت القلق الذي جعد حاجبيه، وقلبت بحدة الصفحات المتبقية. حرق في ورق فارغ حتى سكنت أصابعي على مدونة أطول.

«لقد نسيت أمر هذه المذكرات. يبدو أنه مرت ست سنوات منذ آخر مرة كتبت فيها هنا. ليس هناك الكثير لأقوله سوى مدى كبر بيدن. من الواضح الآن لماذا تركت على عتبة بابي. إنها عادية. لم يرغب والداها في التعامل مع إخفاء طفلة. واللعنة، كم يفتقدانها.

لديها هذه النار فيها. هذه السرعة. لقد كنت أدربها بشكل مختلف، وبقسوة أكبر. لا أريدها أبداً أن تشعر بأي شيء سوى القوة. وعندما لاحظت مدى قوة ملاحظتها كطفلة صغيرة، أدركت أنه من الأفضل التمسك بنقاط قوتها. لذا أنا أشد ذلك العقل الصغير الذي تملكه ليكون سلاحاً تحمي به نفسها. ك'متبصرة'، يمكنها فعل أكثر من مجرد المرور كنخبة، أكثر من مجرد البقاء على قيد الحياة. يمكنها أن تعيش.

أخبرتها عن أليس. باستثناء حقيقة كيف ماتت. تظن باي أن المرض هو ما أخذها منا بعد ولادتها بوقت قصير. لقد فقدت النوم محاولاً تقرير ما إذا كان يجب عليّ يوماً إخبار بيدن بالحقيقة. لكنني الأب الوحيد الذي حظيت به، وحتى في الموت، أليس هي والدتها.»

تلطخ الحبر أسفل الصفحة، كما لو أنه أغلق الكتاب في عجلة. تجاهلت نظرة القلق المتنامية التي ارتسمت على وجه كاي ونحن نواصل قراءة الصفحة التالية المؤرخة بعد عدة سنوات.

«لم أخبرها عن المقاومة. سأفعل. في النهاية. لقد أصبح من الصعب إخفاء الأمر عنها كلما كبرت. لا أعرف لماذا لم أخبرها. ربما لا أريد إشراكها في الأمر. ربما لا تزال مجرد طفلي الصغيرة رغم مدى القوة التي أصبحت عليها. ورغم أنها لا تحتاج إلى ذلك، أريد حمايتها لأطول فترة ممكنة. وأن تكون جزءاً من المقاومة أمر خطير. الملك يعرف عنا الآن، وقد أمر إمبراطوريه بالترقب. ربما من الأفضل ألا تعرف حتى تصبح المقاومة مستعدة للتحرك. ربما من الأفضل أن تظل طفلي الصغيرة لأطول فترة ممكنة.»

قلبت الصفحة، ورؤيتي مشوشة.

لا شيء.

تحسست أصابعي الزوايا، ممزقة كل قطعة من الورق لأجدها فارغة. وعندما التقى إبهامي بالغلاف الخلفي، حدقت في التجليد الجلدي الذي يمثل نهاية حياته. إغلاق فصل.

همست:

- «هذا كل شيء. هذه هي آخر مدونة كتبها.»
- أنا متعبة. متعبة جداً بحق الجحيم لأجد الطاقة لأشعر بأي شيء آخر.  
لذا تهاويت مستندة إلى الحجر، دافعة المذكرات مرة أخرى في حقيبتني.  
كان كاي يراقبني، ممرراً عينيه عليّ. بدا متردداً في مقاطعة فراغ أفكاري.
- «هل أنت بخير؟»
- فركت يديّ على عينيّ، مستشعرة الدموع تدغدغ أصابعي. ثم صوبت  
نظرتي الفارغة نحوه.
- «أنا دائماً أجد طريقة لأكون كذلك.»



## الفصل 40

# كاجي

**إنه** من غير الطبيعي أن تكون هادئة إلى هذا الحد.

لم تنبس ببنت شفة منذ أن حشرت المذكرات في حقيبتها، والتفت على نفسها لتنام بجوار الصخرة. أشك في أن أياً منا قد حظي بقسط وافر من النوم بعد التقلب على بسط النوم الرطبة حتى بقع الفجر الأرض بنوره، متسللاً تحت حصننا الحجري ليوقظنا.

نظرت إليها، وشعرها ينزلق من ضفيرته ليتدلى حول وجهها المتعب. كان جفناها مطبقين في مواجهة الضوء المنهمر عليها، ويدها مكورتين تحت خدها. - «أعلم أنك مستيقظة.»

همست بالكلمات، مدركاً أنها توليني انتباهاً كافياً لتسمعي. ومع ذلك، لم تتزحزح. تنهدت، وتحركت مقترباً منها حتى أصبحنا نتشارك الهواء نفسه:

- «لا تكوني عنيدة يا جراي. أعلم أنك تستمعين إلي.»

رفعت يدي لأدس خصلة فضية خلف أذنها قبل أن أمرر أصابعي على طول عنقها:

- «لقد أصبحت بارعاً جداً في قراءة لغة جسدي.»



جعلها ذلك تفتح عينيها لتكرمني بنظرة غاضبة:

– «إذن يجب أن تعلم أنني كنت أتجاهلك.»

تمتت ضد يديها:

– «كما تفعلين عادة.»

راقبتها وهي تكافح لمنع ابتسامة من الارتسام على شفثتها، وجعلني هذا المنظر أفعل الشيء نفسه.

– «أنا فقط..»

مررت يدها على وجهها، وقد أصبحت جادة فجأة:

– «لدي الكثير من الأفكار التي تشغل ذهني وحسب. وبالكاد نمت.»

أومأت متفهماً ما تشعر به. لقد اكتشف كلانا الليلة الماضية أشياء جعلت عقولنا تدور، وحياتنا تتداعى. كل ما تلقنته لأؤمن به، وكل ما أخبرني والذي بأنه حقيقي، ينهار فجأة تحت وطأة كلمات مخربشة. كل ما فعلته، وكل ما بررته..

الآن، أنا لست سوى وحش بلا قضية.

قلت بهدوء:

– «أعلم ذلك. كنت مستيقظاً بجوارك.»

استطعت الشعور بعينيها معلقين بي وأنا أخذ وقتي في جمع قمصاننا الرطبة.

أمالت رأسها، تراقبني عن كثب:

– «أنا واثقة أنك حظيت بالكثير لتفكر فيه أيضاً. لقد كنت أوّمن دائماً أنني لست مريضة؛ لم يكن لدي فقط طريقة لإثبات ذلك. لكنك.. كل هذا جديد جداً بالنسبة لك.»

همست:

– «لقد وثقت بالمعالجين ثقة عمياء. وثقت برجال عرفوني منذ كنت طفلاً. لكن يبدو أن المشكلة الحقيقية كانت لا تزال في ثقتي بوالدي بعد كل شيء.»

كدت أضحك.

- «ثم مرة أخرى، قد تكون المذكرات مخطئة.»

فتحت فمها لتجادلني، لكنني تابعت بهدوء:

- «ولهذا السبب أنوي اكتشاف الحقيقة. سأستجوب كل معالج إن لزم الأمر.»

صمتت لفترة طويلة، تاركة إياي أجلس مع أفكاري.

- «وسأخبر كيت.»

انزلت الكلمات من بين شفتيّ قبل أن أتمكن من ابتلاعها. جلست ببطء، وتأملتني عن كثب:

- «هل ستُطلعه على المذكرات؟»

أومأت برأسي:

- «يجب أن يعرف.»

- «هل تظن أن ذلك سيحدث فرقاً؟»

قلت بهدوء، وأنا أهز رأسي نحو الأرض:

- «لم أعد أعرف. أشعر وكأنني لم أعد أعرفه. لقد عاش ليرضي والدنا، والآن بعد أن رحل الملك قبل أن يشعر بأنه فعل ذلك..»

- «إنه ينهار.»

قاطعتها بحدة:

- «لا، إنه بخير. سيكون بخير. هو فقط بحاجة للتأقلم، هذا كل ما في الأمر.»

أدرت بصري، وأومأت محاولاً إقناع نفسي:

- «سيعود كيت إليّ.»

قالت بهدوء:

- «أجل.»

كنت أعلم أنها توافقني الرأي فقط لتجنبني الانهيار أنا الآخر. لأن فكرة تحول كيت إلى ملك مجنون تقض مضجعي، وتجعلني آمل في عودة أخي.  
- «يجب أن نتحرك.»

فتحت قميصها الرطب ودفعته فوق رأسها.  
تلعثمت، دافعة يديّ بعيداً:

- «شكراً.»

تمتعت بغضب والقميص يتدلى برخاوة حول عنقها. أومأت برأسي نحو القميص الداخلي الكاشف والمقصوص بشكل منخفض بما يكفي ليكون مشتتاً للانتباه.

ابتسمت إثر التورد الذي رسم وجنتيها:

- «إن كنت تفضلين الاستمرار في ارتداء هذا، ففضلي، بكل سرور.»  
تذمرت، ودسست ذراعيها في الأكمام وشدت القميص لأسفل:  
- «لا تفعل ذلك.»

- «أفعل ماذا يا عزيزتي؟»

جالت عيناها فوقها باتهام:

- «ذلك. الغزل. الغمازتين.»

ضحكت قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي:

- «أنت تعلمين أنني لا أستطيع السيطرة على هذا حقاً.»  
عقدت ذراعيها:

- «السيطرة على ماذا؟ الغزل أم الغمازتين؟»

قلت ببساطة:

- «أجل.»

هزت رأسها، مخفية ابتسامتها وهي تحشر بسط النوم في حقيبتها:

- «حسناً، لا مزيد من هذا. من كليهما.»

وضعت يدي على الحقيبة التي تكافح لإلقائها فوق كتفها:

– «لماذا؟ أشعرين بالقلق من أنك توقفتِ عن كرهِي؟»

انحنت لتقترب، ووجهها قريب من وجهي:

– «يمكنني أن أسألك الشيء نفسه. أنا لم أعد مريضة. لم يكن العاديون

مرضى يوماً، في الواقع. لذا، لم يعد لديك أي عذر لتكره ما أنا عليه.»

رمشت محدقاً فيها:

– «لم أقل يوماً إنني أكره ما أنتِ عليه.»

– «حسناً. تكره ما لم أكن عليه.»

فتحت فمي، واسمها جاهز ليسقط من طرف لساني. لكنني أوقفت نفسي،

محترماً رغبتها في ألا أستخدمه مجدداً.

– «جراي. عندما أنظر إليك، أرى قوة لا يمتلكها أي نخبة – وقد نادتنِي

قبل فترة طويلة من اكتشافي لما أنتِ عليه أو ما لست عليه.»

تنقلت عيناها بين عيني، ممتلئة بمشاعر لم أستطع فك شفرتها:

– «ومع ذلك، لا زلت تسحبني عائداً إلى إيليا.»

تمتت:

– «واجب. وليس خياراً.»

نبرتها متصلبة. ألقت الحقيبة فوق كتفها وخرجت من المأوى.

– «صحيح. لذا لا تجعل هذا أصعب مما يجب أن يكون.»

تبعتها، وسحبت قميصي لأرتديه قبل أن أضيف القوس عبر صدري.

كانت البرك تتناثر على الأرض الرطبة، وتعكس شمس الصباح ما تركته

العاصفة خلفها.

– «لست الوحيد الذي يجعل هذا الأمر صعباً.»

تردد صدى سخريتها بين الحجارة:

- «لم نكن لنكون في هذا الموقف من الأساس لو أنك تركتني أختفي وأبدأ حياة جديدة.»

- «واجب، هل تذكرين؟»

دببت بقدميها أمامي، مرجفة السلسلة بيننا:

- «هذا لا يعني أنك لا تدمر حياتي، هل تذكر؟»

- «لقد فعلت ذلك بنفسك في اللحظة التي غرزت فيها سيفاً في صدر الملك، هل تذكرين؟»

استدارت لتواجهني:

- «لقد هاجمني هو، هل تذكر؟ وهذه المملكة أفضل حالاً بكثير بدونه. ربما ستبدأ في الإيمان بذلك بعد كل ما عرفته.»

استقرت راحتاي فجأة على جانبي وجهها وأنا أهز رأسي:

- «أنت مزعجة للغاية، هل تعلمين ذلك؟»

تنفست بحدة:

- «لماذا، لأنني على حق؟»

- «لأنك خطيرة.»

لم تحد عيناها عن عيني:

- «كنت أظن أنك استنتجت ذلك في المرة الأولى التي أوسعتك فيها ضرباً.»

مسح إبهامي على خدها:

- «أوه، لقد فعلت. لكنني شعرت بالخوف الحقيقي مما فعلته بي عندما قبلتني.»

أغمضت عينيها:

- «لقد أخبرتك أن تتوقف عن ذلك.»

- «هذا صدق، وليس غزلاً.»

- «حسناً، غمازتك اليمنى لا تزال ظاهرة، لذا-»  
ضحكت، حانياً وجهي ليكون في مستوى وجهها:  
- «ألهذا السبب تغمضين عينيك؟»  
اندفعت بكلماتها، مستديرة بعيداً عني:  
- «يجب أن نواصل السير. جدولك الزمني ضيق وقدماي تؤلمانني  
بالفعل-»  
ناديت خلفها:  
- «لا تتهربي يا جراي.»  
- «هل تظن أنها ستمطر اليوم؟ أفضل ألا أتبل مجدداً. لا زلت أجف من  
يوم أمس.»  
- «لقد قبلنا بعضنا البعض.»  
رأيت ظهرها يتصلب تحت القميص الرطب الملتصق ببشرتها.  
- «ثلاث مرات الآن.»  
استدارت، وتبدو متعبة:  
- «لماذا تخبرني بهذا وكأنني لا أتجنب التفكير فيه باستمرار؟»  
قلت وأنا أخطو نحوها:  
- «لأن هذا الأمر أصعب بالفعل مما ينبغي أن يكون. أنت لست مجرد  
مهمة بالنسبة لي. لست مجرد عدو آخر عليّ العثور عليه. أنت شيء أكثر رعباً  
بكثير.»  
كان صوتها بالكاد يهمس:  
- «وما هو؟»  
- «احتياج.»

حدقنا في بعضنا البعض، وكلانا متفاجئ من الكلمات التي شقت طريقها لتخرج من بين شفتيّ. كان ضوء الشمس يتخلل شعرها، جاعلاً إياها تتوهج كشيء سماوي جداً بالنسبة لي.

قالت برقة:

– «ظننت أنك قد عثرت على شجاعتك.»

ابتسمت قليلاً:

– «ربما لا مانع لدي من أن أكون أحمق. طالما كان ذلك من أجلك.»

هزت رأسها، متراجعة مبتعدة عني. انفتح فمها لتجادلني، و—

انكسر غصن بصوت خافت إلى يميني.

دفعتني غريزتي للالتفاف نحوها، متخذاً من جسدي درعاً لها بينما أطبقت يدي على فمها. أدت رأسي بحدة نحو مصدر الصوت، باحثاً عن أي أثر لمن أخشى أن يكون قد وجدنا.

ولم أتأكد من مخاوفي إلا عندما انفجر ألم ثاقب في كتفي.

قطاع طرق.



## الفصل 41

# بيكان

**تأوه** كاي ضد أذني، بعدما انتزع الألم الصوت من حنجرته. وانزلقت يده عن فمي، محررة صرختي.

– «كاي!»

تهاوى ببطء على ركبتيه، كاشفاً عن الشق العميق الذي يمتد عبر كتفه. لقد رأيت وميض السهم قبل أن يمزق بشرته، ويشق اللحم في لحظة. ارتميت بجواره، ويدي على وجهه وقلبي في حنجرتي.

– «هل أنت بخير؟»

تجاهل سؤالي، وقال بصعوبة:

– «قطاع طرق. لن أكون ذا نفع كبير.»

صَفَر سهم آخر متجاوزاً رأسي.

– «أرى ذلك.»

سحبت القوس بحذر من على ظهره. هسهس من بين أسنانه المطبقة حين اصطدمت بجرحه.

– «يجب أن نبتعد عن الطريق. الآن.»



أومأت نحو مجموعة من الصخور لا تبعد سوى بضعة ياردات:

– «هل يمكنك الوصول إلى هناك؟»

قال بصرامة:

– «إنها ذراعي يا عزيزتي، وليست ساقي.»

وقفت نصف وقفة، ساحبة إياه معي.

– «ممتاز. إذن لن تواجه مشكلة في مجاراتي.»

ركضنا نحو الصخور، وسمعنا السهام تصفر من حولنا. دفع كاي نفسه بيني وبين السهام المتتالية، متخذاً من جسده درعاً لجسدي. ولهذا السبب شهقت متفاجئة حين تمكن طرف سهم من خدش ربلة ساقي.

لسعني الألم، مرسلاً ألماً حارقاً على طول ساقي. استطعت الشعور بالدم يدغدغ بشرتي ونحن نختبئ خلف الصخور، سارقين الملاذ من حجمها.

متجاهلة جرحي، التفت إلى جرحه الذي يبعث على القلق أكثر بكثير. لطح الدم بشرته، غامراً الكتف تحته. جعلني هذا المنظر أبتلع غضبي فجأة، وأرى درجة من اللون الأحمر لا علاقة لها بالدم الذي ينزف على بشرته.

إنه يتألم. وأنا أكره ذلك. وربما زادني هذا الإدراك غضباً. لأنه في تلك اللحظة فهمت مدى قسوة الألم الذي سألحقه بأي شخص يجرؤ على إيذائه.

عادت عيناى لتلتقي بعيني، واضطربت معدتي عند رؤية هذا الكم من الدم – الدم الذي أراقه أحدهم بهذه اللامبالاة. جعلتني هذه الفكرة أرتدي قناعاً خاصاً بي، خانقة كل شيء سوى الغضب البارد الذي كسا ملامحي.

تجاهلت نظراته، مركزة فقط على المهمة التي بين يدي. رتبت السهام بحيث يسهل الإمساك بسيقانها المزينة بالريش من الحقيبة قبل أن ألقها على كتفي.

كان القوس ساخناً في قبضتي المطبقة. انزلت عيناى نحوه مجدداً، لأجد شيئاً أشبه بالرهبة على وجهه. كان صوتي متزنناً، ووجهي بارداً:

– «سأحرص على أن يدفعوا الثمن.»

راقبته وهو يأخذ نفساً عميقاً:

– « لا تحتملين رؤيتي مجروحاً؟ »

تراجعت خطوة للوراء، وعينا معلقتان بعينيه:

– « فقط عندما يكون الجرح من صناعي. »

آخر ما سمعته وأنا أخطو من خلف الصخور كان همسة حارة:

– « كوني حذرة. من أجلي. »

ثم سحبت سهماً من حقيبتني، ووضعت على القوس، وزفرت بقوة، وأطلقت على أول هيئة رأيته.

انهار الرجل حين غرز سهمي في صدره. انحنيت بسرعة، متجاهلة حقيقة أنني أصوب لأقتل. لكن لم يتبق لدي سوى أربعة سهام، ولا أستطيع تحمل إهدار سهم واحد.

استقر هدوء بارد عليّ وأنا أخطو إلى الطريق. كانت حركاتي متمرسة، وعقلي ساكناً. حدث كل شيء بسرعة لدرجة أنني بالكاد أدركت أنني سحبت سهماً آخر.

اختبأت خلف مجموعة من الصخور الكبيرة، مستشعرة سهماً يمر بجوار رأسي. وبمعرفة الاتجاه الذي جاء منه السهم، وقفت وأطلقت على الكتف البارز من خلف صخرة. أصاب السهم هدفاً قريباً جداً من قلبه لدرجة أنه انهار بسرعة.

عدت لأخطو في الطريق، ولم أسمع سوى طحن الحصى تحت حذائي. دفعتني غريزتي للالتفاف وإطلاق السهم على ظل، لأجد رجلاً يصوب قوسه نحوي. تهاوى القوس على الأرض مع بقية جسده حين التقى سهمي بقلبه. كان المكان هادئاً. هادئاً جداً.

بحثت عن غطاء خلف مجموعة أخرى من الحجارة، ومسحت المحيط حتى طار سهم نحوي. انخفضت قبل أن يغوص بين عيني:

– « وجدتك. »

همست، وأنا أثبت سهمي. وعندما وقفت، أطلق هو سهماً آخر، أخطأ  
كتفي بصعوبة. لم أتردد قبل أن أطلق السهم نحو الرأس الذي ظهر من فوق  
الصخور. راقبت الطرف وهو يمزق عنقه، ويقطع الأوتار ويرش الدم.  
سمعت صوت ارتطام جسده بالتراب المكتوم. هذا الصوت هو ما أيقظني  
من ذهولي.

ارتجفت رغم الغضب البارد الذي ذاب بعيداً. بدا الطريق الذي أقف فيه  
الآن وكأنه يدور تحت قدمي. وأذناي تطنان وقلبي يتسارع، أغمضت عيني  
بقوة، وكأن ذلك يمكن أن يخفيني عما فعلته.  
أصبح القوس زلقاً في راحتي المتعركة. أسقطته بخدر لأحدق في يدي.  
كدت أشعر بالدم يغلفهما. دماء أولئك الذين قتلتهم. عندما علمني والدي  
القتال، أعلم أن هذا لم يكن ما يدور في ذهنه.  
لا، ليس والدي. ليس حقاً.

ولكن حتى مع ذلك، أنا فاشلة. أكثر من مجرد خيبة أمل له. أنا عار.  
سخرية من كل ما علمني أن أكونه.  
لقد سلبت أرواحاً. أرواحاً متعددة. سبعة، على وجه الدقة. وبالكاد  
أستطيع التنفس تحت وطأة الذنب الذي يسحقني.  
- «مهلاً.»

استدرت عند سماع الصوت، رافعة قوسي المذخر في وجه رجل آخر.  
كاي. إنه كاي. أنا بخير. لا لزوم لأن أؤذيه.  
كانت أصابعه دافئة تحت ذقني وهو يوجه وجهي نحو وجهه. رمشت  
ببطء، مستوعبة حاجبيه المجعدين وعينييه الباردتين:  
- «لقد انتهيت، حسناً؟ لقد فعلتها.»

دس خصلة من شعري خلف أذني، برقة أكبر مما أستحق.  
- «ليتنى استطعت فعل ذلك بدلاً منك. فروحي ملطخة بما يكفي لكلينا  
بالفعل.»

بدا صوته بعيداً، يفصل بيننا طوفان من الأفكار. هزرت رأسي، وابتلعت ريتي بصعوبة:

- «أعتقد أنك تستهين بمدى تلطيخي لروحي مؤخراً.»

كنت لأغرق في الأجساد التي بدأت تتراكم الآن عند قدمي. لم أرد يوماً أن أكون هكذا. أنا لا شيء، ومع ذلك، فقد سلبت كل شيء من الآخرين. ربما هذه هي الطريقة التي تمكنت بها من التهرب من الموت لفترة طويلة - بإرضائه بأرواح ليست لي.

كانت ابتسامة كاي رقيقة، مجبرة تركيزي على العودة إليه:

- «حقيقة أنك حتى تهتمين بروحك تعني أنك لا زلت أفضل بكثير من معظم الناس.»

حدقت فيه لفترة طويلة، تاركة كلماته تتغلغل في نفسي. تاركة نفسي أتظاهر بأنني أصدقها. ولم أتذكر أنه جريح إلا عندما تحرك ليستند إلى صخرة. كان شق السهم عميقاً وطويلاً، ويقطر دماً على ظهره.

- «تبا، كاي، لماذا تتحدث عن روعي بينما تنزف دماً في كل مكان؟» هزرت رأسي، وتحركت لأنحني خلفه.

قال من بين أسنانه المطبقة وأنا ألمس البشرة حول الجرح بحذر:

- «أحب التحدث عن روحك.»

سألته بشروود:

- «ولماذا؟»

تنهد:

- «ربما، لأنني أحسدها.»

ابتلعت ريتي:

- «لا يوجد في شيء يستدعي الحسد.»

- «إذن أنت لا تعرفين نفسك جيداً بما فيه الكفاية.»

سخرت:

– «ماذا، وأنت تعرفني؟»

كافح فجأة للوقوف مع تأوه:

– «يمكنك إنكار ذلك قدر ما تشائين، لكن كلانا يعلم أنني أفعل.»

سألته وأنا أقبع تحته:

– «والى أين تعتقد أنك ذاهب؟ حسناً، إلى أين نحن ذاهبان؟»

مد يده لي لم أكلف نفسي عناء أخذها قبل أن أقف على قدمي:

– «أريد أن أكون مرتاحاً ولو قليلاً بينما أنزف حتى الموت. أمل في العثور

على كهف.»

– «لن تنزف حتى الموت..»

توقفت مشككة.

– «نحن نقترّب من الكهوف؟»

أوماً برأسه:

– «نحن على وشك الوصول إلى حافة الملاذ الآن. امتداد الكهوف يقع

مباشرة قبل الحقل الذي يفصلنا عن إيليا.»

قلت بجفاف:

– «ممتاز. نحن تقريباً في المنزل.»

خطونا من خلف الحجارة وعدنا إلى المسار. وبينما كنا نمشي بصمت،

لمحت أول جثة متهاوية فوق مجموعة من الصخور، وأشحت بنظري بسرعة.

تلوت معدتي إثر التذكير بما فعلته، وعند كل جثة يجب عليّ الآن مواجهتها.

السلاح الذي قتلت به كان عائداً في يدي، متعركة ويبدو غير مؤذٍ وهو يتدلى

نحو التراب.

رغم أنه، بطريقة ما، كذلك. فالسلاح لا يكون قاتلاً إلا إذا استُخدم.

والقوس لا يقتل إلا إذا أطلقت السهم منه.

حتى مع تثبيت عينيّ على الأرض، كنت أعرف كل مرة أمر فيها بجثة. شعرت بوطأة ما فعلته مع كل خطوة. وبقي كاي هادئاً بجانبني، مدركاً تماماً ما يجب أن يكون عليه هذا الشعور. ما يعنيه أن تقتل وتعيش مع كل شبح تصنعه.

سمعت طحن التراب تحت حذاء خلفنا. استدرت عند سماع الصوت، رافعة قوساً فارغاً. كان نحيلاً، وأصغر بكثير من زملائه من قطاع الطرق – لا عجب أنني لم ألمح بين الصخور. كان يمسك بقوس بيدين مرتجفتين، ويكافح لإبقائه مصوباً نحو كاي.

وقبل أن أتمكن من الرمش، أطلق السهم.

لم أفكر قبل أن أخطو أمام الأمير الذي يُفترض بي أن أكرهه. بدا وكأن الزمن يتباطأ بينما طار السهم نحوي. تولت ردود أفعالي السيطرة على جسدي، مجبرة إياي على رفع سلاحني الفارغ.

لوّحت بالقوس عبر الهواء، وسمعت الخشب يصطدم برمح السهم قبل أن أدرك ما حدث. سقط السهم على الأرض في ومضة، وطرفه مدفون في التراب.

نظرت لأعلى لأجد تعبير الرجل يعكس تعبيرني. كانت الصدمة المطلقة محفورة على وجهه إزاء ما تمكنت من فعله. استغلّيت تردده، ومددت يدي خلفي لأسحب سهماً من حيث يبرز من حقيبتي. واستقر على قوسي بعد نبضة قلب. التفت أصابعي حول الوتر – وريئائي تنقبضان، وأنفاسي عالقة في حلقي.

أرخيت قبضتي على وتر القوس، مستعدة لترك السهم يطير –

شق طيف الهواء، يتقلب حتى غاص في صدر الرجل.

رمشت، ناظرة لأسفل إلى السهم الذي لا يزال مثبتاً على قوسي. وحين عادت عينايتي لتلتقي بالرجل، كان يمسك بصدرة حيث يبرز مقبض سكين الآن.

استدرت، لأجد كاي واقفاً بجانبني، ممسكاً بكتفه المجرّوح. قال بصوت متألّم:

– «ها قد تم الأمر. لقد تم الاعتناء بكل شيء.»

استرقت نظرة إلى الرجل الذي يسقط على وجهه في التراب:

– «كيف..؟»

قال ببساطة:

– «ذراعي اليسرى. ورغم ذلك، أمتني كالجحيم.»

– «كنت أسيطر على الموقف.»

أشحت بوجهي، متجنباً نظراته.

– «كنت.. كنت سأفعلها.»

خطا بيني وبين الرجل، حاجباً عني رؤية الموت وهو يأتي للمطالبة به:

– «أعلم. أعلم أنك كنت تسيطرين على الموقف. لقد جعلت ذلك واضحاً جداً عندما أسقطت سهماً من الهواء.»

هز رأسه نحوي، وابتسامة ترسم غمازته.

– «ولكن، كما قلت، روعي ملطخة بما يكفي لكلينا. وأنت قتلت بما فيه

الكفاية من أجلي بالفعل.»

أدرت بصري، غير متأكدة مما يجب قوله. غير متأكدة من كيفية إخباره بمدى ما يعنيه ذلك بالنسبة لي. لذا، اكتفيت بكلمة رقيقة:

– «شكراً لك.»

قال مبتسماً بتكلف كالوغد الذي هو عليه:

– «بدا وكأن نطقك لهذه الكلمة كان مؤلماً.»

– «حسناً، شكرك ليس بالضبط أمراً اعتدت على فعله.»

قال وهو يبدأ في السير في المسار مجدداً:

– «أعتقد أن الأخلاق بشكل عام هي ما لم تعتادي عليه.»

سحبني معه بينما هزرت رأسي نحو ظهره، مدركة أن كل هذا مجرد

تشتيت عن الموت الذي يحدث خلفنا:

– «أوه، وهل أنت حسن الأخلاق إلى هذا الحد؟»

– «بالنظر إلى أنني حظيت بالعديد من المعلمين وسنوات من التعليم،  
أجل، أود أن أقول ذلك.»

كان صوته مشدوداً بالألم:

– «لقد تعلمت كيف أتصرف في البلاط وبين النبلاء. وكيف أتحدث إلى  
النساء و- -»

شخرت:

– «تقصد تتغزل؟»

– «لا، هذا الأمر لطالما كان طبيعياً لدي يا عزيزتي.»

كنت قد لحقت به أخيراً لأمشي بجواره:

– «هل كونك وغداً أمر طبيعي أيضاً، أم أن هذا ما علموك إياه في

القصر؟»

ارتعشت شفتاه وهو يفكر في سؤالي:

– «طبيعي. لكن لا يمكنني أن أنسب كل الفضل لنفسي.»

تفحصني بنظراته.

– «أنتِ من تستخرجين هذا الجانب مني.»

أدرت بصري، ماسحة الصخور كعذر للنظر إلى أي مكان سواه. أصبح  
التضاريس أكثر وعورة، وأكثر صخرية بشكل مستحيل. كانت الجدران على  
جانبينا عالية ومنقطة بفجوات متناثرة. كان معظمها أصغر من أن يُطلق عليه  
كهف، لكن عيني استقرتا على فم أحدها الذي بدا واعداً. وتساءلت بشرود أي  
منها هو موطن الملكة الأولى نفسها.

أشرت بإصبعي:

– «ما رأيك في ذلك؟»

تجمعت قطرات العرق على جبهته؛ وجذب الألم فمه. وحين اكتفى  
بالإيماء، دون أن يقدم أي تعليق ساخر، أدركت أنه يشعر بقدر كبير من  
الانزعاج.

كانت الشمس تضربنا بقوة ونحن نشق طريقنا ببطء إلى الكهف. صرخت البثور في وجهي مع كل خطوة حين احتكت البشرة بالحذاء. عضضت لساني، مدركة أن ما يشعر به المنفذ بجانبني أسوأ بكثير.

غمرتنا الظلال حين خطونا أخيراً داخل الكهف. بدا الضوء وكأنه يُبتلع هنا، مما جعل الكهف يبدو وكأننا خطونا إلى المساء.  
أمرته بصرامة:

– «اجلس.»

أبقى عينيه معلقتين بعينيّ وهو يطيع، منزلاً نفسه إلى الأرض:  
– «ماذا تفعلين يا جراي؟»

انحنيت خلفه، رافعة قميصه الدموي بحذر لأفحص الجرح:  
– «وماذا يبدو أنني أفعل يا آزر؟»

قال بابتسامة متكلفة تتسرب إلى صوته:

– «يبدو وكأنك تهتمين لأمرى. ويبدو وكأنك تجردينني من ملابسي.»  
تذمرت:

– «لا تشعر بالإطراء الشديد. لا يمكنني أن أسمح لك بأن تصبح وزناً ميتاً، أليس كذلك؟»

تأوه من الألم حين لامست أطراف أصابعي البشرة الرقيقة حول الجرح. لسعت رائحة الدم أنفي، مجبرة إياي على أخذ نفس عميق قبل أن أقول:  
– «ليس لدي أي شيء لأخيط به هذا. كل ما يمكنني فعله هو غسله ولفه.»

قال من بين أسنانه المطبقة:

– «ممتاز. دعينا نُنهي الأمر، حسناً؟»

قلت بصرامة:

– «لكنه يحتاج إلى خياطة. قد يُصاب بالعدوى.»

قال بهدوء:

- «سنعود إلى إيليا بحلول الغد. ستوقف الضمادة النزيف لفترة كافية. وسأعالج نفسي عندما نصل إلى هناك.»

- «صحيح.»

أومأت برأسي، وابتلعت ريقى عند رؤية الدم. قبضت على حافة قميصه لأسحبه بحذر من فوق رأسه. هسهس حين احتك بجرحه. وبهدوء رقيقة على ظهره، حثثته على الاستلقاء على بطنه.

كان ظهره عارياً وممتداً أمامي، والدم الكثيف يتجمع على بشرته. كنت بالكاد أستطيع رؤية الشق تحته، والرائحة المعدنية تلسع أنفي.

- «أخبرني بشيء.»

تمكنت من قولها بصوت ضعيف.

- «أخبركِ بشيء؟»

كانت ضحكته متألّمة.

- «هل هذا حقاً أفضل وقت لـ - -»

قاطعته:

- «أجل. يمكن أن يكون أي شيء، فقط.. فقط تحدث معي.»

أغمضت عينيّ بقوة، محتاجة لتشتيت الانتباه عن ملمس دمه على أطراف أصابعي ومنظر انسكابه على بشرته. أخبرني شيء في الطريقة التي سكن بها أنه بدأ يفهم.

- «حسناً.»

كان صوته مشدوداً.

- «الحقيقة، إذن؟»

همست:

- «الحقيقة، دائماً.»

طال الصمت.

– «أحياناً أشعر بالحسد لأنك كنت من قتل والدي.»

فتحت عينيّ على مصراعيهما لأرمش بحيرة في مؤخرة رأسه:

– «م-ماذا؟»

تمكن من إطلاق تنهيدة:

– «لقد أمضيت حياتي كلها أتخيل فعل ما فعلته. لست فخوراً بذلك.

ولكن في كل مرة كان يجرحني فيها، أو يصرخ في وجهي، أو يجبرني على مواجهة خوف ما مراراً وتكراراً، قاومت الرغبة في رد الأذى له. ويعلم الطاعون أنه كان بإمكانني فعل ذلك.»

سكن صوته المشدود:

– «لقد استهلك ذلك كل أفكاري. لأنه قبل أن أكرهه على كل ما فعله بي، كرهته لأنه كره آفا. لم يعترف بذلك قط بالطبع، لكنني كنت أعلم. كنت أعلم أنه كان يكره كونها ضعيفة، وكنت أعلم أنه كان يعتبرها عاراً على اسم العائلة.»

مددت يدي ببطء نحو إحدى الزمزميات التي أعدنا ملأها بماء المطر، مشتتة بالأسرار التي تتسرب من شفثيه.

– «لكنني لم أستطع أبداً أن أقترّب من فعل ذلك.»

تنهد.

– «بغض النظر عن مدى قسوة تدريبه لي أو كرهه للأشخاص الذين

أحبهم، كان لا يزال والدي. الدم والواجب أعمق من الكراهية.»

صمتّ لفترة طويلة، وعيناوي مثبتتان على جدار الحجر الخافت الإضاءة

أمامنا:

– «وأنا فعلت ما تتمنى سراً لو كان بإمكانك فعله بنفسك.»

همس:

– «والجزء الأسوأ، هو أنه يُفترض بي أن أكرهك بسبب ذلك. لكن

كراهيتك أصعب بكثير من كراهيته.»

لم يتبقَ لدينا سوى القليل من الماء، وبشكل مروع، لم أتردد قبل أن أسكب معظمه على جرحه. لأنني، ورغم كل شيء، أدركت أن هناك القليل جداً مما لا أستطيع التضحية به من أجله.

لم أسمح لنفسي بالانغماس في هذا الاكتشاف المفاجئ.

هسهس كاي وهو يشعر بلسعة الماء تتسرب إلى جرحه الغائر:

– «تباً. أنا أسحب كلامي. ربما لا يكون كرهكِ أمراً صعباً جداً.»

كانت الدماء تتدحرج على ظهره، وتصبغ بشرته باللون الأحمر في الضوء الخافت. كانت يداي مغطاتين بها، وكل إصبع دبِق وتفوح منه رائحة الموت التي ألفتها جيداً.

لم ألاعبه. ولم أمازحه أو أشتت انتباهه عن الألم. بل بدلاً من ذلك، أدت وجهي بعيداً وأنا أغسل الجرح، غير قادرة على التحديق في مجرى الدماء الأحمر. مزقت قماشاً مما تبقى من تنورتي بأيدي مرتجفة. واستخدمت أصابعي الملطخة بالدماء لدس الضمادة المؤقتة تحت صدره. وبتنفس لاهث، انحنيت فوق ظهره لألف القماش حول الجرح.

انزلقت ضفيرتي من خلف كتفي، وتأرجحت حتى.. احتكت ببركة الدماء التي بدأت تتجمع مجدداً فوق جرحه.

حبست أنفاسي قبل أن أطبق يدي حول منتصف ضفيرتي، مستعدة لإلقائها خلف كتفي مرة أخرى. لكن يدي التصقت بالشعري في راحتي. نظرت لأسفل ببطء، وجسدي كله يرتجف.

تلطخ شعري بالدماء، التي كانت تقطر من أطرافه وتتلطخ من يدي. ابتلعت الغصة المتنامية في حلقي وأنا أسحب يدي لأحدق في الدماء التي تغطيها.

لم أعد أشم سوى الموت، ولم أعد أسمع سوى الطنين في أذني. أظن أن كاي كان يقول شيئاً ما، لكنني تجاهلته وأنا أتخبط مع القماش، ملطخة إياه بالدماء وأنا أسرع لتغطية الجرح. ربطته بشهقة مكتومة، ومددت يدي نحو الزمزية. تمكنت من إفراغ القطرات الأخيرة من الماء في راحتي قبل

أن أفرك يديّ معاً بعنف. دوّمت الدماء على بشرتي، وانحدرت على معصميّ  
-- و --

- «جراي.»

كان صوته حازماً بما يكفي لانتزاعي من جنوني. لست متأكدة متى جلس  
منتصباً، لكنه كان يواجهني الآن، واضعاً يداً رقيقة على ساقي.

- «ما الذي يحدث؟»

هزرت رأسي، أقاوم الدموع التي هددت بالسقوط:

- «لا شيء.. إنها..»

سقطت نظراتي على يديّ والدماء التي تغطيهما. اليدان نفساهما اللتان  
حملتا الأجساد المحتضرة لمن أحببتهم أكثر من غيرهم. اليدان نفساهما  
اللتان ستبقيان مكسوتين بدمائهم إلى الأبد.

قال بهدوء:

- «إنها الدماء. لم تكوني يوماً حساسة تجاهها حتى..»

طرق قلبي ضد صدري، جاعلاً إياي أشعر بالدوار. كل ما أشمه هو  
الدماء. وكل ما أشعر به هو الذنب.

تنفست بصعوبة:

- «أنا.. لم أعد أستطيع. لم أعد أستطيع الشعور بهذا بعد الآن. كل هذا

يفوق احتمالي.»

نظرت لأسفل إلى الشعر الفضي الملطخ باللون الأحمر. رؤية ضفيري  
جعلتني أتجمد، وجعلتني أمقت مدى السيطرة التي باتت تملكها الدماء عليّ  
الآن. تطلب الأمر جهداً لإبطاء تنفسي، ولتهدئة نبضات قلبي.

فجأة، غمرني غضب مخدر أطفأ الذعر الذي كان يجري في عروقي. أخذت  
نفساً عميقاً، ورفعت نظرتي لتلتقي بعينيّه.

- «قصه.»

جدد حاجبيه إثر كلماتي:

– «ماذا؟»

قلت بهدوء:

– «أريدك أن تقصه.»

كان وجهي خالياً من التعابير رغم الدموع التي لا تزال تغيم رؤيتي. مررت يديّ الملطختين بالدماء على طول ضفيري، ملطخة إياها مع كل تمريرة. تابعت عينا كاي أصابعي، واتسعتا قليلاً إدراكاً للأمر.

– «جراي، ربما يجب عليكِ –»

همست:

– «أريدك أن تقصه. أرجوك.»

قال بهدوء، وانزلت يده نحو وجهي:

– «مهلاً، انظري إليّ. سأغسل شعركِ، حسناً؟ لن تبقى الدماء هناك إلى

الأبد –»

قاطعته بصوت عالٍ ومرتجف:

– «بلى، ستبقى.»

رمشت لأحبس الدموع، مجبرة نفسي على الاحتفاظ بتواصل بصري معه وأنا أفعل ذلك. وكررتها، هامسة هذه المرة:

– «بلى، ستبقى. الدماء ستظل هناك دائماً. دماء والدي. دماء أعز

أصدقائي. دماء كل شخص قتلته. إنها دائماً هناك.»

تشقق صوتي:

– «وأنا أغرق فيها.»

هز رأسه، ممرراً إبهامه على خدي:

– «وفاة أدينا ووالدك لم تكن من صنيعك.»

همست:

– «مجرد أن الأمر لم يكن من صنيعي لا يعني أنه لم يكن خطئي.»

- «لا، هذا ليس - -»  
 - «أرجوك. أنا أعلم أنك تحتفظ بخنجري في حذائك.»  
 تجمد إثر كلماتي الهامسة:  
 - «لا أريدك أن تندمي على هذا.»  
 هزرت رأسي نحو يديّ الملطختين بالدماء:  
 - «أنت لا تفهم. هذا الشعر يحمل ذكريات. وهو ثقيل.»  
 استدرت ببطء حتى أصبح ظهري مواجهاً له، والصفيرة المتراخية تتدلى  
 على طول عمودي الفقري.  
 - «أرجوك يا كاي.»  
 صمت.

إلى أن تلاشى. إلى أن شعرت به يمد يده نحو حذائه. إلى أن أمسكت  
 صفيرتي برفق في إحدى يديه بينما حملت الأخرى نصل والدي ضدها.  
 شعرت بأنفاسه على عنقي، مترددة وغير واثقة.  
 تدرجت دمعة على خدي حين أومأت برأسي.  
 رفع الصفيرة عن عنقي، وبدأ في سحب النصل عبرها.  
 كل ذرة تماسك تبقت لدي انهارت عند سماع صوت شعري وهو يُقص.  
 تساقطت الدموع على وجنتي. بكيت على ماضي، على الطفلة الصغيرة  
 التي أمسكت بيد والدها حتى بردت. على الطفلة الصغيرة التي كافحت للبقاء  
 على قيد الحياة في مملكة كرهتها.

بكيت على أدينا - شمسي في الظلام الذي كنت أنجرف نحوه. لا زلت  
 أستطيع الشعور بجسدها المدمى بين ذراعي، ورؤية أصابعها المكسورة  
 مقيدة خلف ظهرها. بكيت لأن الموت لا يليق بها. لكنها تستحق حدادي،  
 وتستحق كل دمعة حبستها.

بكيت على كل مرة شعرت فيها بأنه لا ينبغي لي البكاء. على كل مرة  
 شعرت فيها بأن ذلك يجعلني ضعيفة.

شعرت بهمس الشعر المتساقط ينحدر على ظهري، وبثقل ينزاح عن كتفيّ. وحين ابتعد، سمعت الخنجر يقعق ضد أرضية الكهف. حركت رأسي، مستشعرة الخفة دون تلك الستارة الثقيلة من الشعر التي كانت تنحدر على ظهري. بالكاد لامست الأطراف المقصوصة حديثاً كتفيّ، مدغدغة بشرتي. استقرت يده على ذراعي الآن، تديرني برفق لأواجهه. قاومت مقاومة مثيرة للشفقة، إذ لم أرد أن يراني هكذا. وفي النهاية، سحب يديّ إلى يديه، ملتقطاً آخر زمزمية ممتلئة لدينا من الحقيبة. راقبته وهو يستخدم أسنانه لتمزيق المزيد من القماش من التنورة قبل أن يسكب كمية ثمينة من الماء على يديّ الملطختين.

جلس بصمت، يغسل الدماء عن يديّ. كانت لمستة رقيقة، وكأنني رقيقة، لست هشة. وكأنه يعاملني بعناية لأنني أستحق ذلك، وليس لأنني بحاجة إليه. مرر القماش على راحتيّ، وبين أصابعي، ممضياً وقتاً إضافياً حول أظافري. ولم يضع القماش وينظر إليّ إلا حين أصبحت يداي نظيفتين تماماً. كل ما يفعله مقصود، نوع من الحميمية لم أشعر به من قبل. مجرد كوني محاطة بكل هذه الرعاية جعل دمعة أخرى تتدحرج على خدي قبل أن أتمكن من إيقافها. وكان هذا كل ما تطلبه الأمر ليصطدم بي طوفان المشاعر مجدداً. كنت أكاد أختنق بدموعي، وأنفاسي متقطعة. همس:

– «هسس. أنتِ بخير.»

مد يده نحو وجهي، ناوياً مسح الدموع من عليه. هزرت رأسي متراجعة:

– «لا، لا أريدك أن تراني هكذا. لا أريدك أن تمسح دموعي.»

أوماً ببطء، مستوعباً كلماتي:

– «حسناً. إذن لن أفعل.»

وجدت يده طريقها ببطء إلى يدي من حيث تستقر في حضني. راقبت في حيرة وهو يلتقطها ويرفعها نحو فمه.

أفلتت دمعة أخرى من عيني حين لامست شفاته وسادة إبهامي.

كان الفعل صغيراً جداً، ومع ذلك كان يحمل دلالة كبيرة. والآن بعد أن عرفت المعنى الكامن وراءه، ابتلعت ريتي أمام استعداده لمشاركتي شيئاً بالغ الخصوصية كهذا.

لكنه أخذ ذلك الإبهام بعدئذ ووجهه نحو خدي ليمسح دمعة من هناك. ثم سحبه عائداً إلى شفتيه، مقبلاً إياه مجدداً قبل أن يستخدمه لمسح دمعة أخرى من دموعي. تمت:

- «أنت قوية بما يكفي لمسح دموعك بنفسك، لكنك أعند من أن تسمح لأحد بالاعتناء بك.»

واصل تقبيل إبهامي، مساعداً إياي في مسح كل دمعة تزين وجهي. كانت عيناى منتفختين، ووجهي مبقعاً، لكنه نظر إليّ بتبجيل مخصص للديانات. وعندما قبل إبهامي للمرة الأخيرة، سُحبت إلى بين ذراعيه. ضغط ظهري ضد صدره العاري، وعانقني بقوة رغم جرحه. مررت يد على شعري القصير، وأصابع تلامس عنقي.

همست واضعة يدي على الذراع الملتفة حول خصري:

- «شكراً لك.»

أسند رأسه على رأسي:

- «هل تشعرين بتحسن؟»

صمتت، مفكرة في سؤاله:

- «للمرة الأولى منذ فترة طويلة، أشعر أن هذا الاحتمال وارد.»



## الفصل 42

# كبريت

**لم** تطأ قدمي البرج الغربي منذ زيارتي لتلك الفتاة الصغيرة التي شغلته ذات يوم.

ترقد في مكانها الآن امرأة. ملكة. وأم - ربما لي أنا أيضاً إلى حد ما -  
أسرع الخطى عبر السجاد الوثير، مكتفياً بتجنب النظرات الفضولية  
الكثيرة التي تلاحقني. يبتسم الخدم بأدب؛ بينما يحدق جنود الإمبراطورية في  
ارتياب. أسترق النظر إلى إحدى النوافذ الكثيرة التي تصطف على طول الممر،  
محاولاً لمح انعكاسي.

وبدلاً من ذلك، تتعثر قدمي. يجف حلقي، وتغيم رؤيتي.

لم أزر قبره بعد. لم أجبر نفسي بعد على التحديق في بقعة التراب التي  
دُفن تحتها.

تمتد المقبرة الصغيرة وراء النافذة، قابعة في زاوية حميمة من القلعة.  
لعقود من الزمن، أسند ملوك وملكات ونسلهم إلى ماثوهم الأخير تحت العشب  
الناعم. وتستقر أحجار منحوتة فوق كل قبر، لتشير إلى الجسد المتحلل الذي  
يرقد بالأسفل.

أتنفس بصعوبة، وتصلصل الأنفاس في صدري.



توخز عدة أزواج من العيون المترقبة بشرتي، فأعتدل في وقفتي عند  
الشعور بها. لأنني ملكهم. لست مجنوناً. ولن أثير جلبه.

أنتزع عيني بصعوبة من التراب المقلوب حديثاً الذي يبتلع والذي الآن،  
وأُسرع خطاي في الممر.

رأس مرفوع. ظهر مستقيم. وعينان صافيتان.

في الأيام التي تلت محادثتي الكاشفة مع جايل، زرت شجرة الصفصاف  
واعتذرت لـ آفا لتفويتي عيد ميلادها. بحق الجحيم، لقد اعتذرت عن أشياء  
أخرى كثيرة. لعلي بدوت كملك مجنون تماماً وأنا أتمتم للجذور الملتوية تحت  
قدمي.

حينها وجدني كالوم، وذكّرني بقواعد الباء الثلاث. عند تلك الفكرة، أدس  
يدي في جيبي، لأجد الصندوق البارد تحت أصابعي. أتمرر إبهامي على المخمل  
شارد الذهن، مسترجعاً التوجيهات التي قدمها كالوم والتي كنت في أمسّ  
الحاجة إليها.

قال:

– «تصرّف كملك، حتى لو لم تشعر بذلك تماماً بعد. من أجل خطتك،  
ومن أجل شعبك.»

ألتف حول الزاوية، لأجد ممراً آخر يعج بالعيون المتلصصة. أحكم  
قبضتي على الصندوق، مستمداً الشجاعة من قواعد الباء الثلاث التي يمثلها.  
أزفر بقوة، وأسير بخطى ثابتة وسط حشد الخدم والإمبراطوريين.

رأس مرفوع. ظهر مستقيم. وعينان صافيتان.

لا أملك الفرصة لأتساءل عما إذا كنت أبداً ملكياً بما يكفي قبل أن أقف  
تحت بئر السلم المظلم الذي يصعد نحو البرج الغربي. هذا الجناح من القلعة  
مخصص للمستوصف – أو ما يُعرف بغرفة العزل –.

تنن الدرجات تحت قدمي، محتجة على وزني. الصعود عبر هذه الطوابق  
المتعرجة المتعددة يجعلني ألهث بسرعة.

اللعة، هل تراجعت لياقتي البدنية إلى هذا الحد؟

أفترض أن افتقاري إلى قوة التحمل لا ينبغي أن يكون صادمًا بعد أن حبست نفسي في دراستي لفترة طويلة. لكنني ألهث بشدة بحلول الوقت الذي أصل فيه إلى الباب المتهاك في أعلى الدرج. أرفع قبضتي، متأهبًا للطرق على الخشب. أتردد.

هناك سبب لعدم زيارتي للملكة حتى الآن. إنها أُمي بالاسم فقط، وأعتقد أن جزءًا مني لطالما مقتها لعدم كونها المرأة التي ماتت وهي تنجبني. لعدم كونها المرأة التي أستमित رغبةً في لقائها.

لكن والدي أحبها كثيرًا، وهي بادلتة الحب. وهذا هو السبب في مرضها الشديد في المقام الأول - الحزن - . على الأقل نتشارك في هذين الأمرين. إلى أن أجد الشجاعة لمواجهة قبر والدي، سأجلس بجوار فراش احتضار زوجته.

أطرق الباب. ينفتح على مصراعيه.

تستقبلني نظرات مصدومة من العديد من أطباء البلاط. لم يكلفوا أنفسهم عناء سؤالي عن سبب مجيئي؛ فمريضة واحدة فقط تشغل هذا البرج. في غضون ثوانٍ قليلة، أقاد عبر الغرفة، متجاوزًا أسرة مرتبة يغطيها الغبار.

لم يصعد أحد إلى هنا منذ سنوات.

حتى عندما كنت أنا وكاي نمزق بعضنا في حلبة التدريب، كان إيلي يعالج إصاباتنا على عجل في غرف نومنا. لأن هذا الجناح من القلعة مخصص للجروح التي تغوص أعمق بكثير مما يمكن لأي معالج أن يصل إليه.

تقع عيناى على سرير محدد قابع في الزاوية؛ ملاءاته مطوية بعناية. أتساءل في قرارة نفسي عما إذا كان كاي قد رأى ذلك السرير دون أن يشغله جسد آفا.

نادى صوت:

– «كيت!»

أنتزع عيني من السرير، لأجد عينين بنيتين تشعان دفناً برؤيتي.  
قلت محاولاً رسم ابتسامة:

– «جاكس، لم أكن أعلم أنك هنا.»

الابتسامة التي بادلني إياها كانت أكثر إشراقاً بكثير من ابتسامتي،  
متباينة مع بشرته الداكنة.

أجاب:

– «لم أكن أظن أنني سأراك هنا. أو، في أي مكان آخر.»

أراقب الحزن وهو يرتسم على ملامحه، وأتوق بشدة لمحوه.  
قلت:

– «أعتذر عن ذلك يا جاي. كنت مشغولاً أكثر من المعتاد.»  
أوماً برأسه، متململاً على أطرافه النحيلة.

قال:

– «أجل، أدرك ذلك.»

ثم ألقى نظرة سريعة على السرير المشغول خلفه وتابع:

– «لقد كانت تسأل عنك.»

تنحنحت قبل أن أسأل:

– «هل تأتي إلى هنا كثيراً؟»

أوماً برأسه، وبدا عليه الخجل.

أجاب:

– «كل يوم تقريباً. أنا... أنا مدين لها بذلك. إنها من كفلتني بعد أن...

والداي...»

أومئ برأسي عندما يتلاشى صوته، غير محتاج لأن يذكرني بتحطم سفينة والديه في المياه الضحلة. فجأة أتحنح مجدداً، شاعرًا ببعض الحرج. ثمة شيء تغير بيننا، وتركني هذا التحول فاقداً للتوازن بشكل غريب. أفترض أن هذا خطئي. أنا الوحيد بيننا الذي تغير. الوحيد الذي أصبح الآن ملكاً.

قال جاكس ببطء:

– «حسناً، أظنني سأتركك معها.»

استقرت يدي على كتفه عندما بدأ يبتعد.

قلت:

– «بحق الطاعون، هل يزداد طولك شبرًا كل يوم منذ آخر مرة رأيتك

فيها؟»

نبرتي المازحة، تلك اللمحة من الأمير الذي نشأ معه، جعلت ابتسامة عريضة ترسم على وجهه.

رد قائلاً:

– «قريبًا جدًا سأنظر إليك من أعلى يا كيتي.»

قلت بنبرة ذات مغزى:

– «آوه، أمل ألا يحدث ذلك، لأنني حينها لن أتمكن من فعل هذا.»

أمد يدي إلى الأمام، وألف ذراعي حول رقبته قبل أن أعبث بشعره

القصير بيدي الحرة.

يضحك بتلك الطريقة الصببانية التي افتقدتها. ضحكة بريئة وعفوية. بعد

أن يفلح أخيرًا في تخليص نفسه من ذراعيّ، يقف أمامي مشرقاً. هذا المشهد

يقبض صدري متذكرًا كيف كانت الأمور في السابق.

لكن ربما لا يزال هناك أمل في السعادة في المستقبل.

بعد أن تمكن من بعثرة شعري، يخطو جاكس عدة خطوات واسعة وينسل خارج الغرفة بضحكة. أهز رأسي وأرتب خصلات شعري الأشقر، ثم أحول انتباهي نحو المرأة التي تراقبني بالفعل.

يبدو شعرها الأسود الذي كان أملسًا ذات يوم باهتًا وهو متناثر على الوسادة البيضاء. عندما أتقدم نحو حافة سريرها، تحاول رسم ابتسامة باهتة.

قالت:

– «مرحبًا يا كيت.»

لم يكن الصوت المنبعث من شفتيها المتشققتين سوى حشرة خافتة. تتأملني عيناها الرماديتان اللتان تشبهان عيني كاي كثيرًا. تتنحج، ويبدو صوتها أقوى وهي تقول:

– «سمعت أنك لم تكن بخير مؤخرًا.»

ابتسمت بحزن وأنا أقول:

– «يمكنني قول الشيء نفسه عنك.»

عندما أجلس على الكرسي الصلب بجوارها، تمد يدها لتمسك بيدي، وتقبض عليها بقوة تفوق ما تخيلت قدرتها عليه.

قالت:

– «مجرد شائعات سخيفة إذن، أليس كذلك؟»

ابتسمت، فبادلتها الابتسامة قائلاً:

– «أجل، مجرد شائعات.»

تغيرت ملامحها فجأة إلى الجدية، وقالت بهدوء:

– «لم أكن أظن أنك ستأتي لرؤيتي.»

أطبقت شفتي وأنا أومئ برأسي قليلاً.

قلت:

– «لأكون صادقاً، لم أكن أظن أنني سأفعل ذلك أيضاً.»  
ابتسمت بحزن وقالت:

– «لا أستطيع لومك. لم أبذل جهداً كبيراً لبناء علاقة معك.»  
ترقرقت الدموع في عينيها الرماديتين وهي تتابع:  
– «وعلى ذلك... أنا آسفة.»

أبتلع ريقه، غير متأكد مما يجب أن أقوله. لحسن الحظ، استأنفت حديثها قبل أن أضطر لاختلاق أي رد.  
قالت:

– «بحق الطاعون، أنت تشبهه كثيراً.»  
تصطدم عيناها بعينيها. ترفع يداً مرتجفة لتبعد خصلة شعر عن جبهتي.  
قالت:

– «أنت نسخة طبق الأصل منه عندما وقعت في حبه.»  
سألته بلهفة، متوقفاً لمعرفة المزيد عن الرجل الذي اتخذته قدوة:  
– «حقاً؟»

ضحكت، رغم أن ضحكتها بدت متألّمة:

– «حقاً. أتعلم، لم نكن نكنّ لبعضنا الكثير من الود في البداية. كان والدي مستشاراً موثقاً للملك، وعندما توفيت والدتك أثناء ولادتك، كنت الخيار الأسهل أمامه. لم يكن مُلزماً بقضاء أشهر في التودد إليّ.»  
أومأت برأسها وهي تتذكر كل شيء بابتسامة خفيفة.  
تابعت:

– «لم أرغب في الزواج منه. حقاً لم أرغب. كان واضحاً أن كل ما يريده مني هو وريث آخر. لكن شيئاً ما بدأ يزهر بيننا مع مرور الوقت. الحب. كان مختلفاً معي. لطيفاً وحنوناً.»  
التقت عيناها ببطء بعينيّ.

أكملت:

– «والآن، ها أنا ذا. أحتضر لأنني لم أعد أعرف كيف أتنفس بدونه.»

قلت:

– «أعرف هذا الشعور.»

خرجت الكلمات من فمي قبل أن أتمكن من كبها.

همست:

– «أعلم أنك تعرفه. لقد أحببته كثيرًا.»

تهدج صوتي وأنا أقول:

– «أريد فقط أن أجعله فخورًا بي.»

عصرت يدي وقالت:

– «وستفعل يا كيت. ستحكم هذه المملكة من أجله. لقد آمن بك، وأنا

كذلك.»

همست بنبرة بائسة:

– «هل آمن بي حقًا؟»

حدقت بي للحظة طويلة.

قالت:

– «لقد ترك لك رسائل.»

احتبست أنفاسي، وكتمتها وهي تتابع:

– «فقط تحسبًا لشيء... قد يحدث له. الغرض منها هو توجيهك،

وإخبارك بالضبط بما كان يتمناه للمملكة. لم أقرأها بالطبع، لكن ينبغي لك أن

تقرأها. أعتقد أنها في درج مكتبه السفلي. حسنًا، درج مكتبك السفلي الآن.»

لم أكن قد فتحت أيًا من تلك الأدراج بعد، حفاظًا على صحتي العقلية. لأنه

كان من المؤلم جدًا رؤية ريشة كان يمسك بها أو ملاحظة دونها. ولكن الآن...

تنهدت قائلاً:

- «سأجدها. شكرًا لك.»

ابتسمت قائلة:

- «بالطبع.»

وقفت لأغادر. سعلت. فتألمتُ لصوتها.

- «كيت؟»

التفت عائداً نحو جسدها الهزيل وأجبت:

- «نعم؟»

ابتلعت ريقها وقالت:

- «هل ستزورني مجددًا؟ أنت تشبهه كثيرًا.»

احترق حلقي من الغصة.

وأومأت برأسي.



## الفصل 43

# كلامي

**ساقاها** متشابكتان مع ساقِيّ، ورأسها مستقر على صدري حيث ينبض قلبي.

فقدت إحساسي بالوقت، قانعاً باحتضانها حتى يفقد جسدي بأكمله الشعور. لقد غرقنا في صمت يبدو وكأنه الرضا، وهدوء البال. لا أجرؤ على الحراك، خائفاً من إفساد هذه اللحظة، وهي على الأرجح خائفة من عيشها. من الواضح أنها لا تعرف ماذا تفعل بي. لا تعرف ماذا تفعل بي بسبب ما أفعله بها.

نحن الآن على بُعد يوم واحد من إيليا. على بُعد يوم واحد من تسليمها إلى كيت - الملك - ليفعل بها ما يشاء. ولم أعد أعرف حقاً ما الذي يستطيع كيت فعله بعد الآن. بل إنني لا أعرف كيف سيكون رد فعله عندما أطلعه على المذكرات، والوثائق التي كتبها معالج لم يستطع الملك رشوته.

على الأرجح لن يصدق ذلك. بحق الجحيم، أنا نفسي لست متأكداً مما يجب أن أصدقه.

لقد عشت حياتي بأكملها مؤمناً بأن العاديين مصابون بمرض وأنهم يحكمون علينا جميعاً بالهلاك. لكن هذه الكذبة تتوافق مع شخصية والدي،



ومع تعطشه للسلطة والسيطرة. ناهيك عن عدد العاديين الذين عاشوا بيننا لعقود من الزمن دون أن يكون لهم أي تأثير ملحوظ على قدراتنا. تبدو وكأنها كذبة واضحة وضوح الشمس، حين لا تكون قد عشتها طوال حياتك.

تتململ في حضني، ضامة ساقها إلى صدرها. يخطف بصري وميض أحمر، فأمد يدي لأمسك بساقها. كادت تحتج عندما رفعت رولة ساقها نحوي لأرى بنطالها الممزق والجرح الذي خلفه سهم تحته. سألتها بهدوء:

– «لماذا لم تخبريني بهذا؟»

جاء صوتها متصلباً كجسدها:

– «لأنه مجرد خدش.»

– «إنه ينزف.»

تنهدت قائلة:

– «لا، لقد نزف. وكنت أقوم بعمل رائع في تجاهله حتى فتحت أنت

الموضوع.»

تحركت بحيث أتمكن من رؤية وجهها الذي ازداد شحوباً في الضوء الخافت وهي تحرق في الدم الجاف. أمسكت بتنورتها الممزقة واقتطعت منها شريطاً قماشياً آخر. ثم رفعت ساقها بحذر فوق ساقي قبل أن أشمر ما تبقى من قماش بنطالها.

أشعر بعينيها تتفحصان وجهي بينما أربط شريط التنورة حول الجرح، وألفه بإحكام قبل أن أعقده.

قلت ببساطة:

– «انتهينا، الآن لن تضطري للنظر إليه.»

نجحت في رسم ابتسامة صغيرة وهي تقول:

– «شكراً لك.»

ارتجفت شفتاي بابتسامة خفيفة وأنا أقول:

– «هذه هي المرة الخامسة التي تشكريني فيها الآن. يبدو أن نطق هذه الكلمة أصبح أقل ألمًا بالنسبة لك.»

سخرت قائلة:

– «ماذا؟ هل تحصيها الآن؟»

– «لم أكن لأفعل لولا أنها عملة نادرة.»

هزت رأسها محاولة إخفاء ابتسامة وهي تنظر إليّ. الشعر القصير يليق بها. على الرغم من أنني واثق من أن القليل فقط من الأشياء لا يليق بها. لكنني أحبها هكذا – بشعر فوضوي وشففتين تسارعان إلى الابتسام لي –.

لا تزال ساقها ممددة على ساقِي، مما يجبرها على الجلوس بميل. أتأملها للحظة طويلة قبل أن أقول:

– «كانت أدينا، أليس كذلك؟»

انقبض كل شيء فيها عند ذكر صديقتها.

سألت:

– «ما بها أدينا؟»

قلت بنبرة هادئة:

– «الدم. لم تكن لديك مشكلة معه من قبل...»

قالت بفضافة:

– «قبل أن تموت. هناك شيء في أن تتلطح بدماء من تحبهم – أكثر من مرة – يجعلك غير قادر على تحمل رؤيته، أو الشعور به، أو شم رائحته. أعتقد... أعتقد أن دماء أدينا كانت القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لي.»

أومئ برأسي، متفهمًا ذلك بطريقتي الملتوية. تتجول عيناها عليها، مستوعبًا تلك القوة التي تعجز هي عن رؤيتها. نظرتها الثاقبة بدورها تجوب وجهي، رغم أنني أشك أنها ترى أي قوة فيه. ربما ترى خطيئة. أو ولاء في أحسن الأحوال.

قالت بصوت مبتهج مخادع:

– «يجب أن نتحرك، أليس كذلك؟ لا ينبغي لنا أن نجعل الملك ينتظر أطول من اللازم.»

أعرف تلك النبوة. إنها تستخدمها في كل مرة يُثار فيها الحديث عن إعادتها إلى إيليا.

وهو واجبي. إعادتها إلى إيليا هو واجبي.

فكت تشابكها معي ونهضت من حجري لتدس كل شيء في حقيبتها. حشرجت السلسلة عندما وقفت على قدميها، ليكون الصوت تذكيرًا مستمرًا بما أفعله بها.

تبعتها، ساحبًا القوس بحذر فوق كتفي السليم. أسترق النظر، لأجد

بصرها مثبتًا على الأرض، وعينيها متسعيتين بالمشاعر. أتتبع خط بصرها لأرى الخنجر ملقى بجوار ما كان ذات يوم ضفيرتها الفضية الطويلة.

يبدو الأمر وكأنها تركت نسخة من نفسها على أرضية هذا الكهف، شبحًا

آخر يهيم في ملاذ الأرواح. أنحني لألتقط خنجرها، شاعرًا بـ الفولاذ اللولبي الفضي يضغط على راحة يدي. يا له من أمر غريب أن أحمل سلاحًا يحمل هذا الكم من التاريخ في يدي.

سألت بفتور:

– «لن أستعيده أبدًا، أليس كذلك؟»

بدأت أتوجه نحو فم الكهف الفاجر، وأنا أعدها قائلاً:

– «في يوم من الأيام.»

– «ادفنه معي، هل تفعل؟»

كلماتها جعلت جسدي يتصلب، واستغرقتني الأمر كل أوقية من قوتي لتجاهلها. عندما نخطو إلى الخارج، تستقبلنا شمس أواخر فترة الظهيرة. كان الطريق صخريًا بما يكفي ليهز كتفي ويمدد الجرح الذي ينبض بالألم أصلًا،

مما يجعلني أخشى كل خطوة. مشينا في صمت مريح لفترة طويلة قبل أن تكسره قائلة بعفوية:

- «أنت تتألم.»

- «أوه، هل أنا كذلك أيتها المتبصرة الصغيرة؟»

بدت غير مستمتعة بالمزحة إلى أن قالت:

- «دعنا نقول فقط إنني أصبحت بارعة جداً في قراءة لغة جسدك.»

ضحكتُ بخفوت لسماع كلماتي تُرد إليّ.

- «هكذا نفذت خدعة المتبصرة الصغيرة خاصتك، أليس كذلك؟ كنتِ

تقرأين الناس.»

أومأت برأسها قائلة:

- «هذا هو جوهر الأمر. يبدو أسهل بكثير مما هو عليه في الواقع، لأكون

صادقة. يستغرق الأمر سنوات لبرمجة عقلك على ربط التفاصيل معاً في

غضون ثوانٍ.»

تنهدت قائلاً:

- «أصدق ذلك. لقد كنتِ - وما زلتِ، على ما أظن - مقنعة جداً.»

شعرت بنظراتها تتفحص وجهي.

- «إنن، ألم تشك يوماً في... قدرتي؟»

ضحكت بخفة.

- «بالطبع فعلت. هذه هي وظيفتي نوعاً ما.»

هزرت رأسي، وأنا ألقى نظرة على السماء الزرقاء فوقنا.

تابعت:

- «لكنك كنتِ تشكّين الانتباه. كان الأمر يبدو وكأنني في اللحظة التي

أفكر فيها في قدرتك، تفعلين شيئاً لتحويل أفكارني في الاتجاه الآخر. وما زلتُ

أكتشف قدرات جديدة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالعاديين. لذا، لم يبدُ وجود متبصرة أمرًا بعيد الاحتمال.»

ابتسمت بغرور وقالت:

– «أنا بارعة جدًا في ما أفعله.»

– «لا تصابي بالغرور يا عزيزتي.»

استدارت لتنظر إليّ بالكامل، وملامحها خالية من أي تعبير.  
قالت:

– «لديك بثرة في باطن قدمك اليسرى.»

انخفضت عيناها إلى لحييتي الخفيفة التي بدأت تنمو على فكي.  
تابعت:

– «أنت لا تطلق لحييتك لأنك تكره ملمسها. و... كنت ترتدي خاتمًا في

القلعة، لكنك خلعتة قبل أن تأتي للبحث عني.»

أهز رأسي محققًا في الأرض، باذلاً قصارى جهدي لإخفاء دهشتي.  
قلت:

– «لقد كشفت أمري يا جراي. كل هذا يبدو صحيحًا.»

أقبض يدي وأبسرها كما أفعل دائمًا منذ مغادرتي القلعة.

أكملت:

– «لقد كان خاتم المنفذ هو ما كنت أرتديه. شيء ضخم ومبهرج لست معتادًا عليه. كان ملمسه بين أصابعي يزعجني. لذا اعتبرت المهمة عذرًا جيدًا لخلعه.»

أسترق النظر لأجدها تحديق في الخاتم الذي تديره حول إبهامها. سخرت عند رؤيته.

قالت:

– «طوال حياتي كنت أظن أن هذا الخاتم يمثل زواج والديّ، لا غرباء.»

قلت بحزم:

– «لقد كانا والديك. رابطة الدم لا تعني الحب. جاكس هو أخي تمامًا مثل كيت، رغم أننا لا نتشارك نفس الوالدين.»  
أومأت برأسها، متفهمة لكن غير مصدقة تمامًا. تمكنت من إخراج ضحكة ضعيفة.

قالت:

– «هذا منطقي. كل هذا منطقي. أنا ابنة والدين عاديين لم يرغبوا في تحمل مسؤوليتي. لهذا السبب أنا لست هجينة. أعتقد... أعتقد أنني لم أفكر في الأمر قط حتى الآن.»  
قلت ببساطة:

– «ولماذا قد تفعلين ذلك؟ عندما يحبك أب، لا تشعرين بالحاجة للبحث عن أب آخر.»

أومأت برأسها وصمتت. كانت الشمس معلقة فوقنا، وتلفح مؤخرة عنقي بحرارتها. لم أتفوه بكلمة عن كتفي المؤلم أو البثرة الحارقة التي تعرف هي بوجودها بالفعل والتي تحتك بحذائي.

سرنا في صمت مريح لمدد طويلة مما تبقى من الطريق. التهمنا آخر ما تبقى من خبزنا الجاف بسرعة ودفعناه برشقات من الماء الدافئ.

عندها بدأت الأرض تستوي، وظهرت خصلات العشب من حولنا.

أظلل عيني بيدي، وأضيق جفني في مواجهة شمس الغروب، ملاحظاً بساط الخضار الذي نتجه نحوه.

كسرت حاجز الصمت قائلاً:

– «لقد شارفنا على الحقل.»

أستطيع بالفعل رؤية أبراج القلعة تلوح في الأفق.

قالت:

– «رائع. المحطة الأخيرة قبل إيليا.»

ها هي تلك النبرة تعود مجددًا.

تنحنحت وسألت:

- «هل سبق لك أن زرتِ الحقل؟»

أجابت:

- «بالنظر إلى أنه قريب من القلعة - ولم أكن قريبة من هناك أبدًا حتى

موعد التصفيات - فلا، لم يسبق لي أن رأيت الحقل.»

رمقتها بابتسامة وأنا أقول:

- «جيد. سأكون أول من يرى رد فعلك.»

تدلى فكها مندهشة، تمامًا كما توقعت.

حملقت وهي تسرع خطاها على التراب سائلة:

- «ما... ما هذا؟»

- «هذا هو الحقل.»

صفعتني يدها على معدتي. وابتسمت بلطف وكأنها لم تقطع أنفاسي للتو

وهي تقول:

- «أعرف ذلك أيها الذكي، أنا أتحدث عن الأزهار.»

اعتدلت في وقفتي، واضعًا يدي على معدتي وأنا أهدق في بحر اللون

الأحمر الزاهي. تتداخل كل بتلة مع الأخرى، لتصنع بطانية من الألوان تدفئ العشب أسفلها.

ابتسمت عندما رأيت التعبير المرتسم على وجهها، وقلت:

- «شقائق النعمان.»

رمشت بعينيها وقالت:

- «لم أرَ زهرة بهذه النصاعة من قبل. إنها برتقالية وحمراء وتملاً

المكان.»

لم أستطع إبعاد عيني عنها.

– «إذن؟ ما رأيك؟»

نظرت إليّ بابتسامة مقلقة وقالت:

– «أعتقد أنك تبطئ مسيرتي.»

وما إن كادت الكلمات تخرج من فمها، حتى استدارت وانطلقت بخفة نحو الحقل. بالكاد تمكنت من بدء الركض قبل أن تحاول السلسلة شدي وإسقاطي على الأرض. راقبتها وهي تفتح ذراعيها لتعانق الرياح بينما تلامس حذاؤها حافة الحقل.

لم أرها بهذا القدر من الانطلاق والتحرر منذ اليوم الذي تبعتها فيه تحت المطر، وقطفت لها أزهار لا-تنسني لأضعها خلف أذنها. رؤيتها تستمتع بالحياة يجعل للنجاة في حياتي قيمة فجأة.

نادتني بينما كانت شقائق النعمان تلتف حول ساقها مع كل خطوة:

– «حاول على الأقل أن تجاريني! أعتقد أن لياقتك تراجعت يا آزر!»

ضحكتُ وأنا أقترُب منها:

– «أحقاً؟»

أدركت ما يحدث بعد فوات الأوان.

أفلتت صرخة من شفتيها عندما اعترضت طريقها، وانحنيت لأمسك بساقها وأرفع جسدها بالكامل فوق كتفي السليم. عضضت لساني لأكتم لسعة الألم التي لا تزال تسري في جسدي، لكن صوت ضحكتها كان شافياً، قادراً على جعل الرجل ينسى اسمه، ناهيك عن ألمه.

ضحكت وهي تضرب ظهري وتلوح بذراعيها عشوائياً:

– «ماذا تفعل؟»

دُرت بنا في دوائر وأجبتها:

– «أريك مدى تراجع لياقتي البدنية.»

كانت تضحك كفتاة لم تضطر للبكاء على والدها وصديقتها المقربة.  
كفتاة لم تكافح من أجل البقاء، ولم تسرق عندما كانت تتضور جوعاً. كفتاة  
غير مقيدة بسلسلة إلى رجل من المفترض أن تكرهه.  
ثمة جمال ساحر في هذه الصلابة، في القدرة على الضحك رغم كل شيء.  
قالت وهي تلهث:

– «حسنا، لقد وصلت الفكرة. يمكنك إنزالي الآن.»

قلت بابتسامة لا تستطيع رؤيتها:

– «لكنني أمنحك أفضل إطلالة على الأزهار.»

جاء صوتها مكتوماً قليلاً:

– «لا، أنت تجر رأسي وسط الأزهار.»

ضحكتُ، وانحنيت لألف ذراعي حول ظهرها وأقلبها عن كتفي. أنزلتها  
ببطء إلى الأرض، ومددتها بحيث تحيط بها الأزهار وهي تبسم لي.

تسكب شمس الغروب أشعتها الذهبية على وجهها، وتتوهج عيناها  
الزرقاوان بسطوع في مواجهة الأحمر النابض لشقائق النعمان. من الصعب  
تصديق أن شيئاً بهذا الجمال يحدق برغبته في شخص مثلي.

أشعر بأنني لا أستحق نظراتها، ولا الطريقة التي تتجول بها عيناها على  
وجهي. هزرت رأسي وأنا لا أزال أنظر إليها من الأعلى.

قلت:

– «لا تنظري إليّ هكذا.»

سألت برقة:

– «كيف؟»

– «وكأنني أستحق أن تقع عينك عليّ.»

رفرفت أهدابها عند سماع كلماتي. ابتلعت ريقها، ورفعت يدها لتحيط  
بوجهي. أغمضت عينيّ مستسلماً لملمس راحتها على بشرتي، لهذا الامتياز  
بأن تلمسني.

همست:

– «هل ترقص معي؟»

تخطى قلبي خفقة عند سؤالها الخجول.

فتحت عيني لأجد عينيها مثبتتين على وجهي، تمنحني تلك النظرة التي لا أستحقها.

أجبت:

– «لوقت الذي ترغبين فيه يا عزيزتي.»

ساعدتها على النهوض قبل أن أوجه ذراعيها حول رقبتني. استقرت يداي على خصرها، وأمسكت بها بقوة بينما أرفع قدميها لتستقرا فوق قدمي. شهقت متفاجئة قبل أن ترسم ابتسامة على وجهها، وتتغلغل أصابعها في شعري. أتمايل وجسدها مضغوط على جسدي. تتجول يداي على ظهرها، غير معتادتين على ملمسه دون ستارة شعرها الثقيلة. أميل برأسي نحو رأسها، متأملاً الفضة المتناثرة التي تتساقط على كتفيها.

أرجعت خصلة مموجة خلف أذننها، ومررت أصابعي على طولها القصير.

سألتها:

– «ألا تشعرين بالندم؟»

هزت رأسها بابتسامة حزينة وأجابت:

– «لا.»

غمغمت قائلاً:

– «جيد. لأنني لطالما كان لي ولع بالشعر القصير.»

ضحكت وأنا أتمايل بنا في دائرة:

– «أوه، حقاً؟»

– «هذا صحيح. إلى جانب أشياء أخرى بالطبع.»

هزرت كتفي وتابعت:

- «شعر قصير. عينان بلون المحيط. ثماني وعشرون نمشة. و...»  
توقفت، متأملًا إياها بإمالة من رأسي:

- «كم يبلغ طولك؟»

رمشت في حيرة وأجابت:

- «أمم، حوالي خمسة أقدام ونصف؟»  
أكملت بنبرة هادئة:

- «خمس أقدام ونصف. القدرة المرعبة على تلقين أي رجل درسًا قاسيًا. ابتسامه مذهلة. عناد لا يُصدق. شعر كالفضة المذابة. وسرعة في تهديدي بخنجر.»

ابتسمت وأنا أنظر إليها من الأعلى:

- «هل أكمل؟»

حمل صوتها تحديًا، رغم أن وجهها كان يرتدي ابتسامه:

- «ما التالي؟ أغنية غزلية باسمي؟»

سحبته إليّ أكثر، ويدي مستقرة في انحناء خصرها.

قلت مقتربًا حتى تلامست جبهتنا:

- «أليس الشعراء مجرد حمقى يملكون كلمات منمقة؟ أعتقد أنني

أستوفي الشروط يا عزيزتي.»

ضحكت بخفوت، ناظرة إلى الأسفل نحو الأزهار التي تحتشد حول ساقينا. نتمايل في مشهد الغروب، وحذاؤها فوق حذائي، وحقل من الأزهار يشهد علينا.

راقبت نظرتها وهي تتسلق وتعبّر بحر البتلات الممتد نحو السماء. لست بحاجة لإدارة رأسي لأعرف ما الذي تنظر إليه.

قالت بهدوء:

- «الليلة الماضية.»

رددتُ كلماتها:

– «الليلة الماضية.»

أومأت برأسها، وطوّقت ذراعيها حول رقبتي بقوة أكبر.

– «إذن قد يكون من الأفضل أن نستمتع بهذا طالما أنه مستمر.»

تمايلنا في صمت حتى همست:

– «ادعاء، أليس كذلك؟»

ابتلعت ريقِي، كارهاً وقع الكذبة التي تنزلق من على لساني.

– «ادعاء.»



## الفصل 44

# بيكان

نجلس على فراش من اللون الأحمر، من ذلك النوع الحلو والناعم، وليس  
المثير للغثيان واللزج الذي اعتدت عليه.

أمد ساقِيّ المؤلمتين أمامي، شاعرة بالبتلات تدغدغ بشرتي. مشينا  
مسافة أطول بكثير عبر الحقل بعد أن أنهينا رقصتنا، وأرجح أن أصابع قدمي  
كاي قد تخدرت داخل حذاءه. أبقيت ظهري موجهاً نحو القلعة التي أصبحت  
الآن قريبة جداً، مفضلة تجاهل الموقف المحتوم.

قال:

– «كيف بحق الجحيم فعلت ذلك؟»

تسلل إحباط كاي إلى صوته، وهو شيء أنا متأكدة من أنه غير معتاد  
على السماح بظهوره. كان يستلقي على جانبه، مستنداً على كوعه بينما  
يتصارع مع سيقان شقائق النعمان. شخرت ضاحكة عند رؤية ما يُفترض أن  
يكون تاجاً من الزهور، وأنا أراقبه ينهار بين يديه.

أوماً برأسه نحو التاج شبه المكتمل في حجري وسأل:

– «كيف لا ينهار تاجك؟»

قلت ببطء:



– «ربما لأنني أصنعه بالطريقة الصحيحة.»

ال نظرة الفاترة التي رمقني بها جعلت ضحكة تندلع من حنجرتي. تنزلق البتلات من بين أصابعه وهو يتخبط لربط السيقان معاً. تتم تحت أنفاسه قائلاً:

– «أستطيع التلويح بسيف بكلتا يديّ، لكنني لا أستطيع جعل هذه الأزهار اللعينة تتماسك.»

أجبت وأنا ألفت الزهرة الأخيرة في مكانها:

– «لأكون منصفة، لدي الكثير من الخبرة. اعتدت أنا وأدينا صنع هذه التيجان طوال الوقت من زهور الهندباء.»

جلب هذا خاطر ابتسامة حزينة على وجهي وأنا أتأمل عمل يدي. وضعت التاج على رأسه، وعدلته فوق خصلات شعره السوداء المتموجة.

– «تفضل. لقد عدت أميرًا.»

ابتسم، فشتت انتباهي بغمازتيه. استلقيت على جانبي، مقلدة إياه حيث استندت على كوعي ونظرت إلى التاج. تتباين الأزهار الزاهية مع كل تفصيلة من ملامحه، لتبدو ناعمة ورقيقة في حين أن بقية تفاصيله ليست كذلك على الإطلاق.

– «إليك هذه.»

سحب زهرة نصف مسحوقة من يده. ولامست أصابعه شعري وهو يضع الساق خلف أذني.

– «تظاهري بأنها زهرة لا-تنسني.»

ومضت ليلة الحفلة الراقصة الأخيرة في ذهني، ومعها ذكرى قبلة كدنا نتبادلها. ومجرد التفكير في أننا تشاركنا الآن أكثر من ذلك، في حين أننا من المفترض حقاً أن نكون أعداء.

تمتمت وأنا أتأمل وجهه:

– «نحن بارعان جداً في الادعاء.»

فتح فمه، وكأنه على وشك تحرير كلمات كان يحبسها في داخله.  
 لكن عينيه انزلقتا على طول عنقي، متتبعتين انحناءة كتفي المكشوف.  
 أصبح القميص الواسع وحمالة الصدر الفردية يتدليان الآن بشكل فضفاض  
 على ذراعي بسبب استلقائي على جانبي بطريقة غير رشيقة.  
 ضاقت عيناه، وبدتا كشظايا من الجليد بينما راحت عاصفة تتشكل  
 داخلهما.

تعثر القلب الذي ينبض تحت نظراته لإدراكي ما يراه. اعتدلت في جلستي  
 بسرعة، وسحبت القميص عائداً فوق كتفي. ضغطت بيدي على القماش، لأتأكد  
 من أنه يغطي الفوضى المشوهة تحته.

جاء صوته بارداً:

- «جراي، ما هذا بحق الجحيم؟»

هزرت رأسي وأنا أمقت طريقتي في الانكماش والهروب.

- «لا شيء.»

قال بهدوء خادع:

- «إن ذن دعيني أرى.»

مد يده نحوي، ولم أتردد لحظة قبل أن أصدها بساعدي.

ارتفعت عيناه لتلتقي بعيني. مرت نبضة قلب قبل أن يسأل:

- «ماذا كان هذا؟»

أجبت ببرود:

- «تلك كانت صدفة. هل ترغب في أن أعرض لك لكمة؟»

ضحك بلا مرح وقال:

- «أنت لا تتحدثين بجدية.»

- «جربني.»

هز رأسه، وقد ارتسمت الحيرة على ملامحه. وعندما مد يده مجددًا نحو كم قميصي، دفعت يده إلى الأسفل قبل أن أرسل قبضتي الحرة طائفة نحو معدته.

صدها بسهولة، وترك عينيه تتسلقان ببطء لتلتقيا بعيني.

- «هل تحاولين حقًا مقاتلتي الآن؟»

قلت وأنا أرفع كمّي إلى الأعلى أكثر:

- «يعتمد ذلك على ما إذا كنت ستبقي يديك بعيدتين عني أم لا.»

تنقلت عيناه بين عيني، وخرجت كلماته في همس:

- «ماذا فعل بك؟»

جعلني ذلك السؤال أخرج كل ذرة غضب مكبوتة إلى السطح في شكل لكمة سريعة نحو فكه. بالكاد تمكنت من خدش جانب وجهه بمفصل إصبعي قبل أن يتفادها.

كلانا الآن على ركبتيه، نلهث بشدة.

قال لاهتًا:

- «مهلاً، أنا فقط أريد أن أعرف ما حدث -»

لكمة أخرى نحو معدته، تلتها لكمة نحو فكه تمكنت من تسديدها. وعندما تراجعت لأسد أخرى، أمسك بمعصمي قبل أن أتمكن من إحداث المزيد من الضرر.

قال بصرامة:

- «لن أقاتلك. لن أفعل.»

تمزق الإحباط في حنجرتي، ليبدو وكأنه زمجرة. دفعت صدره بيدي الحرة بقوة كافية لجعله يميل إلى الخلف على ركبتيه. وصدمت جسدي بجسده، لنسقط معًا فوق شقائق النعمان وعلى الأرض.

جلستُ معتيةً إياه، ألهث وأنا أنظر إلى القلق الذي يرتديه وجهه.

- «لماذا لن تقاتلني؟»

تهدج صوتي، واحتشدت الدموع فجأة في عيني لتحجب رؤيتي.  
قال برقة:

– «لأنه في المرة القادمة التي أضع فيها يدي عليك، لا أريد أن يكون ذلك سوى للمسمة حانية.»

خفضت رأسي، وأغمضت عيني بقوة في مواجهة طوفان المشاعر الذي يجتاحني. شعرت بيد خشنة على وجنتي فهزرت رأسي رافضة هذه المواساة التي لا أستحقها.  
همس:

– «أرجوك. أريني إياه.»

أطلقت زفرة مرتجفة، وفتحت عيني لأقابل تينك العينين الرماديتين اللتين تنظران إليّ بالفعل. ثم نزلت من فوقه ببطء بينما اعتدل في جلسته، مبتلعة كبريائي لأزيح طبقات الملابس بلطف عن كتفي.

قبلت عظمة ترقوتي نسمة باردة، وكأنها تقدم تعاطفها. لم أشعر بالهواء اللزج على بشرتي منذ أن شق الملك لحمي خارج حلبة الصحن.  
لم تهتز تعابير كاي، وكأنه ارتدى قناعاً خالياً من التعابير. كانت هناك شق، بالطبع. هناك دائماً شق. التقطت ارتعاشة العضلة في وجنته، وانقباض يديه.

سأل:

– «كيف فعلها؟»

حاولت ابتلاع الغصة في حلقي وأجبته:

– «بسيف.»

تنهد عبر أنفه.

تابعت وأنا أرفع ذقني حتى يتمكن من رؤية الندبة المألوفة في الضوء  
الشاحب:

- «بعد أن جر النصل على طول عنقي، أخبرني أنه سيترك وسمه على قلبي، كي لا أنسى أبداً من هو الذي حطمه.»
- اقترب أكثر، وعيناه مثبتتان على الجلد الممزق الذي بدأ يكون ندبة. كان صوته جليدياً، وأرسل قشعريرة في عمودي الفقري:
- «إنه حرف O يرمز إلى: عادي Ordinary.»
- أومأت برأسي وقلت:
- «يرمز إلى -»
- أكمل باشمئزاز:
- «عادي. لقد عذبك، ولم تفكري في إخباري؟»
- قلت وأنا ألوح بيدي في الهواء:
- «وهل كان ذلك ليحدث فرقاً؟ هذا لا يجعلني أقل إجراماً.»
- قال بقسوة:
- «كان سيجعلك أقل دموية. لماذا أخفيت هذا عني؟»
- تلعثمتُ:
- «لأنني... لأنني بالكاد أطيق النظر إلى نفسي! ألا تفهم؟»
- لسعت الدموع عيني، لكنني تابعت:
- «لقد دمرني. شوهني. لبقية حياتي، سأنظر إلى هذه الندبة وأتذكر الرجل الذي كرهته أكثر من غيره. الرجل الذي أمر بقتل والدي. الرجل الذي قتل الأشخاص العاديين مثلي بلا رحمة. الرجل الذي حاول قتلي بنفسه.»
- هزرت رأسي وأنا أنظر إلى أي مكان عداه. وأكملت:
- «لم أستطع السماح لأي شخص آخر بأن يرى كيف وسمني. أن يرى الخراب الذي أحدثه. أنا... لم أستطع وحسب.»
- كان الألم الذي تحمله نظراته أقوى من أن يُحتمل.
- «جراي...»

همست:

– «انطق اسمي. أرجوك.»

أعلم أنه لم ينطق به منذ أن هربنا من السجن. منذ أن أخبرته أنه فقد امتياز مناداتي به. وقد احترمت قاعدتي منذ ذلك الحين.

لكنني أتعطش لسماع صوت اسمي على لسانه. أريده أن يصرخ به من فوق سطح منزل، وأن يهمس به في أذني، وأن يرسمه على بشرتي. أريد أن يتخذ اسمي شكلاً مألوفاً في فمه، متذوقاً طعم شفتيّ.

أريده أن يمتلك اسمي ومع ذلك يتوسل عندما ينطق به. أو ربما أريده هو وحسب.

تسربت المفاجأة عبر قناعه المتداعي قبل أن يغسل الارتياح كل ذلك. ارتفعت ابتسامة مترددة على شفتيه، وكأنني نطقت للتو بأجمل كلمات سمعها في حياته.

لفظ اسمي وكأنه كان على طرف لسانه، ومهموساً في كل نفس يتنفسه:

– «بيدن.»

ثم فتح ذراعيه.

انزلت شهقة هادئة من شفتيّ وأنا أزحف إلى حضنه.

طوقتني ذراعان قويتان قبل أن أذفن وجهي في صدره العاري. مرر يده على شعري القصير، ممسكاً بعنقي وأنا أنتفض بين ذراعيه.

همس في أذني:

– «لم يدمرك يا بيدن.»

جعلني اسم التدليل هذا أذرف دمعة تدحرجت على وجنتي لتسقط على صدره.

أكمل:

– «لكن اعتقادك بذلك يعني أنه، حتى في موته، هو المنتصر. تلك الندبة هي شهادة على قوتك. شهادة على من أنت، وليس ما أنت عليه.»

أومأت برأسي، مكورة جسدي أكثر بالقرب منه. ابتلعتنا الأزهار ونحن  
نجلس هناك في صمت، صانعة جدارًا جميلاً من البتلات. كان جسده دافئاً،  
وذراعه تمنحانني راحة ثقيلة.

جلسنا حتى خيم الظلام علينا، وراحته تداعب شعري طوال الوقت.  
وعندما تدلى القمر منخفضاً فوقنا، وأثقل النعاس جفوني، أراحني برفق من  
حجره ليفرد فراش النوم.

كاد أن يحملني ليضعني عليه قبل أن يستلقي بجواري، وكتفه تلامس  
كتفي. تدحرجت على جانبي لأواجهه رغم الظلام.

– «شكرًا لك.»

أدار رأسه بما أنا متأكدة من أنها ابتسامة متكلفة على شفثيه وقال:

– «هذه ست مرات الآن.»

قلت بابتسامة:

– «وعلى الأرجح ستكون الأخيرة.»

نظر مجددًا إلى الأعلى نحو النجوم التي تغمز لنا سائلًا:

– «الندبات.»

رمشت بعيني:

– «ماذا؟»

كرر قائلاً:

– «الندبات. شيء آخر كان لي به ولع دائماً.»

بدت الضحكة وكأنها تتعثري في حنجرتي، كما لو كانت غير متأكدة مما إذا  
كان يجب أن تخرج من فمي. مد يده ونقر برفق على طرف أنفي، مما جعلني  
أضحك بطريقة لم أكن أعلم أنني أستطيعها.

غمغم مما جعلني أصمت:

– «بحق الطاعون، أنا أعشق هذا الصوت. سأرسمه وشماً على بشرتي

إذا كان ذلك يعني أنك ستضحكين عليّ لفعلي ذلك.»

قلت بهدوء:

- «وكنت سأفعل.»

ضحك بخفوت قبل أن يطبع شفثيه على جبهتي، في قبلة ناعمة ورقيقة. ثم سحبني نحوه بينما أدت ظهري له، سامحة لذراعه بأن تلتف حول خصري.

همس في أذني:

- «حاولي ألا تحلمي بي يا بيدن.»

- «أنت أولاً أيها الأمير.»



## الفصل 45

# كاي

**هذا** هو اليوم الموعود.

تنتزعني تلك الفكرة المذعورة من براثن النوم. أفتح عينيّ، لأعود وأطبقيهما بقوة اتقاءً لأشعة الشمس المُعمية.

أمرر يدي في شعري الأشعث، وأدير رقبتي المؤلمة إثر ليلة قضيتها نائماً فوق سيقان الأزهار الغليظة. أرمش ناظراً إلى السماء الصافية، وتخبرني الشمس أننا نمنا لفترة كافية.

تتجول عيناى نحو الظل المنبثق من القلعة الرابضة على مقربة شديدة. نهاية هذه المهمة قريبة جداً، ومع ذلك، لست واثقاً مما إذا كنت أمتلك القوة لإنهائها. لكنني مكبل بواجب، ومخلوق لتنفيذ الأوامر. صُنعت من أجل الملك، لا من أجلها. لم ولن أكون يوماً جديراً بها.

ينزلق بصري عائداً نحو الأزهار المسحوقة بالأسفل.

وكما هو متوقع، لا تزال بيدى تغط في نوم عميق على صدري، داسة يديها تحت وجهها، وشعرها متناثر بطريقة مذهلة في كل اتجاه.  
بيدى.



لقد استعدت حقي في نطق اسمها. يغمرنى ارتياح عميق وأنا أدعه ينساب على لساني بعد أيام قضاها محاولاً الهروب من شفتي.

لم تكن بجواري سوى كومة متشابكة من الأطراف. أتردد في إيقاظها، ولو كان ذلك فقط لأتمكن من التحديق فيها لفترة أطول. لكنني أفضل رفقتها على أي شيء آخر. أهز كتفها.

لا استجابة. أمر غير مفاجئ.

أحاول مجددًا. وهذه المرة، أحصد تدمرًا مكتومًا في يدها.

في المحاولة التالية لإيقاظها، ترفع إصبعها الأوسط من فوق ظهرها. أضحك بخفوت، مستمرًا في هزها.

قلت:

«من المذهل والمقلق في آن واحد أنك تنجحين دائمًا في النوم بهذا

العمق.»

غمغمت:

«إذا استطعت النوم في الأحياء الفقيرة، فيمكنك النوم في أي مكان.»

تدحرج لتواجهني، وترمش بنعاس. لم أستطع كبح ابتسامتي عند رؤيتها، فاتنة دون أن تدرك ذلك. وبعد ثناؤبات عدة وعميقة، تستند على ذراعها لتقطف الأزهار المتدلّية فوقنا.

تنظر إليّ، وتبدأ في نسج الأزهار في خصلات شعري. تفتت شفاتها عن ابتسامته، من ذلك النوع المعدي بشكل يبعث على القلق.

قلت:

«هل تجعليني وسيماً يا بيدن؟»

قلبت عينيها وقالت:

«وكأنك بحاجة إلى مساعدة في ذلك.»

وما إن تغادر الكلمات فمها، حتى تطبق شفيتها، ويغلف الندم ملامحها. أبتسم لها بتلك الطريقة التي أعرف أنها تعجبها، مما يجعلها تنفخ بضيق.  
قلت:

– «لطالما عرفتُ أنكِ ترينني وسيماً.»

تمتت:

– «بحق الطاعون.»

قلت بنعومة، ممرراً يدي بتكاسل صعوداً وهبوطاً على جانبها:

– «أخبريني، كيف تمكنتِ من مقاومتي كل هذا الوقت؟»

ضحكتها وحدها قادرة على شفاء أكثر الأجزاء فساداً في روحي، وهذا بالضبط ما فعلته منذ يوم لقائي بها.

أجابت:

– «حسناً، لم يكن الأمر بتلك الصعوبة أيها الأمير.»

قلت:

– «أجد صعوبة في تصديق ذلك.»

ها هي تضحك مجدداً.

– «ربما لا يروق لي الأوغاد المغرورون وحسب.»

قلت:

– «إن أخبريني من تريدني أن أكون من أجلك.»

سكنت يدها في شعري، وتساقطت البتلات من بين أصابعها. أراقب نظرتها وهي تلين مع كل ثانية صمت تنقضي.

قالت:

– «لا أريدك أن تكون أي شيء لست عليه.»

غمغمتُ ناظراً إلى السحب التي تتحرك فوقنا:

– «لكن ما أنا عليه ليس جيداً بما يكفي بالنسبة لك.»

سألت:

- «وماذا عما لست أنا عليه؟»

أعاد سؤالها عيني فوراً إلى وجهها.

- «عمّ تتحدثين؟»

سحبت يدها من حيث كانت متشابكة في شعري وقالت:

- «هل نسيت ما أنا عليه؟ ما يُفترض بك أن تفعله بي؟»

اعتدلتُ في جلستي، مجبراً إياها على فعل الشيء نفسه وسألت:

- «وما الذي تظنين أنه يُفترض بي فعله بك؟»

صرخت بقسوة، وبدت وكأنها تفاجأت هي نفسها بهذا الانفجار:

- «أن تكرهني!»

سألت بصوت خفيض:

- «هل هذا ما تريدينه؟ تريدين مني أن أكرهك؟»

ابتلعت إجابتها، ولم تتفوه بكلمة.

تابعت:

- «انظري في عيني واطلبي مني أن أكرهك يا بيدن.»

ساد الصمت.

وقفت على قدمي، ضاحكاً بمرارة.

- «لأنني سأفعل. سأكرهك إذا كان ذلك يعني أن تقضي بقية حياتك

تشكريني على ذلك.»

وقفت ببطء، متجنباً نظراتي والسؤال الذي تآبى الإجابة عليه.

خطوت خطوة نحوها وقلت:

- «خمس كلمات. هذا كل ما أطلبه. خمس كلمات تخبريني فيها بما

تشعرين.»

أراقب عينيها وهما تشقان طريقهما نحو عيني. ثم أستمع إلى الكلمات الخمس التي تتساقط من شفيتها:

- «أرجوك فقط اكرهني... أيها الوغد.»

في ظل ظروف مختلفة، لكنت ضحكت. لكن بدلاً من ذلك، تنهدت سائلاً:

- «لماذا؟»

أغمضت عينيها وقالت:

- «لأنه أسهل هكذا. من الأسهل أن نبقي أعداء على أن نصبح أي شيء

أكثر من ذلك.»

أخذت نفساً عميقاً وقلت:

- «لقد فات الأوان على ذلك قليلاً، ألا تظنين؟»

وعندما لم تقل شيئاً، أمسكت بحقيبة النوم ودسستها في حقيبتها. انزلق

نوع من القناع المتبدل على ملامحي، مبقياً وجهي خالياً من التعابير وصوتي ثابتاً.

- «حسناً. ينبغي لنا أن نواصل طريقنا إذن.»

هزت رأسها، بعد أن وجدت صوتها وقالت:

- «لا تفعل بي هذا. لا تذهب لتختبئ خلف أحد أقنعتك لتتظاهر بأنك لا

ترى هذا.»

مررت يدي في شعري الأشعث، وهزرت رأسي.

- «تريديني بلا قناع؟»

خرج صوتها مشحوناً بالتوتر:

- «هذه هي الطريقة الوحيدة التي أريدك بها يا كاي آزر.»

خطوت نحوها، شاعراً بالتعري تحت وطأة نظراتها. يبدو من غير

الطبيعي أن أدع المشاعر تلون وجهي، أو أسمح للإحباط بأن يحتشد على ملامحي. لكنني أترك القناع يتحطم من أجلها، تاركاً فقط الوحش القابع تحته.

قلت وأنا أتنفس بصعوبة:

– «حسناً. ها أنا ذا بلا قناع يا بيدن. لا أعرف ما الذي تريدين مني فعله.  
لا أملك خياراً»

قاطعتني بقسوة:

– «أنت دائماً تملك خياراً.»

– «ليس في الحياة التي ولدت فيها. ولا في المهمات التي أرسل إليها.»  
كنت ألهث فعلياً بينما تتهاوى الكلمات من فمي:  
– «أنت.»

ترددت قائلة:

– «أنا؟»

– «أجل، أنت. شيء آخر لطالما كان لي ولع به.»

أطلقت ضحكة مريرة وتابعت:

– «لم يكن لدي خيار في الأمر. هل تظنين أنني كنت سأستطيع إيقاف  
ذلك لو حاولت؟»

هزت رأسها ناظرة إليّ وسألت:

– «إيقاف ماذا؟»



## الفصل 46

# بيكان

– «إيقاف نفسي عن الوقوع في حبك!»

أختنق بأنفاسي التالية، ويتكتل الهواء في حلقي.

يعلو صدره ويهبط متزامناً مع صدري. ينتفض قلبي عائداً إلى الحياة، نابضاً بقوة ضد قفصي الصدري. أهز رأسي له، متراجعة خطوة إلى الوراء.

قلت:

– «لا. لا، لا تقل ذلك. لقد طلبت منك ألا تجعل هذا أصعب مما هو

عليه.»

قال بصوت خشن:

– «وأخبرتكَ بأنه صعب بالفعل. اللعنة، في اللحظة التي رميتَ فيها

خنجرًا نحو رأسي، عرفت أن أمري قد قُضي. لم يعد هناك ما قبلك، فقط ما أردته معك.»

ضحكت بمرارة وسألت:

– «وما الذي يمكن أن يكون عليه ذلك؟ أنا من العاديين. وأنت من أفراد

النخبة.»



قاطعني:

- «لست كذلك هنا في الخارج.»

أحدق فيه، مأخوذة بكلمات لم أظن يوماً أنني سأسمعها تتساقط من شفثيه.

تحركت تفاحة آدم في حلقه وهو يتابع:

- «هنا في الخارج، أنا كاي ولا شيء غير ذلك. هنا أنا بلا قوة. وحش يتجرد من أي قدرة يختبئ خلفها. منفذ متحرر من أقنعتة. رجل يصرخ بحبه لامرأة.»

- «كاي...»

- «باي.»

خروج اسمي من بين شفثيه نقطة ضعف لا ينبغي لي أن أسمح له بامتلاكها ضدي.

قال بصوت متهدج:

- «أعتقد أنني قد أسقط على سيفي إن كان ذلك يعني أن تبكيني. ومن المرعب التفكير في أنك تملكين كل هذا السلطان عليّ.»  
طوى المسافة بيننا، رافعاً ذقني لألتقي بنظراته.

- «سألتني ذات مرة عن لوني المفضل. لم يسبق لي أن فكرت في إجابة لذلك السؤال قبلك. ومع ذلك، أدركت في تلك اللحظة أنه الأزرق.»  
انحنى ليطلع قبلة رقيقة على صدغي، هامساً على بشرتي:

- «إنه لون عينيك.»

سحبت نفساً مرتجفاً، شاعرة بأنفاسه تلفح وجهي.

تابع قائلاً:

- «أخبريني أنك تكرهيني، وسأظل أحصي كل نبضة قلب، وكل نمشة، وكل قشعريرة تسري في جسدك، فقط إن قلتها بابتسامة.»

تراجع إلى الخلف، محرراً وجهي من بين يديه، وأكمل:

– «ربما أكون وحشاً، لكنك إن جرحتني سأنزف. وإن حطمت قلبي يا بيدن، فستحطميني. لذا، إذا كانت مجرد ذرة من روحك تتوق لروحي، فسأقضي بقية حياتي محاولاً أن أكون جديراً بها.»

ترقرقت الدموع في عيني، وتجمعت على الحواف وأنا أشد عناداً من أن أتركها تسقط. كان التوسل في نظراته شاعرياً. يقبض ويبسط يديه إلى جانبيه، وكأنه يبذل جهداً لإبقائهما بعيدتين عني. أتأمل شعره المزين بالبتلات وعينيه الجليديتين اللتين لا تذوبان إلا حين تقعان عليّ.

همست:

– «ربما أنت شاعر حقاً.»

ابتسم بلطف وقال:

– «أو مجرد أحمق متيم بك.»

سألت وصوتي خافت، ناعم كالنسيم الذي يداعب شعري القصير:

– «كان ادعاءً؟»

– «أبداً.»

سألت بهدوء:

– «ولا أي جزء منه؟»

ابتسم وقال:

– «عزيزتي، لم أضطر يوماً للادعاء بأنني أريدك.»

جعلت كلماته قلبي يتلعثم قبل أن يصفعني الإدراك. اندفعت قائلة:

– «وماذا عن آبائنا؟ وما فعلناه ببعضنا البعض؟»

تنهد بعمق وقال:

– «لن أقضي بقية حياتي أكرهك لأنك أنقذت نفسك. أعرف لماذا فعلت

ما فعلته. وأتمنى أن تتفهمي لماذا فعلت الشيء نفسه.»

– «أنا...»

كلمات ظننت أنني لن أنطقها يوماً علقت فجأة في حلقي.

– «أنا أسامحك يا كاي. وأعتقد أنني قد فعلت ذلك منذ فترة. لأنني

أستطيع مسامحتك على ما لم تكن تعلم حتى أنك تفعله.»

أغمض عيني بهارتياح.

همست، مجبرة إياه على فتح عيني:

– «أردت قتلك. أردت أن أكون سبب هلاكك. ولكن حتى حينها، كنت

أعرف أنني لن أتمكن من التعايش مع نفسي لو فعلت ذلك.»

اقترب مني ببطء، يهز رأسه وعيناه تتجولان وكأنه مأخوذ بما يراه.

– «آه، لكنك بالفعل سبب هلاكي. وخلاصي. وسقوطي المتكرري في هيئة

إله.»

خطا خطوة أخرى بطيئة وتابع:

– «أنت خرابي.»

كنت مذهولة، غير قادرة على فعل أي شيء سوى السماح لابتسامتي

بالتسلل إلى شفتي.

قال وعيناه تتوسلان، وتفويضان بالمشاعر:

– «قولي إننا متعادلان. قولي إنني مجنون. لا أهتم. فقط... فقط قولي

إنني لك.»

حدقنا في بعضنا البعض لعدة خفقات قلب مدوية.

تنهدت قائلة:

– «النقر على أنفي.»

قطب حاجبيه سائلاً:

– «ماذا؟»

رددت ببساطة:

– «النقر على أنفي. شيء لطالما كان لي ولع به. إلى جانب أشياء أخرى بالطبع.»

أضاء الفهم عينيه بينما انتشرت ابتسامة بطيئة على شفثيه، ترافقها غمازتان على الجانبين.

– «أكملي يا عزيزتي.»

أومأت برأسي وقلت:

– «هذا يذكرني. مناداتي بـ "عزيزتي". الأوغاد المغرورون. الرموش الطويلة الداكنة...»

كدت أذوب من حرارة نظراته.

تابعت:

– «ومعرفة ما أحججه بالضبط في الوقت الذي أحججه فيه. وتمزيق

فساتيني. وتلك الغمازات التي تجعلني-»

بخطوة واحدة، طوى المسافة بيننا وجذب فمي نحو فمه.

قبلني بعمق، مستنشقا إياي. ذبت بين ذراعيه، محفرة في ذاكرتي ملمس يديه وهما تتجولان على جسدي. ضغطت بيدي على وجنته بينما شقت إحدى يديه طريقها نحو شعري، لتتخلله أصابعه.

ابتعدت بالقدر الذي يسمح لي بأن ألهث سائلة:

– «هل أحصيت نمشاتي حقاً؟»

تنفس قائلاً قبل أن يقبلني بشغف:

– «الثماني والعشرين نمشة كلها. رغم أنه قد يكون لديك المزيد الآن

بسبب الشمس.»

قبلة سريعة أخرى ثم أكمل:

– «سأضطر لإعادة إحصائها.»

جعلته ضحكتي يسحبني أقرب، ويعض طرف أنفي بأسنانه برفق.

طوقت ذراعيّ حول رقبتة. إنه مرساتي، وأنا مستعدة للغرق، طالما أنني أغرق معه.

مع كل قبلة، كان يأسر الكلمات الثلاث التي أخشى بشدة النطق بها. أمل أن يتمكن من تذوقها على طرف لساني، وقراءتها على انحناءة شفتيّ. لأن التللف بهذه الكلمات يبدو وكأنه حكم بالإعدام. فكل شخص أحببته يوماً قد رحل وتركني.

أنا ملعونة بالخسارة في الحب. لكن هذا ما أشعر به تجاهه، وهو ما شعرت به حتى عندما كنت أكرهه. لأن كراهيته كانت أسهل من كراهية نفسي لأنني أريده.

لذا، أعض على لساني. أقاوم الرغبة في أن أصرخ في وجهه بتلك الكلمات الثلاث التي تبدو غير ضارة. لأنه أينما حل حبي، يموت الناس. وأفضل أن أحبه بصمت على أن أبكيه بصوت عالٍ. ابتعد عني وهو يتنفس بثقل وقال:

– «عليك الخروج من هنا.»

سحب خنجري من حذائه، وانحنى أمام السلسلة التي تربطنا معاً. تلعثت قائلة:

– «وماذا عنك؟ وماذا عن مهمتك. وكيت–»

حشر النصل بين شق القيد المحيط بكاحلي، محاولاً فتحه وقال:

– «لا تقلقي بشأنني. يمكنني التعامل مع كيت. لقد ظن بالفعل أنني لن أكون قادراً على إعادتك على أي حال.»

– «أحقاً؟»

تنفس بسخرية خالية من المرح وأجاب:

– «أجل. كان يعتقد أنني سأفعل بالضبط ما أفعله الآن– أن أتركك

ترحلين.»

ضغط بقوة على مقبض خنجري وتابع:

– «يبدو أنه كان محققاً في الشك بي.»

هبطت بجواره، ساحقة شقائق النعمان تحتي وسألته:

– «ماذا يعني هذا؟»

لم يُجب، وظلت عيناه مسطّتين على السلسلة العنيدة.

– «كاي. ماذا يعني هذا؟»

توقف لفترة كافية لينظر إليّ وقال:

– «يعني أنك ستبتعدين عن هنا قدر الإمكان. سأؤخر البحث عنك لأطول

فترة ممكنة، لكن عليك إيجاد طريقة للوصول إلى إزرام بحلول ذلك الوقت.»

هزرت رأسي وقلت:

– «لا.»

– «بلى يا بيدن.»

قلت بنبرة صارمة:

– «لا، لقد سئمت من الهرب. ولن أقضي بقية حياتي هاربة ما لم يكن

الهرب للعودة إليك.»

قال بهدوء:

– «إذن سأقضي بقية حياتي أتعقبك. ألمحك في الظلال. وأقاتلك في

الشوارع. وأرقص معك في أحلامي. لأن العيش بدونك لا يكون محتملاً إلا

عندما أعلم أنك لا تزالين حية هناك في مكان ما.»

همست:

– «أرجوك.»

وضع يده على وجنتي وقال:

– «لن يسمح لي كيت بالتوقف عن مطاردتك. عليك أن-»

توقف فجأة، وأمال رأسه قليلاً إلى الجانب.

سألت بتردد:

– «ماذا؟ ما الأمر؟»

لم يقل شيئاً، وكانت ارتعاشة عضلة في وجنته هي الحركة الوحيدة.

– «كاي؟»

التقت عيناه بعيني فجأة وقال:

– «إنهم قادمون.»

– «من هم؟»

تمتم تحت أنفاسه:

– «لا بد أن كيت أمر رجالي بالبحث عني على مشارف المدينة. لقد

لمحونا. اثنان من الوامضين (فلاشن)، قادمان بسرعة.»

جف حلقي.

رفع كاي الحقيبة على كتفيه قبل أن يسحب القوس عبر صدره. مد يده

ليلمس وجهي لكنه عدل عن ذلك عندما ألقى نظرة من فوق كتفه.

أراهما الآن، طيفين ضبابيين يندفعان نحونا. يبدو من الغريب رؤية

القدرات قيد الاستخدام بعد قضاء أيام طويلة دونها. أيام طويلة مجيدة كان

فيها الجميع عاديين بالتساوي مثلي.

غمغم:

– «مرحباً، انظري إليّ.»

استدرت لأقابل نظراته القاسية فتابع:

– «أحتاج منك أن تسيريني في اللعب. هل يمكنك فعل ذلك؟»

قلت بنبرة ثابتة:

– «لعب الأدوار شيء أنا مألوفة به إلى حد ما.»

أوماً برأسه وقال:

– «كوني ذكية. سأصلح كل هذا. أعدك.»

والآن حان دوري لأومئ. تنقلت عيناه بين عيني، وكنت أصارع كي لا ألقى بنفسي بين ذراعيه.

غمغم مع نقرة سريعة على أنفي:

– «أنتِ دليلي على وجود الجنة.»

ثم استدار نحو الطيفين اللذين يقتربان منا، ناطقاً بكلمة واحدة التقطتها بصعوبة.

ادعاء.



## الفصل 47

# بيكان

– «لقد حان الوقت أخيراً لتعثروا علينا هنا.»

كان صوت كاي بارداً، وقاسياً بطريقة نسيت أنه يمتلكها. سار إلى الأمام لمقابلة الرجلين، ساحباً إياي خلفه دون اكتراث.

تلعثم أحدهما، وانحنى بسرعة بينما تبعه الآخر قائلاً:

– «ي.. يا صاحب السمو، كنا نتوقعك منذ أيام. ظننا أن مكروهاً قد

وقع...»

رمى كاي الرجل بنظرة متعالية للحظة غير مريحة، مكتفياً ذراعيه فوق

صدره.

– «أنت جديد هنا.»

تململ الإمبراطوري في وقفته وقال:

– «آه، أجل، سيدي.»

أوماً كاي – المنفذ – برأسه قائلاً:

– «إذن، لم تتعلم بعد أن التشكيك في قدراتي هو طريق مؤكد لفقدان

لسانك.»



ازداد شحوب الرجل مع كل كلمة بينما تابع كاي:  
- «لذا، فليكن هذا درساً لك. وتحذيراً.»

رأيته يعامل جنود الإمبراطورية بهذا الشكل من قبل، ورأيت مدى وضوح  
ازدرائه لهم. لكنني لم أدرك كم كان هذا مجرد واجهة، واستعراضاً للقوة  
والسيطرة. الخط الفاصل بين الاحترام والخوف رفيع جداً، وبعد كارثة هذه  
المهمة، فإنه يذكر الجميع بهويته الحقيقية بدقة.  
قال ببساطة:

- «والآن أزيلوا هذه السلسلة عني.»

تعثر الرجلان وهما يتقدمان، ويسحبان السيفين من الغمدين المعلقين  
إلى جانبيهما. رفعت ذقني بينما يتفحصانني، وكان الاشمئزاز المرتسم على  
وجهيهما يعكس اشمئزازي. بصق الإمبراطوري البشع التكوين بشكل خاص  
عند قدمي، ولم أتردد في فعل الشيء نفسه - ولكن، في وجهه.

تناثر الدم من شفتي عندما هوت راحته على وجنتي. اندفع رأسي إلى  
الجانب، حيث بصقت دمًا يضاهاى بلونه شقائق النعمان المحيطة بنا.  
عندما أدت رأسي عائداً نحو الرجل، وجدته وجهاً لوجه مع مُنفذه. كانت  
عينا كاي كَشْظايا جليد، باردة لدرجة أنها تحرق.  
زمجر بصوت منخفض:

- «المسها مرة أخرى، وسأمزق حنجرتك. إنها ملكي.»

زحفت قشعريرة أسفل عمودي الفقري إثر كلماته الباردة. لقد قال شيئاً  
مشابهاً لرجاله سابقاً في الأراضى المُحرقة، لكن الأمر يبدو مختلفاً هذه المرة.  
يبدو وكأنه كلمات غير منطوقة وشوق سري. وكأنه كان يتحدث إليّ بلغة لن  
يفهموها أبداً.

أوماً الإمبراطوري مراراً وتكراراً حتى تراجع كاي. شهقت عندما اجتاح  
الألم كاحلي، ونظرت إلى الأسفل لأجد الإمبراطوري الآخر يحشر نصل سيفه  
في القيد.

جرح بشرتي دون اكرثا، محاولاً فتح القيد. عضضت على لساني كي لا أصرخ، وكي أحرمه من نشوة الرضا بمعرفة أنه يؤلمني.

شعرت بالدماء الساخنة تتدفق من الجرح لتتجمع في حذائي. هذا الشعور جعل قلبي يدق بعنف، وعينيّ تبحثان عن عيني كاي. نظر إليّ، والندم يومض في نظراته. كانت نظرتة وحدها تتوسل لغفراني، وتترجاني لسماع كلمته غير المنطوقة. ادعاء.

أطرق بصري، أرمش ناظرة إلى حذائي. لم ينته الألم إلا عندما انكسر القيد وانفتح بصوت طقطقة مُرض. زفرت بقوة بينما رفع الإمبراطوري سيفه عن جلدي الممزق. كان وجهه قريباً من وجهي، والقناع الأبيض يحجب معظمه، باستثناء تلك الابتسامة الخبيثة التي لوح لي بها.

متجاهلة إياه، حاولت تدوير كاحلي المتصلب واللزج. شعرت بأن قدمي غريبة دون تلك الحلية المقيدة التي كانت تثقل كاهلها. كانت الرغبة في الركض عارمة، غريزة تلتهم كل تفكير عقلائي.

– «لا تفكري في الأمر حتى، أيتها الفتاة.»

لا بد أن الإمبراطوري قرأ الأفكار من على وجهي مباشرة. نظر إليّ بخبث، متحدياً قدمي أن تخطوا خطوة واحدة.

– «لا يمكنكِ التفوق عليّ في الركض أيتها العادية.»

جفلت عند سماع كلماته. ليس لصدمتي من معرفته بحقيقتي، بل لأنني قضيت حياتي كلها أرتعد فزعاً من سماع هذه الكلمات من شفتي إمبراطوري. اعتدلت في وقفتي، رافضة الانكماش.

– «لقد كنت أتفوق عليكم في الركض طوال حياتي.»

ارتعشت يده، محارباً الرغبة في صفعي على وجهي للمرة الثانية. لكنه تراجع عن الفكرة عندما اقترب المنفذ منه.

– «قيدها.»

أوماً كلا الإمبراطوريين قبل أن يبدأ الأهدأ بينهما في إطباق الحديد حول معصميّ. ارتفعت نظراتي نحو نظرات كاي، وقناعه البارد الخالي من المشاعر. فكرت في كل لحظة أخبرت فيها نفسي أنني أكرهه، وكل لحظة عقدت فيها العزم على أن أفعل به ما فعله بوالدي. ثم ارتديت كل ذلك على وجهي. ادعاء.

– «هناك حصان في انتظارك عندما نعود إلى المدينة يا صاحب السمو.»

التفت كاي إلى الإمبراطوري وقال:

– «جيد. لنتحرك.»

دفعني الإمبراطوري الآخر إلى الأمام، وكاد أن يسقطني على وجهي وسط شقائق النعمان تحتنا. قلبت عينيّ موجهة حديثي للفراغ.

– «استخدموا كلماتكم يا فتيان. نحن العاديون لا نتحدث لغة أخرى، كما أنني قادرة تمامًا على المشي دون أن يتم دفعي.»

قال البشع متضحكًا بجوار صديقه:

– «ولماذا نهدر أنفاسنا عليك أيتها الخائنة؟»

قلت بعدوبة:

– «إذا كنتم لا تعرفون أي كلمات بليغة، فلا بأس. أجد أن معظم

الإمبراطوريين لا يعرفون ذلك.»

تجاهلت الكراهية المشتعلة في نظراتهما، وركزت بدلاً من ذلك على الأزهار تحتي. حشرجت القيود حول معصميّ، مثقلة ذراعيّ وكاشطة بشرتي.

سرنا في صمت، والقلعة تلوح أقرب فأقرب، حتى شعر الإمبراطوري على يساري بالحاجة لفتح فمه مجددًا:

– «أنا أتطلع بشدة لأن يخلصنا الملك منك.»

حافظت على فراغ تعابيري وقلت:

– «أجل، أنا واثقة من أن جلالته في قمة الحماس لعودتي.»

ابتسم بخبث وقال:

– «كل إيليا تتطلع إلى ذلك.»

ابتلعت ريقى، وتعلقت عيناى بظهر كاي العاري أمامى. لم يجرؤ على الالتفات، بينما تتصلب كتفاه مع كل خطوة.

عندها ضربني الإدراك. حقيقة موتى الوشيك.

لا أعرف كيف سأخدع الموت هذه المرة. لا يوجد مكان أهرب إليه. لا يمكن خداع الموت إلا لمرات معدودة قبل أن يتعطش للانتقام.

كانت وتيرة سيرنا ثابتة، وقضيت الوقت في مراقبة الأزهار وهي تبدأ في الذبول ببطء تحت أقدامنا. تتضاءل شقائق النعمان مع كل خطوة، وكأنها تنكمش نحو الأرض لتختبئ من المدينة التي تقبع وراءها.

لم يمض وقت طويل قبل أن يتحول ما تبقى من الحقل إلى حصى، والذي تحول بدوره إلى حجارة الرصف المألوفة غير المستوية. كان العديد من الإمبراطوريين يتسكعون على مشارف المدينة، وقد انحنوا جميعاً عند رؤية أميرهم ومنفذهم. أوماً بازدرء لمجموعة الرجال قبل أن يمتطي ظهر الحصان الذي كان ينتظره بفارغ الصبر.

انتزعت يد خشنة على كتفي نظراتي من كاي لتثبتها على الإمبراطوري الذي يسحبني خلف الحصان. كان يمسك بحبل طويل في قبضته الأخرى، ونهايته مربوطة بالسرج الذي يجلس عليه كاي.

لست متأكدة لماذا وخزت الدموع عينيّ بينما يربط الإمبراطوري الحبل حول قيودي. أو لماذا كدت أدعها تسقط عندما بدأ الحصان في التحرك، ساحباً إياي خلفه.

ربما يكون بسبب الإذلال في كل هذا. أن أقتاد إلى الملك كحيوان بينما أتعثر خلف حصان. أو ربما بسبب أفراد النخبة الذين يتقاطرون من منازلهم الفاخرة للسخرية من الخائنة. ومن القاتلة. ومن العادية.

لم يسبق لي أن رأيت هذا الجانب من المدينة. الجانب الذي يعج بـ الهجوميين (أوفينيسيف) – الوحيدين الذين يُعتبرون جديرين بالعيش بالقرب

من القلعة. أهدق مشدوهة في منازلهم وأنا أمر بجوارها. يعيش هؤلاء النخبة في ترف مفرط بينما يعيش من هم أقل قوة في بؤس مدقع تحتهم. لن أتفاجأ إذا تم إعلان المبتدلين كعاديين جدد، تمامًا كما كان يشتبه والدي.

يشير الناس إليّ، يمتدحون أميرهم بنفس الأنفاس التي يستخدمونها للعن اسمي. أغمضت عينيّ اتقاءً للكراهية التي يرتدونها، متعثرة بالحجارة ونحن نُستعرض في الشوارع.

– «خائنة!»

– «... جزء من طائفة المقاومة تلك!»

– «قاتلة الملك!»

– «من سينقذك الآن أيتها المنقذة الفضية؟»

حافظت على خلو وجهي من التعابير، مرغمة إياه على ألا ينهار مع كل إهانة تُبصق في وجهي. تسلخ القيود معصميّ بينما تلفح الشمس شعري الملعون.

أبقيت عينيّ مثبتتين على القلعة، على الهلاك الذي أقترّب منه ببطء.

تلاحقنا الهتافات، وتخفت مع كل خطوة نحو الملك المنتظر. ربما هم أيضاً يخشون ما حولته إليه. أي نوع من الملوك تركتهم معه؟

عندما نخطو في ظل القصر، أدرك أنه لن يمر وقت طويل قبل أن أكتشف ذلك بنفسي. يقرع حافر الحصان ضد حجارة الرصف التي تغطي الفناء. تتعثر عيناى بمجموعة من أزهار لا-تنسني التي تحتشد على الدرج المؤدي إلى القلعة.

تندفق الذكريات عائدة كالسيل؛ فستان مبلل، أمطار تتقاطر من شفتيه على شفتيّ، وأزهار لا-تنسني متشابكة في شعري. نظرت إلى الأعلى حيث يجلس كاي، لأجده يهدق في نفس البقعة من الفناء حيث تلامست شفاهنا للمرة الأولى.

والآن أشك في أنهما ستتلامسان يوماً مجدداً.

تباطأنا حتى توقفنا بجوار الدرج الذي تمنيت ألا أضطر لتسلقه مجدداً. ساد الهدوء بينما يترجل كاي من سرجه، ويومئ لأحد الإمبراطوريين. يتخبط الرجل مع الحبل المعقود، وتنزلق أصابعه على العقدة.

يتقدم كاي ليقف بجانبه، ويسحب سيف الإمبراطوري من غمده المعلق إلى جانبه ليقطع الحبل بضربة واحدة. أسمع الرجل يبتلع ريقه، وكدت أبتسم رغم ظروفني. ثم يدفع كاي بمقبض السيف في راحة الرجل دون أن ينبس بكلمة واحدة، قبل أن يلف يداً خشنة مألوفة حول ذراعي.

قادني نحو الدرج، ممرراً إبهامه بسرعة على بشرتي.

ارعاء.

تحترق الكلمات في حلقي؛ كلمات أتمنى لو أستطيع قولها له قبل فوات الأوان. أسترق النظر، باذلة قصارى جهدي لأحفر في ذاكرتي تفاصيل وجهه، غير مدركة ما إذا كانت هذه هي المرة الأخيرة التي سأراه فيها.

أو ربما سيكون هو آخر شيء أراه.

الشخص الذي سيغمد سيفاً في قلبي.



## الفصل 48

# كاي

**إلى أي جحيم أقودها؟**

تُفتح الأبواب الثقيلة على مصراعيها في أعلى الدرج. يستقبلني جنود الإمبراطورية بانحناءة.

الواجب. هذا هو ما أقودها إليه.

لأن هذا ليس خيارى.

كان بوسعي أن أمزق حنجرة ذلك الإمبراطوري لأنه تجراً ووضع يده عليها، فما الذي سأفعله إذن لو أمرني كيت بما هو أسوأ بكثير؟

بالكاد أحتمل الطريقة التي تنظر بها إليّ، والكراهية تستعريف تلك النظرة التي أعشقها. لكن هذا محض ادعاء - وهي المرة الوحيدة التي ادعيت فيها معها قط -.

فكل لمسة، وكل رقصة، وكل قبلة تخفت تحت قناع التشتيت لم تكن كذلك على الإطلاق. لأنني قبل أن أحبها، كنت أتوق إليها. كانت رغبة لست جديراً بها. وأخشى ألا أحظى أبداً بفرصة لأستحقها.

لأنني الآن، وبعد أن امتلكتها، أتخلى عنها.



نخطو عبر الأبواب الشاهقة إلى الرواق المزخرف الذي يمتد خلفها. تتلفت حولها، وتستوعب كل شيء وكأنها تشك في وجود فرصة أخرى للقيام بذلك. أمقت هذا، أمقت حقيقة أنها تقبلت بالفعل مصيرًا من اختيارها.

يبدو السجاد الزمردي تحت أحذيتنا المتسخة في غير محله، تمامًا كحال جذعي العاري وقميص بيدن القدر. من المؤكد أن مهمتي الأولى ك منفذ لم تفشل في إظهاره بمظهر سيء. لكنني أرفع رأسي عاليًا، شاعرًا بالاحترق المألوف للعيون التي تبحث عن النواقص. أدير كتفي، وأفرد ظهري، وأسدل قناع اللامبالاة على ملامحي.

لأن القوة هي التجسيد. والاحترام يُنتزع انتزاعًا.

نواصل السير في الممر، وخلفنا يتبعنا أسطول من الإمبراطوريين. تقترب الأبواب المذهبة، وتدعونا لاكتشاف ما ينتظرنا على الجانب الآخر. أو بالأحرى، من ينتظرنا على الجانب الآخر.

لا أعرف أي نسخة منه تنتظرنا خلف هذه الأبواب. ربما الأخ الذي أعرفه، أو الملك الذي أخدمه الآن. لا يمكن التنبؤ بتصرفاته، فهو غير مستعد للحكم في هذا السن المبكر. أو بالأصح، غير مستعد لفقدان أب.

وكيت، مجردًا من رحمته، رجل لا أعرفه.

أسترق النظر إلى تعابير بيدن الخاوية. لكن أصابعها المتململة هي ما يفضح قلقها، إذ تدير ذلك الخاتم حول إبهامها بلا هوادة.

من أجلها، أصلي لأي كائن قد يكلف نفسه عناء الاستماع.

أصلي من أجل قطعتي من الجنة.

كانت عيناها مثبتتين عليّ، متسعيتين ومفعمتين بالقلق.

لا أجرؤ على تغيير تعابير وجهي الخالية، ليس مع وجود هذا العدد الكبير من الإمبراطوريين الذين يقفون على بعد أقدام قليلة خلفها.

لكنني أجرؤ على رفع يدي. أجرؤ على رفعها نحو أنفها، وجسدها يحجب حركتي. أجرؤ على النقر على طرفه لمرّة أخيرة، أملًا أن تسمع كلماتي المخبأة داخل تلك الحركة.

أنا أحبكِ.

ثم أَدفع الأبواب الثقيلة لتتفتح.

تعج غرفة العرش بوجوه مألوفة. يبدو أن كل شخصية ذات شأن تشغل هذه الغرفة الشاسعة، وبعضهم يخطو من خلف الأعمدة الرخامية ليحرق بنا ونحن نلوث الأرضية اللامعة مع كل خطوة.

يجفل النبلاء والنبيلات، والمستشارون من كافة الأعمار، عند رؤيتنا. ليس لأنهم لم يعلموا بقدمنا، بل لأننا على الأرجح نبدو وكأننا خضنا غمار الجحيم للوصول إلى هنا.

أعي تمامًا تلك الضمادات المرتجلة الكثيرة الملفوفة حول جسدي، وكل منها ملطخ بالدماء. أتذكر أنني وعدت والدي بألا أطا غرفة عرشه مجددًا دون قميص، ومع ذلك، ها أنا ذا، نصف عارٍ أمام البلاط بأكمله.

رغم أن بيدن لا تبدو في حال أفضل بكثير. يقطر الدم على ساقها بسبب ذلك الإمبراطوري المهمل عمدًا والذي أنوي أن أجعله يدفع الثمن لاحقًا. يتدلى قميصها من على كتفها، رغم أنها حرصت على أن يغطي رباط حمالة صدرها تلك الندبة التي أهداها إياها والدي. مجرد التفكير في الأمر يجعل دمائي تغلي - رغم أنه لن يلاحظ أحد ذلك، مع هذا القناع الخالي من التعابير والمثبت على ملامحي -.

تتنقل عشرات العيون على جسدي قبل أن تجد طريقها ببطء نحوها. يستعر الاشمئزاز في كل نظرة تزحف عليها، مستوعبة تلك الندبة التي تمتد على عنقها، والشفة المشقوقة أعلاها، والشعر القصير الذي ينتمي بلا شك إلى من كانت تُعرف ذات يوم بـ المنقذة الفضية.

أجذبها إلى الأمام من ذراعها بقوة.

ادعاء.

أنا بارد وقاسٍ ولا أبالي مطلقًا بتلك السجينة التي تترنح خلفي.

ادعاء.

تحشرج السلاسل التي تقيد معصميا مع كل خطوة غير متزنة تخطوها نحو العرش. يتنحى الناس جانباً ليفسحوا الطريق، وألتقي بكل نظرة تشرد نحوي. هذا الحشد أشد فخراً وتحفظاً من أن يصرخوا بكراهيتهم كأولئك الذين مررنا بهم في الشوارع، لكن النظرات المتنوعة على وجوههم تفصح عن الكثير.

رغم رفع رأسها عالياً، بدأت قدما بيدن تتثاقلان مع كل خطوة تقربها من عرشه. العرش الذي يشغله الآن ملكنا الجديد.

إنها خائفة.

ترسل هذه الفكرة غضباً يجتاحني، رغم أنه لا يصل إلى وجهي. ومهما حاولت إنكار ذلك، فأنا أعلم أن هذه النسخة من كيت ترعبها. هذه النسخة التي على الأرجح تلوم نفسها على خلقها.

أجبرها على الجثو على ركبتها عندما نصل إلى أسفل المنصة.  
ارعاء.

تصفع القيود الأرضية الرخامية؛ وهو صوت يقترن بالخونة. ترفع رأسها ببطء، متجرئة على مقابلة نظراته.

لكن عينيه كانتا مثبتتين عليّ، تتفحصان جسدي بسرعة. أفعل الشيء نفسه، متأملاً التاج الذي يعلو رأسه والعرش الذي يقبع تحت تلك المؤخرة التي اعتدت ركلها في ساحة التدريب. لست واثقاً من أنني سأعتاد يوماً على رؤيته جالساً في ظل والدي.

قال كيت:

– «مرحباً بعودتك أيها المنفذ.»

كانت ابتسامته صغيرة، ولست متأكداً مما إذا كانت هذه الرسميات بسبب حضور البلاط، أم أن هذا سيكون المدى الذي ستصله علاقتنا لبقية هذه الحياة المشتركة.

تابع بهدوء:

- «بدأ القلق يساورني. كان من المتوقع عودتك منذ عدة أيام.»
- لم يبدُ الأمر كإهانة، لكنه يوسع رغم ذلك. على الأقل كنت أعرف دائماً متى كان والدي يقلل من قدراتي.
- أجبتُه وأنا أشير إلى جسدي وإلى بيدي بالأسفل:
- «كما ترى من هيئتنا - لقد واجهنا بعض الظروف غير المتوقعة.»
- أوماً كيت برأسه وقال:
- «أفهم ذلك. لقد عدتُما إلى الديار، بغض النظر عما حدث.»
- قلت والكلمات تخرج بقسوة تفوق ما ينبغي لها:
- «بالطبع فعلت.»
- ثم أضفت مسرعاً:
- «يا جلالة الملك.»
- سأل مميلاً رأسه:
- «ورجالك؟»
- شبكت يديّ خلف ظهري العاري وأجبت:
- «ظروف غير متوقعة.»
- قال كيت وهو ينقر بأصابعه على ذراع العرش العريض، وبدا غير مرتاح في جلسته:
- «آه.»
- وسأل فجأة مومناً نحو بيدي الراكعة، ثم انحنى إلى الأمام ممرراً نظراته على وجهي:
- «وهي؟ هل من ظروف أخرى غير متوقعة ينبغي لي أن أعرفها؟»



## الفصل 49

# بيكان

**لم** ينظر إليّ.

لقد جثوت على الأرض أمامه، ولم يكلف نفسه حتى عناء النظر إليّ. شعره أشعث، وباهت مقابل التاج الذهبي الذي يعلو رأسه. يبدو التاج ثقيلًا بشكل مزعج، ويتكون مما يقارب اثنتي عشرة ضفيرة ذهبية تلتف جميعها حول بعضها البعض. أتعرف على ذلك النمط المتشابك المألوف الذي يمثل شعار إيليا، ويرمز إلى اتحاد كافة القدرات لتعمل معًا. أقاوم الرغبة في قلب عينيّ سخرية من هذا الهراء المطلق برمته. سأل فجأة:

– «وهي؟ هل من ظروف أخرى غير متوقعة ينبغي لي أن أعرفها؟»  
الصمت الذي يملأ غرفة العرش خانق.  
ترن كلماته في أذنيّ، وتبقى معلقة في الهواء بيننا.  
لكن السؤال غير المنطوق هو ما يجعل عينيّ تتسعان.  
إنه يسأل عما إذا كان هناك شيء قد حدث بيننا.



أقاوم الرغبة في استراق النظر إلى كاي، وأبقي عينيّ مثبتتين بدلاً من ذلك على الملك الذي لا يكلف نفسه عناء الالتفات نحوي. لا يبدو البلاط المحيط بنا منزعجاً من السؤال الذي لا يعرفون سوى نصف خباياه.

لا أتصور أننا نبدو وكأن شيئاً قد حدث بيننا. في الواقع، أزعم أننا لم نبدُ يوماً كأعداء أكثر مما نبدو عليه في هذه اللحظة، بجسدي الملطخ بالدماء والجاثي عند قدميه.

قال كاي بنبرة ثابتة:

– «لقد أعدتها، أليس كذلك؟»

رد عليه:

– «ليس هذا ما سألت عنه يا أخي.»

تجمدتُ عند سماع هذا اللقب، مستشعرة أهميته.

كان هذا الاعتراف الوحيد بما لا يزالان يمثلانه لبعضهما البعض كافياً ليلين صوت كاي.

قال:

– «لا. لا توجد ظروف أخرى غير متوقعة.»

انزلت الكذبة من على لسانه، وكأنها تنضح بالصدق. يحدقان في بعضهما البعض للحظة طويلة، مما يمنحني الوقت لأتأمل هذا الملك الذي أجتو أمامه.

تلطخ هالات سوداء ما تحت عينيه، وتزيده سناً لا لشيء سوى قلة النوم. شعره أشعث، وتبرز خصلاته من بين أطواق تاجه وكأنه كان يمرر يديه خلاله. تستقر ملابس مجعدة أسفل فك لم يُطلق، بينما تخبرني الجوارب غير المتطابقة قليلاً أن الخدم لم يعتنوا بملكهم. يجذب انتباهي المخطط الباهت لصندوق في جيبه الأيمن، رغم أنني لا أستطيع تبين ما يكمن بداخله.

تلطخ بقع خفيفة من الحبر يديه، وكأنه فركهما بقوة، مما ترك مفاصل أصابعه مشققة وجافة. تنقر أصابعه على كرسيه، وهي علامته الوحيدة على التملل، رغم أن ركبته تهتز بين الحين والآخر. وعيناه...

عينيه تثبتان فجأة عليّ.

خضراوان ونضرتان كقطرة ندى طازجة على نصل عشبنة.

خضراوان وتسبحان بالمشاعر.

خضراوان كعيني الملك الذي سبقه. الملك الذي حفر وسمه فوق قلبي. يبدو الأمر لاذعاً حين أتذكر تلك العينين المألوفتين والمليئتين بالكراهية.

لكن هذه النظرة الخضراء التي أواجهها كانت متأملة، وفاحصة بطريقة تبدو شديدة القسوة بالنسبة لـ كيت الذي عرفته ذات يوم. لكن هذا لم يعد ذلك الفتى. هذا كل ما تبقى منه.

قال موجهاً حديثه لـ كاي، رغم أن عينيه ظلتا مثبتتين عليّ:

– «جيد. لأن لدي خطأ خاصة لها.»

بدا وكأن الجميع في الغرفة يميلون إلى الأمام ترقباً. هذا هو ما كانوا ينتظرونه جميعاً – عقابي –.

ابتلعت ريقى، مجبرة نفسي على مواصلة التحديق فيه بينما يقف على قدميه.

قال:

– «سيداتي وسادتي في البلاط، اسمحوا لي أن أعيد تقديم من تجثو أمامكم.»

كان صوته هادئاً بتلك الطريقة التي يستطيع الأقوياء فقط تحمل كلفتها، مجبراً الجميع على الاستماع بانتباه.

تابع:

- «هذه بيدن جراي. متسابقة سابقة في حفل التصفيات حيث حققت مرتبة عالية جداً بالنسبة لمجرد مبتذلة. ولمن المدهش أن نعتقد أن متبصرة أصبحت تشكل تهديداً كبيراً لـ الهجوميين (أوفينسيف) من النخبة.»  
ألمح هز الرؤوس في محيط رؤيتي، لكنني أبقى عينيّ مثبتتين على كيت وهو يتابع:

- «لكنها ليست تمامًا كما تبدو.»

تردد صدى همهمات الموافقة في جميع أنحاء الغرفة.  
أكمل:

- «لم تكن منقذتكم الفضية مجرد عادية تتخفى بيننا، بل كانت خائنة تعيش تحت أنوفنا. بيدن.»

انتقلت عيناه عائدتين إليّ وهو يسأل:

- «هل تعترفين ليس فقط بكونك عضوًا في المقاومة، بل وبالتآمر معهم أيضاً؟»

رمشت، ولا أزال مصدومة من مناداته لي باسمي. جف حلقي، وبصوت أجش تمكنت من القول:

- «نعم.»

شهق الحشد بتكلف مسرحي، وكأنهم لم يكونوا على علم بكل هذا بالفعل. ساورني إغراء بأن أطلب من الملك أن يوفر علينا هذه المسرحيات ويحكم عليّ بالموت وينتهي الأمر.

تابع بهدوء:

- «وليس هذا فحسب، بل هل تعترفين بـ... قتل الملك السابق لإيليا؟»

لم تحد عيناى عن عينيه وأنا أجيب:

- «أعترف.»

جعل ذلك الناس يتهامسون من حولي، ويلعنون اسمي بين أنفاسهم. أوما كيت برأسه، ناظرًا إلى الأرضية الرخامية التي تعكس وجهي المتسخ.

كان امتداد الصمت الذي تلا ذلك يصم الآذان، وعضضت على لساني كي لا أكسره.

عندما رفع الملك نظره، رأيت كيت يشرق من خلال تعابيره. جعلني هذا التحول المفاجئ أرمش بتفاجؤ، أرمش أمام مألوفية ذلك الوجه. وعندما أرى كاي يعتدل قليلاً بجواري، أدرك أنه يرى ذلك أيضاً.  
قال كيت، متطلعاً في أرجاء الغرفة:

- «هذه المرأة - بيدن جراي - ارتكبت جرائم مروعة. لقد قتلت والدي، ملككم، وغرست سيفه في صدره قبل أن تمرر خنجرها على حنجرته. وتآمرت مع المقاومة، وهي جماعة متطرفة من العاديين، وساعدتهم في إيجاد ممر إلى حلبة الصحن.»

وجدت عيناه طريقهما عائدتين إليّ، والذكريات تغم تلك النظرة الخضراء.

أكمل:

- «لقد كذبت. وقتلت. وخانت.»

جعلتني اللسعة في صوته أخفض نظري نحو قدميه اللتين تحملانه ببطء إلى أسفل درجات المنصة.

تابع:

- «وأنا حزنت. وتوليت فجأة دور ملككم بينما لا أزال أبكي الملك

السابق. وأجل، لقد تناهت إلى مسامعي سمعتي كملك مجنون.»

ارتفعت عيناى إلى عينيه بينما خيم التوتر الكثيف على غرفة العرش. تنقلت النظرات المضطربة بين أفراد النخبة، واحتبست الأنفاس وهم ينتظرون ملكهم ليواصل حديثه.

استأنف أخيراً، سامحاً للجميع بالتنفس مجدداً:

- «لكني أؤكد لكم، أن قراراتي المستقبلية أبعد ما تكون عن الجنون.

وسأشرحها لكم جميعاً في الوقت المناسب.»

عندما استقرت عيناه عليّ مجددًا، أدركت أن وقتي قد حان.

– «بيدن جراي...»

خفضت رأسي، لا أرغب في رؤية الكلمات وهي تتشكل على شفثيه.

إذن هكذا تنتهي الأمور.

ليس بسبب التصفيات. ولا بسبب الأراضي المحرقة أو قطاع الطرق أو

مجارى الصرف التي كادت تغرقني، بل بمجرد كلمة من ملك.

ملك صنعته أنا.

أتساءل عما إذا كان سيأمر كاي بفعل ذلك. ربما يعيد تمثيل مشهد مقتل

والده. يبدو هذا مناسبًا تمامًا.

أمرني:

– «انهضي.»

كدت ألا أسمعه وسط ضجيج أفكارى المروعة التي تصم الآذان.

استغرقني الأمر عدة خفقات قلب متعثرة لأتمكن أخيرًا من النهوض بصعوبة،

متأوهة من الألم الذي يجتاح كاحلي الممزق.

جالت عينا الملك على طولي قبل أن تستقرا في عينيّ.

سحب ذلك الصندوق من جيبه، صغيرًا ومخملًا بين أصابعه.

ارتفع الغطاء، وانفتح بصوت طقطقة ليكشف عن...

لم يكن هناك شيء ليعدني للكلمات التي تساقطت من شفثيه.

ولا حتى متبصرة ملعونة حقيقية.

التمع الخاتم مقابل المخمل الأسود الذي يستقر وسطه.

– «ستكونين عروسي.»



خاتمة

# كلامي

أظنني أغرق.

ولكن ليس في عينيها الزرقاوين كما كنت لأفعل بسعادة. لا، أنا أغوص في الأرضية، تاركاً إياها تبتلعني بالكامل.

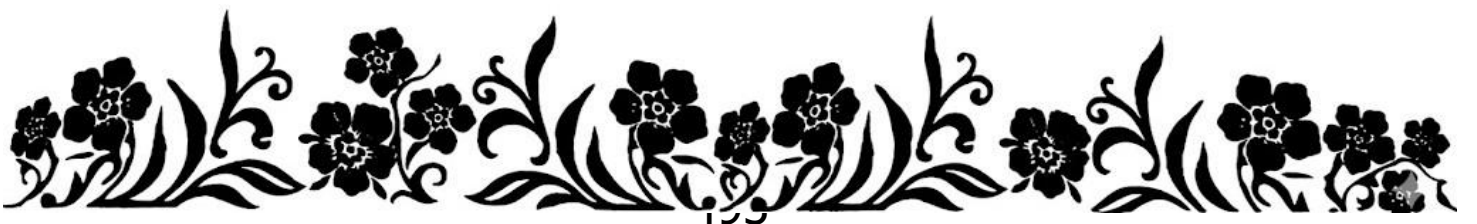
بالكاد أستطيع التنفس تحت وطأة كلمات كيت الساحقة.  
تطن أذناي. ويقرع قلبي بشدة.

يتردد صدى الأمر في جمجمتي، رغم أنني لا أملك أدنى فكرة عن سبب رغبته في هذا. سبب رغبته فيها. ليس الآن. وليس بعد كل ما حدث.  
ومع ذلك، لا أزال أريدها بعد كل ما حدث.

يحيط بي البلاط بأكمله، والشيء الوحيد الذي أستطيع التركيز عليه هو ألا أحرّ على ركبتي بجوارها.  
الزواج.

زواجها من شخص غيري. زواجها من شخص سأقضي بقية حياتي في خدمته.

سأفقدّها للأبد بينما أُجبر على المشاهدة.



لا أستطيع حتى النظر إليها. أنا جبان، أتحول عائداً إلى ذلك الوحش الذي كنت عليه عندما عثرت عليّ.

رؤيتي ضبابية، وعياني مثبتتان على المنصة بالأعلى.  
هكذا إذن أفقدها.

ليس بالموت، بل بشيء قاطع ومُلزِم بذات القدر.  
يرن الأمر في رأسي.

وللتفكير في أنني أهدرت الكثير من الوقت محاولاً كراهيتها. وللتفكير في أنني لن أملك الوقت الكافي لأحبها.

يعتصر قلبي ألماً لأن كل نبضة فيه تنتمي إليها. وربما لن أحظى بفرصة لإخبارها بذلك أبداً.

هل هكذا ستتذكرني؟ مرافقاً إياها إلى هذا المصير؟ مقيداً بالواجب وحده؟

كان بوسعي أن أضحك. وبوسعي أن أبكي. وبوسعي أن أحرق هذا القصر وأسويه بالأرض كما فعلت بمنزلها، فقط من أجل فرصة لأعترف بحبي لها قبل أن تلتهمنا النيران.

لأنني مقيد بوجودها ذاته. ملك لها حتى اليوم الذي تدرك فيه أنني لا أستحق أن أكون كذلك.

كانت عينا الملك مسطتين عليّ، بينما عياني في مكان بعيد جداً. في مكان ما معها. في مكان لا أكون فيه شيئاً ولا أحداً، وحيث أكون سعيداً بكوني مجرداً من القوة، طالما أنها بجواري.

تهوي نظراتي من عالم الخيال، لتجد طريقها إليها.

ليس هكذا سأتذكرنا. ليس كأعداء أو خونة أو وحوش، بل كشخصين يرقصان في الظلام، ويتمايلان تحت النجوم. قدماها فوق قدمي، ورأسها على القلب الذي لا ينبض إلا من أجلها. مجرد باي وكاي.

أبتعد عن هيئتها الراكعة، مقننًا كل عاطفة بنظرة خاوية. أتركها لتواجهه هو. زوجها المستقبلي.

أنصهر في الحشد، واقفًا على مسافة آمنة تكفي لمنع نفسي من اختطافها والهرب.

هذا ما سيكون عليه بقية حياتي. مجبرًا على حبها من بعيد. وأبكي فقدانها في كل يوم.

لكنني سأفعل. سأخنق كل عاطفة باستثناء تلك التي تنتمي إليها. سأحبها حتى أصبح عاجزًا عن الشعور.

إنها العذاب الذي قد لا أنجو منه.

وهي بلهفة شديدة، سبب هلاكي.

ترتفع نظراتها، لتلتقي بعينين ليستا عيني.

عيني الرجل الذي سيحظى بها - إذا سمحت له بذلك -.

كان من المفترض أن تكون أبديتي.

والآن سأشاهدها وهي تصبح أبدية شخص آخر.

لأن الوحش لا يفوز بالجميلة.

-تمت-

قصة جديدة مذهلة  
تقع أحداثها في عالم

# بلا قوة



العودة إلى مملكة إيليا في هذه الرواية الشيقة التي تجري في  
عالم بلا قوة، والتي تُروى من وجهة نظر أدينا

# عن المؤلفات



عندما لا تكون لورين منشغلة بكتابة عوالم الفانتازيا وصياغة الحوارات المليئة بالمماحكات الذكية بين العشاق، فمن المرجح جداً أن تجدها متفوقة في سيرها تقرأ عنها. أمضت لورين حياتها بأكملها في ولاية ميشيغان، مما جعلها شديدة الألفة مع حفر الطرق، والثلوج، والأنشطة المتنوعة المرتبطة بالبحيرات. تجمع هواياتها بين اهتمامات الجدات والأطفال في آن واحد؛ أي أنها تهوى: الحياكة، ولعبة حرب الليزر، والاسترخاء في الأراجيح الشبكية، وألعاب البحث عن الكلمات، والتلوين. تُعد رواية *Powerless* (بلا قوة) هي عملها الروائي الأول، وتأمل أن تحظى بامتياز كتابة الكلمات الجميلة طيلة حياتها. إذا كنت تستمتع بالنقاشات الحماسية (الثرثرة)، والقراءة، والكتابة، يمكنك العثور على لورين عبر منصتي تيك توك وإنستغرام على المُعرّف [Laurens1library@](mailto:Laurens1library@) للاستمتاع بمحتواها الترفيهي.



## مملكة إليا في حالة اضطراب...

تعيش مملكة إليا في دوامة من البلبلة، لقد قُتل الملك على يد بيدن جراي التي وُلدت عادية، وأثارت حركة مقاومة في كل أرجاء البلاد. وهي الآن تهرب من الشخص الوحيد الذي كانت ترغب في الهروب إليه.

كاي آزر الآن هو منفذ القانون في إليا، وهو مخلص لأخيه كيت، الملك الجديد. لقد تعهد بالعثور على بيدن وإخضاعها للعدالة.

عبر صحراء اللوفاق، وفي أعماق مدينة دور المعادية، يبحث كاي عن الإنسانية الوحيدة التي ما كان ليتمنى البحث عنها لولا اضطرابه. لكن في مدينة خالية من النخبة، يختل التوازن بين الصيد والفرسة. فإلى أي مدى سيضحي من أجل الواجب؟ وماذا ستفعل هي للبقاء على قيد الحياة؟

## الجزء الثاني الملحمة والمثير من سلسلة بلا قوة الأفضل مبيعًا على مستوى العالم



تصميم الغلاف: Bob Lea

مكتبة جرير  
JARIR BOOKSTORE  
...not just a bookstore

امسح الكود  
للسنسخة  
الإلكترونية



ISBN 628-1072-17-128-5



6 281072 171285  
282210468